

جامعة نواكشوط
العصرية



العدد 58، أبريل 2023

حكمة

مجلة الدراسات

التاريخية والإجتماعية

مجلة علمية محكمة فصلية



رقم الإيداع الوطني: 1425 – 2014
الترقيم الدولي: ISSN 2412 – 3501

مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية

مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية دورية محكمة تعنى بالقضايا التاريخية والاجتماعية يصدرها فريق بحث المعارف للدراسات التاريخية والاجتماعية ونشر التراث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة نواكشوط – موريتانيا.

رئيس التحرير

أ.د/ محمد الرازي ولد صدفن، موريتانيا

مدير المجلة

أ.م.د/ محمد الأمين ولد أن باريك، موريتانيا

التدقيق اللغوي

د. أحمد ولد حبيب الله، موريتانيا

أ.د. عبد الهادي سيد أحمد عبد العال، مصر

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. بوزان ميسر الحامد، العراق

أ. د. الحمدي أحمد، الجزائر

أ.م.د. جمال ولد الخليل، السعودية

أ.م.د. سيدي محمد ولد ختاري، موريتانيا

د. الحسين ولد بديدي، موريتانيا

الهيئة الاستشارية

الاسم الكامل	مكان العمل	التخصص	البريد الإلكتروني
أ.د/ ابتهاج عادل إبراهيم	جامعة دهبوك، العراق	تاريخ قديم	altaiem940@gmail.com
أ.د/ إسماعيل نوري الربيعي	الجامعة الأهلية، البحرين	تاريخ حديث ومعاصر	imseer@yahoo.com
أ.م.د/ أشرف صالح محمد سيد	جامعة ابن رشد، هولندا	تاريخ وتراث العصور الوسطى	ashraf-salih@hotmail.com
أ.د/ أعبد الرحمن بعثمان	جامعة أدرار، الجزائر	تاريخ حديث	baotman1980@gmail.com
أ.د/ خالد حسين محمود	جامعة عين شمس، القاهرة	تاريخ إسلامي	drkhd777@yahoo.com
أ.م.د/ رائد أحمد طه صالحه	الجامعة الإسلامية، غزة - فلسطين	جغرافيا	rsalha@iugaza.edu.ps
أ.د/ طه حسين هديل	جامعة عدن، اليمن	تاريخ وحضارة إسلامية	dr.taha.2012@hotmail.com
أ.د/ عيسى محمود العزام	جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية	تاريخ إسلامي	isa.alazzam@yahoo.com
أ.م.د/ عثمان محمود وشاح	الجامعة الإسلامية، غزة - فلسطين	تاريخ إسلامي	gwshah@iugaza.edu.ps
أ.د/ فاطمة بلهوارى	جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان	تاريخ وسيت	fbelhouari10@gmail.com
أ.م.د/ محمد المختار سيد محمد	جامعة نواكشوط، موريتانيا	تاريخ معاصر	moems70@yahoo.fr
أ.د/ منجي الزيدي	جامعة تونس، تونس	علم اجتماع	m.ezzidi@gmail.com
أ.م.د/ الناير محمد علي الناير	جامعة شندي، السودان	علم اجتماع	alnairalnair@yahoo.com
أ.م.د/ نوف بندر ناصر البنيان	جامعة حائل، السعودية	تاريخ المغرب والأندلس	nowf.albnyan@gmail.com
أ.م.د/ واغي عثمان	جامعة نواكشوط، موريتانيا	علم اجتماع	wousmane@yahoo.fr
أ.م.د/ ياسر محمد عثمان حماد	جامعة شندي، السودان	جغرافيا	yassirelmak@gmail.com

* حسب الترتيب الأبجدي

شروط النشر

- 1- يجب أن يكون البحث المقترح للنشر أصيلاً لم يسبق تقديمه لمجلة أو أي جهة ناشرة أو أكاديمية، وألا يكون جزءاً من رسالة علمية.
- 2- لا يقل البحث الواحد عن 20 صفحة، ولا يزيد على 30 صفحة حتى تتاح فرصة النشر لأكبر عدد من الباحثين.
- 3- ترسل البحوث إلى المجلة مطبوعة على الحاسوب باستعمال Word باللغة العربية:
 - الخط المستخدم في المتن Simplified Arabic الحجم 14 أما الهوامش فتكون آلية أسفل كل صفحة على حدة؛ بنفس الخط حجم 12.
 - 4- بالنسبة للبحوث المحررة باللغة الفرنسية:
 - الخط المستخدم في المتن Timed New Roman الحجم 12، أما الحواشي فتكون بنفس الخط بحجم 10
- 5- أن يكون توثيق الكتب بذكر شهرة المؤلف متبوعاً باسمه الأول والثاني واسم الكتاب، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة والناشر ومكان النشر وسنته، ورقم المجلد.
- 6- أن يكون توثيق الدورية بذكر اسم كاتب المقال، عنوان البحث موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية، ورقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة.
- 7- يلتزم الباحث القيام بالتصويبات والتعديلات التي اقترحها المحكمون خلال شهر من تاريخ تسلمها.
- 8- الأبحاث المنشورة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها.
- 9- يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية.
- 10- يكتب الباحث في الصفحة الأولى من البحث اسمه وعنوانه الكامل والهاتف والبريد الإلكتروني والمؤسسة التي ينتمي إليها، وكذلك الدولة، باللغة العربية والإنجليزية. (ويفضل أن يكون اسم الباحث ثلاثياً).
- 11- عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
- 12- يكتب ملخصاً باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية بما لا يزيد عن 100 كلمة لكل منهما، وكذلك الكلمات المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- 13- مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية مُحكّمة، وهي ترحب بجميع المقالات المستوفية للشروط السالفة الذكر، ولا ترد المقالات لأصحابها في حال عدم نشرها. وعليه نرجو من كل الراغبين في نشر أعمالهم بالمجلة أن يبعثوا بها على البريد الإلكتروني التالي:

revuehs2020@gmail.com

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد،

يسعدنا في هذا العدد الثامن والخمسين من مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية أن نقدم للقراء الكرام والباحثين بعض المقالات المتخصصة، في التاريخ والجغرافيا والاجتماع والتراث والإعلام راجين أن يجدوا فيها ما يفيدهم وينفعهم في شتى صنوف المعرفة.

لقد كان من الصعوبة بمكان اختيار هذه المشاركات من بين عشرات المقالات التي أرسلت إلى بريد المجلة. ونعد السادة الأساتذة والباحثين أن مواضيعهم التي لم يتسع لها هذا العدد من المجلة ستلقى العناية والنشر في الأعداد القادمة بإذنه تعالى.

وفي الختام نكرر دائماً ترحيبنا بكل الباحثين والمبدعين وندعوهم إلى وضع ثقتهم بنا، ونقول لهم دائماً: إن مجالات النشر والطبع أمامكم مفتوحة، "وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ".

صدق الله العظيم

رئيس التحرير

أ.د/ محمد الراضي ولد صدفن

محتويات العدد

5	عيون وجواسيس الإسبان في حاضرة وهران خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية	الجزائر
24	الملابس والحلي الإسلامية للنساء ودلالاتها الاجتماعية والاقتصادية في متحف فيكتوريا وألبرت	السعودية
59	أ.د. منيرة بنت مدعث القحطاني، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن	موريتانيا
77	موريتانيا في محيطها المغربي (من قمة الرباط إلى سقوط نظام الرئيس ولد داداه)	المغرب
100	الدكتور جمال غدور، جامعة نواكشوط	السعودية
148	الشرف والولاية الصوفية بواحات المغرب في العصر الحديث المرجعية المذهبية والعقدية	العراق
177	الحاج ساسوي، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس	السعودية
192	الملك عبد العزيز في مجلة الكويت 1346-1348هـ / 1928-1930م	الأردن
223	د. أحمد بن عبد الله العرف، جامعة القصيم	العراق
251	التداوي بالنباتات الزراعية والطبيعية في العصر الراشدي بالمشرق العربي	الجزائر
268	كوثر عنتر فتحي، أ.د. نضال مؤيد مال الله، جامعة الموصل	الأردن
289	مرجعية الحكم في دولة الأمير عبد القادر (1832م - 1847م) وأثرها في النظام الدستوري الجزائري	العراق
308	د. عبد الله بكاروي، جامعة أحمد درايعية - أدرار	السعودية
323	الجرائم العلمية في الحجاز (923-1218هـ / 1517-1803م): دراسة تاريخية	العراق
	أحمد حامد إبراهيم القضاة، جامعة عجلون، د/ نوير مبارك ناصر العميري، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل (السعودية)	
	أنواع النباتات في العصر الراشدي بالمشرق العربي	
	كوثر عنتر فتحي، أ.د. نضال مؤيد مال الله، جامعة الموصل	
	مدى إمكانية توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية من قبل أعضاء هيئة التدريس في قسم الجغرافيا	
	م.م خوشي زبير محمد أمين، جامعة دهوك	
	الهجرة الأوروبية غير الفرنسية إلى الجزائر المحتلة	
	أ.د. فضيل دليو، جامعة قسنطينة (3)	
	الآثار الإيجابية المترتبة على قيام سد النهضة الاثيوبي على القطاع الزراعي بالسودان	
	د. النور أحمد محمد نور البلك، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم	
	تحليل خصائص الجدل اللغوي على منصات التواصل الاجتماعي اتجاهات المغردين والمعلقين	
	د. محمد صالح علي الشيزاوي، جامعة السلطان قابوس، د. ماجد حمد خميس العلوي	
	الأسرة أم العائلة؟ إعادة التفكير في المفهوم وتحليل التحولات الاجتماعية	
	حاكم مليكة، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان	

عيون وجواسيس الإسبان في حاضرة وهران خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية
The eyes and spies of the Spanish in the metropolis of Oran during the Ottoman
era in the light of local sources

د. بوجلال قدور

Dr. Boudjellal Kaddour

الدرجة: أستاذ محاضر "أ"

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر / دولة الجزائر.

University of Mustapha Stambouli, Mascara, Algeria.

boudjellal.kadour@univ-mascara.dz

ملخص:

يُعدّ عمل العيون والجواسيس من أهم الطرق والأساليب التي لجأت إليها الأمم والمجتمعات والدول على مرّ التاريخ لمواجهة أعدائها، لا سيما في الأعمال الحربية، وهذا ما قام به الإسبان بإيالة الجزائر خلال صراعهم مع العثمانيين وفي حاضرة وهران على وجه الخصوص. لقد درس العديد من الباحثين والمؤرخين فترة الصراع الإسباني العثماني، وعالجوها من ناحية تاريخية وسياسية وعسكرية، وتسلسل للأحداث، إلا أنّهم لم يتعرّضوا بالدراسة التحليلية لدور العيون والجواسيس وأهميته في مجريات ذلك الصراع التاريخي باستثناء بعض الدراسات السطحية. لذلك جاءت هذه الدراسة المعنونة بـ عيون وجواسيس الإسبان في حاضرة وهران خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية، للتعرف على عمل العيون وأهميتها، والأقسام التي كانت تنضوي تحتها، وأهم الوسائل والأساليب التي كانت تستخدمها في تلك الحقبة التاريخية المؤثرة في حياة الإيالة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية:

عيون، جواسيس، الإسبان، وهران، بنو عامر.

Abstract :

The work of eyes and spies is one of the most important ways and methods that nations, societies and states have resorted to throughout history to confront their enemies, especially in war actions. Many researchers and historians have studied the period of the Spanish-Ottoman conflict, and treated it from a historical, political and military point of view, and a sequence of events, but they did not study the analytical study of the role of eyes and spies and its importance in the course of that historical conflict, with the exception of some superficial studies. Therefore, this study, entitled "The Eyes and Spies of the Spanish in the Metropolis of Oran during the Ottoman Era," came in the light of local sources, to get acquainted with the work of El-Ayoun and its importance, and the sections that were included under it, and the most important means and methods that were used in that historical era affecting the life of the Algerian Eyalet.

Key words :

Eyes, spies, the Spaniards, Oran, Beni Amer.

مقدمة:

تُعَدُّ الكتابات التاريخية من أهم منابع كتابة تاريخ إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، لأنها أُصدّق المصادر وأقربها إلى الحقيقة، ومن بين هذه المصادر خلال القرن الثامن عشر الميلادي كتابات العالم الشيخ عبد القادر المشرفي في مؤلفه بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإشبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، فقد ترك معلومات هامة عن مدينة وهران وبابيك الغرب الجزائري، والتجاذبات والصراعات الإشبانية العثمانية من أجل السيطرة على المدينة. وتُعكس لنا هذه الكتابة التاريخية المتمثلة في مؤلف "بهجة الناظر" اهتمام العلماء بقضية وحدة الإيالة، والوقوف في صف العثمانيين لكبد العدو النصراني الإشباني وتوهين كيده، واستنقاذ المسلمين في وهران من عدوانه.

ندّد عبد القادر المشرفي بالقبائل التي تعاونت مع الإشبان أثناء احتلالهم لوهران، وكان على رأس العلماء الذين تبوّوا بحرارة دعوة العثمانيين لاستنقاذ المدينة من براثن النصارى. ثمّ بعد ذلك أفتى للحكام بجواز قتل وقتال كلّ من ثبّت تورّطه في مداخله النصارى الإشبان، وكان دافعه إلى ذلك كلّ رغبتة في اتّحاد كلمة المسلمين في وهران للقيام بواجب الجهاد ضدّ الأعداء.

إنّ ما يهمنّا في هذه الدراسة إبراز عيون وجواسيس الإشبان من القبائل المحلية التي كانت تقطن بضواحي مدينة وهران، مع تبيان الدوافع والأسباب التي جعلت من تلك القبائل تُقدّم مساعدات جليلة لأعداء الإسلام. وقبل أن نبدأ الكلام في الموضوع هذا يجدر بنا أن نقدّم له بالحديث عن الأصول اللغوية لعمل العيون والجواسيس، فما هو المقصود منهما لغة واصطلاحاً؟ ومن هو يا ترى هذا العالم الكبير عبد القادر المشرفي؟ وما هي مؤلفاته؟، ثم نعرّج على التعريف بالرسالة التي تركها الشيخ ومحتوياتها بغية إبراز موقفه من القبائل المتعاملة مع الإشبان، والدوافع التي شجعت هاته القبائل في التعاون مع أعداء الإسلام والعمل عندهم كعيون وجواسيس ضد المسلمين؟.

1- تعريف العيون والجواسيس لغة واصطلاحاً:

لقد وجدت العديد من التعريفات لكلمة العين والجاسوس في اللغة، فقد تعدّدت التسميات لعمل العيون والجواسيس على مرّ العصور فتارة يطلق عليه اسم صاحب الخبر⁽¹⁾ أو الراصد⁽²⁾ أو اسم صاحب البريد، وتارة أخرى اسم العين أو الجاسوس أو الرقيب والمنذر أو الدسيس⁽³⁾ وعلى العموم فمجمّلها تتفق في

(1): صاحب الخبر: هو الذي يحمل إلى الحاكم أخبار الناس، والجيش، والإدارة. لتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1939، ص، ص: 73، 235.

(2): الراصد: هو الراصد بالشّيء أي المراقب له، من فعل رصد يرصد رصدًا. ينظر: أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مجلد 1، ج3، تحقيق: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص: 177.

(3): الدسيس: هو الذي تدسس سرّاً ليأتيك بالأخبار، ومن صفاته المكر والدهاء والعمل ليلاً في جنح الظلام بعيداً عن الأضواء. ينظر: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج7، تحقيق: مهدي المخزومي، دار الحرية، بغداد، 1984، ص: 185.

كونها كلها تصبّ في مجال عمل الجوسسة والاستخبارات، وسنحاول هنا استعراض أهم تلك التعريفات لغة واصطلاحاً:

أ- العيون والجواسيس لغة:

العين: هو الشخص الذي يُبعث لتجسس الخبر وتُسمّيه العرب ذا العينين، وذا العينتين أو العينتين⁽¹⁾، أمّا ابن منظور فقد عزّفه بأنّه الطليعة الذي يأتي بالخبر، وهو الجاسوس⁽²⁾، وهو الديدبان⁽³⁾.

الجاسوس: يشير ابن منظور بأنّ اللفظ مشتق من الجَسَّ أي جَسَّ الخبر، ومنه التَجَسُّسُ وجَسَّ الخبر وتَجَسَّسه بحث عنه وفحص، والجَّاسُوسُ هو العَيْنُ يَتَجَسَّسُ الأخبار ثم يأتي بها. وأصل الجَسَّ في اللغة معناه اللَّمُّسُ باليد، وقيل أنّ التجسس أن يطلب الخبر لغيره والتجسس أن يطلبه لنفسه، كما ذكر بأنّ التجسس هو البحث عن العورات والتجسس هو الاستماع⁽⁴⁾. أمّا الأنباري فقال أنّ الجاسوس معناه في كلام العرب هو "الباحث عن أمور الناس، فيقال تجسس الرجل وتحسس بمعنى واحد هذا إجماع أهل اللغة"⁽⁵⁾.

أمّا الزبيدي فيرى أنّ الجاسوس من التَجَسُّس، والجَسَّ أي نَقَحُصُ الأخبار والبحث عنها، والجاسوس هو صاحب سِرِّ الشَّرِّ، وهو العَيْنُ الذي يَتَجَسَّسُ الأخبار ثم يأتي بها، والنَّامُوسُ هو صاحب سِرِّ الْخَيْرِ⁽⁶⁾. وعلى العموم فالجاسوس هو الذي يطلب معرفة الأخبار سراً ويتفحصها، ويبحث عنها لأجل نقلها. ويُسمّى الجاسوس عيّنًا، وهو استعمال شائع عند الفقهاء وغيرهم، وذلك من باب إطلاق البعض على الكل، ويسمّى بالمجاز المرسل، فالجاسوس حينما جعل عنايته كلها متوجهة إلى عينيه فيبحث بهما عن العورات، ويُدَقِّق بهما للتوصل إلى كشف المستورات سُمّي بالعين⁽⁷⁾. وفي هذا المقام يقول ابن حجر:

(1): المصدر نفسه، ج2، ص: 255.

(2): ابن منظور، م1، المصدر السابق، ص: 3196.

(3): الديدبان: يقصد به الطليعة والرقيب والريبة والحارس. ينظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص، ص: 295، 296.

(4): ابن منظور، ج7، المصدر السابق، ص: 624.

(5): أبي بكر بن محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ص: 368.

(6): محمد المرتضي الزبيدي، تاج العروس، ج4، دار ليبيا، بنغازي، ليبيا، 1966، ص: 119.

(7): محمد راكان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، 1985، ص: 29.

"وسمي الجاسوس عينا، لأنّ جلّ عمله بعينه أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها كأنّ جميع بدنه صار عينا"⁽¹⁾.

ب- العيون والجواسيس اصطلاحا:

العيون: هم الجواسيس الذين يطلعون على عورات المسلمين وينقلون أخبارهم للعدو، أي جاسوس على المسلمين يطلع الحربيين على عورات الناس، وينقل أخبارهم إليهم، وهو رسول الشر والناموس رسول الخير⁽²⁾.

الجواسيس:

لقد وجدت العديد من التعاريف الاصطلاحية للجاسوس لا تكاد تختلف عن التعريف اللغوي في شيء، وعلى العموم فالمقصود بالجاسوس هنا هو الذي ينقل أسرار المسلمين إلى أعدائهم، وكلمة جاسوس نفسها وبحسب أصل معناها اللغوي تشعر بالبحث والتقصص وتكلف معرفة الأخبار والأحوال على وجه الخفية، وعليه يمكن أن نضع تعريفاً للجاسوس المقصود في البحث فنقول هو الشخص الذي يطلع على عورات المسلمين وأخبارهم ليوصلها إلى أعدائهم، وهو رسول الشر والناموس رسول الخير⁽³⁾.

2- عيون وجواسيس الإسبان بحاضرة وهران على ضوء كتاب بهجة الناظر لمؤلفه الشيخ عبد القادر المشرفي:

لعبت العيون والجواسيس دورا بارزا في سيرورة أحداث الصراع العثماني الإسباني بحاضرة وهران، إذ أن القادة العسكريين الإسبان صبّوا جلّ اهتماماتهم في الاعتماد على العيون والجواسيس، وذلك لعدم درايتهم بطبيعة المنطقة الجغرافية وأحوال سكانها وأوضاعها الداخلية، فعلى هذا المنهج سار الإسبان مع القبائل المتعاونة معهم والتي تقطن بضواحي مدينة وهران⁽⁴⁾.

سنسعى في هذا المبحث إلى تسليط الضوء على علم من أعلام المسلمين عاش في القرن الثامن عشر الميلادي مجاهدا في سبيل التحصيل العلمي إنّه العلامة الشيخ عبد القادر المشرفي، إنّه علم من أعلام مدينة معسكر الجزائرية- والذي يُعدّ شاهد عيان على العصر - ، وعلى الجملة يسلط الضوء على مؤلفه

(1): أحمد بن محمد علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، عناية: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 2010، ص: 509.

(2): محمد المرتضي الزبيدي، ج4، المصدر السابق، ص: 119.

(3): الدريدر محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على شرح الكبير، ج2، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص: 182.

(4): للإشارة فقد أحتلت وهران من قبل الإسبان سنة 1509م، حيث استولى عليها جيش الكاردينال "خيميناز دوسيسنروس" كبير أساقفة طليطلة وحاكم إسبانيا. ولتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى: أسماء أبلالي، "التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ / 16م: قراءة في الدوافع والنتائج"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد: الثاني، جامعة غرداية، 2017، ص: 42، 45.

المعنون ب: "بهجة الناظر" الذي عالج فيه علاقات القبائل مع الكفرة الاسبان وأساليب استخدام هاته القبائل للمدنيين في الحصول على المعلومات وتقديمها للكفرة والمغاطيس⁽¹⁾ الإسبان، إضافة إلى الأساليب العسكرية، كما عبر في رسالته هاته عن وجهة نظر الرأي العام الاسلامي تجاه الغزاة الاسبان لأرض إيالة الجزائر.

التعريف بالشيخ عبد القادر المشرفي:

لم يحظ الشيخ المشرفي بترجمة وافية في كتب التراجم، وخير من ترجم للشيخ المشرفي الشيخ الكتاني في كتابه فهرس الفهارس حيث قال في ترجمته: "هو أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد أبي جلال المشرفي الغريسي المعسكري المعروف ب: بن عبد الله، ويعرف أيضا ب: سقط وكان يدعى شيخ الجماعة وإمام الراشدية"⁽²⁾. يرجع نسبه إلى أسرة المشارف ذات الأصول الوثيقة بالعرهوبيين⁽³⁾ أبناء مشرف بن عبد الرحمن بن مسعود وأسرة المشارف إدريسية النسب من الفرع الحسني حسب أبو حامد المشرفي⁽⁴⁾.

اتفق أغلب المؤرخين على أنّ ولادة المشرفي كانت مع بداية سنة 1692م، وكانت في قرية الكرط⁽⁵⁾ بضواحي مدينة معسكر، أما المشرفي في طفولته وصباه فلم تذكر كتب التراجم الشيء الكثير عنها سوى أنّه تعلم ونشأ بإقليم الراشدية⁽⁶⁾ أين تلقى تعليما وتكونا فقهيا وأدبيا تماشيا وشروط الفقيه العالم⁽¹⁾. كما

(1): من هذا أخذ الإسبان كلمة Mogatazes التي تدلّ على جواسيس وعيون قبيلة كرشتل. ينظر: عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانين بوهران من الأعراب كبنّي عامر، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، دت، ص، ص: 12، 13.

(2): عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات والمعاجم والمشيخات والمسلسلات، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982، ج1، ص: 577.

(3): العرهوبيون: وهم حفدة العربي المدعو عرهب دفين تادلة من شرفاء فجيج بن محمد يعقوب الجد الجامع للشرفاء العرهبيين والعفبيين واليعقوبيين والمغراويين، دفين جبل الدبس قرب مدينة معسكر بن عبد الله بن أبي عمران موسى... إلى إدريس الأكبر. ينظر: عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي ت 1895م: حياته وأثاره، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006-2007، ص: 59.

(4): أبو حامد العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، دراسة وتحقيق: بن عمر حمادو والعربي بوعمامة، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2011، ص، ص: 291، 292.

(5): الكرط: أو جبل الذهب كما كانت تُسمّى، وهي معسكر القديمة بها مقبرة شهيرة تضمّ عدداً من العلماء والأولياء الصالحين بالإضافة إلى مسجدها المرمّم من قبل الباي محمد الكبير. بلبروات بن عتو: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779-1797م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2001-2002، ص: 217.

(6): إقليم الراشدية: ويطلق عليه أيضا اسم الوطن الراشدي وإقليم بني راشد، يمتد هذا الإقليم نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلا، أراضيها صالحة للزراعة بالرغم من تنوع الجهات به بين سهول

التقى المشرفي في بلده وفي رحلاته الطويلة إلى بلاد الشام ومصر والإسكندرية والحجاز مع كثير من أهل العلم والأدب وأئمة الحديث والفقه، وارتاد حلقات العلم التي كانت تعقد هناك، وسمع من مشاهير العلماء أمثال الشيخ محمد بن محمد بن عربي البناني المكي والشيخ محمد بن محمد شهاب الدين الأنصاري المدني ومحمد بن حسن الميقاتي الإسكندري، والشيخ مفتاح الدين أبي حسام الدين البخاري، وغيرهم من علماء عصره نهل منهم علم العروض والحديث والبلاغة والأدب والأصول والأحكام الصغرى⁽²⁾.

وسلّطت أغلب هذه المصادر الضوء على حياة المشرفي الوظيفية ففي شبابه اشتغل بالتدريس في معهد الشيخ محي الدين في زاوية القيطنة⁽³⁾ بواد الحمام، حيث حظي بتقدير وإجلال ممّن عاصره من العلماء والفقهاء، وبالتالي فقد أخذ عنه عدد من التلاميذ أشهرهم أبو راس الناصر المعسكري الذي قال عنه: "انتفع به خلق كثير شريعة وحقيقة.... له دروس حسنة بسلس عبارة وألف إشارة"⁽⁴⁾.

كان للتجارب التي مرّ بها المشرفي في تحصيله العلمي الذي اغترفه ونهله من أشهر الشيوخ في وقته دور في تولّيه العديد من الوظائف، فقد أسّس لنفسه زاوية دينية ومعهدًا علميًا بمسقط رأسه الكرط أصبح في مستوى زاوية معهد القيطنة⁽⁵⁾ حيث كان مواظبا على بثّ العلم لدرجة أن قال فيه أبو حامد المشرفي: "... فلا تخلوا زاويته من مائتي طالب في بعض الأوقات..."⁽⁶⁾، فتخرّج عليه عدد كبير من الطلبة من أشهرهم الشيخ أبي راس الذي يذهب إلى أنّ شيخه المشرفي: "أتقن علومًا جمة وبرع فيها... وأقرّ له كلّ

ومرتفعات. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص: 26.

(1): يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 143. ولتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى: أحمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر، 1973، 33.

(2): ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999، ص: 412.

(3): القيطنة: هي قرية على بعد 28 كلم من مدينة معسكر مقر أسرة الأمير عبد القادر، اختطها جدّه المصطفى بن المختار سنة 1206هـ/ 1792م. وفيها درس مجموعة من العلماء أمثال: عبد القادر المشرفي وأبو راس الناصر المعسكري وغيرهم من الطلبة المتخرجين من هذا المعهد، وهي اليوم بلدية تابعة لدائرة بوحنيقية. أنظر: حمادو بن عمر: أبو راس الناصر المعسكري وكتابات التاريخ 1155-1238هـ/ 1737-1823م، مذكرّة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2002-2003، ص: 67.

(4): أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: حياة أبي راس الذاتية والعلمية، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص: 53.

(5): يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص: 231.

(6): أبو حامد المشرفي، ياقوتة النسب.... "المصدر السابق"، ص: 292.

من رآه بالبراعة والكفاية"⁽¹⁾. كما كان متضلّعاً في علم الأصول والفروع بدليل ما ذكره أبو حامد المشرفي: "فقد كان في علم الأصول والفروع بحر لا يجارى"⁽²⁾. وهذا دليل قاطع من أن المشرفي كان يحظا بمكانة علمية ومعرفية عالية⁽³⁾.

أمّا عن وفاته، فقد اجتمعت المصادر التاريخية على أنها كانت سنة 1192هـ / 1778م⁽⁴⁾، تاركاً المشرفي وراءه العديد من المؤلفات اعتبر بعضها مرجعاً أساسياً لجميع من جاؤوا بعده، بدليل ما ذكره تلميذه أبوراس الناصر: "يخضعون له القضاة وسائر الولاة ويهابونه، ويرجعون إليه ودأبهم تعويلهم عليه في مهمّات الدين"⁽⁵⁾. فقد أمضى معظم حياته في التأليف وطلب العلم والكتابة في تاريخ الدول التي قامت قبل الإسلام، والدول التي قامت خلال المرحلة الإسلامية، وعلى العموم فقد كان لعبد القادر المشرفي عدّة كتب متنوعة غاية بالأهمية لعلّ أبرزها النظم الذي سماه "عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط"، والرسالة المسمّاة "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبنّي عامر". هذا وقد ترجم السيد بودان (M. Bodin) كتاب بهجة الناظر إلى اللغة الفرنسية، وصدرت هذه الترجمة سنة 1924م في المجلة الإفريقية (Revue Africaine)⁽⁶⁾.

صورة العيون والجواسيس عند عبد القادر المشرفي:

يُعدّ كتاب بهجة الناظر لعبد القادر المشرفي من أقدم الكتب التي تناولت فنّ التجسس بصورة خاصة انتهت من كتابته عام 1764م أي قبل الخروج النهائي للإسبان بثمانية وعشرين سنة⁽⁷⁾، حيث ورد في الكتاب استعراض تاريخي لعمل العيون والجواسيس بحاضرة وهران خلال العهد العثماني، كما عالج فيه

(1): أبو راس الناصر: فتح الإله... "المصدر السابق"، ص: 53.

(2): أبو حامد المشرفي: ياقوتة النسب.... "المصدر السابق"، ص: 292.

(3): عبد الحق شرف، "صورة الأسرة المشرفية بمنطقة معسكر في كتابات يحي بوعزيز"، ضمن مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد: 01، جوان 2011، ص: 135.

(4): محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص: 198.

(5): أبو راس الناصر، فتح الإله... "المصدر السابق"، ص: 53.

(6): Marcel Bodin : "L'agrément du lecteur : Notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abdelkader El- Mecherfi", Revue Africaine, N° : 65, 1924, pp : 193-260.

(7): هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الإسباني: قراءة في مواقف التحالف والولاء، أطروحة دكتوراه في تاريخ الدولة العثمانية وغرب المتوسط 1492-1912م، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2020-2021، ص: 19.

المشرفي تركيبة جهاز العيون والجواسيس والتي شملت قبائل بني عامر⁽¹⁾ حيث ذكر أصلهم وموطنهم وأعمالهم تجاه سكان وهران طيلة استيلاء الإسبان على المدينة.

وعلى العموم فلقد قَدَّم المشرفي في كتابه هذا عَرَض عام حول القبائل التي تعاونت وتحالفت مع الإسبان بذكره لنسبها والمجال الجغرافي الذي تسكنه، وتقديره لسكانها بعدد القرى وهم على التوالي: كرشتل، شافع، حميان، غمرة، قيزة، أولاد عبد الله، أولاد علي والونازرة، والتي اعتبرها عبد القادر المشرفي بمثابة الجواسيس والعملاء لصالح الإسبان⁽²⁾.

لقد تحدّث عبد القادر المشرفي من خلال استعراض عام لعمل الجماعات والقبائل المحلية النصرانية – بنو عامر – وأهم أنشطتهم، وصفاتهم وواجباتهم، كما تعرّض إلى الرأي الشرعي لعمل العيون والجواسيس في الإسلام، والحكم الشرعي بالنسبة لمن وقف من بني عامر بجانب الإسبان وبقي متعاوناً معهم، أو تاب توبة نصوحاً وندم على ما بدر منه⁽³⁾.

وعلى أيّ حال فقد وصف عبد القادر المشرفي القبائل المتحالفة مع الإسبان بالعرب المنتصرة وبالفرقة الضالة والكفار المنافقين والمرتدين والفاسقين والزنادقة وعبداء الأصنام والأوثان⁽⁴⁾. وحثّ المسلمين على الاحتراس من قبائل بني عامر الذين ارتدّوا عن الإسلام. وقد أحصى عبد القادر المشرفي ثلاثة بطون لبني عامر تتكوّن من تسعة وسبعين قبيلة في الجزائر أغلبها قبائل وهرانية⁽⁵⁾، ولعلّ أهم بطون بني عامر الذين تحالفوا مع الإسبان ومارسوا الجوسسة هم:

قبيلة شافع:

يذكر عبد القادر المشرفي في كتابه بهجة الناظر: "كان عددهم نحو العشرين دواراً، وكانوا أهل نجدة وبأس شديد وقتال عنيد ورأي وتدبير، وحيلة وتشمير، فتقوى بهم الإسبان بغاية التمكين، واشتدّت شوكتهم على المسلمين، واعتدوا بهم وصاروا مشتدين وأكثروا من شنّ الغارات على الأقربين والأبعدين، فكانوا عيونهم الباصرة وجنودهم الهائلة المتكاثرة الماكرة، واخوتهم النصحاء وأحباءهم النجباء..."⁽⁶⁾.

(1): قبائل بني عامر: نسبة إلى جدهم الأول عامر بن صعصعة، من القبائل التي استوطنت المغرب الأوسط، وهم من بني هلال، نسبة إلى عامر بن زغبة بن ربيعة بن نهيك ابن هلال بن عامر بن صعصعة، يقال أن أول من أتى بهم إلى غرب الجزائر الملك الزياني يغمراسن المؤسس الأول للدولة الزيانية. لتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى: عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000، ص: 56.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص-ص: 05-06. (من مقدمة المحقق).

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 39.

(4): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 12.

(5): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 14، 17.

(6): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 39.

من خلال ما ذكره المشرفي يتّضح بأن قبيلة شافع⁽¹⁾ قد تحالفت مع الإسبان وكانوا ضمن شبكة الجواسيس بجميع أصنافها وشتى أنواعها وأوصافها، وأنّهم كانوا الركيزة الأولى التي اعتمد عليها الإسبان في أعمالهم العسكرية الكبيرة والصغيرة خصوصاً في توجيه الغارات على العرب وتقديم لهم الأخبار⁽²⁾، فهم أعينهم الحقيقيون الذين تطلع بهم على خفايا مطوية وخبايا مزوية، ما كان لهم أن يصلوها ويخلصوا إليها لولاهم، وهم يد الإسبان الطولى التي لم تزل تمتد إلى أعماق البيوت وأدغال الغابات وشواهد الجبال ومنعرجات الوديان وظلمات الكهوف لتقدم لهم هدفاً، فهم الجنود المجنّدة الذين بثّهم الإسبان ليتخلّوا صفوف المسلمين ويتوغّلوا بينهم نكاية ومحاربة⁽³⁾.

كما أنّ الأدلاء Adalid⁽⁴⁾ من قبيلة شافع بدورهم أدّوا واجباً تجسّسياً من خلال تعرّفهم على الطرق والمسالك، فقد كان الإسبان يستعينون بالأدلاء لإرشادهم الطرق ولا سيما في أيام الخطر شرط أن يكون لهم أجر حسن أي مبلغ مالي، وفي هذا المقام يقول المشرفي: "وصاروا شجى في حلق الدين باحتكام، وقذى في عيون الإسلام، وحلاوة في قلوب الكفرة اللثام، فكم غزوا بهم على المسلمين وكم سبوا بهم من المؤمنين، وكم جاسوا بهم خلال الديار، وكم سلكوا بهم صعاب الأقطار"⁽⁵⁾.

(1): قبيلة شافع: هي بطن من بطون بني عامر من قبائل العرب، ينسبون إلى جدهم شافع بن عامر بن زغبة الهلالي، وتنقسم شافع بدورها إلى أربع قبائل هي: الشقارة، وأولاد مطرف ويقال لهم المطارف، وأولاد صالح ويقال لهم الصوالحية، وأولاد بالغ. ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 14.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 26.

(3) (Revue Africaine, N° : 66, "Contribution à l'Histoire du vieil Oran", Cazenave Jean): 3 : 1925, p : 356

وينظر أيضاً:

Don-Joseph de Aramburu , Oran et l'ouest Algérien au 18 siècle, présentation et traduction de : Korsos et Epalza, Alger, Bibliothèque Nationale, 1978,p:40.

(4): الأدلاء Adalid: لقب أطلقه الإسبان على الدليل أو المستكشف الذي يعرف جيداً الطريق المؤدي للدوار أو القبيلة المعادية للجيش الإسباني، حيث يستطلع الطريق ويتفادى الطرق الخطرة في طريق الذهاب والعودة إلى وهران. ويكون خبيراً جداً بتضاريس المنطقة وطبائع القبائل، للسير بالجنود بأماكن آمنة بعيداً عن الطرق التي يمكن أن يحصل فيها كمائن ضدهم، ومصطلح Adalid أصله من الكلمة العربية "الدليل" وتعني الشخص الذي يقود مجموعة من الأشخاص إلى منطقة ما، وعلى العموم يقود مجموعة من الجنود. ينظر: هاشمي بن براهيم، المرجع السابق، ص: 93، 94.

(5): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 26.

قبيلة حميان:

حميان هي إحدى القبائل التي ينسب أفرادها إلى جدهم حميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى ابن زغبة الهلالي⁽¹⁾، كانوا من جملة جند الإسبان، وصفهم عبد القادر المشرفي بالقبيلة العظيمة وكان لهؤلاء حميان رغبة شديدة في التنصّر، كان عددهم نحو الثلاثين دواراً⁽²⁾، واعتماداً على معلوماتهم وإرشاداتهم كانت كمائن الإسبان تُنصب للعثمانيين بعد أن يرصد الجواسيس وقت انطلاقهم، ويبلغوا عن ساعة تحركهم وعددهم وعدّتهم بدليل ما ذكره عبد القادر المشرفي: " فهم قبيل كبير، ولهم بسالة عظيمة، ومكيدة شديدة في الحروب، وفتك عظيم في الإسلام إذا ظفروا بأهله خفية وعلانية"⁽³⁾.

كما أنّ خطورتهم لا تكمن فقط في قدرة هاته القبائل الخفية على التغلغل والولوج إلى الأعماق، بل تعدّى الأمر ذلك لينضاف إليها قيام شيخ قبيلة حميان بتقديم المساعدة للإسبان ببناء قلعة مرجاجو المسماة ب: "سانتا كروز" التي تطل على وهران، وسبب ذلك أنّ باشا إيالة الجزائر إبراهيم باشا غزا وهران ووضع المدافع على جبل مرجاجو، وشرع في قصف المدينة سنة 1629م، لكنه فشل في دخول المدينة ومنذ ذلك التاريخ وقع للإسبان العناية بقلعة مرجاجو "سانتا كروز" لتحسين مدينة وهران، فقاموا ببنائها لكنهم واجهوا مشكلة انعدام المياه ولم يجدوا إلا مساعدات شيخ قبيلة حميان⁽⁴⁾ وفي هذا المقام يقول عبد القادر المشرفي: " كان أول من أتى لهم من جندهم ورعيّتهم بقرب الماء لأجل إقامته وتحسينه شيخ حميان بقبيلته... ويحكى في نفاقهم الشديد أن شيخ حميان هو الذي دبّر على الإسبان في بناء برج مرجاجو تحصيناً للمدينة"⁽⁵⁾.

وبالجملة فليس هناك حدٌّ أو ضابطٌ يتوقف عنده تجنيد الشخص في ممارسة التجسس واستخدامه لأغراضه، فالمعتبر في ذلك فقط هو قدرته على تحصيل المعلومة وإيصالها إلى الجهة التي اختار العمل معها، وهذا ما يُبين أنّ اعتماد الأعداء الإسبان عليها أكبر وأعظم من اعتمادهم على جيوشهم العسكرية العلنية، فمن المعلوم أنّ اختيار الشخص ليكون جندياً ضمن جيش من الجيوش وفي أيّ جناح من أجنحتها يعتمد على مواصفات ثابتة ودقيقة تؤهّله للقبول ليصبح بعد ذلك فرداً من أفرادها، سواء كانت تلك المواصفات عقلية، أو جسدية أو صحّية أو فكرية، أمّا جندي التجسس فيكفيه للتأهيل قدرته على الوصول إلى المعلومة المطلوبة منه ثمّ نقلها إلى الجهة المعنية، ولا يهتم بعد ذلك أن يكون سليماً أم

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 26.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 27.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 27، 28.

(4): ذكر عبد القادر المشرفي أنّ شيخ قبيلة حميان تعرّض للقتل بعد أن أقدم الإسبان برميّه في بئر شديد العمق، وهذا دليل قاطع على نيّة الإسبان في التخلّص من الجواسيس بعد الحصول على خدماتهم. ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 28.

(5): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 27، 28.

معاقًا، رجل قبيلة أم شيخها، توافقت الديانة والعقيدة معه أم تخالفت، بل كلّما كانت حاله وأوصافه أبعد عن التشكيك ولفت الانتباه كان أنسب لممارسة المهمة وأقرب إلى تحصيل المقصود.

قبيلة غمرة:

غمرة هي أحد القبائل التي تنسب إلى جدها غمرة البربري، يرجع أصلهم من برقة ثم انتقلوا إلى المغرب، ومنها سكنوا بالحفرة وراء وهران بجوار قبيلة حميان، بلغ عدد دواويرها حوالي الستة تجمّعت حول مدينة وهران، وقدمت العديد من الخدمات للإسبان بدليل ما ذكره عبد القادر المشرفي: "وهم أهل بأس شديد ورأي سديد، وقد نصرُوا الإسبانيين نصرة شديدة على المسلمين، حتى كانوا لهم عضدا في كل شيء"⁽¹⁾.

قبيلة قيزة:

ذكر عبد القادر المشرفي أنّ هاته القبيلة كانت من جملة جند الإسبان بمدينة وهران، وهم من الأعراب يرجع نسبهم إلى جدّهم قيزة بن عامر بن ابراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن ريان ابن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي، وهم فرقة من بني عامر كان مسكنهم بنواحي تارقة وبهم سمي الجبل الذي يقال له جبل قيزة وجبده، ثم بعدها انتقلوا وسكنوا في ضواحي تمزوغة بسهل مليّة جنوب سبخة وهران إثر مجيئ إخوتهم الونازرة⁽²⁾.

بلغ عددهم حوالي ثلاثة عشر دوارًا حسب إشارة عبد القادر المشرفي، حيث مارسوا الجوسسة وتقديم الأخبار للإسبان مع مشاركتهم الإغارة على المسلمين حتى سُمّيوا باللصوص والمحشّشون المغطسون⁽³⁾، والملاحظ أنّه أثناء اشتداد الحصار على الإسبان يسكنون معهم ويقيمون في أبراجهم⁽⁴⁾، ومع اشتغالهم ليلا ونهارا وقيامهم بمهامهم وأعمالهم بانتظام إخفاء وإسرار وتلقّيهم التوجيهات بل والأوامر كما يتلقّاها الجندي من قائده، إلّا أنّهم لا يكاد يشعر بهم أحد فترى آثارهم من تقتيل وأسر ومطارادات ولا ترى أعيانهم، فقد كانوا أهل بأس شديد ولهم قوة وبطش وفتك بالمسلمين بدليل ما ذكره عبد القادر المشرفي: "وكانت لهم رئاسة عظيمة مع الإسبانيين، ومحبة شديدة، ولا يتقون في الإسلام تقية، فكم لهم من تطلع

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 28.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 28، 29.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 29.

(4): ذكر عبد القادر المشرفي أنّ قبيلة قيزة كانوا يسكنون مع الإسبان في الأبراج، والفضاء الذي بصفحة مرجاجو بين برج اليهودي وبرج العيون Castillos Fernando الذي شيّده الإسبان لحماية العيون التي يسقى منها أهل البلاد. ينظر: المصدر نفسه، ص: 29. ولتفاصيل أكثر عن الموضوع يرجى العودة إلى: عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره، دار هومه، الجزائر، د.ت، ص: 347. وأيضا ينظر: دغوش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية 1509-1792م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013-2014، ص: 63.

على عورات الإسلام، والأخبار بهم للكفرة اللئام، وتطلع شديد وعتو مديد، وكم لهم من غارة على المسلمين، وسبي لهم وفتك بالمؤمنين⁽¹⁾.

قبيلة أولاد عبد الله:

ذكر عبد القادر المشرفي أنّ هاته القبيلة كانت من جملة رعية الإشبانيين بمدينة وهران المنطمة البصيرة والبصر، وهم فرقة من بني عامر نسبة لجدهم عبد الله بن سقير بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي. كان مسكنهم بوادي الثلاثاء من ملاتة جنوب مدينة وهران لينتقلوا بعدها إلى المطمر الأحمر بوادي مينا، حيث بلغ عددهم حوالي الستين دوارًا فقدّموا المساعدات والإعانة للإسبان⁽²⁾.

لقد اعترف الشيخ عبد القادر المشرفي بقوتهم وبسالته، وذكر أنّ بطن من بطونهم كانوا مجنّدين إلى جانب الجيش الإشباني في الحملات التي يقوم بها ضدّ القبائل المناوئة له والحروب ضدّ العثمانيين، وخير دليل على ذلك قوله: "ولهم جولان عظيم بالأرض وبطش شديد ومكر عتيد، وآثارهم بالأرض تدلّ عليهم ولأولاد عبد الله نكاية شديدة للمسلمين فكان منهم المرجفون والمنافقون، والجالبون قلوب الناس للكفر والزنادقة، وليس لهم غيرة على الإسلام ولا لهم محبة إلا في عبادة الأوثان والأصنام، حتى أن من جملتهم الكافر أبو نصايبه أحد النصاصيب الذي قتل الفقيه باي مازونة السيد شعبان الزناتي عند باب وهران واجتز رأسه فلعنة الله من منافق وأخزاه فإنه مجرم فاسق"⁽³⁾.

يفهم من هذا القول الذي ذكره عبد القادر المشرفي أنّ مقاصد الجواسيس متعددة ودوافعهم مختلفة لكن كلّها اجتمعت على حبّ المال⁽⁴⁾، فقبيلة أولاد عبد الله من أكبر القبائل التي تعاونت وتحالفت مع الإشبانيين، حيث شكّلوا قوة ضاربة إذ منحهم الإشباني امتيازات وخيّموا قرب أسوار مدينة وهران، كما أشار المشرفي إلى أنّ قبيلة أولاد عبد الله انفردوا عن غيرهم من القبائل الموالية للإسبان بصلتهم باليهود إلى جانب صلتهم بالعدو، وأنّهم تصاهروا مع اليهود والإسبان بقوله: "لقد أخبرني من أثق به من كرشتل أنه

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 29.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 29، 30.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 30، 31.

(4): ولإشارة فقد أطلق اسم عرب دَمَلِيُون على قبيلة أولاد عبد الله التي هي بطن من بطون بني عامر، وسُمّيوا بهذا الاسم لأنّهم كانوا يطلبون من الإشباني إذا طلب منهم هؤلاء المشاركة في الحروب والحملات العسكرية التي ينظمونها ضدّ أعدائهم عشرة ملايين وهو عدد كثير، فيقول أحدهم للنصاري "دمليون" بمعنى أيّها الرّوم أعطونا عشرة ملايين كذا، أي عددًا كثيرًا فيه ألف ألف، ومنها نستنتج أنّ قبيلة أولاد عبد الله كانت تطلب المال مقابل المشاركة في الحرب. لتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى: الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار الجزائر ووهران وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص: 216.

رأى العامري يقبل يد اليهودي فضلا عن النصراني من الجهتين تشريفا له، وأنهم تصاهروا مع اليهود والإسبانيين فلا ترى إلا العامرية في بيت الكافر تجول وأهلها في غاية الفرح⁽¹⁾.

قبيلة أولاد علي:

ذكر عبد القادر المشرفي أنهم فرقة من بني عامر، يرجع نسبهم إلى جدّهم علي بن عامر ابن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن حميد بن عامر بن زغبة الهاللي، كانت مساكنهم ببلاد ماخوخ "التنية"، عُرفوا بقوّتهم وتقديمهم العون للإسبان⁽²⁾، وهم فرقة كبيرة تتأهز السبعين دوارًا ولهم إذعان عظيم للإسبان، وكانوا يغيرون بالليل والنهار على المسلمين بفرسانهم من الأعيان التي فاقت مائتي فارس فضلا عن المشاة⁽³⁾، حيث شاركوا مع الإسبان في غزو قرية الكرط بنواحي مدينة معسكر العديد من المرات بدليل ما ذكره عبد القادر المشرفي: "وأولاد علي لهم بأس وأناقة، وكانوا أهل إعانة شديدة للإسبانيين، حتى غزوا بهم المرة بعد الأخرى على المسلمين بالكرط وغيره، ولقد كانوا أهل عدد وعدد، ونجدة وشدة ومدد"⁽⁴⁾.

ثم أشار عبد القادر المشرفي بأنّ السبب الرئيسي لقيامهم بعملية التجسس لصالح الإسبان هو الحصول على المال وحماية لأراضيهم ومصالحتهم لا غير، فقد كانوا أشد إعانة للإسبان، وتقديم لهم كل ما احتاجوا إليه من التين والحشيش والخطب والسمن واللبن والعسل، والضأن والمعز والبقرة والخيول والإبل والبغال والحمير حيث يقول: "ثم انه لم يكن أحد أشد اعتناء وإعانة للإسبانيين بكل ما يحتاجون إليه من التين والحشيش... من جميع الأعراب الداخلين تحت حكمهم مثل أولاد علي أخزاهم الله ولعنهم وأخلى منهم الأرض وصيرهم حطبا لجهنم وبئس المصير فكانوا لا ينقطعون عنهم بذلك ليلا ونهارا رغبة لما لهم في ذلك من الثمن الكثير"⁽⁵⁾.

قبيلة الونازرة:

هم بطن من بطون أولاد عبد الله بن سقير بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد ابن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة، يُنسبون إلى جدّهم ونزار بن

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 30.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 31.

(3): وللإشارة فقد تحدّث عبد القادر المشرفي عن أحد فرسان قبيلة أولاد علي يدعى رايح ابن صولة نسبة لجدّه صولة بن يعقوب بن علي بن أعمر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف ابن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهاللي، وأولاده يقال لهم الصولة كانوا أشدّ بأسًا على المسلمين بوهران وإعانة للإسبانيين، واستمرّ هذا الفارس بتكثيف الغارات على المسلمين حتى قتله أهل قبيلة الحشم. ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 31، 32.

(4): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 31، 32.

(5): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 36، 37.

عبد الله بن سقير بن عامر الزغبى، وحسب إشارة عبد القادر المشرفي فهم فرقة ذات بأس شديد وحقد عديد على المسلمين، كانوا يتشكلون من ستة دواوير استقرت بوادي سنان بضواحي تيموشنت، لينتقلوا بعدها إلى نواحي تارقة فسكنوا بجالها مع قبيلة قيزة، ثم انتقلوا مع قيزة وسكنوا بالجبل المطل على وهران في نواحي تمزوغة، كما استقروا بجال ملاتة وسهولها⁽¹⁾.

هذا وقد أشار عبد القادر المشرفي في كتابه بهجة الناظر بأن قبيلة الونازرة كانوا أهل شجاعة وبسالة، ولما جاء الإسبان لوهـران كانوا من جملة جنودهم المعتمد عليهم، منهم العيون والجنود، وقد اتصفوا أيضا بالقوة والبأس وبتعاونهم مع الإسبان في تقديم المعلومات والأخبار حتى سُميوا بالزمالة⁽²⁾، وكان اليهود مكلفون بجباية الأموال من دواوير هاته القبيلة بدليل قول المشرفي: "ثم إن الونازرة وقيزة لم تسمهما الإسبانين بما وسمت به غيرهما من الذل والإهانة كبنى عامر حال صولة اليهود عليهم، وذلك أن يهود وهران كانت لهم صولة عظيمة على بنى عامر، لكون الجباية كانت على يد اليهود دون الإسبانين"⁽³⁾.

قبيلة كرشتل:

هم بطن من بطون قبيلة زناتة، من مغراوة من أولاد راشد بن محمد بن ثابت بن منديل بن عبد الرحمن بن محمد الخير بن محمد بن خزر حفص بن صولات بن وزمار بن صقلاب بن مغراو بن يصلتين بن مسروق ويقال له زناات، يُنسبون إلى جدّهم كرشتل بن محمد بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل بن عبد الرحمن المغراوي⁽⁴⁾، وحسب إشارة عبد القادر المشرفي فهم فرقة ذات قوّة وشوكة بالرغم من ضعف عددهم، كانوا يتشكلون من تسعين نواله، وأصل مسكنهم عند مصب نهر الشلف في البحر لينتقلوا بعدها إلى مزگران غربي مستغانم فمارسوا التجارة والفلاحة⁽⁵⁾.

هذا وقد أشار عبد القادر المشرفي في كتابه بهجة الناظر بأن قبيلة كرشتل قد قدّمت خدمات جليّة للمحتلين للإسبان استعصت عليهم، وأنها كانت من أشدّ القبائل تأثيراً لدى الإسبان رغم قلة عددهم، حيث كانوا من جملة جنودهم المعتمد عليهم، وبتعاونهم مع الإسبان في تقديم المعلومات والأخبار حول

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 35.

(2): وللإشارة فقد ذكر عبد القادر المشرفي حديثاً مفاده بأنه كان للإسبان ترتيب في رعيّتهم ليحصل التعاند لهم في خدمتهم، مثل تقديم الونازرة على قيزة، وقيزة على حميان، وحميان على شافع... إلخ. ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 36.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 35.

(4): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 12، 13.

(5): ومما تجدر الإشارة إليه ما ذكره عبد القادر المشرفي، بأنه كان للجواسيس من قبيلة كرشتل زوارق يسافرون فيها من مدشهم لوهـران إذا اشتد عليهم الأمر، وسدّت عليهم الطرق البرية يحملون فيها للإسبان سائر الخضر ونحوها، وكان الإسبان لا ينقطعون عنهم في البحر لأخذ ما يفتقرون إليه من عندهم. ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص:

مضارب وتحركات القبائل المعادية لهم، بل وحتى المشاركة في عمليات الجيش الإسباني ضد القبائل الأخرى التي لم تدخل في طاعتهم⁽¹⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الإسبان قد أطلقوا اسم المغاطيس Mogtazes على قبيلة كرشتل، والذي عُمِمَ بعدها على كلّ القبائل التي تحالفت معهم وجلبت الأخبار لهم، حيث قام الشيخ عبد القادر المشرفي بشرح معنى التغطيس والمغتسّون، فذكر أنّهم كانوا يخطفون الناس من الدواوير المعادية للإسبان ويبيعونهم في سوق النخاسة بوهراّن قائلاً في هذا الصدد: "ويحكى أنهم غطسوا إمامهم الذي يصلي بهم، بأن باعوه للإسبانيين غفلة منه، وكيفية التغطيس أنهم يأتون بدوابهم للدواوير على صفة الحضر المتجولين بالدواوير البائعين للعطرية ومعهم منطقة من الجلود الفلالية، فإذا وجدوا خبراً جلبوه للنصارى، وإذا رأوا فرصة في الصغير أو الكبير أخذوه وجعلوا الجلود على فيه كي لا يتكلم وحملوه على دوابهم ومشوا به ليلاً لوهراّن، فيبيعونه للإسبانيين وينتفعون بثمنه وهذا دأبهم لعنهم الله وأخزاهم، وأخلى الأرض منهم"⁽²⁾.

ومن خلال هذا القول للشيخ عبد القادر المشرفي يُفهم بأنّ التغطيس عند قبيلة كرشتل هو سرقة الأشخاص من الدواوير وبيعهم في أسواق وهران عبيداً، وبأسعار زهيدة، على غرار التجسس لصالح الإسبان، وليتوسّع مفهوم التغطيس بعدها ليشمل القيام بأعمال حربية والتجنيد في صفوف الجيش الإسباني⁽³⁾.

كما يرى عبد القادر المشرفي أنّ سبب اندفاع قبائل بني عامر في أحضان الإسبان وطلب الحلف والمساعدة منهم هو الرغبة في الاستفادة من الحماية والامتيازات والإغراءات المادية، وضعف الإيمان لديهم والطمع في غرضهم الفاني، ممّا جعلهم يقبلون بمهادنتهم والعمل عندهم كجواسيس وعيون ضد المسلمين، حيث يقول: "لما استقل قدم الإسبانيون بوهراّن انحاز إليهم طوائف من الأعراب الذين ضعف إيمانهم والعياذ بالله من ذلك فصاروا خدمة لهم، ومن جملة جيشهم وكثر بهم السواد على المسلمين فكانوا لهم عليهم أعواناً، وفي الدين الفاسد لهم إخواناً، فشنّوا بهم الغارات، وانتفعوا بهم فيما يحتاجونه من الدواب والأقوات"⁽⁴⁾.

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 13.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 13، 14.

(3): هاشمي بن براهيم، المرجع السابق، ص: 88.

(4): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 12.

ولكثره جند بني عامر وشدة بأسهم في الظاهر، ودخولهم تحت ذمة الكافر، وحصول الإهانة لهم والإذلال كعرب منتصرة مارسوا الجوسسة لصالح الإسبان، خاطبهم العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن القاضي على سبيل المعايير والإغراء في قصيدته الرائية، ظناً منه الإقلاع⁽¹⁾ قائلاً:

فمن مبلغ عني قبائل عامر	ولا سيما من قد ثوى تحت كافر
أنشدكم بالله ما عذر كلكم	لدى الله في وهران أم الخنازر
أنلكم الجبار كيف رضيتم	بسبي العذارى من بنات الأكابر
فصرتم من جور البغاة كأنكم	يهود الجزا تعطونها في الأصاغر
وما منكم إلا خصي أذله	بميسمه النصراني يا آل عامر ⁽²⁾

وعلى حسب إشارة الباحث هاشمي بن براهيم فإنّ التجسس يكمن في بيع المعلومات للإسبان لدرجة أنه تَحَدَّثَ مفاوضات بين الجاسوس وبينهم على المبلغ المطلوب الذي يطلبه الجاسوس مقابل البيع، وبعد ذلك يدرس الحاكم العام الإسباني هذه المعلومات في صحتها من عدمها، أما عن طريقة عمل الجاسوس فقد كان يندس ويتخفّى بين الناس ويجمع المعلومات الكافية عن الدوار أو القبيلة المعادية للإسبان فيُقدِّم بعدها تفاصيل مضرب القبيلة وأماكن القوة والضعف بها، كما كان الجواسيس والأدلاء Adalids في مقدمة الجيش الإسباني لمسح الأرض أمام الجيش من أي كمين يمكن أن يتعرض له. ومما تجدر الإشارة إليه هو تعرّض الجاسوس للتصفية الجسدية رمياً بالسهم أو عن طريق إحراقه برميّه في فرن ساخن، حين يقدِّم معلومات خاطئة حول تموقع القبيلة أو الدوار⁽³⁾.

لقد قدّمت هذه القبائل خدمات متعدّدة منها الجوسسة والقيام بعمليات استكشاف لتحديد مضارب القبائل والدواوير المعادية للإسبان، وجلب المعلومات الكافية حول الدواوير المراد مهاجمتها، فلقد اعتمد الإسبان أسلوب التجسس ضدّ أعدائهم ولا يمكنهم تنفيذ غارة la jornada إلاّ إذا توفرت لديهم معلومات كافية حول تحركات أو مضرب الدوار المراد مهاجمته وعدد أفراد القبيلة وقوة تسليحهم، وأيضاً المشاركة في الحروب

(1): وللإشارة فإنّ قبائل بني عامر التي مارست الجوسسة لصالح الإسبان لم تلتفت إطلاقاً لما قاله العلامة أحمد بن القاضي السجلماسي، بل زادهم خطابه النفور إلى الكوافر الفجور حسب قول عبد القادر المشرفي . ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 34.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 32، 34.

(3): وللإشارة فقد كانت تنفذ عملية قتل الجاسوس قرب مدينة وهران بعد عودة الجنود الإسبان من الغارة الفاشلة نتيجة تعرّضهم لكمين مُحكم، سببه إرسال القبيلة المعادية للإسبان لشخص يزعم أنّه يُقدِّم معلومات في غاية الأهمية حول قبيلة ما، لكنّها في الحقيقة معلومات مزيفة كان جند الإسبان يعتمدون عليها في خروجهم للغارات La Salidas أو Jornadas a باللغة الإسبانية، الأمر الذي يؤدّي بهم للوقوع في كمين مُحكم من القبائل المعادية لهم. ينظر: هاشمي بن براهيم، المرجع السابق، ص، ص: 92، 93.

والحملات العسكرية بجانب الجيش الإسباني، وتموين المدينة بمختلف السلع التموينية التي تحتاجها المدينة⁽¹⁾.

وعلى العموم فقد نصرت هاته القبائل بعد ممارستها للجوسسة الإسبانيين نصرة شديدة على المسلمين، حتى كانوا لهم عضداً في كل شيء بدليل ما ذكره شيخ الجماعة بالراشدية عبد القادر المشرفي قائلاً: "ثم إن هؤلاء الفرق الثمانية الضالة وهم: كرشتل، وشافع، وحميان، وغمرة، وقيزة، وأولاد عبد الله، وأولاد علي، والونازرة، لما اجتمعوا عند الإسبانين وصاروا على كلمة واحدة في الدفع والجلب، اشتد بهم عضد النصاري، وقويت شوكتهم، وكثر بأسهم على المسلمين... وليس للمسلمين فيه مطمع إلا من لجأ إلى حزبهم وصار من رعييتهم ودخل في حمايتهم وأدى لهم الجباية، وكان معيناً لهم على مرادهم وصار يتجسس لهم الأخبار على المسلمين في السهل والأوعار"⁽²⁾.

ولا شك أيضاً أن ربط الإسبان لعلاقات مميزة مع شيوخ قبائل بني عامر النافذة في المنطقة، قد وسّع من نفوذهم وزاد من حدة هجماتهم وحروبهم على مدينة وهران، فقد جاء على لسان عبد القادر المشرفي قوله: "واشتد غزوه على المسلمين بهؤلاء الفرق الضالة، التي رغبت في غرضه الفاني، رقيق الدين منهم والجاني فنهكوا حرمة الإسلام غاية الانتهاك وصاروا لقنص أهل الإسلام حبالاً أشراكاً، فكانوا عيون العدو الذين يتطلع بهم على عورات المسلمين، وأعانوه الذين يشن بهم الغارات على الأبعدين، وهذا فعل الأعداء المرتدين، حيث جسروا العدو بخيلهم ورجلهم على اقتحام حال المسلمين ودورهم بكلهم وانتهاك حريمهم، وانتهاز الفرصة فيهم"⁽³⁾.

وانطلاقاً من هاته الممارسات الشنيعة مع العدو النصراني، أصدر الشيخ عبد القادر المشرفي فتوى إباحة دم قبائل بني عامر لممارستها الجوسسة لصالح الإسبان جاء في نصّها: "والحكم في هذه الفرقة إباحة مالها ودم رجالها والبالغين من ذراريها لمن ظهر بهم من المسلمين لكونها رداء، وأمّا صغار الأولاد فلا يقتلون ولا يكونون فيئاً للمسلمين... وفرقة منهم لجأت للمسلمين، وصارت تقاتل معهم العدو، غير أنها في الخفية تعلم العدو بأحوال المسلمين، وتأمّره بالثبات وتواعده بالرجوع عنده، إذا وجدت السبيل، والحكم فيها أنها فرقة الزنادقة يقتل كل من اطلع عليه منها وإلا فأمره إلى الله سبحانه وتعالى"⁽⁴⁾.

كما قام عبد القادر المشرفي بجهد مشكور في تحصين الهوية الأصلية الإسلامية بإعطائه العفو للقبائل التائبية، حقناً لدماء المسلمين وتشجيعاً للوحدة بينهم قائلاً: "وفرقة منهم تابت لله تعالى، وأنابت من موالاة

(1): هاشمي بن براهيم، المرجع السابق، ص، ص: 89، 92.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 37.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 37.

(4): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 39.

العدو ومواصلاته وتركت الإعانة له ظاهراً وباطناً وندمت على ما صدر منها سابقاً، والحكم فيها أنها واحدة من جماعة المسلمين إن لم يتقدم منها ما يبيح الدم"⁽¹⁾.

الخاتمة:

لقد أظهرت نتائج الدراسة أنّ عمل عيون وجواسيس الإسبان باحاضرة وهران خلال العهد العثماني كان ممنهجاً وضمن إطار تنظيمي واضح، الأمر الذي أدى إلى بروز دوره في الصراع في تلك الفترة. فلقد اعتمد الإسبان أسلوب التجسس ضدّ أعدائهم، وكان لا يمكنهم تنفيذ غارة la jornada إلاّ إذا توفرت لديهم معلومات كافية حول تحركات أو مضرب الدوار المراد مهاجمته، وعدد أفراد القبيلة وقوة تسليحهم. كما برزت أهمية دور العيون والجواسيس في الصراع الإسباني العثماني في المعارك والأعمال الحربية، وحماية الأمن الداخلي وكشف المؤامرات، ومكافحة الأنشطة التجسسية المعادية، ومقدرتها على تحطيم الروح المعنوية لدى العثمانيين والقبائل والدواوير المعادية للإسبان وزعزعة استقرارهم.

المصادر والمراجع:

- أبلالي أسماء، "التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ / 16م: قراءة في الدوافع والنتائج"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد: الثاني، جامعة غرداية، 2017.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، مجلد 1، ج3، تحقيق: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ابن حجر العسقلاني أحمد بن محمد علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، عناية: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 2010.
- بن عمر حمدادو، أبو راس الناصر العسكري وكتابات التاريخ 1155-1238هـ / 1737-1823م، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2002-2003.
- بن عتو بلبروات، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779-1797م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2001-2002.
- بن براهيم هاشمي، قبائل وهران والاحتلال الإسباني: قراءة في مواقف التحالف والولاء، أطروحة دكتوراه في تاريخ الدولة العثمانية وغرب المتوسط 1492-1912م، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2020-2021.
- بن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000.
- بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995.
- بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية 1509-1792م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013-2014.
- الدغمي محمد راكان، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، 1985.

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 39.

- الدسوقي الدريدر محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على شرح الكبير، ج2، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.
- الزبيدي محمد المرتضي، تاج العروس، ج4، دار ليبيا، بنغازي، ليبيا، 1966.
- الزباني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1939.
- الكتاني عبد الحي بن عبد الكريم، فهرس الفهارس والأثبات والمعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982.
- المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإشبانيين بوهران من الأعراب كبنّي عامر، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.
- المشرفي أبو حامد العربي، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، دراسة وتحقيق: بن عمر حمدادو والعربي بوعمامة، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2011.
- المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار الجزائر ووهران وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- الأنباري أبي بكر بن محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.
- الناصر أبوراس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: حياة أبي راس الذاتية والعلمية، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
- سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999.
- فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره، دار هومه، الجزائر، د.ت.
- الفراهيدي أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، ج7، تحقيق: مهدي المخزومي، دار الحرية، بغداد، 1984.
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- الراشدي أحمد ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر، 1973.
- شرف عبد الحق، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي ت 1895م: حياته وآثاره، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006-2007.
- شرف عبد الحق، "صورة الأسرة المشرفية بمنطقة معسكر في كتابات يحي بوعزيز"، ضمن مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد: 01، جوان 2011.

-Bodin Marcel, "L'agrément du lecteur : Notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abdelkader El- Mecherfi", Revue Africaine, N° : 65, 1924.
 -Jean Cazenave, "Contribution à l'Histoire du vieil Oran", Revue Africaine, N° : 66, 1925 .
 -Don-Joseph de Aramburu , Oran et l'ouest Algérien au 18 siècle, présentation et traduction de : Korso et Epalza, Alger, Bibliothèque Nationale, 1978.

الملابس والحلي الإسلامية للنساء ودلالاتها الاجتماعية والاقتصادية

في متحف فيكتوريا وألبرت

Islamic clothing and jewelry for women and their social implications In the Victoria and Albert Museum - London

أ.د. منيرة بنت مدعث القحطاني

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

Prof. Munira Bint Mudath Al-Qahtani

Professor of Islamic History at Princess Noura Bint Abdul Rahman University

dr.m.m.q@hotmail.com

ملخص البحث:

يسعى هذا البحث الميداني إلى الكشف عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمرأة في العصر الإسلامي استناداً إلى الملابس والحلي التي انتشرت في ذلك العصر ويحتفظ بها متحف فيكتوريا وألبرت بلندن البريطانية، ومقارنة ملابس وحلي أسر الملوك والخلفاء بملابس غيرهن من نساء المجتمع، وتدوين الفروق بينها، ورصد أنواع الملابس وتصنيفها من حيث المادة المستخدمة (حرير، قطن، صوف)، وأنواع الحلي (ذهب، فضة، نحاس، برونز، ألماس) وطرق صناعتها، وفنون تطريزها، وأماكن لبسها، والأسماء التي اقترنت بها من النساء أو الصاغة، ومراكز صناعتها والأماكن التي انتشرت فيها، وتصنيفه تلك الآثار من حيث الاستخدام سواء للملابس أو الحلي (العنق، الرقبة، الأذن، الرأس، الأقدام)، والطقوس والمناسبات وتخصيصها بملابس بعينها.

وسييسهم البحث في الكشف عن تقارب أو تفاوت طبقات المجتمع اجتماعياً واقتصادياً، فضلاً عن أنه سيعمل على نقل التجربة البريطانية في الحفاظ على التراث والعناية به، والأساليب المتبعة في ذلك، والاستفادة منها في متاحفنا.

الكلمات المفتاحية: ملابس، حلي، متاحف، العصر الإسلامي، امرأة.

Abstract

This field research seeks to reveal the social and economic conditions of women in the Islamic era based on the clothes and jewelry that spread in that era and are preserved by the Victoria and Albert Museum in London, Britain, and to compare the clothes and jewelry of the families of kings and caliphs with the clothes of other women of society, and write down the differences between them, and monitor the types of clothing And its classification in terms of the material used (silk, cotton, wool), the types of jewelry (gold, silver, copper, bronze, diamonds) and methods of making them, and the arts of embroidering them, and the places where they were worn, and the names that were associated with them of women or goldsmiths, and the centers of their manufacture and the places where they spread And his classification of these effects in terms of use, whether for clothes or jewelry (neck, neck, ear, head, feet), rituals and occasions, and allocating them to specific clothes

The research will contribute to revealing the convergence or disparity of the social and economic classes of society, in addition to that it will work to transfer the British experience in preserving and caring for heritage, and the methods used in that, and benefiting from it in our museums.

Keywords: clothes, jewelry, museums, the Islamic era, woman.

مقدمة:

يحتوي متحف فيكتوريا وألبرت على العديد من الآثار الإسلامية، ومن ضمنها الملابس والحلي الإسلامية للنساء، وذلك خلال فترة زمنية عبر التاريخ الإسلامية، تبدأ فيما يخص الدراسة من العصر الأموي ومستمرة حتى التاريخ الحديث.

حدود الدراسة:

الحدود المكانية: متحف فيكتوريا وألبرت بلندن.

الحدود الزمنية: الفترة التاريخية غير العصور الإسلامية.

أهمية الدراسة:**مشكلة الدراسة:**

قلة المعروض من الملابس وخصوصاً التي ترجع إلى الفترات الأولى من الإسلام، وكذلك في العصرين الأموي والعباسي.

أهداف الدراسة:

التركيز على الملابس الإسلامية المعروضة في متحف فيكتوريا وألبرت، والعمل على دراستها ونشرها بهدف إثراء المكتبة العربية، والتعرف على الثقافات الإسلامية من خلال المعروض من الملابس والحلي الإسلامية للنساء. وتهدف الباحثة إلى إمكانية إقامة ورشة تعليمية لارتداء نماذج للملابس النسائية الإسلامية يُدعى لها النساء المسلمات في لندن بهدف إحياء التراث العربي الإسلامي في الملابس والحلي الإسلامية.

خطة الدراسة:

قُسمت الدراسة إلى ثلاث محاور، وأول تلك المحاور حمل عنوان: أسلوب التطريز والحياكة في العصر الإسلامي من خلال الملابس المحفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت بلندن. أما ثاني المحاور؛ فجاء بعنوان: أسلوب صناعة المعادن خاصة صناعة الحلي في العصور الإسلامية. وآخر تلك المحاور، هو: تأثير الحالة السياسية والعسكرية على الحياة الاجتماعية خاصة في الملبس وأدوات الزينة.

منهج البحث:

قامت الدراسة على منهجاً يمزج بين المنهج السردى، والمنهج الوصفي بإجراء التحليلي؛ كون الدراسة قائمة على الرصد الدقيق لما يتوافر في المتاحف البريطانية من ملابس وحلي نسائية مرتبطة بالعصر الإسلامي، ومن ثم تقديم وصف دقيق، وتحليل لأبعاد تلك الملابس على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، والخروج بنتائج تستند إلى البيانات التي تم رصدها.

تمهيد:

تعتبر رغبة الإنسان في التزين¹ بالحلي والتجمل بها من أقوى الرغبات وأكثرها استمراراً² وأوسعها انتشاراً فكل الشعوب تتقن في الحلي وتبدع فيه إبداعاً يعكس طبائع شخصياتها وبيئاتها ونظم حياتها، ويحملونها معتقداتهم، ورؤيتهم للحياة وللوجود³.

ومفهوم الحلي اسم لكل ما يتزين به من مصاغ المعادن أو الحجارة بالضم، والجمع حل والكسر⁴، الحلي: كل حلية حليت بها امرأة أو سيفاً أو نحوه، ويقال تحلت المرأة إذا اتخذت حلياً أو لبسته، الجميل⁵، الحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي بفتح الحاء وسكون اللام، كثدي وهو ما يتحلي به الرجل والمرأة ويتزينان به من مصاغ الذهب والفضة.

قال ابن الأثير: الحلي أسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة والجمع حلي بالضم والكسر⁶، قال ابن المنظور: الحلي ما يتزين به من مصوغ المعادن أو الحجارة⁷.

ومن التميز القيم الذي تعكسه هذه الحلي، إعلانها عن الفروق الدينية، إسلامي/ غير إسلامي⁸، فتصبح حينئذ علامة خارجية على انتماء المتحلي العربي الإسلامي عندما يتحلى بحلي يتدلى منها شكل خمسة أو هلال أو صفيحة ينقش عليها اسم الله أو آيات الكرسي، أو الشهادتان... وفي المقابل يتحلى المسيحي بحلي في شكل صليب، واليهودي بحلي في شكل شمعدان أو نجمة داود. ولكن قد تحكي هذه الحلي في أشكالها ونقوشها تداخلا

(1) الزينة: بالكسر: ما يتزين به، وال زين: ضد ال شين، وزان الشيء وزينه أى حسنه وزخرفه .وتزين: تجمل في مظهره، وامرأة زائن: متزينة؛ عبد الله بن صالح الفوزان: زينة المرأة المسلمة، دار المسلم للنشر والتوزيع، مكة، الطبعة الثالثة، 1418هـ، ص 18.

(2) نادية محمود خليل؛ حسنى أحمد الدمرداش: "دراسة مقارنة لحلي الرقبة والصدر لنساء القرى والبادية في مصر والسعودية"، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، العدد الثانى، شوال/ إبريل، (1412هـ / 1992م)، ص 160.

(3) - عبد الرحمن زكى: الحلى فى التاريخ والفن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الثانية، يوليو، 1998م، ص 7

(4) ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المتوفى: 458هـ / 1066م): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، (1417هـ / 1996م)، ص 633.

(5) محمد بن فارس: "حلية النساء فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، دراسة مستمدة من مصادر الحديث النبوى الشريف"، مجلة جامعة الملك سعود، م 7، الآداب 4، الرياض، (1415هـ / 1995م)، ص 77.

(6) ابن الأثير: النهاية فى غريب الحديث والأثر، ج 1، ص 435.

(7) ابن منظور: لسان العرب، ج 2، ص 984.

(8) J. -David -Weill, **Orfèvrerie musulmane**, Cahiers de Byrsa, VI- 1956. p. 153-164.
G.MARCAIS, Les bijoux Musulmans de l'Afrique du Nord, Alger, Imprimerie officielle, 1958.
Marcais. G, L'art musulman, PUF, Paris, 1962. Migeon. G, Manuel d'art musulman, arts plastiques et industriels, 2eme ed, Paris, Auguste Picard, 1927.

في الإيمان، وذلك عندما تمتزج فيها أحياناً الأشكال الإسلامية واليهودية، مثلاً، فتذكر بالتعايش الذي كان موجوداً في العالم العربي بين الفئتين، قبل أن تختفي هذه العلامات نتيجة لما طرأ من الأحداث¹.

أما مفهوم الملابس لغويًا مفردة: مَلْبَس، زِيّ، لباس²، فهي من اللباس: ما يلبس على الجسد ويستتره والجمع ألبسة ولُبْس، يقول الله في سورة الأعراف: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ" وتطلق كلمة اللباس في اللغة على كل ما يغطي الإنسان عن قبيح³ أما تعريف اللباس في الاصطلاح فهو: ما يوارى به الإنسان جسده ويستتر به سواته ويتزين ويتجمل به بين الناس مما أباحت له الشريعة ولم يتعارض مع آداب الإسلام وأوامره ونواهيه⁴

واتخاذ اللباس من أعظم نعم الله تعالى على بني آدم، قال تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا"⁵، وهو مع ذلك فطرة إنسانية ملحة تنزع نحو التجميل به والاستكثار منه، وهو في النساء أبلغ ما يكون إذ يستحوذ على اهتماماتهن⁶، وقد أشار العلامة ابن خلدون إلى ذلك بقوله "إن صناعة الحياكة والخياطة هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفه فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن وإسداء في الطول والجاما في العرض لذلك النسيج بالالتحام الشديد، فيتم منها قطع مقدره، ثم تلتحم القطع بالخياطة المحكمة،... وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليقة"⁷

(1) عبد الله غدامي: في شأن اللباس، وردود الفعل الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1425هـ / 2004م)،

باب إيديولوجيا الصورة، ص 160-165

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ / 786م): كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي،

دار ومكتبة الهلال، بغداد (د.ت). مادة (لبس): ج 7، ص 262.

(3) مقاييس اللغة (لبس): ج 5، ص 230.

(4) ستيلمان. ي: تاريخ الأزياء العربية، ترجمة صديق محمد جوهر، منشورات كلمة، أبو ظبي (1432هـ / 2011م)،

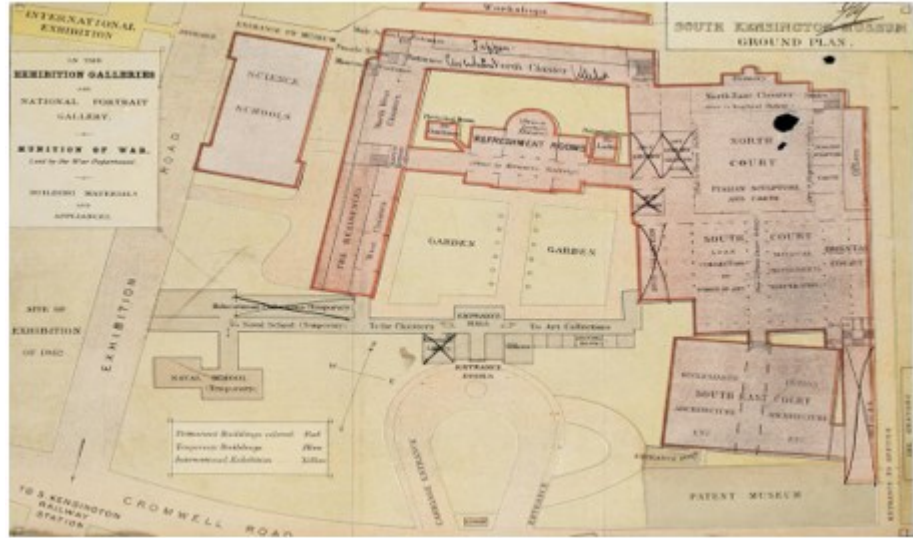
ص 51.

(5) سورة الأعراف، آية 26.

(6) سامية الساعاتي: جرائم النساء، الرياض، المركز العربي للدراسات، ص 74.

(7) (عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دارالقلم، بيروت، (1398هـ / 1978م)، ص 411؛ محمود هدية:

اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، القاهرة، مؤسسة هندواي، (1438هـ / 2017م)، ص 33-38.



(الوحة رقم 1) تخطيط متحف فيكتوريا وألبرت

ومتحف فيكتوريا وألبرت (الوحة رقم 1) هو جزء من مجموعة متاحف تقع في جنوب كينسينجتون لندن بتجمع كبير للمتاحف يدعى شارع المعارض الذي يحتوي على متحف التاريخ الطبيعي ومتحف العلوم، وكذلك تقع قاعة ألبرت الملكية. وقد تم إنشاؤه عام 1852م وتم تمويله عن طريق المعرض العظيم في عام 1851م، ونقل إلى مكانه الحالي في عام 1909. وسمي نسبة إلى الملكة فيكتوريا وزوجها الأمير ألبرت. ويُعد متحف فيكتوريا وألبرت من أعظم المتاحف العالمية المختصة بالفنون والتصاميم. إذ، يحوي على قطع ومعروضات لا مثيل لها من حيث العدد والنوع. إن مجمل معروضات المتحف تعكس ما يزيد عن 3000 سنة من التاريخ العريق للعديد من الثقافات العالمية الفنية إذ يحتوي مجموعة من 4,5 ملايين قطعة مختلفة تشمل قطع خزفية وأثاث وأزياء وزجاجيات ومجوهرات وتحف معدنية وصور فوتوغرافية ومنحوتات ومنسوجات بالإضافة إلى اللوحات الفنية¹

المحور الأول

أسلوب التطريز² والحياكة في العصر الإسلامي من خلال التحف المحفوظة بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن

الفنون الزخرفية في العصور التاريخية المختلفة تحوى الكثير الذى يمكن أن يأخذ منه المصمم لتصميم القطع الفنية المختلفة سواء أكانت للملابس أو السجاد، ويمكن عمل أى تصميم على مستوى من الكفاءة والإتقان مع

(1) هيئة التحرير بمركز العبيكان للأبحاث والنشر: "متحف فيكتوريا وألبرت في لندن"، مجلة فكر، ع11، (1436هـ/ 2015م)، ص88-89

(2) التطريز هو الزخرفة باستخدامات الخامات المختلفة في سداء ولحمة النسيج الذى يطرز عليه. يُراجع: سهام زكى وآخرون: "تأثير بعض أساليب التطريز على النسيج السادة والأطلس والوبري"، المجلة المصرية للاقتصاد المنزلي، العدد الخامس عشر، القاهرة، (1420هـ/ ١٩٩٩م)، ص11.

الأخذ في الاعتبار تطويع تلك التصميمات لتلائم مع القطعة المنفذة بالنسبة للنسيج والخيط واللون¹ ويعد التطريز بالشرائط أحد الفنون التي تلقى رواجاً في العصور الإسلامية وهو ما يظهر في مجموعات فيكتوريا والبرت وما يحتفظ به من ملابس، ويرجع ذلك لما يمنحه التطريز بالشرائط من جماليات للقطع المطرزة من إبداعات زخرفية غاية في الروعة والجمال، وذلك لمدى التنوع في الألوان والخامات المصنوع منها الشرائط حيث كان أغلبها من الحرير الطبيعي، ومنها ما كان من الأورجانزي والساتان، هذا بالإضافة إلى التنوع في عرض الشرائط² وساهمت النساء في تطوير التطريز والحياكة منذ ظهور الإسلام، فعن سهل بن سعد أن امرأة جاءت ببردة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي! أكسوكها فأخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محتاجاً إليها فخرج إلينا وإنها لإزاره³.

وأستخدم في تطريز القطع بمتحف فيكتوريا ثلاث مواد أساسية وهي الكتان والحرير والقطن، وأما في تطريزها فأستخدم الخيوط الحريرية الملونة والأسلاك المعدنية⁴، ويستخدم عدة غرز في تطريز الأنسجة منها غرزة الرفي (السراجة)، غرزة النباتات و الغرزة الخلفية أو غرزة الشرط، غرزة السلسلة، غرز الحشو⁵؛ حيث أظهرت القطع المحفوظة بمتحف فيكتوريا مدى تطور التطريز والحياكة خلال العصور الإسلامية نتيجة اختلاطهم بالمجتمعات الأخرى والانفتاح عليها وهجرة العديد من الصانع إلى عواصم المدن الإسلامية.

أولاً: النماذج التي أظهرت فن التطريز والحياكة في العصر الإسلامي التحف المحفوظة بمتحف فيكتوريا

والبرت وهي كالآتي:-

1- المناديل

تعتبر عادة حمل المناديل من علامات الأناقة والأبهة وحسن اللباس ومكملاته، كما أنها تشير إلى نظافة الشخص وطيب رائحته، فقد لعبت المناديل دوراً اجتماعياً، إذ حرص السلاطين على الإمساك بها أثناء المراسم والاحتفالات الرسمية⁶، كما اعتبرت شارة من شارات العشق والحب¹⁰؛ وكذلك استخدمت في تغليف الأشياء

(1) ثريا نصر: التصميم الزخرفي في الملابس والمفروشات، عالم الكتب، الطبعة الأولى، (1423هـ / 2002م)، ص 23

(2) حسام الدين أحمد: "التطريز بالشرائط كمدخل لإثراء مشغولات الأقمشة"، المؤتمر العلمي الأول لكلية التربية النوعية، جامعة عين شمس، (1428هـ / 2007م)، ص 101.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، كتاب إذن النساء للصلاة، باب كنز العمال، رقم الحديث 129.

(4) ليلي صالح، ليلي عبد الغفار: التطريز اليدوي، الطبعة الأولى، دار الزهراء للنشر، مكتبة الملك فهد، الرياض، (1423هـ / 2002م)، ص 37-38.

(5) على احمد الطايش: الفنون الزخرفية الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة، (1431هـ / 2010م)، ص 193.

(6) كان للمنديل عدة استخدامات خاصة في الحفلات والمراسم منها الإشادة ببداية الحفل ولتجفيف الوجه وغيره، وكان يستخدم من قبل السلطان عند اختياره لجارية جديدة داخل القصر، ففي صور الاحتفالات نجد السلطان دائماً ممسكاً به عند

الشمينة أو لتقديم الهدايا أو الخطابات الموقرة، كما استخدمت المناديل كغطاء للمائدة، وفي أحيان أخرى استخدمتها النساء كعصائب للرأس².

إن المناديل الموجودة في متحف فيكتوريا وألبرت ترجع إلى القرنين 12 - 13هـ / 18 - 19م، ويضم هذا المتحف مجموعة متميزة من المطرقات العثمانية، وقد ازدهرت هذه الصناعة خلال الفترة المتأخرة من العصر العثماني؛ لا سيما في صناعة المناديل والمناشف، واهتم العثمانيون بهذا الفن اهتماماً كبيراً من خلال شغلها بالزخارف النباتية المتنوعة التي انفرد بها الفن العثماني بشكل عام، وجعلت منه طرازاً دولياً مميزاً مما أضفى على القطع الفنية قيمة فنية عالية³.

وأخذت هذه المناديل خلال تلك الفترة شكلاً مربعاً، وكانت هذه المناديل تصنع من الكتان أو القطن أو الحرير، وكان التطريز يتم في شكل إطارات ضيقة تشغلها الزخارف النباتية، ومنها منديل (لوحة رقم 2) يعود للقرن (12هـ / 18م)، رقم الحفظ بالمتحف (T.122-1929) مقاسات التحفة (41,5×42 سم)، والمنديل عبارة عن قطعة قماش مربعة ذات حدود زخرفية ضيقة على جانبيين أو أكثر. وتوجد زخارف نباتية طبيعية جديدة وصور الكثير منها بتفصيل كبير. وجاءت الألوان في الأصل ساطعة. وعلى الرغم من أن تقنية هذه القطعة عثمانية، إلا أن الرسم يشابه أكثر الرسومات النباتية الأوروبية في منتصف القرن الثامن عشر؛ فقد يكون هذا المنديل قد تم تطريزه في اسطنبول، أو في إحدى المقاطعات الأوروبية السابقة للإمبراطورية العثمانية⁴.

استقبال السفراء وعند جلوسه على العرش وأثناء مراسم الجنازة. سمية حسن محمد: صور الإحتفالات في المخطوطات العثمانية "دراسة أثرية فنية"، مخطوط رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة، (1403هـ / 1983م)، ص339
(1) ربيع حامد خليفة: فن الصور الشخصية في مدرسة التصوير العثماني، زهراء الشرق، ط3، (1426هـ / 2005م)، ص210

(2) على احمد الطائش: الفنون الزخرفية الإسلامية، ص157.

(3) هند علي علي محمد سعيد، "الزخارف النباتية المطرزة على المناديل والمناشف العثمانية المحفوظة بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن خلال القرن 12 - 13هـ / 18 - 19م: دراسة أثرية فنية"، مجلة دراسات وأبحاث جامعة الجلفة، عدد23 (1437هـ / 2016م)، ص107.

(4) <https://collections.vam.ac.uk/item/O53785/kerchief-unknown/>.



(لوحة رقم 2) منديل يعود للقرن 12هـ/ 18 م ، رقم الحفظ (T.122-1929) مقاساته عرض الحافة العلوية 873مم. عرض الحافة السفلية 884مم. طول الجانب الأيمن 885مم. طول الجانب الأيسر 886مم.

<https://collections.vam.ac.uk/item/O53785/kerchief-unknown>

وكذلك يوجد منديل من الحرير المنسوج مزدوج. يرجع إلى فترة القرن 12هـ/ 18م، وهو منديل من الحرير مع تطريز أشكال أنواع من الفاكهة والزهور، وتقنية التطريز لهذا المنديل تطريز عثماني¹.

(1) <https://collections.vam.ac.uk/item/O48710/kerchief-unknown/>.



(الوحة رقم 3) منديل عثماني. رقم سجل المتحف 1988 – 57 T، المقاسات: طول 90سم. عرض 90سم

<https://collections.vam.ac.uk/item/O48710/kerchief-unknown>

واستخدمت المناديل كغطاء للمائدة، وفي أحيان أخرى استخدمتها النساء كعاصب للرأس. وصُنعت المناديل من الكتان أو القطن أو الحرير. وكان التطريز يتم في شكل إطارات ضيقة تشغلها الزخارف النباتية التي عرف بها الفن العثماني¹.

2- الجوارب

وقد تطوّرت الملابس وازدهرت في أواخر العصر العباسي ومنها حياكة الجوارب، فكان يُستخدم فيها الألوان والتطريز، وتتطلب هذه الصناعة معرفة الصباغة لما يتطلبه الصوف أو القطن أو الكتان أو الحرير من الأصباغ والألوان ليعطي النسيج رونقه وجماله لتمثيل الأزهار والثمر الملونة وغيرها، وكان اللون الوردي هو الغالب والسواد لباس العباسيين وورد اللون الكحلي بين ألوان الثياب².

(1) Taylor (R), **Ottoman Embroidery**, Hong Kong, (1993), p.47;

ديماند. م. س: **الفنون الإسلامية**، ترجمة أحمد محمد عيسى، بغداد، (1378هـ/ 1958م)، ص270.

(2) يوسف رزق الله: "صناعات العراق في عهد العباسيين"، **مجلة غرفة تجار بغداد**، الجزء 8، مجلة غرفة تجار، السنة 4، بغداد، (1360هـ/ 1941م)، ص569.

وتتمثل بالجوارب التي ورثها العامة في العصر العباسي عن اسلافهم، الا انهم اختلفوا في نوعية القماش المصنوعة منه، فبعضهم لبسها من الخز والمرعزي، وبعضهم من القز¹، وكانت السيدة زبيدة ترصع خفها بالجواهر، وتنتحل حذاء مزينا بالأحجار الكريمة. وكان ذلك على الأغلب بالنسبة للأغنياء فحسب، أما الفقراء من العامة، فأغلبهم لبسوها من القماش الرخيص، كالكتان والصوف. وكانوا ينتعلون فوق الجوارب النعال²، ومع هذا اختص صناع الأحذية في بغداد بنوعين ممتازين من الأحذية، من جلد (الدارسي) وهو جلد اسود واللكاع، وهو جلد أحمر، وتفننوا بدباغتها، واستعملوا لهذا الغرض قشور الرمان³.

وتظهر جمال الحياكة من خلال بقايا جورب بمتحف فيكتوريا وألبرت (لوحة رقم 4)، من القطن الأزرق والأبيض. تم صنعه في شرائط من المعينات الزرقاء على أرضية بيضاء، بالتناوب مع الزخارف وعكسية باللون الأبيض مقابل الأزرق، يشير كسر الجورب على الجانب الأيسر إلى خاصية الوصل للحياكة في فترة صناعته، حيث يختلف المقياس من 10 غرز / 12 صفًا لكل بوصة عند إصبع القدم إلى 7 غرز / 10 صفوف لكل بوصة في الجزء العلوي، مما يشير إلى أن التشكيل قد تم تحقيقه عن طريق تغيير حجم الإبر مع تقدم الحياكة⁴.



(لوحة رقم 4) جورب مصنوع بالحياكة اليدوية، المقاسات الطول: 50 سم العرض: 27.5 سم

<https://collections.vam.ac.uk/item/O128882/sock-unknown>

(1) الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: كتاب الاغانى، ج5، بيروت، د.ت، ص224 .

(2) شوقي ضيف: العصر العباسي، ص225

(3) الخطيب البغدادي، ابي بكر احمد بن علي: تاريخ بغداد أو مدينة لسلام، وضعه في أزهى عصور الاسلام منذ تاسيسها إلى وفاته عام (463هـ / 1070م)، ج1، بيروت . دار الكتاب العربي، (د.ت)، ص315 .

(4) <https://collections.vam.ac.uk/item/O128882/sock-unknown/>

3- الملابس:

ويوجد في متحف فيكتوريا وألبرت بعض الملابس ذات الطراز الإسلامي، والذي يرجع إلى العصر الفاطمي هي مجموعة من بعض قطع الملابس (لوحة رقم 5) وهي قطعة فستان للملابس المصرية في العصر الفاطمي، ترجع إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وهي نسيج من الحرير والكتان¹.



(لوحة رقم 5) قطعة من فستان ترجع للعصر الفاطمي في مصر رقم الحفظ: 1900 – 2090

<https://collections.vam.ac.uk/item/O264278/dress-fabric/>

وتوجد (لوحة رقم 6) وهي عبارة عن قطعة من الثوب المصري الذي يرجع إلى أواخر العصر الفاطمي أوائل العصر الأيوبي، وهي منسوجة من الحرير والكتان².

(1) <https://collections.vam.ac.uk/item/O264278/dress-fabric/>

(2) <https://collections.vam.ac.uk/item/O264271/dress-fabric/>



(لوحة رقم 6) قطعة من ثوب يرجع إلى أواخر العصر الفاطمي وأوائل العصر الأيوبي. رقم الحفظ 2170-

1900

[/ https://collections.vam.ac.uk/item/O264271/dress-fabric](https://collections.vam.ac.uk/item/O264271/dress-fabric)

ويوجد روب (لوحة رقم 7) يرجع إلى القرن السابع عشر أو القرن الثامن عشر، وهذا الروب إيراني الصنع.



(لوحة رقم 7) روب إيراني الصنع طوله 132,5 سم رقمه 280 - 1906

[/https://collections.vam.ac.uk/item/O85123/robe-unknown](https://collections.vam.ac.uk/item/O85123/robe-unknown)

وظهرت مناظر لنساء في (لوحة رقم 8) على لوحة قرميدية، واللوحة من أصفهان بإيران، وهي تصوير لامرأة

يتم تقديم النبيذ والطعام لها من قبل الحاضرين في مكان خارجي في فصل الربيع.



(لوحة رقم 8) لوحة من أصفهان بإيران الطول 106,7سم، عرض 226سم، العمق 9,1سم، الوزن 97كجم.

رقم 4- 1891

<https://collections.vam.ac.uk/item/O93167/tile-panel>

ولقد عرفت الحضارة الهندية صناعة الملابس والحلي، وذاع صيتها في هذا المجال منذ الفتح الإسلامي لها، وكانت مراكز الحضارة في العواصم المغولية الهندية في دهلي وأجرا تحدد طرز الأزياء التي يرتديها كبار رجال الدولة ونسائهم¹. وبلغت درجة عظيمة في صناعة المنسوجات سيما كلكنده التي اشتهرت بمنتجاتها من الأقمشة القطنية، والتي كانت تصدر كميات كبيرة منها إلى آسيا الصغرى وبلاد فارس. وقد بلغت هذه الصناعة قدرًا كبيرًا من التقدم حتى صار لها تجارة رائجة مع أوروبا، عمل فيها عدد من التجار الأوروبيين أنفسهم².

4- ملابس القدم

الأحذية صنعت بالتطريز من الجلد والحريير والخيوط المعدنية واخذت أشكالاً وألواناً مختلفة للتناسب مع طبيعة الاستخدام، يوجد حذاء يرجع إلى القرن التاسع عشر (لوحة رقم 9)، وهو تركي الصنع، وكذلك حذاء يرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر (لوحة رقم 10) وهو إيراني الصنع.

(1) Ikram S. M., **Muslim Civilization India**, Colombia Univ press (1964), p.224.

(2) أحمد السيد الشوكي: "ملابس وحلي المرأة الهندية من خلال تصاوير المخطوطات المغولية والدكنية"، مجلة رسالة المشرق، مجلد 27، جامعة القاهرة مركز الدراسات الشرقية، (1432هـ/ 2011م)، ص245؛ نادية بنت وليد الدوسري: "الملابس الحجازية وحلي الزينة والعطور في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي: دراسة تحليلية"، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود، عدد14، السنة 7، (1427هـ/ 2006م) ص50.



(الوحة رقم 9) حذاء من الخشب يرجع للقرن التاسع عشر من تركيا، محفوظ تحت رقم سجل T.29-1917 بمتحف فكتوريا والبرت

<https://collections.vam.ac.uk/item/O355107/patten>



(الوحة رقم

10) حذاء من أواخر القرن التاسع عشر تطريز من الجلد والحرير والخیوط المعدنية (إبراني الصنع)، محفوظ تحت رقم سجل: V & A: 834 & A-1889، مقاساته الارتفاع: ٤.٥ سم العرض: 8 سم العمق: 22 سم

<https://www.vandaimages.com/preview.asp?image=2015HK4389&itemw=4&itemf>

[=0001&itemstep=1&itemx=3](https://www.vandaimages.com/preview.asp?image=2015HK4389&itemw=4&itemf=0001&itemstep=1&itemx=3)

ثانيًا: خامات التطريز والحياكة المنسوجات الكتانية:

كان الكتان من المواد الخام الرئيسة المستعملة في الحياكة، وذلك بسبب انتشار زراعته في جهات كثيرة¹، وقد تعددت أنواع هذه المنسوجات في العصر الفاطمي، فمنها ما رق وما غلظ حسب نوع الكتان المصنوعة منه،

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص 287.

وتركزت مناطق زراعته، واختصت كل منطقة بزراعة نوع معين من الكتان، واشتهرت بإنتاج نوع معين من المنسوجات.¹

وكانت تبرز لملايس بالذهب مع خيوط الكتان²، ذكر المقرئ أن تنيس اشتهرت أيضاً بصناعة المناديل، وفي ذلك يقول: "إن ثمن المنديل التنيسي ديناران وقيراط"³، كما كان يصنع منها العمام وملايس النساء، وتباع قيمة الحلة المذهبة منها بمئتي دينار، والتي لا ذهب فيها بمئة دينار⁴،

وكانت تختلف قيمة الملايس من حيث التطريز والحياسة من امرأة إلى أخرى حسب مكانتها في المجتمع، فمثلاً: الاميرات ساكنة القصور تختلف ملايسها من حيث القيمة عن المرأة العامة، وذلك بما يتواءم مع عظمة البلاط. فنجد إحدى زوجات الخلفاء الفاطميين والمسماة بالجهة العالية، كانت ملايسها تتكون من خمس عشرة قطعة من نفائس الأقمشة وكلها مطرزة بالذهب، أما النساء الأقل أهمية في البلاط فكانت ملايسهن عبارة عن حل مذهب أو حريرية كل حسب درجتها.⁵

وبالتالي هناك اختلاف بين ملايس نساء الطبقة الثرية والمتوسطة والفقيرة، من حيث الأقمشة المستعملة والاهتمام بتطريزها بالذهب واللؤلؤ، إلى جانب ما يميز ملايس الذميات عن المسلمات، وعموماً كانت ملايس النساء بصفة عامة تتميز بأنها أعلى من ملايس الرجال.⁶

كما وضحت لنا المصادر التاريخية مظاهر تقدم صناعة التطريز والحياسة في تلك الفترة وما بلغه الصانع وسائر الحرفيين بخزائن الكسوة والديباج من مهارة فائقة ظهرت هذه المهارة في الشهرة التي حظيت بها المنسوجات المصرية.⁷

وقد ارتبطت بصناعة الحياكة صناعة صبغ الملايس، والتي كان يقوم بها عمال في حوانيتهم لقاء أجور معينة¹، واستخدم الصباغون الأصباغ المستخرجة من النباتات لتطريز الملايس والأقمشة، واستخدموا الزعفران

(1) آدم متر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج2، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة، ط3، القاهرة (1360هـ / 1941م)، ص257.

(2) الإصطخري، "أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرفي (ت 341هـ / 952م): المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جبر عبد العال، القاهرة، (1381هـ / 1961م)، ص41.

(3) المقرئ: الخطط، ج1، ص410.

(4) ابن حوقل، "أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي ت أواخر القرن الرابع الهجري": صورة الأرض، ليدن، (1387هـ / 1967م)، ص152.

(5) عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ج2، ص56.

(6) حسن الباشا: الآثار الإسلامية، ص44.

(7) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص35.

لتلوين تطريز الملابس²، كما ساهمت صناعة الملابس على ظهور مهنة خياطة وتفصيل الثياب وهي من الأعمال التي كانت بسيطة ثم تطورت بمرور الوقت وكثر محترفوها في الحجاز منذ العصر العباسي والعصور التي تلتها، فقد كانت في البدء من مهام الموالي ولعل ذلك يوضح تأثير الذوق الفارسي في الألبسة العربية³. أما في عصر الخلافة الفاطمية فظهر أسلوب زخرفي جديد على المنسوجات أكثر دقة وإتقاناً، كما كانت المواد الخام ممتازة، مما أدى بدوره إلى إنتاج زخارف منتظمة وأسلوبها الزخرفي قبضي، وتعد الحجاز متأثرة بفن النسيج المصري، فكان أشرفها يرتدون الملابس المنسوجة في مصر⁴. ففي سنة (364 هـ / 947م) أطلق الخليفة الفاطمي المعز الجارية لوفد الحجاز بما فيها من خلع وهدايا وأموال وأمر الحاكم بالله الفاطمي سنة (403 هـ / 1012م) لأمر مكة أبي الفتوح بالكساء وأنعم عليه⁵. وحفظت معظم هذه الملابس في شكمجية من الخشب الفاخر، استخدمتها الاميرات لحفظ ملابسهم بعض منها مزخرف ومطرز للحفاظ على الملابس.

المحور الثاني

أسلوب صناعة المعادن خاصة صناعة الحلى في العصور الإسلامية

تعد صناعة الحلى هي حرفة الصائغ، وصاغ الشيء أي هيأه على مثال مستقيم، وسكبه عليه فانصاغ، والصياغة تأتي بمعنى حُسن الصيغة أي حُسن العمل، ويطلق لفظ الصائغ على من يحترف الصياغة ويعمل في سبك الذهب أو الفضة وغيرها من المعادن الثمينة⁶. والصياغة والعمل بالمعادن الثمينة كانت قديمة في مختلف الأمم السابقة ويظهر ذلك من خلال ما بقي من أثر للفراعنة أو لليونان أو الفرس وغيرهم من الأمم القديمة ذات الحضارة⁷.

(1) مالك، مالك بن انس، الأمام (ت179هـ/795م): المدونة الكبرى، ج3، مطبعة بولاق، مصر، (1294هـ/1877م)، ص 374.

(2) علي جواد: المفصل في تاريخ العرب، ج 7، ص 616-617.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 12

(4) ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف: أخبار مصر، تصحيح: هنري ماسيه، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، (1401هـ/1981م)، ص 64.

(5) ماجد، عبد المنعم: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، دار المعارف، القاهرة، (1388هـ/1968م)، ص 219.

(6) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت 711هـ/1311م): لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ج 8، ص442.

(7) عبدالعزيز إبراهيم العُمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ط1، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، قطر، الدوحة، (1405هـ/1985م)، ص 273.

وأغلب القطع الإسلامية المحفوظة بمتحف فيكتوريا والبرت من الذهب الذي اعتبر بأنه ملك المعادن، ولعل قدرته النسبية وخواصه الطبيعية هي التي أكسبته هذه الصفة¹، ومن أهم خواصه لونه الأصفر وبريقه وعدم تأثره بالهواء الجوي أو بالمواد والأحماض الكيميائية²، والذهب النقي ليس صلباً بدرجة كافية لذلك يخلط بالنحاس أو الفضة لزيادة صالده، وفي نفس الوقت إكسابه ألوان مميزة، ويتميز الذهب بقابليته للسحب والطرق، كما أن من أكثر الفلزات لدونة ويمكن سحب إلي أسلاك رفيعة و رقيقة، و يتميز عن غيره من المعادن بسهولة تحليل و استخلاصه من مركباته³، ومن أهم خواص اللون الأصفر البراق الذي لا يقارن بأي معدن، وعدم تأثره بالهواء والأحماض، ويتميز الذهب بقابليته للطرق والسحب إلى أسلاك طويلة ساعدت في استخدام مجال الزخرفة والتكفيت⁴، ويضاف النحاس إلى الذهب ليصبح أكثر تماسك و يصبح لونه أكثر لمعانا⁵.

ومن مراحل تطور طرق صناعة الحلي في العصر الإسلامي التي ظهرت بمجموعة فيكتوريا وألبرت الآتي:-

- طريقة الطرق:-

يعد إحدى العمليات الصناعية التي تمر بها التحفة المعدنية حتى تصل إلى شكلها النهائي، وتتم بوضع ألواح المعدن على السندان المصنوع من الحديد، والمنتهى عند طرف بجزء من الصلب ليتحمل عملية الطرق، ثم يطرق المعدن بمطرقة تشب الجاكوش الذي يستعمل الصناع حالياً، والهدف من عملية الطرق تجميع ذرات المعدن حتى يكتسب مزيد من الصلابة من جهة واعطاءه الشكل المراد تنفيذه من جهة أخرى⁶

- طريقة التفريغ أو التخريم:

تتم هذه الطريقة عن طريق رسم الزخارف على سطح التحفة المعدنية، ثم تنقب و تفرغ الأرضية حولها بآلة حادة و أحيانا يتم تنفيذ التفريغ عن طريق الصب في القالب إن كان المعدن سميكا⁷.

- طريقة الزخرفة بالنيلو:

(1) عبد العزيز صالح: الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج1، التحف المعدنية، مركز الكتاب للنشر، (1420هـ/ 1999م)، ص25.

(2) حسن ممدوح: مملكة المعادن، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، (1418هـ/ 1997م)، ص57-58.

(3) راندا محمد حازم: أدوات الزينة والحلي في الفن الإسلامي، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية السياحة والفنادق جامعة الإسكندرية، (1430هـ/ 2009م)، ص19.

(4) عبد الرحمن زكي: الحلي في الفن والتاريخ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (1419هـ/ 1998م)، ص18.

(5) علي زين العابدين: المصاغ الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1394هـ/ 1974م)، ص117.

(6) رحاب محمد علي النحاس: دراسة فنية لصينية نحاسية من العصر الفاجاري تنشر لأول مرة، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، مجلد 16، عدد 16، (1436هـ/ 2015م)، ص120.

(7) ربيع حامد خليفة: الفنون الزخرفية، ص 137.

هي إحدى الأساليب الزخرفية التي استخدمت في زخرفة الأواني الفضية السابقة على الإسلام و استمر استخدام في العصور الإسلامية¹، والنيلو عبارة عن مادة سوداء تتكون من نحاس و رصاص و كبريت و ملح نشادر توضع بنسب معينة وتصهر²، ثم يتم صبها في الشقوق و هي ساخنة، و بعد أن تبرد تصبح لامعة و يكون هناك تباين في الزخرفة³

التكفيت بالرقائق المعدنية:

كلمة من أصل تركي إنتقلت من الفارسية إلى التركية، وكفت الشيء أى ضم، والموضع يكفت في الشيء، أى يضم ويجمع⁴ والتكفيت كلمة فارسية بمعنى الدق على شيء بجبر أو بآلة حتى ينكسر⁵، تستخدم هذه الطريقة في تلوين العمل وذلك بعد حفر السطح إما باستخدام أزامل خاصة، بحيث تكون حدوداً بارزة بزاوية 45° ويمكن ترصيع تلك المحفورات بأسلاك أو رقائق من الذهب أو الفضة، ثم تثبت بالطرق عليها بخفة، وبهذا يمكن الحصول على تكفيت بالرقائق في غاية الدقة من حيث انطباقها تماماً على سطح العمل وقد استخدمت هذه الطريقة بكثرة في الفنون الإسلامية⁶.

ويبدو أن أهل الحجاز ومكة بصفة خاصة لديهم معرفة بالصياغة وطرقها⁷، ووجد لديهم صواغ قبيل ظهور الإسلام، وبعد ذلك، حيث أن أهالي الحجاز في العصر الجاهلي عرفوا الحلي الذهبية والفضية والنحاسية وغيرها،

(1) ربيع حامد خليفة: الفنون الزخرفية، ص179

(2) حسن الباشا: الموسوعة، م 2، ص 193

(3) Aitchison (L): **A History of Metals**, vol 1, Macdonald Evans, London, 1960. p12

(4) طه عبدالقادر يوسف عمارة: **الأبواب المصفحة في عهد السلطان حسن**، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآثار جامعة القاهرة، (1401هـ / 1981م)، ص163.

(5) عبد النعيم محمد حسنين: **قاموس الفارسية**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 1، (1402هـ / 1982م)، ص554.

(6) حسن سيد محمد حسن: **استعمال بعض المعادن غير الثمينة والأحجار الصناعية في صناعة الحلي**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون التطبيقية وزارة التعليم العالي، (1390هـ / 1971م)، ص2.

(7) لم تكن التقنيات الأولية المستخدمة في صياغة الذهب تعتمد على النار بل كانت الأدوات المستخدمة لا تتعدى وسائل الطي والضغط والتسطيح والتدوير وتحويل الأشكال وتغيرها بواسطة المطرقة والسندان والملاقط وأدوات الضغط.. إذ كان الحرفي العامل في هذه المهنة يعاني صعوبات جمة تتمثل في الأوقات الطويلة للعمل دون الحصول على نتائج مرضية نتيجة عدم توفر أدوات الحرفة إلى أن ظهرت شيئاً فشيئاً أدوات دقيقة لهذه الحرفة فتلاشت معها الكثير من الصعوبات، وكان ابتكار الكثير منها على يد الفراعنة الذين أدخلوا النار في هذه الصناعة كواحد من أهم الوسائل المسخرة لصياغة الذهب، فأحدثت نقلة نوعية في هذه الحرفة، حيث كانت النار الوسيلة الوحيدة المستخدمة في تنقية الذهب من الشوائب وفي تحويل وصناعة أشكال ونماذج من هذه المادة، وأصبح للصائغ أهمية كبيرة في المجتمع فهو الحرفي الذي يصنع ويعمل في صياغة المعادن الثمينة سواء الذهب أو الفضة وبيعها. لمعرفة المزيد عن طرق استخلاص الذهب والفضة وتقنيته

مما يدل على وجود أناس كانوا يعملون هذه الأشياء¹، وفي العصر المملوكي أصبح لأصحاب هذه الحرفة سوق خاص بهم، يقع بالقرب من سوق المدعى².

وتنوعت أنواع الحلي من خلال أسلوب صناعتها وزخارفها وهو ما ظهر من خلال مجموعة متحف فيكتوريا والبرت التي تعود للعصر الإسلامي³، وكذلك حسب أعضاء الجسد المحلي به، وذلك لأن الحلي قد أحاطت بها جلها، من إحاطة شعر الرأس أو إحاطته بإكليل أو تاج⁴، أو بإطلاق سلاسل حوله أو أسماط من اللؤلؤ لتتدلى على الجبين أو على الخدين⁵، أو بتطويقه بعصابة ترصع بالجواهر والأحجار باختلاف أنواعها، أو تخاط عليها عناصر فضية أو ذهبية، وتتضاف إليها على الجانبين أقرط تلامس الجيد⁶، وخزام في شكل حلقات تتدلى من الأنف، وقلائد تحلي الصدر وتملؤه بالسلاسل الذهبية أو الفضية⁷، وأسماط اللؤلؤ أو نظم الجواهر الأخرى، وتطوق الخصر بأطواق لحصر الثياب⁸.

وتتوزع على أجزاء اليدين والساقين، فتحلي الأصابع والمعصمين وتلتف بالعضدين، ثم تحيط الخلاخل بالكعبين، وتزخرف كل إصبع من أصابعهما بخاتم تنقش عليه نقوش تختلف باختلاف أصابع الساقين. لكن، ولئن تنوعت حلي العضو أو الجزء الواحد من الجسد في أشكالها وزخارفها وموادها، فإنها تحيل جلها إلى تلك العلاقة

(يُراجع: كتاب الهمداني: الجوهريتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة)، تحقيق: أحمد فؤاد باشا، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (1430هـ/2009م)، ص 94 - 120.

(1) عبدالعزيز الغمري: الحرف والصناعات في الحجاز، ص 273.

(2) شريع سعيد علي الشهراني: الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد المماليك الجراكسة (784هـ/923م)، (ماجستير)، جامعة الملك خالد، (1430هـ/2009م)، ص 118.

(3) محمد حسن زكي: كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت، 1401هـ/1981م)، ص 196، 227، 248.

(4) زكية عمر العلي: التزييق والحلي عند المرأة في العصر العباسي، منشورات وزارة الأعلام الجمهورية العراقية، (1396هـ/1976م)، ص 123 - 161. ويسمى نوع منها في المغرب العربي باسم الصارمة، اختصت بلبسها المورسكيات واليهوديات بالأندلس. يُراجع:

Eudel, **Dictionnaire des bijoux**, Maro, Algerie, Tunisi, Tripolitaine, Paris, Ernest Leroux, 190, p. 130-131.

(5) لذا كان نوع منها يسمى عند الرسوليين باليمن بزينة الخد. يُراجع: ربيع حامد خليفة: الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، (1412هـ/1992م)، ص 226

(6) مثل الشنف والخرص والرعة والحجة والترس والخنجر.

(7) وهنالك أيضاً العقد والوشاح، وعند التونسيين نجد الريحانة والسلسلة.

(8) ومن أنواعها البريم والينجلب والحزام.

الوثيقة التي جمعت عبر التاريخ العربي الإسلامي بين توفر المواد في الأقاليم العربية أو الحرص على جلبها من الخارج¹، ومن أنواع الحلى المحفوظ بمتحف فيكتوريا وألبرت الاتي:-
قلائد

احتوى متحف فيكتوريا وألبرت على عدد من القلائد ذات الطراز الإسلامي، فتوجد قلادة (لوحة رقم 11) يرجع إلى العصر الفاطمي في مصر، وهذه القلادة المصنوعة من الكريستال الصخري على شكل سمكة. لها زعنفة في الأعلى، منحوتة بحفاصات، وزعنفتان منحوتتان في الأسفل. وينتهي الجسم بذيل منمنم ويثقب أنبوب عميق أسفل منتصفه. من المحتمل أن يعود تاريخ الكريستال إلى الفترة الفاطمية (969-1171 م) ، وربما تم نحته بواسطة حرفي إسلامي في القاهرة².



(لوحة رقم 11) قلادة من الكريستال ترجع للعصر الفاطمي في مصر. ارتفاعها 6,3سم. عرضها 3,5. عمقها 1,9سم. وزنها 0,04كجم. رقم حفظها 110 – 1966 M

<https://collections.vam.ac.uk/item/O13443/pendant-unknown>

(1) Messier, Ronald A., "The Almoravids, West African gold and the gold currency of the mediterranean bassen", **Journal of the Economic and Social History of the Orient**, Vol. XVII, Part.I, Leiden, Brill, 1974, p.31-47; Cahen, Claude, "L'Or du Soudan avant les Almoravids, mythe ou realite", **Revue Fran;aise d'Histoire d'Outre mer**, N° 242-243, 1er I 2eme trim., 1979, p. 169- 176.; Dunlop, D. M., Sources of gold and silver in Islam according to Al-Hamdani, **Studia Islamica**, T. VIII, 1957, p. 29-49.

(2) <https://collections.vam.ac.uk/item/O13443/pendant-unknown/>.

وقلادة أخرى (لوحة رقم 12) وتحتوي القلادة على (144) خرزة على ثلاثة مستويات ، وردة مركزية من الأسلاك المسطحة ومجموعات مثلثة من الحبيبات في قمة كل بتلة بديلة. تتراكب على هذا ، في الأمام والخلف ، وردة أخرى بأقراص دقيقة مسطحة على أطراف البتلات¹.



(لوحة رقم 12) قلادة من الذهب. الهند، رقم الحفظ 03299: 2 (IS)

[/https://collections.vam.ac.uk/item/O111145/necklace-necklace-unknown](https://collections.vam.ac.uk/item/O111145/necklace-necklace-unknown)

وأيضًا قلادة أخرى (لوحة رقم 13)، وهو عبارة عن عقد من الشرائح الفضية المذهبة مثبتة على شريط أسود، وهو مكون من 15 شريحة فضية مذهبة ومجوفة. والشرائح الأربعة عشر على شكل شبيه بحرف S، والشرريحة الخامسة عشرة المركزية مختلفة على باقي الشرائح، وكل شريحة من الشرائح الخمسة عشر تنتهي بوردة فتحات صغيرة، ما عدا الشريحة التي في المنتصف فإن الوردة أكبر من باقي الشرائح².



(لوحة رقم 13) قلادة من الأناضول ذات الطراز العثماني. من القرن التاسع عشر. العرض 19سم، الطول

8سم.

[/https://collections.vam.ac.uk/item/O80062/necklace-necklace-unknown](https://collections.vam.ac.uk/item/O80062/necklace-necklace-unknown)

(1) <https://collections.vam.ac.uk/item/O111145/necklace-necklace-unknown/>.

(2) <https://collections.vam.ac.uk/item/O80062/necklace-necklace-unknown/>.

ويوجد في متحف فيكتوريا وألبرت خاتم (لوحة رقم 14) يرجع إلى القرن التاسع عشر، من المحتمل أنه صُنع في كلكتا بالهند، وربما تأثر الصانع بالطراز الأوروبي، حيث نقش يدين متشابكتين بعضهما ببعض، مما يشير إلى الحب، ويوجد ببغاء منحوت في شكل دائري من حجر ياقوت، ومرصع بعيون من الياقوت، ومنقار مصنوع من عقيق ألماندين¹.



(لوحة رقم 14) خاتم من القرن التاسع عشر ، بلد المنشأ الهند. المادة الخادم: الذهب، والياقوت، رقم الحفظ:

03229

<https://collections.vam.ac.uk/item/O120668/ring-unknown/>

ويوجد في متحف فيكتوريا وألبرت عدد من الحلي ذات الطراز الإسلامي أخرى، منها صفائح ذهبية ربما تكون سوار، والسوار: هو حلقة كالطوق تلبسه المرأة في زندها. وفي فقه اللغة: السوار للمعصم وفي لسان العرب ذكر ابن منظور السوار تحت مادة سور وقال أنه يجمع على أسورة وأساور. والأساور ما زالت ملبوسه في معاصم نساء العرب². و(لوحة رقم 15) وهي مجموعة من أربع لوحات ذهبية مستطيلة متصلة، مختومة ومحفورة فيها بزخارف مخرمة، وزخارف مطبقة، ترجع إلى العصر الأموي، وعثر عليها في مرسية بقرطبة³.

(1) <https://collections.vam.ac.uk/item/O120668/ring-unknown/>

(2) ابن منظور: لسان العرب، مادة سور

(3) <https://collections.vam.ac.uk/item/O114815/plaques-unknown/>



(لوحة رقم 15) صفائح ذهبية ترجع للعصر الأموي، الأبعاد: ارتفاع 4سم. عرض 21,1سم. عمق 0,2سم.

رقم الحفظ 1871 – 1454

[/ https://collections.vam.ac.uk/item/O114815/plaques-unknown](https://collections.vam.ac.uk/item/O114815/plaques-unknown)

ويوجد سوار ذهبي (لوحة رقم 16) يرجع إلى القرن الثامن عشر، ومكان التصنيع من الهند.



(لوحة رقم 16) اسورة ترجع إلى القرن الثامن عشر، المنشأ الهند. المادة الخام: الذهب، الياقوت. أسلوب

الصناعة والزخرفة: الصب، الحز، الترصيع. المقاسات: (الطول 10,5 سم) (العرض 8 سم). رقم الحفظ 28:

1 – 1997

[/https://collections.vam.ac.uk/item/O69626/armlet-unknown](https://collections.vam.ac.uk/item/O69626/armlet-unknown)

كَلْب (لوحة رقم 17) كلمة أوردية تُعنى مشبك¹، والمشبك هو حلية من الذهب أو الماس تُشبك في الصدر أو

الرأس للزينة، والمشبك للشعر من الذهب ببيضاوى الشكل²، يتوسطه وردة سداسية البتلات، رصعت كل من البتلات

بمرايا صغيرة، أما مركز الوردة فهو مرصع بخرز زجاجية خضراء اللون.

(1) صلاح أحمد محمد سيور: **الأمشاط في مصر الإسلامية من القرن (3 هـ/9 م) حتى القرن (12 هـ/18 م)**، رسالة

ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2006 م، ص 46-47.

(2) **الأمشاط في العصر الإسلامي** قد اتسمت بشكلها الذي يشبه شكل الأمشاط المعروفة حالياً باسم " الفلاية" والتي ما

زالمت تستخدم حتى اليوم في الريف المصري، ويمكن تصنيف الأمشاط الراجعة للعصر الأيوبي لثلاثة أنواع وهي: (أمشاط

تصنيف الشعر-أمشاط تهذيب اللحية-أمشاط تستخدم كمحابس بغرض الزينة) صلاح أحمد محمد سيور: **الأمشاط في**

مصر الإسلامية ...، ص 50.



(الوحة رقم 17) النوع: كلب (مشبك) التاريخ: 1150م المادة الخام: الذهب، الخرز الزجاجي، المرايا. أسلوب الصناعة والزخرفة: الطرق والتفريغ و الترصيع. القرن التاسع عشر الميلادي، المقاسات: (الارتفاع $3 \times 5,8$ سم (العمق 0,8 سم). رقم الحفظ: 1939 - 42

[/http://collections.vam.ac.uk/item/O121579/buckle-unknown](http://collections.vam.ac.uk/item/O121579/buckle-unknown)

ويكتنف الورد من الجانبين، رسوم أفرع منفذة بالتفريغ، وينبتق منها أشكال أوراق نباتية مشرشرة، بالإضافة لبعض الوريدات الصغيرة، ويحيط بالزخارف إطار مكون من دوائر صغيرة بجانب بعضها البعض، كل منهم مرصع بفص زجاجي أخضر اللون، أما الجهة الأخرى من المشبك فهي مزودة من الجانبين بحليتان معقوفتان الشكل، والتي تقوم كلا منهما بدورها بتثبيت المشبك في الشعر.

التكا هي دلالية من الحلي المتألثة تزيين الجبهة¹، كذلك عرفت باسم "التيلكا"² وهي كلمة هندية تعني " فأل حسن " وهي قطع من الحلي مصممة على نحو فني رائع تزين بها المرأة جبينها، وتتدلى من مفرق الرأس أو من الأشرطة التي تزين بها المرأة شعرها بواسطة سلسلة معدنية أو سلسلة من اللؤلؤ³ على هيئة هلال مرصع بالياقوت الأحمر من الأمام، بينما من الخلف مطلي بالمينا، يتدلى من الهلال ثمان حبات من اللؤلؤ الأبيض، بينما يزخرفة من الداخل أشكال لوزية مرصعة بالماس والزمرد، و تنتهي بسلسلة ذهبية أوروبية الصنع (الوحة رقم 18)، لكنها في الأصل كانت تثبت في الشعر من خلال سلسلة مكونة من حبيبات اللؤلؤ.

(1) سيدانا: رموز الزواج في الهند، ص 33

(2) داس: المرأة في الأعمال الفنية القديمة، ص 13-14

(3) عيسى: المرأة في التصوير المغولي الهندي، ص 554



(لوحة رقم 18) النوع: تكا، مكان الصناعة الهند. التاريخ: القرن الثامن عشر، المادة الخام: الذهب، الماس، الياقوت، اللؤلؤ. أسلوب الصناعة والزخرفة: التفريغ والترصيع والمينا. رقم الحفظ 1- 1976.

<https://collections.vam.ac.uk/item/O120557/forehead-ornament-unknown>

والجهومر هي حلية توضع على جانب الرأس جهومر من الذهب، من الأعلى عبارة عن دائرة من الذهب المفرغ، يرصعها فصوص من الياقوت الوردي اللون والزمرد الأخضر، ويتدلى من على جانبي هذه الحلية المستديرة حبات من اللؤلؤ الأبيض، يتدلى من الحلية المستديرة خمس سلاسل من اللؤلؤ بواسطة حلقات ذهبية صغيرة، كل سلسلة بها حبه من الياقوت الوردي من الأعلى والأسفل، عدا السلسلة الوسطى بها حبه الياقوت من الأسفل فقط، يتدلى من هذه الحلية سبعة حليات ذهبية صغيرة متنوعة الأشكال، مرصعة بالياقوت الوردي والزمرد الأخضر، ويتدلى منها حبات من الزمرد الأخضر واللؤلؤ والخرز الأخضر الزجاجي. و (لوحة رقم 19) لجهومر يوضع على الجبهة من أعلى الرأس، ومكانه دلهي بالهند يرجع لحوالي 1853م¹.



(1) <https://collections.vam.ac.uk/item/O232424/jewellery/>

(لوحة رقم 19) النوع: جهومر المادة الخام: الذهب، اللؤلؤ، الياقوت، الزمرد، الزجاج الأخضر. أسلوب الصناعة والزخرفة: الطرق والتفريغ والترصيع. رقم الحفظ: (IS)03325
[/https://collections.vam.ac.uk/item/O232424/jewellery](https://collections.vam.ac.uk/item/O232424/jewellery)

أما الأقراط فتعدد وجوها في متحف فيكتوريا وألبرت، فمنها قرط (لوحة رقم 20) يرجع إلى العصر الفاطمي (900-1100م) في مصر¹.



(لوحة رقم 20) قرط يرجع للعصر الفاطمي. أبعاده: عرضه 1,5سم. عمقه 1,6سم. رقم الحفظ: 199 & A

M 556

[/https://collections.vam.ac.uk/item/O103291/earring-unknown](https://collections.vam.ac.uk/item/O103291/earring-unknown)

وكذلك وجد في متحف فيكتوريا وألبرت أقراط، فمنها (لوحة رقم 21) عبارة عن قرط ارتفاعه 3,8سم، عرضه 2,5سم، العمق 1,1سم، من الهند، ويرجع إلى القرن التاسع عشر.

(1) <https://collections.vam.ac.uk/item/O103291/earring-unknown/>



(الوحة رقم 21) النوع: قرط من الذهب أسلوب الصناعة والزخرفة: الصب والحفر. رقم سجل الحفظ: 03330

[/https://collections.vam.ac.uk/item/O232449/jewellery](https://collections.vam.ac.uk/item/O232449/jewellery)

وكانت معظم هذه الحلى تحفظ في صناديق من العاج منها صندوقين محفوظان في متحف فكتوريا والبرت تعود للفترة الأموية بالأندلس (الوحة رقم 22)، (الوحة رقم 23) وهما مطرزان بزخارف متنوعة صندوق على شكل علبة مستطيلة من العاج ذات زخارف نباتية منفذة بالحفر البارز، وتتألف من كتلتين متماثلتين من العاج يؤلفان البدن والغطاء، تم تركيبهما معا بمفصلتين من الفضة، ويغلق عليهما بمزلاج أيضا من الفضة¹.



(الوحة رقم 22) العلبة العاجية المحفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت بلندن برقم متحفي (1866-301):

- 1- النوع: علبة مجوهرات مستطيلة من العاج ذات غطاء مسطح.
- 2- التاريخ: ما بعد 350هـ (حسب تحليل النقش الكتابي على العلبة).
- 3- المقاسات: العمق 6,00سم، العرض 9,5سم، الارتفاع 4,3سم.
- 4- اسم من صنعت له: السيدة ابنة الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر).
- 5- الصانع: لا يوجد توقيع للصانع سوى لفظة (الأينه) بالنقش الكتابي.

(1) <https://collections.vam.ac.uk/item/O76558/casket-unknown/> ;

<https://collections.vam.ac.uk/item/O70461/casket-unknown/>

6- مكان الصناعة: قرطبة أو الزهراء.

7- المادة الخام: عاج وفضة.

<https://collections.vam.ac.uk/item/O76558/casket-unknown>



(لوحة رقم 23) تاريخ القطعة: حوالي 390-410هـ / 1000-1020م. الرقم المتحفي للقطعة: 10-1866

<https://collections.vam.ac.uk/item/O70461/casket-unknown/>

وكذلك (لوحة رقم 24) ترجع إلى العصر العباسي علبة من العاج المنحوت والمطلي، وغطائها من خشب الزان، ومطلي بالذهب، والقبض من الكريستال الصخري والتجهيزات النحاسية المذهبة، وربما ترجع تلك العلبة إلى مصر أو سوريا خلال العصر العباسي خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين. وهذه العلبة هي إحدى أقدم القطع العاجية الإسلامية الباقية، وتم نحت ثلاثة طيور صغيرة تسكن غصن كرمة عنب¹.



(1) <https://collections.vam.ac.uk/item/O84336/box-unknown/>

(لوحة رقم 24) علبة من العاج. ترجع للعصر العباسي. ارتفاعها 14سم، قطرها 8,5سم. رقم الحفظ: 136

– 1866

[/ https://collections.vam.ac.uk/item/O84336/box-unknown](https://collections.vam.ac.uk/item/O84336/box-unknown)

الزخارف: جاءت زخارف العلبة متممة بالبساطة ومقتصرة على توريقات وفروع نباتية مجدولة على نحو تتشأ منها تكوينات متماثلة ومتكررة، قوام هذه التكوينات مراوح نخيلية مصبغة ومنحنية داخل إطار (إفريز) بارز مزدان بحبات لؤلؤ متصلة يحيط بأوجه العلبة الأربعة.

الكتابات: بالخط الكوفي المورق تم تنفيذ كتابات بطريقة الحفر البارز في أربعة أشرطة أفقية على جوانب الغطاء الرأسية الأربعة نصها: "بسم الله هذا ما عمل الأئمة السادة ابنه عبد الرحمن أمير المؤمنين رحمه الله عليه ورضوانه"

صندوق مجوهرات آخر من العاج ذو غطاء على شكل جذع مخروط، يتألف من 12 قطعة محفورة من العاج (أربع للصندوق، وثمانية للغطاء)، وقد فقدت بعض القطع، وربما أزيلت عندما تمت عملية التطعيم بالفضة الأوروبية في القرن السابع عشر أو الثامن عشر. وقد حمل الجزء السفلي للغطاء بالأساس نقشاً إلا أنه أزيل في مرحلة ما واستبدل بشرائط فارغة. لقد تم حفر قطع الصندوق بطريقة جميلة بما مجموعه 15 رصعة ضمن إطار متشابك، يظهر بعضها أشخاصاً يشربون أو يعزفون على آلات موسيقية، وتظهر اثنتان منها صياداً ومدرباً لطيور الباز، وتظهر أخرى شخصاً يجلس في هودج محمول على ما يبدو أنه جمل. وتظهر باقي الرصائع طيوراً وحيوانات بما فيها السباع والأرانب البرية والفيلة والأيائل، بالإضافة إلى مجموعة من الحيوانات الوهمية كالتنانين والأسود المجنحة، وتظهر أغلبها في أزواج متقابلة. لقد تم ملء المساحات بين الرصائع وحولها بالمزيد من الطيور والحيوانات مما يجعل هذا الصندوق عبارة عن مجمع صغير للحيوانات من القرن الحادي عشر، وقد يكون استعمل كصندوق تخزين للمجوهرات من قبل أحد أفراد العائلة المالكة.

المحور الثالث

تأثير الحالة السياسية والعسكرية على الحياة الاجتماعية خاصة في الملبس وأدوات الزينة

اثرت الحالة السياسية والعسكرية على الحياة الاجتماعية خاصة في الملبس وأدوات الزينة في العهد الإسلامي على ما تميزت به الحلي الفاطمية أو الأيوبية¹ وهو ما يظهر على التحف المعروضة بمتحف فيكتوريا والبرت، فنتعرف عن الاختلاف بين حلي شمال مصر وحلي النوبة²، إلى غير ذلك من التفرعات الثقافية الداخلية

(1) عبد العزيز مرزوقي: الفن الإسلامي في العهد الأيوبي، المكتبة الثقافية، 80، 1963، ص80

(2) علي زين العابدين: فن صياغة الحلي الشعبية النوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1401هـ / 1981م)،

للمجموعة الواحدة. هذا فضلاً عن إظهار التميز الطبقي والاقتصادي، بين حلي الأغنياء وحلي الفقراء، أو حلي الخاصة والحلي الشعبي¹.

واثرت أيضاً الحالة السياسية والعسكرية على الحياة الاجتماعية خاصة في الملابس خلال عملية النسيج والتي هي العصب الذي ارتكزت عليها صناعة الملابس، حيث كانت المنسوجات باختلاف أنواعها هي المادة الخام لكل ما يفصل ويخاط من الثياب، ولذلك كان تطور الزي والملابس نتيجة طبيعية لتطور صناعة النسيج التي عمل الحرب على تطويرها واهتم بها الخلفاء والحكام المسلمين بداية من الفتح الإسلامي مروراً بالعصر الفاطمي والأيوبي ووصولاً للعصر المملوكي، وأكبر دليل على تطور فن النسيج ليس فقط ملابس الخلفاء والولاطين وحريمهم بل كسوة الكعبة أيضاً التي كان فن نسجها آية من آيات الفن الإسلامي².

كان للتقدم الحضاري الذي أصاب المجتمع الإسلامي أثر في ازدهار الصناعات فقد تطلب هذا التقدم، استحداث صناعات متعددة متنوعة متقنة الأمر الذي أدى إلى ازدياد عدد الصنائع، والاهتمام بجودتها³.

وسجلت كتب التاريخ والاكتشافات الأثرية عدداً من ذخائر الملوك والخلفاء للحلي والتحف النفيسة لتحكي قصص بلاطاتهم وازدهار حياتهم فيها⁴، ولكنها تروي أيضاً تجادلهم في التباهي بها على طريقة الوليد بن يزيد الذي كان يغير حليه يومياً، مثل تغييره للثياب، أو اعتماد العباسيين لها شارات للملك على الطريقة الساسانية⁵، واستعراضها في مناسبات الختان، مثل ختان ابن الحجاج⁶، أو الزفاف، مثل زفاف بوران على المأمون⁷، أو إخفاءها على العكس من ذلك وكنزها دون إظهارها تحسباً مما قد يطرأ من أزمات وصروف وتقلبات طارئة ينبغي أن يحسب لها حساب، واعتباراً بأحداث التاريخ الذي قد يعيد نفسه لينبئ بالأفول⁸، أو الإلحاح على التزهد فيها

(1) علي زين العابدين: المصاغ الشعبي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1394هـ / 1974م)، ص241.

(2) محمد أحمد أحمد إبراهيم: تطور الملابس في المجتمع المصري من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي (20-567 هـ/ 1171-640م)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، (1424هـ / 2004م)، ص 143 - 145.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص13-14.

(4) القاضي الرشيد بن الزبير (ق 5هـ / 11م): كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، مرجعة صلاح الدين المنجد، الكويت، (1378هـ / 1959م)، ص307.

(5) انظر في شارات الملك، ابن خلدون (808هـ / 1406م): المقدمة، الباب السادس والثلاثون، مكتبة المدرسة ودار الكتب اللبنانية للطباعة والنشر، بيروت، (1386هـ / 1967م)، ص 356-479.

(6) ابن خلدون: المقدمة، ص 307.

(7) ابن خلدون: المقدمة، ص 305 - 307.

(8) البيروني: الجماهر، ص 26-28.

والنصح بتجنبها، لاعتبارات دينية سياسية يتخذ لها مثلاً موقف العمرين من الحلي، ببيضائه وصفرائه¹، وقد جذبت الحواضر العربية الإسلامية الكثير من الأيدي العاملة، ووفت لهم فرص العمل والكسب فيها² كانت الحياكة تعتبر أقدم الصناعات اليدوية لأن الجو يجعل العناية بالملابس ضرورية³ كانت الحياكة أهم الصناعات في القرن الرابع الهجري⁴

وهو ما أثبتته التحف الإسلامية المحفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت من تطور وتأثيرات عليها في مختلف العصور الإسلامية.

النتائج

توصلت الدراسة التي قمت بها في متحف فيكتوريا وألبرت إلى العديد من النتائج التي كان أبرزها الآتي:-

- نشر عدد من التحف الإسلامية لأول مرة ومنها فيما يخص اللباس، وهي: جزء من نسيج يرجع للعصر الفاطمي في مصر (لوحتي رقم 5، 6). وكذلك الأحذية وهما يرجعان إلى القرن التاسع عشر أحدهما تركي (لوحة رقم 9). والآخر إيراني (لوحة رقم 10).
- أما فيما يخص الحلي النسائية التي ترجع للعصر الإسلامي في متحف فيكتوريا وألبرت، فلقد تنوعت، وكان منها ما ينشر لأول مرة، وهي: قلادة (لوحة رقم 13) وهي لقلادة من الأناضول ذات الطراز العثماني تترجع للقرن التاسع عشر. أما عن الصفائح الذهبية فيوجد (لوحة رقم 15) وهي ترجع للعصر الأموي. وعن الأساور فلقد جاءت (لوحة رقم 16) وهي أسورة ترجع إلى القرن الثامن عشر من الهند. وعن المشابك الذهبية فكانت (لوحة رقم 17) وهي مشبك من الذهب يرجع للقرن التاسع عشر. وبخصوص الأقراط جاءت (لوحة رقم 20) لقرط يرجع للعصر الفاطمي.
- أثبتت الدراسة مراحل تطور صناعة الملابس خلال العصر الإسلامي وأنواعه والمادة المصنوعة منها من خلال التحف المحفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت.
- التعرف على التطريز والحياكة التي انتشرت خلال العصر الإسلامي في مختلف أقطاره.
- التعرف على النواحي الاجتماعية التي كانت موجودة في البلدان الإسلامية من خلال أسلوب الحياكة والتطريز المحفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت.
- التعرف على طرق وتطور صناعة الحلي خلال العصر الإسلامي من خلال التحف المحفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت.

(1) انظر في شأن نهى عمر بن عبد العزيز ابنه عند اقتنائه خاتماً ذا فص من الجواهر النفيس، البيروني، الجماهير ص 65-66.

(2) اليعقوبي: البلدان، ص2

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص344.

(4) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، ج5، القاهرة، (1319هـ/ 1902م)، ص106.

- إبراز أهمية دراسة وتتبع التحف الإسلامية بمتاحف أوروبا والعالم لأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي، وكذلك فتح مجال جديد لدراسة العصور المختلفة من النواحي الاجتماعية وتأثير الحياة السياسية والعسكرية عليها.

- إدراك البحث ما وصل إليه المسلمون في صناعة الحلى والملابس في العصور المختلفة

- التعرف على الطبقات الاجتماعية ومظاهر الترف والثراء في العصور الإسلامية المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي ت أواخر القرن الرابع الهجري): **صورة الأرض**، لندن، (1386هـ/1967م).
- ابن خلدون (808هـ/1406م): **المقدمة**، مكتبة المدرسة ودار الكتب اللبنانية للطباعة والنشر، بيروت، (1386هـ/1967م).
- ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، ت458هـ/1066م): **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، (1417هـ/1996م).
- ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكرياء القرويني الرازي، أبو الحسين (ت395هـ/1004م): **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1399هـ/1979م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، ط1، دار صادر، بيروت، (د، ت).
- ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف: **أخبار مصر**، تصحيح: هنري ماسيه، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، (1401هـ/1981م).
- الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرفي ت341هـ/952م): **المسالك والممالك**، تحقيق د. محمد جبر عبد العال، القاهرة، (1381هـ/1961م).
- الاصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين، ت356هـ/967م): **كتاب الاغانى**، بيروت، د.ت.
- الخطيب البغدادي، ابي بكر احمد بن علي: **تاريخ بغداد او مدينة لسلام، وضعه في ازهى عصور الاسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام 463هـ/1070م**، بيروت . دار الكتاب العربي، د.ت
- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ/786م): **كتاب العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد (د.ت).
- القاضي الرشيد بن الزبير (ق 5هـ/11م): **كتاب الذخائر والتحف**، تحقيق محمد حميد الله، مرجعة صلاح الدين المنجد، الكويت، 1959.
- مالك (الإمام مالك بن أنس، ت179هـ/795م): **المدونة الكبرى**، مطبعة بولاق، مصر، (1294هـ/1877م).
- المقدسي (محمد بن احمد ابي بكر أبو عبد الله، ت388هـ/998م): **أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم**، لندن، (1324هـ/1906م).
- المقرئ: "تقي الدين أحمد بن علي": **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار - الخطط المقرئية**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان، لندن، (1424هـ/2003م).

- الهمداني (الحسن بن أحمد، ت345هـ/ 956م): كتاب الهمداني: الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة)، تحقيق: أحمد فؤاد باشا، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (1430هـ/ 2009م).
- ياقوت الحموي، عبد الله (ت:626هـ/ 1228م): معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، (1417هـ/ 1996م).
- ثانيًا: المراجع العربية والمعرية:
- أحمد السيد الشوكي، "ملابس وحلى المرأة الهندية من خلال تصاوير المخطوطات المغولية والدكنية"، مجلة رسالة المشرق، مجلد 27. جامعة القاهرة مركز الدراسات الشرقية، (1432هـ/ 2011)، ص245-298.
- آدم متر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريذة، لجنة التأليف والترجمة، ط3، القاهرة (1360هـ/ 1941م).
- ثريا نصر: التصميم الزخرفي في الملابس والمفروشات، عالم الكتب، الطبعة الأولى، (1423هـ/ 2002م).
- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، القاهرة، (1320هـ/ 1902م).
- حسام الدين أحمد: "التطريز بالشرائط كمدخل لإثراء مشغولات الأقمشة"، المؤتمر العلمي الأول لكلية التربية النوعية، جامعة عين شمس، (1428هـ/ 2007م).
- حسن الباشا: الآثار الإسلامية، دار النهضة القومية، (1411هـ/ 1990م).
- حسن سيد محمد حسن: استعمال بعض المعادن غير الثمينة والأحجار الصناعية في صناعة الحلي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون التطبيقية وزارة التعليم العالي، (1391هـ/ 1971م).
- حسن ممدوح: مملكة المعادن، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، (1397هـ/ 1997م).
- ديمان. م. س: الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، بغداد، (1378هـ/ 1958م).
- راندا محمد حازم: أدوات الزينة والحلي في الفن الإسلامي، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية السياحة والفنادق جامعة الإسكندرية، (1430هـ/ 2009م).
- ربيع حامد خليفة: الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، (1413هـ/ 1992م).
- ربيع حامد خليفة: فن الصور الشخصية في مدرسة التصوير العثماني، زهراء الشرق، ط3 (1426هـ/ 2005م).
- رحاب محمد على النحاس: "دراسة فنية لصينية نحاسية من العصر الفاجاري تنشر لأول مرة"، مجلة الاتحاد العام للآثار العرب، مجلد 16، عدد 16، (1436هـ/ 2015م)، ص116-150.
- زكية عمر العلي: التطويق والحلي عند المرأة في العصر العباسي، منشورات وزارة الإعلام الجمهورية العراقية، (1396هـ/ 1976م).
- سامية الساعاتي: جرائم النساء، المركز العربي للدراسات، الرياض، (1406هـ/ 1985م).
- ستيلمان. ي: تاريخ الأزياء العربية، ترجمة صديق محمد جوهر، منشورات كلمة، أبو ظبي، (1432هـ/ 2011م).
- سميرة حسن محمد: صور الإحتفالات في المخطوطات العثمانية "دراسة أثرية فنية"، مخطوط رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة، (1403هـ/ 1983م).
- سهام زكي وآخرون: "تأثير بعض أساليب التطريز على النسيج السادة والأطلس والوبري"، المجلة المصرية للاقتصاد المنزلي، العدد الخامس عشر، القاهرة، (1420هـ/ 1999م).
- سيدانا ملك رواج: "رموز الزواج في الهند"، ترجمة ماثر صفى، ع428، (1423هـ/ 2002م).

- شريع سعيد علي الشهراني: الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد المماليك الجراكسة 784هـ / 923 م، (ماجستير)، جامعة الملك خالد، (1430هـ / 2009م).
- صلاح أحمد محمد سيور: الأمشاط في مصر الإسلامية من القرن (3 هـ/ 9 م) حتى القرن (12هـ/ 18م)، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، (1427هـ / 2006م).
- طه عبدالقادر يوسف عمارة: الأبواب المصفحة في عهد السلطان حسن، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآثار جامعة القاهرة، (1401هـ / 1981م).
- عبد الرحمن زكي: الحلى في التاريخ والفن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الثانية، يوليو، (1419هـ / 1998م).
- عبد العزيز صالح: الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج1، التحف المعدنية، مركز الكتاب للنشر، (1420هـ / 1999م).
- عبد العزيز مرزوقي: الفن الإسلامي في العهد الأيوبي، المكتبة الثقافية، (1383هـ / 1963م).
- عبد الله بن صالح الفوزان: زينة المرأة المسلمة، دار المسلم للنشر والتوزيع، مكة، الطبعة الثالثة، (1418هـ / 1997م).
- عبد الله غدامي: في شأن اللباس، وردود الفعل الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (1425هـ / 2004م).
- عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، دار المعارف مصر، (1388هـ / 1968م).
- عبد النعيم محمد حسنين: قاموس الفارسية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، (1402هـ / 1982م).
- عبدالعزيز إبراهيم الغمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ط1، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، قطر، الدوحة، (1405هـ / 1985م).
- علي أحمد الطائش: الفنون الزخرفية الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة، (1431هـ / 2010م).
- علي زين العابدين: المصاغ الشعبي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1394هـ / 1974م).
- علي زين العابدين: فن صياغة الحلي الشعبية النوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1401هـ / 1981م).
- ليلي صالح، ليلي عبد الغفار: التطريز اليدوي، الطبعة الأولى، دار الزهراء للنشر، مكتبة الملك فهد، الرياض، (1423هـ / 2002م).
- هيئة التحرير مركز مركز العبيكان للأبحاث والنشر: "متحف فيكتوريا وألبرت في لندن"، مجلة فكر، ع11، (1436هـ / 2015م).
- محمد أحمد أحمد إبراهيم: تطور الملابس في المجتمع المصري من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي (20-567 هـ/ 640-1171م)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، (1425هـ / 2004م).
- محمد بن فارس: "حلية النساء في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، دراسة مستمدة من مصادر الحديث النبوي الشريف"، مجلة جامعة الملك سعود، م 7، الآداب 4، الرياض، (1415هـ / 1995م).
- محمد حسن زكي: كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت، (1401هـ / 1981م).
- محمود هدية: اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، القاهرة، مؤسسة هندواي، (1438هـ / 2017م).
- مونيكا داس: المرأة في الأعمال الفنية القديمة، ترجمة ماثر صفى، مجلة صوت الشرق، ع383، (1416هـ / 1995م).

- ميرفت محمود عيسى: "المرأة في التصوير المغولي الهندي والمحلي والمعاصر، دراسة ملامحها وزينتها"، ندوة آثار شرق العالم الاسلامي، كلية الآثار جامعة القاهرة (1419هـ / 1998م).
- نادية بنت وليد الدوسري: "الملابس الحجازية وحلي الزينة والعطور في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي: دراسة تحليلية"، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود، عدد 14، السنة 7، (1427هـ / 2006م)، ص 45-89.
- نادية محمود خليل ؛ حسنى أحمد الدمرداش: "دراسة مقارنة لحلي الرقبة والصدر لنساء القرى والبادية فى مصر والسعودية"، مجلة بحوث فى التربية الفنية والفنون، العدد الثانى، ابريل، (1413هـ / 1992م).
- هند علي على محمد سعيد: "الزخارف النباتية المطرزة على المناديل والمناشف العثمانية المحفوظة بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن خلال القرن 12-13هـ / 18-19م: دراسة أثرية فنية"، مجلة دراسات وأبحاث جامعة الجلفة، عدد 23 (1437هـ / 2016م)، ص 104-126.
- يوسف رزق الله: "صناعات العراق في عهد العباسيين"، مجلة غرفة تجار بغداد، الجزء 8، مجلة غرفة تجار، السنة 4، بغداد، (1360هـ / 1941م).
- ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- Aitchison (L): **A History of Metals**, vol 1, Macdonald Evans, London, 1960.
- Cahen, Claude, "L'Or du Soudan avant les Almoravides, mythe ou realite", **Revue Franraise d'Histoire d'Outre mer**, N° 242-243, 1er I 2eme trim., 1979.
- David -Weill, J., **Orfeverie musulmane**, Cahiers de Byrsa, VI- 1956.
- Dunlop, D. M., Sources of gold and silver in Islam according to Al-Hamdani, **Studia Islamica**, T. VIII, 1957.
- Eudel, **Dictionnaire des bijoux**, Maroc, Algerie, Tunisie, Tripolitaine, Paris, Ernest Leroux, 1906.
- Ikram S. M., **Muslim Civilization India**, New York, Colombia Univ press (1964), p.224.
- Marcais, G., **Les bijoux musulmans de l'Afrique du Nord**, Alger, Imprimerie officielle, 1958 Marcais. G, L'art musufman, PUF, Paris, 1962.
- Messier, Ronald A., "the Almoravids, West African gold and the gold currency of the mediterranean bassen", **Journal of the Economic and Social History of the Orient**, Vol. XVII, Part.I, Leiden, Brill, 1974.
- Migeon, G., **Manuel d'art musulman, arts plastiques et industriels**, 2eme ed., Paris, Auguste Picard, 1927.
- Taylor (R), **Ottoman Embroidery**, Hong Kong, (1993).

موريتانيا في محيطها المغربي

(من قمة الرباط إلى سقوط نظام الرئيس ولد داداه)

Mauritania in the Maghreb region

(From the Rabat summit to the fall of the President of OULD DADDAH)

الدكتور جمال غدور

جامعة نواكشوط موريتانيا

Dr. Jemal Ghadour

University of Nouakchott

Mauritania

gadour222277@yahoo.com

ملخص:

طبعت المرحلة الأولى لتاريخ العلاقات الموريتانية مع الدول المغربية - مرحلة ما بعد الاستقلال - الكثير من التوتر والتناظر نظرا للمطالب المغربية بموريتانيا وهو ما رفضته هذه الأخيرة وسعت إلى محاصرة الدبلوماسية المغربية من خلال إنتزاع إعتراف الدول الحليفة للمغرب.

غير أن نهاية الستينيات وبداية السبعينيات ستكون مرحلة هامة من الانسجام والتعاون بين موريتانيا والدول المغربية حيث ستسعى هذه الدول إلى مد جسور التعاون والتواصل مع نواكشوط في المجالات السياسية الاقتصادية والثقافية وهو ما سينعكس على مستوى التعاون وتطابق وجهات النظر بين موريتانيا وهذه الدول.

الكلمات الافتتاحية: موريتانيا، الدول المغربية، التعاون، القمة الإسلامية بالرباط.

Abstract

The first stage of the history of Mauritania's relations with the Moroccan States - the post-independence phase - was characterized by a great deal of tension and dissonance in view of Morocco's demands on Mauritania, which the latter rejected and sought to blockade Moroccan diplomacy by extracting the recognition of Moroccan-allied States.

However, the end of the 1960s and the beginning of the 1970s will be an important stage of harmony and cooperation between Mauritania and the Maghreb States. These States will endeavour to build cooperation and communication with Nouakchott in the political, economic and cultural spheres, which will be reflected in the level of cooperation and convergence between Mauritania and those States.

Key Words: Mauritania, Maghreb States, Cooperation, Rabat Islamic Summit.

إذا كان طابع الغموض سمة بارزة لعلاقات موريتانيا مع العالم العربي، فإن المجموعة المغربية تعتبر أكثر غموضا وضبابية بحكم قلة الدراسات العلمية والأبحاث الأكاديمية المنجزة في هذا الميدان، سواء من طرف الباحثين الموريتانيين أو الأجانب، إذا ما استثنينا بعض الدراسات التي في غالبها دراسات قانونية، أو مذكرات شخصية.

واعتبارا من هذا الواقع تأتي هذه المحاولة للإسهام - حدود الإمكان - في إبراز أهم المنعطقات والمراحل التي مرت بها العلاقات الموريتانية- المغربية وما اعترى تلك العلاقة من تحريك لنوازع الفصل أحيانا، وتفعيل لعوامل الوصل أحيانا أخرى.

من النادر أن نجد مجموعة تتوفر على عناصر التجانس مثل التي تتوفر عليها بلاد المغرب، فرغم وحدة الدين واللغة والتاريخ البشري المشترك، فإن للجغرافيا أيضا حضورها حيث تعتبر هذه البلدان امتدادا طبيعيا لبعضها البعض¹.

إن عناصر التجانس هذه مدعاة إلى التقارب أكثر منها إلى التنافر، لذلك فإنه سرعان ما تبين الساسة في هذه البلدان أن دهر الخلافات يجب أن ينصرم وأن تبدأ صفحة جديدة من التعاون لأن العصر عصر تكتلات واتحادات، ولا مجال فيه للتفرق.

لقد ارتبطت موريتانيا منذ القدم بعالم الشمال الإفريقي الذي أثر تأثيرا بالغا في تكوين المجتمع بشريا وثقافيا واقتصاديا، تدعمت تلك الروابط أكثر خلال الهجرات المتتالية من الشمال إلى الجنوب.

وخلال الحقبة الاستعمارية سعت فرنسا إلى ربط موريتانيا بدول الجنوب الإفريقي من خلال تشابك النظم الإدارية والقانونية والمالية الذي تولته الحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية بداكار، إلا أن ذلك وُلد شعورا وطنيا لدى الموريتانيين بضرورة التوجه إلى الشمال مؤكدين بذلك هويتهم العربية وارتباطهم الوثيق بالدول المغاربية.

وموريتانيا عبر مراحل تاريخها حاولت أن تظل جسر عبور واتصال بين إفريقيا الشمالية وإفريقيا جنوب الصحراء، وقد أهلها موقعها الجغرافي ومورثها التاريخي، وتكويناتها الإثنية، لأن تكون حلقة وصل بين بيض الشمال وسود الجنوب².

وخلال الفترة الأولى للاستقلال كانت موريتانيا تعيش مرحلة حرجة من تاريخها المعاصر سواء على المستوى الداخلي والخارجي، أثرت على علاقاتها المغاربية.

فعلى المستوى الداخلي ورثت عن المرحلة الاستعمارية اقتصادا متخلقا، حيث لم يترك الاستعمار أي بنى تحتية أو منجزات اقتصادية تصلح كأساس للتوسع والتطور، فضلا عن انعدام الأطر، وضعف موارد الدولة الطبيعية التي لم تكن تمثل سوى 43% من ميزانية مخصصة لتسيير العمل الإداري³، لذلك فإننا نستطيع أن نقول بأن موريتانيا لم تعرف من الاستعمار إلا وجهه القبيح، زد على ما تقدم الصراعات المتواصلة بين الاتجاهات السياسية المتعددة المشارب والمآرب تبعا لإيديولوجيات وتوجهات أصحابها، وما يحمله ذلك من مخاطر على الوحدة الداخلية للبلد، وما له من انعكاسات على خيارات السياسة الخارجية.

1 - عائشة بنت الشيخ: موقف المغرب من اتحاد المغرب العربي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، 2007، ص 6.

2 - محمد سعيد بن أحمدو: موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الإفريقي، دراسة في إشكالية الهوية السياسية (1960-1993) مركز دراسات الوحدة العربية 2003 بيروت، الطبعة الأولى ص 260.

3- وزارة الثقافة والإعلام، مركز التكوين والإعلام: موريتانيا أرض الرجال، نواكشوط 1975. ص 38.

أما على المستوى الخارجي فقد انصبت توجهات الدولة على دعم الاستقلال الوطني، والوقوف في وجه مشاريع الاستقطاب الإقليمي¹ للدول الفتية، وأكدت موريتانيا بذلك شخصيتها المنفردة التي لا تذوب في الشمال ولا تندمج في الجنوب، مع سعيها إلى ربط علاقات وثيقة مع جميع الأطراف. وهكذا ظلت تتجادب موريتانيا عدة تيارات كادت تعصف بالكيان الوليد، وعبرت من ناحية أخرى عن هشاشة تماسكها الداخلي وتواضع دفاعاتها، وعدم الحسم في خيارات التوجه العربي أو الإفريقي. ويمكن تحديد العلاقة بين البعدين المغربي والإفريقي لموريتانيا، في كون البعد المغربي جزء من كيانه جنسا ولغة ودينا أما الإفريقي فهو جزء من تاريخها بدأ مع الطرق والقوافل التجارية وتدعم مع المرابطين الذين نشروا من الأراضي الموريتانية الدين الإسلامي في اتجاه الجنوب، ولتوضيح الصورة أكثر فإننا نستعير ما ذهب إليه الباحث سعد خليل من أن البعد العربي لموريتانيا حضاري وبشري وطبيعي، أما البعد الإفريقي فهو اقتصادي وتكميلي².

1- هذه المشاريع هي مشروع فدرالية مالي، ومنظمة الأقاليم الصحراوية، والمطالب المغربية. أما الأول مشروع فدرالية مالي: ترعّمته القوى السياسية السنغالية والمالية، وكانت تهدف إلى تجميع أقاليم غرب إفريقيا ضمن دولة فيدرالية، وقد رفضت موريتانيا المشروع واعتبرته طعنا في مطالبها الاستقلالية، وانحدرت من ذلك حركتين مولييتين للاتجاه الداعي إلى فيدرالية مالي - وهما أساسا من الزنوج - وهما:

- الكتلة الديمقراطية لأبناء غورغل.

- اتحاد المنحدرين من جنوب موريتانيا.

أما المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية فقد برزت إثر اكتشاف معادن في المنطقة الصحراوية (الحديد والنحاس في موريتانيا، والبتروال والغاز في الجزائر)، ولعل مما زاد من حماس فرنسا إلى هذا المشروع هو استقلال كل من المغرب وتونس وتساعد الثورة الجزائرية، فحلمت بإنشاء هذه المنطقة كي تسيطر من خلالها على ثروات الصحراء، وتكون فضلا عن ذلك قاعدة قوية تضرب بها عنق من يريد الخروج عليها في المناطق المجاورة، وكان الموقف الموريتاني من هذه المنظمة واضحا وصلبا رغم الضغوط التي مورست من قبل فرنسا حيث اعتبرت موريتانيا قبول هذا المشروع خذلانا للمقاومة الجزائرية التي تريد الانعتاق من الاستعمار، راجع بهذا الخصوص:

عمر العسري: الأبعاد الجهوية والدولية للاستقلال الموريتاني، رسالة لنيل الدراسات العليا في القانون، جامعة الحسن الثاني، 1986 ص 55 إلى ص 103.

- بتار ولد العربي: الحياة السياسية والنشاط الحزبي في موريتانيا، رسالة لنيل الإجازة في التاريخ جامعة نواكشوط 1997 ص 42 وما بعدها.

أما مشروع الاستقطاب الأخير فهو الانضمام إلى المغرب وسوف نتطرق له لاحقا.

2 - سعد خليل: تكوين موريتانيا الحديثة، الجزء الثالث موريتانيا المستقلة، بحث لنيل رسالة الماجستير، معهد الدراسات والبحوث العربي، القاهرة، 1977 ص 964-965.

ورغم أن الدول المغربية تشترك مع موريتانيا في اللغة والدين والجنس والماضي المشترك والجغرافيا إلا أن علاقتها مع هذه البلدان مرت بعدة مراحل تطورت خلالها من التوتر والتباعد إلى التقارب ثم التعاون والانسجام.

وعلى كل حال لم تسر العلاقات الموريتانية المغربية في خط منسجم ومتكامل، وإنما تباينت من دولة مغربية إلى أخرى، ومن فترة زمنية إلى أخرى، حسب مستجدات الساحة السياسية وما تمليه من ظروف وتقلبات.

أولاً: العلاقات الموريتانية- المغربية وقمة الرباط

ظلت مواقف الدبلوماسية المغربية تتأرجح في تعاملها مع القضية الموريتانية ما بين التشدد والليونة – بسبب المطالب المغربية بموريتانيا – إلى أن اتخذت في النهاية قرار الحسم المتمثل في استدعاء موريتانيا لحضور المؤتمر الإسلامي الأول الذي عقد في الرباط 22 سبتمبر 1969، بعد الحريق الإجرامي الذي تعرض له المسجد الأقصى¹.

وكانت هذه الدعوة بداية تطبيع العلاقات بين البلدين، وخلال القمة السابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية المنعقدة في اديس ابابا في بداية سبتمبر 1969 ابلغ وزير الخارجية المغربي آنذاك الطيب بنهيمه الرئيس الموريتاني بأنه جاء مبعوثاً من طرف ملك المغرب "ليؤكد عزم جلالته على استدعاء موريتانيا لحضور القمة الإسلامية بالرباط، ويتمنى من صميم قلبه ان تقبلوا الحضور مما سيسمح بإنهاء الخلاف العارض القائم بين البلدين الشقيقين"².

وكان جواب الرئيس الموريتاني أنه إذا تلقى دعوة من الملك المغربي مماثلة لتلك التي ستوجه إلى رؤساء الدول المدعوة لحضور المؤتمر فسيرد عليها بالإيجاب، وفي 10 سبتمبر بعث ملك المغرب الحسن الثاني إلى "فخامة الرئيس السيد المختار ولد داداه رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتاني" برقية يدعوه فيها لحضور المؤتمر³.

ومع أن بعض المسؤولين في المكتب السياسي لحزب الشعب قد عارض حضور موريتانيا لهذا المؤتمر متذرعين بأن المغرب لم يعترف صراحة آنذاك باستقلال موريتانيا إلا أن هذه الحجة لا ترقى كسبب يتم الاعتماد عليه في وجه التقارب بين البلدين، لذلك ابرق الرئيس الموريتاني في يوم 15 من الشهر نفسه إلى الملك المغربي ليبلغه بقبول الدعوة، وفي 22 سبتمبر هبطت الطائرة التي تقل الوفد الموريتاني بمطار

1- السيد ولد أباه وآخرون: موريتانيا الثقافة والدولة والمجتمع، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية العدد 28 بيرت 1995 ص115.

2 - المختار ولد داداه : موريتانيا على درب التحديات، مذكرات أول رئيس لموريتانيا، الطبعة الأولى، باريس 2006 ص448 .

3- نفس المصدر والصفحة.

الرباط، واستقبلهم الملك الحسن الثاني محاطا بكبار موظفيه¹، وكانت تلك بحق هي القطرة التي أفاضت كأس العلاقات بين البلدين – إن صح التعبير – خلال هذه الرحلة، والشرارة التي أوقدت علاقات مثمرة من التشاور والانفتاح.

وهكذا عرفت علاقات البلدين مرحلة أخرى مهد لها الملك المغربي باعترافه بالجمهورية الإسلامية الموريتانية، محاولا محو ما قد يكون علق في نفوس الموريتانيين من حساسية تجاه المغرب الشقيق، وجاء ذلك في تصريح له خلال الندوة التي عقدها عقب المؤتمر الإسلامي الأنف الذكر، حيث قال: "بأنه لم يكن ضد استقلال موريتانيا، وأن موقفه بهذا الخصوص في الأمم المتحدة سنة 1960 كان تعبيرا عن إرادة والده محمد الخامس، كما صرح بأن الاعتراف ألزمته ثلاث متطلبات:

– الوحدة الإسلامية: وموريتانيا تسمى الجمهورية الإسلامية الموريتانية.

– العلاقات الجهوية في هذه المنطقة العربية من إفريقيا التي تربط بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط².

ولتطبيع العلاقة، كان المسار محددا بين البلدين بحيث يتم إرسال وفد موريتاني رفيع المستوى إلى المغرب في أكتوبر، تليه زيارة وفد مغربي من المستوى نفسه على موريتانيا، ويتم في النهاية تبادل السفراء، وبالفعل توجهت بعثة مساعي حميدة برئاسة أحمد ولد محمد صالح وزير الداخلية وحلمي ولد مكناس وزير الخارجية إلى المغرب في 31 أكتوبر 1969، وفي 13 يناير 1970 وصلت إلى انواكشوط بعثة مغربية برئاسة الجنرال أوفير وزير الداخلية³.

وفي 27 فبراير قدم أول سفير مغربي أوراق اعتماد في موريتانيا ويتعلق الأمر بقاسم الزهيري، ولنا أن نتساءل لماذا قاسم الزهيري بالضبط دون غيره ؟، لقد كان تعيين هذا الرجل – حسب اعتقادنا – دليلا كافيا على حسن النية المغربية فهو قد شغل منصب مدير جريدة "العلم" المعروفة بتعلقها بموريتانيا كما أنه أحد قيادي حزب الاستقلال، ولذلك كان اختياره بمثابة رسالة هامة بأن تلك المطالب قد انتهى عصرها، ومن جهة أخرى فإن قاسم الزهيري كان سفير المغرب بالسينغال ابتداء من 13 يناير 1961⁴، مما جعله يراقب القضية الموريتانية عن قرب ويلتقي بالمسؤولين الموريتانيين الذين حلوا بدكار وبذلك يكون من أكثر المغاربة معرفة بحديثات القضية وبالطرق الكفيلة بتوطيد العلاقات، وقبل تبادل السفراء

1- المصدر السابق، ص: 449.

2 – عبد الواحد الجراري: العلاقات المغربية الموريتانية (1969-1976) دراسة ووثائق منشورات جمعية تنمية البحوث والدراسات القضائية، الرباط 1981 ص 7

3 – موريتانيا على درب التحديات: مصدر سبق ذكره، ص 445.

4- قاسم الزهيري: مذكرات دبلوماسي عن العلاقات المغربية الموريتانية: تقديم عبد الهادي التازي، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى 1991 ص 12.

اجتمعت لجنة مشتركة موريتانية مغربية في 24 يناير 1970 ووضعت مشروع اتفاقية تجارية وعلمت على فتح خط نقل بحري بين البلدين.

وبهذا تكون الدبلوماسية المغربية قد ساهمت في خلق الظروف المواتية لتطبيع العلاقات بين البلدين، كما ساعدت في إبعاد شبح الخوف الذي طبع السلوك السياسي الموريتاني تجاه المغرب، وبذلك انفتح الطريق أمام موريتانيا لمشاركة بقية الأقطار المغاربية في بناء مصيرهم المشترك¹.

لقد بدأت عدة لقاءات على أعلى المستويات بعد مؤتمر القمة الإسلامي، كان أولها الزيارة التي قام بها الرئيس الموريتاني 8 يونيو 1970 للدار البيضاء، حيث التقى مع الملك الحسن الثاني وتبادلا وجهات النظر حول القضايا التي تهم البلدين والمشاكل الدولية بصفة عامة، وقد صدر على إثر هذه الزيارة بلاغ مشترك²، أشير فيه إلى مختلف المواضيع التي تم التطرق لها وضرورة التنسيق بين البلدين، كما أعلن كلا الطرفين عن مواقفهما المتحدة من قضية بناء المغرب الاقتصادي وأزمة الشرق الأوسط، وأعلن الطرفان تعلقهما بميثاق الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية والإخلاص لمبادئ عدم الانحياز.

ونعتقد أن هذا البلاغ وإن جاء مطولا نوعا ما، فإن ذلك راجع ربما إلى أهميته فهو أول بلاغ يصدره الطرفان على أعلى مستوى، ومن جهة أخرى أريد منه أن يزيل الغموض وتوضح من خلاله معالم العلاقات بين البلدين، بعد فترة طويلة من السلبية، بعد هذا اللقاء مباشرة وقع وزيرا خارجيتي البلدين على معاهدة للتضامن وحسن الجوار والتعاون.

وفي 14 يوليوز 1972 قام الرئيس الموريتاني بزيارة ثانية للرباط تقابل خلالها مع الملك المغربي وأجرى معه محادثات حول مستقبل العلاقات، واتفقا على مضاعفة الاتصالات بين المسؤولين في البلدين من أجل تدعيم التعاون³.

ومن أجل تبديد الغيوم المخيمة على العلاقات المغربية جرت عدة لقاءات ثلاثية ضمت كلا من المغرب وموريتانيا والجزائر، كان أولها في أعقاب مؤتمر القمة الإسلامي في الرباط 1969، أما الاجتماع الثاني فقد تم في 14 سبتمبر 1970 بنواذيبو⁴ صدر على إثره بلاغ مشترك⁵، ناقش أهم قضايا الساعة آنذاك وفي مقدمتها الوضع في الصحراء التي تقع تحت الاحتلال الإسباني حيث جاء في البيان: ".... وبعد دراسة الوضع السائد في الصحراء الواقعة تحت السيطرة الإسبانية قرروا تقوية تعاونهم الوثيق للتعجيل بتحرير هذه الناحية من الاستعمار طبقا لقرارات منظمة الأمم المتحدة، ولأجل هذه الغاية أسسوا لجنة

1 - أحمد بنكوكوس: العلاقات بين دول المغرب العربي وآفاق الوحدة أطروحة لنيل دكتوراه دولة في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية الحقوق 1989، ص298.

2- البيان المشترك نسخة منه بحوزتي (بيان 8 يونيو 1970).

3- انظر البيان الصادر عن هذا اللقاء نسخة منه في مكتبي.

4 - مدينة موريتانية تقع على المحيط الأطلسي، وهي العاصمة الاقتصادية لهذا البلد.

5 - راجع هذا البيان نسخة في مكتبي.

ثلاثية للتنسيق عهدوا إليها بالمتابعة الدائمة لتطور عملية تحرير هذه الأراضي على المستوى السياسي والدبلوماسي¹.

ووقع الاتفاق على عقد لقاء آخر ثلاثي بين زعماء هذه الدول المغاربية (المغرب، وموريتانيا والجزائر)، وهذا ما تم في أكادير 23-7-1973، إلا أن هذا الاجتماع لم يتوج ببلاغ مشترك وإن كان أسفر عن أمرين².

- رغبة الرئيس الموريتاني في اندماج بلاده في حظيرة المغرب العربي والإسهام في تشييد صرحه وتقوية أركان مؤسساته.

- التأكيد على مبدأ تقرير المصير لقضية الصحراء المحتلة من طرف إسبانيا تنفيذا لقرارات الأمم المتحدة.

وبموازاة مع لقاءات القمة هذه جرت اتصالات أخرى على مستوى وزراء الخارجية كان الأول في الجزائر 4 يناير 1972، والثاني بنواكشوط 8-5-1973، وقد أثمرت هذه اللقاءات عن تقارب في وجهات النظر.

وإذا كانت هذه اللقاءات سواء على مستوى الرؤساء أو الوزراء والمندوبين السامين، قد ساعدت على تحسين العلاقات الموريتانية المغربية والجزائرية وتقليص الهوة القائمة بين هذه البلدان، والتي كان السبب الأساسي فيها - حسب اعتقادنا - هو الإرث الاستعماري ومخلفاته، فإن اللقاءات الموريتانية المغربية لم تقتصر فقط على المغرب والجزائر باعتبار القرب الجغرافي والمصالح المشتركة وإنما تعدتهم إلى تونس الحليف الأول وليبيا الصديقة الجديدة (منذ سبتمبر 1969).

فقد قام الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بزيارتين رسميتين لموريتانيا كانت الأولى في منتصف الستينيات وتحديدًا في نوفمبر 1965، بينما كانت الزيارة الثانية ما بين 19-21 ديسمبر 1973، وعبر الشعب الموريتاني في هاتين المناسبتين عن مدى اعترافهم بالجميل وتقديرهم للموقف التونسي وزعيمه "بورقيبة" وذلك من خلال حفاوة الاستقبال الذي خص به السكان الوفد التونسي³.

كما قام الرئيس المختار ولد داداه بعدة زيارات لجمهورية تونس، وكان في كل مرة موضع استقبال حار من قبل الشعب التونسي الشقيق وقائده، وقد اتخذت هذه الزيارات شكل زيارات رسمية أحيانًا، وشخصية أحيانًا أخرى، خصوصًا عندما كان الرئيس الموريتاني يعود الرئيس بورقيبة أثناء الأمراض التي كانت تنتابه⁴.

1- راجع ملحق قمة انواذيبو نسخة في مكتبتني.

2- عبد الواحد الجباري: مرجع سبق ذكره، ص14.

3- موريتانيا على درب التحديات، مصدر سبق ذكره، ص500.

4- نفس المصدر والصفحة.

وقد تعددت كذلك الزيارات واللقاءات بين موريتانيا والجمهورية العربية الليبية، مما أثر إيجابيا عن التعاون بين البلدين، ساعدت على هذا التعاون نقاط التشابه بين البلدين، فهما ينفردان عن الدول المغربية الأخرى بقلّة السكان وكبر المساحة، وكذلك وفرة المعادن والخيرات المكنونة في أرض كلا البلدين، وكلاهما تشترك في حدودها مع دول من إفريقيا السوداء.

ونتيجة ذلك أحس البلدان بضرورة التكامل بينهما خدمة لمصالحهما المشتركة، فكل منهما إما أن ينكفي على نفسها في عزلة خانقة ستؤول به لا محالة إلى مزيد من التخلف، أو يعمق الانخراط الثنائي المثمر بين البلدين، تحسبا لتعاون إقليمي يشمل باقي الدول المغربية¹.

وبعد جو التقارب الموريتاني الليبي وصلت أول بعثة سياسية ليبية إلى انواكشوط من أجل إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين وتم ذلك بالفعل في 9 يناير 1970، وكان رئيس هذه البعثة بمثابة القائم بأعمال، وفي شهر أغسطس من نفس السنة قدم أول سفير موريتاني أوراق اعتماده إلى الرئيس الليبي معمر القذافي².

ثم توجه الرئيس الموريتاني إلى الجمهورية العربية الليبية في 11 مايو 1970، فاتحا بذلك المجال أمام عدة لقاءات أخرى بين الطرفين، كان أبرزها زيارة القذافي للجمهورية الإسلامية الموريتانية من 15 إلى 19 فبراير 1972، ونتيجة للروابط الحميمة بين البلدين آنذاك، فقد تقدم الرئيس الليبي باقتراحين³ حساسين، أولهما أن تنضم موريتانيا إلى "اتحاد الجمهوريات العربية" الذي يضم آنذاك ليبيا ومصر وسوريا. ولم تخن الرئيس الموريتاني الحرج لرفض هذا الاقتراح بطرق مهذبة مع ضيفه متذعرا بالتباعد الجغرافي، والثنائية العرقية للبلد (بيض - سود) مما يفرض التوازن بين العلاقات العربية والإفريقية، وعدم إهمال إحداها على حساب الأخرى.

أما الاقتراح الثاني: هو أن تقبل موريتانيا بإقامة قاعدة عسكرية ليبية في شمالها من أجل محاربة الإسبان في الصحراء، وقد ذكره المختار ولد داداه بأن قادة المغرب والجزائر وموريتانيا قد قرروا منذ قمة نواذيبو في سبتمبر 1970 انتهاج سياسة التشاور بهذا الخصوص، وأن هذه البلدان الثلاثة شكلت مع إسبانيا لجنة مكونة من وزراء الخارجية تجتمع دوريا وتتابع عن كثب تطورات هذه القضية⁴.

إن هذه الاقتراحات وإن جاءت غريبة من القذافي إلا أنها تنم عن صادق إخلاصه تجاه موريتانيا آنذاك، وعن رغبة أكيدة منه ومن حكومته لنسج علاقات وثيقة مع الشقيقة موريتانيا، كما أننا نلمس فيها الشعور

1 - محمد ماء العينين بن خليفة: دور موريتانيا في التكامل الاقتصادي العربي المنشود، كلية العلوم القانونية والاقتصادية، جامعة انواكشوط 1985، ص10.

2- أحمد بن سيديا بن محنض: العلاقات الموريتانية الليبية، مرجع سبق ذكره، ص28.

3- موريتانيا على درب التحديات: مصدر سبق ذكره، ص505.

4 - نفس المصدر: ص506.

القومي الذي تجاوز الشعوب آنذاك ليحط رحاله بين الحكومات مجسدا اتحادات ظلت تعزف على وتر الوحدة والتضامن، لكن هذه الاتحادات مع الأسف وُلدت ميتة لعدم توفرها على سبل النجاح. وقد زار الرئيس الليبي بعض المدن الموريتانية وأطلع على مختلف أوجه العمران الذي لا يزال في ذلك في أطواره الجنينية، فزار مدينة روصو¹ وأبي تلميت²، وشنقيط³، بالإضافة إلى العاصمة الاقتصادية انواذيبو، وفي هذه المدن كان الرئيس الليبي والوفد المرافق له محط استقبال بهيج من طرف السكان، وبالرجوع إلى الخريطة الموريتانية نجد أن الوفد الليبي قد زار معظم ولايات الوطن رغبة منهم في توطيد العلاقات مع الشعب الموريتاني.

ولم يقتصر تبادل الزيارات على الرؤساء، وإنما كان هناك تبادل دائم بين الوفود الوزارية والخبراء، ومن ذلك الوفود الليبية التي قامت بدراسة عمل "حزب الشعب" الموريتاني وطرق تأطيره للجماهير، بغية استلهاهم تجربته في الميدان السياسي، كما قامت موريتانيا أيضا بإرسال بعثات للتعرف على التجربة السياسية الليبية من أجل الاستفادة منها⁴.

ورغبة من الدولتين في توطيد عرى التعاون بينهما، أنشأت لجنة وزارية مشتركة مكلفة بتفعيل التعاون في كافة المجالات⁵، وتعد هذه اللجنة دورة عادية كل ستة أشهر بالتناوب بين طرابلس وناواكشوط، وتتجلى أهمية هذه اللجنة في كونها تمثل إطارا ملائما يسير ضمنه التعاون بين البلدين، وتحدد أسسه وأهدافه وترسم له المجالات التي يتحرك فيها، ولا شك أن هذه اللجنة المشتركة المشكلة من الطرفين تعبر عن مدى رغبة الدولتين في توسيع مجالات التعاون لتشمل مختلف الميادين الاقتصادية والفنية والثقافية كما أن تشكيلها أيضا يمنح هذا التعاون نوعا من العمق والاستمرارية لأنه نابع عن دراسة وتشاور بين المختصين والخبراء على مستوى رفيع.

إن هذه اللقاءات والزيارات، التي سردناها فيما تقدم بين موريتانيا والدول المغاربية تمخضت عن جملة من المعاهدات واتفاقيات التعاون أثرت إيجابيا على مرحلة تحسين العلاقات بين موريتانيا ومحيطها المغاربي، فجاءت "معاهدة الأخوة وحسن الجوار" الموقعة في 8 يونيو 1970 بين موريتانيا والمغرب⁶ فاتحة عهد جديد من التعاون والانسجام، وقد رسمت هذه المعاهدة الخطوط العريضة لمستقبل العلاقات بين البلدين

1 - مدينة موريتانية تقع على ضفة النهر، وهي نقطة الحدود بين موريتانيا والسينغال وعاصمة ولاية اترارزة في الجنوب الغربي الموريتاني.

2 - مسقط الرأس الموريتاني المختار ولد داداه، تقع على بعد 150 كلم شرق العاصمة.

3 - مدينة تاريخية، أطلق اسمها على سكان موريتانيا بشكل عام، تشتهر بعلمائها وحفاظها ونخيلها الوافر.

4- موريتانيا على درب التحديات: مصدر سبق ذكره، ص.ص 504-505.

5 - محمد بن ماسيري: التعاون العربي الليبي الموريتاني، أفاق التكامل الثنائي، بحث لنيل الإجازة في القانون، جامعة انواكشوط 1991، ص 29.

6 - راجع هذه المعاهدة، نسخة في مكتبتي.

والأسس التي تتبني عليها والمتمثلة في السلم الدائم والصداقة المتينة والجوار المثمر (المادة الأولى)، والتعاون في جميع الميادين وخاصة الاقتصادية والثقافية (المادتين 3.2)، واستبعاد وسائل العنف لكل منازعاتهما في ظل الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية (المادة 4)، وعدم الانخراط في أي حلف موجه ضد أحدهما (المادة 5).

وتدخل هذه الاتفاقية حيز التنفيذ يوم الإمضاء عليها، على أن يسري العمل بمقتضاها مدة عشرين سنة من تاريخ التوقيع وتتجدد تلقائيا ولنفس المدة (عشرين سنة) ما لم يصدر من أحد الطرفين عكس ذلك¹. وتنفيذا لما تم الاتفاق عليه في المعاهدة السابقة من تنمية العلاقات في جميع الميادين، عمل الطرفان على إبرام عدة معاهدات أخرى مثل "الاتفاق التجاري"² الذي بمقتضاه تُلغى التعرفة الجمركية عن بعض البضائع حسب قوائم محددة لتسهيل عملية الإيراد والتصدير (المادة 1)، كما ينص على تكوين لجنة مختلطة تتكفل بدراسة التعديلات المحتملة وتجتمع مرة واحدة كل سنة على الأقل على أن تتقدم باقتراحاتها حول تنمية المبادلات وتطوير العلاقات التجارية بين البلدين، حرصا على تتبع حركة التجارة ، وتنص الاتفاقية على أن تتبادل السلطات المختصة دوريا المعلومات المتعلقة بهذه المبادلات ولا سيما إحصائيات الواردات الخاصة بالبضائع المحددة في اللوائح المرفقة بالاتفاقية³.

وقد سبق إبرام هذه المعاهدة إقامة معرض تجاري مغربي في انواكشوط شارك فيه وفد من كبار الموظفين المغربية وممثلين عن مكتب التصدير وشركة الملاحة وشركات السكر، وجماعة من رجال الأعمال المغربية، وجرى تعارف بينهم وبين نظرائهم الموريتانيين، لتكريس التعاون بين الطرفين، وتم التفكير في إنشاء شركة مغربية موريتانية للتوزيع والتصدير تساهم فيها شركتا التجارة الخارجية في كلا البلدين، كما تقرر تأسيس شركة موريتانية للملاحة والترانزيت يساهم المغرب في رأس مالها⁴.

كما عقد الطرفان في نفس الوقت "اتفاقية بحرية لتنمية المبادلات الاقتصادية، ومن أهم مقتضيات هذه الاتفاقية: تأكيد الطرفين على تمسكهما بمبدأ حرية الملاحة والامتناع عن كل تصرف من شأنه أن يعرقل نمو التجارة، وأن يعامل كل من الطرفين بواخر الطرف الآخر في موانئه كما يعامل بواخره، وتقديم منتهى التسهيلات الإدارية والجمركية والصحية لبواخر الطرف الآخر⁵.

1 HORMAT ALLAH Moussa : contribution à l'étude des relation de maroco –mauritanienne Mémoire pour l'obtention du D.E.S en droit publique université Mohamed V, faculté du droit, Rabat,1987.p25

2- راجع المعاهدة، نسخة بحوزتي .

3 - راجع نفس المعاهدة.

4- قاسم الزهيري: مذكرات دبلوماسي عن العلاقات المغربية الموريتانية، مرجع سبق ذكره، ص115.

- عبد الواحد الجزائري: مرجع سبق ذكره، ص22، للمزيد من المعلومات راجع 5

Ould Alioua kaba : la coopération de la mauritanie avec pays du maghreb : problèmes et perspectives.

واقترعا من الدولتين بما يحقق الاستغلال المنظم للثروات السمكية على طول سواحلها وضرورة المحافظة عليها، اتفقتا على جملة من المقتضيات في هذا الميدان أهمها¹:

- التزام الطرفين بتنمية تعاونهما في مجال الصيد البحري وخصوصا إنشاء شركات مختلطة في الميادين الآتية:

- بناء السفن.

- التجهيز للصيد.

- تسويق المنتجات البحرية.

- التشاور من أجل تنمية البحث العلمي والتقني في ميدان الصيد، وتبادل المعلومات والدراسات الخاصة بعلم البحار والبيولوجيا البحرية وإحصائيات الصيد.

- السماح لكل طرف استعمال موانئ الطرف الآخر بقصد إصلاح البواخر أو تزويدها أو تخزين منتجات الصيد.

- التزام الطرفين بتنسيق تشريعاتهما المتعلقة بالصيد البحري.

- إنشاء لجنة فنية مختلفة تجتمع كل سنة على الأقل تختص بدراسة واقتراح الوسائل المناسبة والكفيلة بتقوية التعاون بين البلدين في ميدان الصيد.

- تقدم المملكة المغربية لموريتانيا العون في إطار المساعدات الفنية وتكوين الإطارات، وذلك بتخصيص منح وأماكن في المدارس البحرية للطلبة والمتدربين الذين تعينهم الحكومة الموريتانية.

ولم تقتصر الاتفاقيات على النقل البحري وإنما تعدتها إلى النقل الجوي، نظرا لما يكتسبه هذا الميدان من أهمية بالغة في تشجيع التواصل بين البلدين، فحصل اتفاق على تدشين الرحلات الجوية بين موريتانيا والمغرب في بداية نوفمبر 1970².

أما فيما يخص التعاون الثقافي والتقني والعلمي فقد وقع الطرفان على ما يلي³:

- العمل المشترك بروح التضامن الأخوي من أجل ازدهار العلوم والفنون وتدعيم تراثهما الثقافي.

- تشجيع التبادل الثقافي بين الطرفين بجميع أشكاله وذلك عن طريق تبادل المعلومات والمستندات التربوية وإحياء التظاهرات التي تعرف بكلا البلدين.

- وضع ككل طرف مجموعة من المنح الدراسية رهن إشارة الطرف الآخر.

- تشجيع التعاون في ميادين الإعلام والصناعة التقليدية والسياحة.

1- نفس المرجع، ص ص: 23-24.

2 - قاسم الزهيري: مذكرات دبلوماسي، مرجع سبق ذكره، ص 116.

3- عبد الواحد الجزائري: مرجع سبق ذكره، ص ص: 25-26.

- تسهيل التعاون بين مختلف المنظمات الوطنية المهمة بالنشاطات الثقافية وتنظيم الرحلات الدراسية والسياحة واستيراد الكتب.

وإثر الدعوة التي وجهها وزير الخارجية الموريتاني¹ إلى نظيره المغربي، قام هذا الأخير بزيارة إلى موريتانيا من 18 إلى 20 سبتمبر 1972، وقد صادق الطرفان على عقد اتفاقية قضائية وإلغاء التأشيرة بين البلدين، كما اتفقا على بعض النقاط نرى أن من أهمها ما يلي:

- في مجال التعاون المصرفي: طلب مدير البنك المغربي للتجارة الخارجية إيفاد بعثة من وزارة المالية الموريتانية إلى الدار البيضاء لدراسة الكيفية التي يمكن أن يساعد بها المغرب الشقيقة موريتانيا في هذا المجال.

- في المجال الثقافي: وضع المغرب تحت تصرف الجمهورية الموريتانية:

*44منحة دراسية لأصحاب التعليم العالي والثانوي.

*مائة ألف كتاب مدرسي.

*بعض التجهيزات المدرسية².

ثانيا: العلاقات الموريتانية- المغربية من قمة فاس إلى سقوط نظام الرئيس المختار داداه

خلال الزيارة التي قام بها الرئيس الموريتاني المختار ولد داداه لمدينة فاس من 9 إلى 10 ديسمبر 1974 تم الاتفاق على برنامج لتوسيع التعاون بين المغرب وموريتانيا: ففي ميدان المعادن تتعاون الشركتان المهمتان بالمعادن في البلدين (مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية B.R.P.M عن المغرب، والشركة الوطنية للتصنيع والمعادن (SNIM) عن الجانب الموريتاني) على الصعيد الفني والمالي من أجل بحث ومعالجة استثمار مناجم النحاس³.

وفي المجال الفلاحي تقدم المؤسسات المختصة بالموارد المائية في البلدين بإعداد دراسات خاصة بالينابيع الجوفية واستثمارها.

يقدم المغرب لموريتانيا مساعدات لتنمية وحدات الكلاً وتغذية الماشية، وبيع السماد في موريتانيا بثمنه الداخلي في المغرب⁴.

1- هو حمدي ولد مكناس: أحد الشخصيات السياسية الموريتانية البارزة، وعضو المكتب السياسي في حزب الشعب، عرف بنشاطه الدبلوماسي وشخصيته الكارزمية.

2- عبد الواحد الجزائري: مرجع سبق ذكره، ص 28.

3- الطالب جدو ولد الزين: العلاقات الموريتانية المغربية "الحصيلة والآفاق"، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في

القانون، جامعة سيدي عبد الله، فاس 2005، ص 22.

4- عبد الواحد الجزائري: مرجع سبق ذكره، ص 43.

إننا نقول وبكل اطمئنان ان هذه الاتفاقيات بين المغرب وموريتانيا تدل على رغبة جامعة لدى الطرفين في إحياء تعاون مثمر بينهما، وإغلاق الحقبة السابقة على التقارب، والتي بنت جدارا من المخاوف والشكوك لم يتسن تحطيمه إلا بإشاعة روح الأخوة والتعاون بين البلدين.

وإذا كان المغرب قد أبدى تعاطيه واستعداده لدعم التعاون مع جارتها موريتانيا إلا أن ذلك لم يقتصر عليه، بل وجدت الرغبة نفسها لدى باقي الأقطار المغاربية لتقوية الصلة مع موريتانيا، خلال هذه المرحلة من المراحل التي مرت بها العلاقات الموريتانية المغربية.

فقد أنشئت الحكومة الليبية والموريتانية لجنة مشتركة في 20 أبريل 1972 تقوم بإعداد وتقديم مقترحات ذات طبيعة توجيهية لمصادقة الحكومتين عليها، كما تهتم بتسوية المشاكل التي يمكن أن تنتج عن تطبيق الاتفاقيات والمعاهدات ووضعية مواطني كلا البلدين¹، وقد عقدت هذه اللجنة أول اجتماع لها في انواكشوط من 1 إلى 5 مايو 1972 وفي هذا الاجتماع قدم الجانب الموريتاني المشاريع التالية للبحث:

- مشروع تأهيل بحيرة اركيز²، ومشروع أفطوط الساحل³.

- مشروع بناء ثانوية بانواكشوط.

- مشروع طريق انواكشوط أبي تلميت، وأطار شنقيط

وصادق الجانب الليبي مبدئيا على هذه المشاريع وأحالها للدراسة، وفي جلسة الحكومة الليبية المنعقدة في 12 نوفمبر 1972 صادقت على إنشاء ثانوية تعرف (بالثانوية العربية)، بتكلفة 293 مليون فرنك، وتقديم قرض لإحياء التراث الموريتاني بقيمة 130 ألف دينار ليبي، وتقديم منح دراسية للطلاب الموريتانيين الراغبين في متابعة دراستهم في الجماهيرية الليبية⁴.

وعندما نزلت موريتانيا إلى الاستقلال الاقتصادي عن فرنسا حين أقدمت على قرارها الثوري المتمثل في إنشاء العملة (الأوقية) 1973، والخروج من منطقة الفرنك الغربي الإفريقي، وقفت ليبيا إلى جانبها، وقدمت قرضا وودائع مهمة لدى البنك المركزي الوليد، وأنشأت في الوقت نفسه مصرفا في انواكشوط

1- أحمد بن سيديا بن محنض: مرجع سبق ذكره، ص 29.

2 - تقع مقاطعة أركيز في ولاية الترارة التي تشغل الجنوب الغربي الموريتاني للمزيد من المعلومات راجع: بشرى بن محمد

الولائي: جغرافية موريتانيا، الطبعة الأولى (د.ن) 1993، ص 128 وما بعدها.

3- يعتبر هذا المشروع من اكبر المشاريع التنموية في موريتانيا ويهدف على نقل مياه النهر إلى العاصمة عبر أنابيب ذات سعة كبيرة جدا ومع ما يدره المشروع من أهمية ليس للعاصمة فقط وإنما على طول الخط الرابط بين نهر السنغال وانواكشوط إلا أن المشروع لم تتم المصادقة عليه آنذاك، وانتظر المشروع فترة طويلة بعد ذلك حتى تمويله من جهات مانحة .

4 - أحمد بن سيديا بن محنض: مرجع سبق ذكره، ص 30.

(يعرف بمصرف شنقيط)¹، وحين رفضت فرنسا فتح اعتماد خزينتها في البنك الموريتاني بناء على طلب من هذا الأخيرة، سارعت ليبيا إلى فتح حساب إيداع في البنك المركزي الموريتاني وأودعته نفس المبلغ الذي طلبته موريتانيا من فرنسا².

إن هذا الدعم الليبي السخي لموريتانيا أرغم فرنسا على العدول عن خططها الرامية إلى مقاطعة موريتانيا اقتصاديا من أجل إجبارها على العودة إلى منطقة الفرنك، لأن نجاح الموريتانيين في هذا القرار -حسب فرنسا- سوف يغري باقي دول غرب إفريقيا كي تحذو حذوها، مما يعني تهديد سلامة الوجود الفرنسي في المنطقة وكسر هيبتها.

وفي 10 أبريل 1975 قدمت ليبيا لموريتانيا قرضا بقيمة 7 مليون دينار ليبي يبدآن تسديده بعد سنة من تسليمه ويسدد على أربعة أقساط³، كما قدمت ليبيا أيضا مساهمة معتبرة في إنشاء طريق الأمل⁴. من جانبها قدمت تونس هي الأخرى عوناً لموريتانيا - الخارجة لتوها إلى الوجود - لا غنى لها عنه، وهو مجال المصادر البشرية، فقد أشرفت على تخريج أعداد كبيرة من الطلاب الموريتانيين في مختلف التخصصات بالكليات والمدارس التونسية خاصة قطاع الطيران المدني الذي كونت فيه فنيين وطيارين أكفاء⁵.

ولم تشذ عن القاعدة في دعم التعاون الموريتاني الجزائري، فقد أدلت هي الأخرى بدلوها، فكوّنت العديد من الأطر الذين عولت عليهم الدولة في انطلاقها في جميع الميادين، وهذا ما يسفره أن أكبر جالية طلابية موريتانية في الخارج، كانت بالجزائر إبان قطع العلاقات بين البلدين، بمبادرة من موريتانيا نتيجة تدميرها من التدخلات الجزائرية في شأن الصحراء، ودعمها لجبهة البوليساريو.

ومع أن الدعم الليبي لإنشاء العملة الموريتانية (الأوقية) كان مهماً للغاية إلا أنه لولا العون النفيس الذي قدمته السلطات المصرفية الجزائرية لما تم الاستقلال النقدي الموريتاني في الظروف المرضية التي تم فيها، فقد أثبتت السلطات الجزائرية كثير من التضامن والتفاني في إنجاح هذه العملية "الثورية" بدءاً بإعداد الأطر الذين كان تكوينهم في غاية السرية وانتهاء بطبع العملة.

وفي الأول من نوفمبر 1973 تم إنشاء الشركة الموريتانية الجزائرية للصيد والتي يبلغ رأس مالها حوالي 180 مليون أوقية تمتلك موريتانيا منها 51 % وفضلاً عن أهمية هذه الشركة في دعم الاقتصادي

1 - موريتانيا على درب التحديات: مرجع سبق ذكره، ص 504.

2 - نفس المصدر والصفحة.

3- وثائق وزارة الخارجية الموريتانية (قطاع آسيا والعالم العربي).

4 - يربط هذا الطريق بين العاصمة انواكشوط والحوض الشرقي، مروراً بولاية البراكنة والعصابة والحوض الغربي، ويبلغ

طول هذا الطريق 1200 كلم وقد ساعد في فك العزلة عن هذه المناطق وربطها بالمناطق الحيوية على شاطئ المحيط

5- موريتانيا على درب التحديات: مصدر سبق ذكره، ص 499.

الموريتانية في جانب مهم وهو جانب الصيد البحري فإن هذه الشركة وفّرت العديد من فرص الشغل للموريتانيين¹.

وخير دليل على التوافق والتضامن الموريتاني الجزائري، هو التوقف الذي قام به الرئيس الموريتاني المختار ولدداداه في الجزائر في أغسطس 1974 قادما من تونس حيث التقى بالرئيس بومدين وأطلعته على قرارا تأميم شركة ميفرما² تحت غطاء من السرية التامة، وعرض عليه الرئيس الجزائري أنه إذا سحبت فرنسا موظفيها الذين لا يمكن للشركة أن تسير بدونهم فإن الجزائر سوف ترسل أطرها ليحلوا محل الفرنسيين، كما اتفق الرئيسان على أنه سيتم بمناسبة عيد الاستقلال الموريتاني وضع وحدات جزائرية في حالة استنفار، وسيكون بومدين يوم 28 نوفمبر 1974 في تيندوف القريبة من الحدود الموريتانية في انتظار الإشارة المحتملة للقيام بأي عملية ضرورية إذا ما هاجمت فرنسا موريتانيا³.

وشكل انضمام موريتانيا إلى جامعة الدول العربية مثالا على تلاحمها المغاربي واقتناعا من الدول المغاربية بالأهمية التي تمثلها موريتانيا كحلقة مهمة في التشكيلة المغاربية، ويرجع قبول موريتانيا في جامعة الدول العربية إلى المساندة التامة التي قدمها كل من المغرب والجزائر من أجل حصولها على العضوية.

فأثناء اجتماع وزراء الخارجية العرب في نيويورك يوم 12 أكتوبر 1973 لتوحيد جهودهم من أجل مساندة مصر وسوريا في معركتها ضد إسرائيل، خلال اليوم السابع للهجوم الذي بدأ باقتحام القوات المصرية قناة

1 - المختار ولد خليفة: الأبعاد الإقليمية للسياسة الخارجية الموريتانية، بحث لنيل شهادة الماجستير في القانون، جامعة الجزائر 2000، ص: 78-79.

2- أنشئت ميفرما في 16 فبراير 1952 لكن لم تصل أولى معدات التجهيز إلا في إبريل 1960، وكانت هذه الشركة تتولى استخراج المعادن في موريتانيا واسهمها موزعة كالاتي:

- مجموعة الشركات الفرنسية % 55.8

- البريطانية: 19

- الإيطالية: 15.2

- الألمانية: 5

- الحكومة الموريتانية: 5

هذه القسمة الغير منصفة هي التي دفعت بالحكومة الموريتانية في خطوة شجاعة يوم 28 نوفمبر 1974 إلى إعلان تأميم هذه الشركة، والقيام بتحويل كافة أملاكها والتزاماتها للشركة الوطنية للصناعة والمناجم (سنيم) لمزيد من المعلومات راجع:

- مهدي الصحاف ومصطفى الطاهر: هذه موريتانيا، دراسة في جغرافية موريتانيا الحديثة (ب.ت)، ص 115

- مجلة أحداث سنيم: نشرة تصدرها الشركة الوطنية للصناعة والمناجم، عدد يناير 1975 ص 16.

3 - موريتانيا على درب التحديات: مصدر سبق ذكره، ص 484.

السويس، وتقدم القوات السورية لتحرير هضبة الجولان¹، قدم المغرب طلب ترشيح موريتانيا لعضوية الجامعة العربية، وقرر وزراء الخارجية العرب بصفة مبدئية قبولها عضوا في الجامعة².

وبمساع حثيثة من الرئيس الجزائري هواري بومدين تم قبول موريتانيا كعضو كامل العضوية في الجامعة العربية أثناء مؤتمر القمة المنعقد في الجزائر يوم 26 نوفمبر 1973، وعندما بدأ المؤتمر تأخر الافتتاح 90 دقيقة عن الموعد المحدد بسبب اجتماع مغلق عقده الملوك والرؤساء العرب وقرروا فيه قبول موريتانيا، ورحب الرئيس الجزائري في كلمته الافتتاحية بانضمام موريتانيا، وأعرب عن أمله أن تسهم بجهود فاعل في الجامعة من أجل العرب، ثم دعا الرئيس الموريتاني للكلام بصفة استثنائية - حسب تعبير بومدين - فأعلن أن "موريتانيا ستعطي كل طاقتها لتلعب دورا مهما في الشؤون الإفريقية والعربية، وستكون طاقة جديدة، وجهة جديدة تساعد بصورة فعالة في تحرير القارة الإفريقية وتحرير فلسطين، وتحرير أراضي الدول العربية"³.

ويعتبر طلب انضمام موريتانيا للجامعة العربية حالة فريدة من نوعها فالمادة الأولى من ميثاق الجامعة تشير إلى أنه إذا رغبت دولة عربية مستقلة في الانضمام إلى الجامعة، قدمت طلبا إلى الأمانة العامة⁴، إلا أن طلب انضمام موريتانيا جاء عن طريق دولة عضو في الجامعة (المغرب) وليس عن طريق الدولة التي تريد الانضمام.

ومن جهة أخرى فإن قبول الدول في الجامعة العربية كان يتم الإعلان عنه في مؤتمر وزراء الخارجية، أما بالنسبة لموريتانيا فإن قمة الرؤساء هي التي تبنت عضويتها مباشرة، وبذلك تكون الدولة الوحيدة التي قبلت عضويتها بهذه الطريقة.

ولنا أن نتساءل لماذا تأخر انضمام موريتانيا إلى الجامعة العربية إلى عام 1973 بعد الاعتراف المغربي 1969، وزوال الاعتراض على الاستقلال الموريتاني الذي شكل العقبة الأساسية أمام فتح الأبواب العربية في وجه موريتانيا؟

قد يرجع ذلك إلى عدة عوامل تضافرت بعضها خارجي وبعضها داخلي، فعلى المستوى الخارجي كان الجانب العربي في أوج انشغالات بالصراع العربي الإسرائيلي على الجبهتين السياسية والعسكرية تمهيدا لحرب أكتوبر 1973، كما كان الشارع العربي يعيش لحظات احتقان بسبب التجاوزات الإسرائيلية.

1 - جمال المختار: العلاقات الموريتانية الإفريقية والعربية، بحث لنيل شهادة المايتريز في التاريخ جامعة نواكشوط 2006، ص ص: 59-60.

2 - سعد خليل: مرجع سبق ذكره، ص 1011.

3 - محمد سعيد بن أحمدو: موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الإفريقي، مرجع سبق ذكره، ص ص: 216-217.

4 - سعد خليل: مرجع سبق ذكره، ص 1012.

أما الشق الداخلي الموريتاني: فسياسة التعريب لم تأخذ طريقها الى التنفيذ إلا منذ عام 1971، والاتفاق بين موريتانيا وفرنسا على إلغاء اتفاقيات الدفاع والتعاون الثقافي وإعادة النظر في الاتفاقيات الأخرى لم يوقع إلا في 15 فبراير 1973، ومن الناحية الاقتصادية فإن الاستقلال النقدي لم يتحقق إلا بخروج موريتانيا من منطقة الفرنك الإفريقي، وإصدار العملة الوطنية (الأوقية) في 29 يونيو 1973، والواقع أن موريتانيا بهذه القرارات قد حققت استقلالها السياسي والاقتصادي والثقافي ووفرت الأرضية اللازمة لدخولها في المنظومة العربية للعب الدور المنوط بها من أجل بناء الصرح العربي.

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن هذه المرحلة شكلت في فترتها الأولى المرحلة الذهبية في العلاقات المغربية- الموريتانية، حينها تمكنت هذه الدول من رسم علاقاتها البينية على أساس من التعاون والاحترام، وعدم المساس بحريات ومصالح الطرف الآخر، إلا أن "قضية الصحراء" ستحدث اهتزازا جديدا في بنية العلاقات المغربية، وستشهد المنطقة فترة تصعيد كان الراجح الأول فيها هم الأعداء والخاسر هي الشعوب المغربية، غير أن مجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات كانت كفيلة بتبديد تلك الشكوك وفتح الباب أمام تعاون مثمر ليس مع المغرب فقط وإنما مع الدول المغربية الأخرى. وبهذا يتضح لنا مدى الدور الكبير الذي لعبه المغرب في العلاقات الموريتانية - المغربية سلبا وإيجابيا، وتأثرها دوما مدا وجزرا بالعلاقات الموريتانية- المغربية.

قائمة المصادر والمراجع:

- عائشة بنت الشيخ: موقف المغرب من اتحاد المغرب العربي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، 2007.
- محمد سعيد بن أحمدو: موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الإفريقي، دراسة في إشكالية الهوية السياسية (1960-1993) مركز العربية 2003 بيروت، الطبعة الأولى.
- وزارة الثقافة والإعلام، مركز التكوين والإعلام: موريتانيا أرض الرجال، نواكشوط 1975.
- عمر العسري: الابعاد الجهوية والدولية للاستقلال الموريتاني، رسالة لنيل الدراسات العليا في القانون، جامعة الحسن الثاني، 1986.
- بتار ولد العربي: الحياة السياسية والنشاط الحزبي في موريتانيا، رسالة لنيل الإجازة في التاريخ جامعة نواكشوط 1997.
- سعد خليل: تكوين موريتانيا الحديثة، الجزء الثالث موريتانيا المستقلة، بحث لنيل رسالة الماجستير، معهد الدراسات والبحوث العربي، القاهرة 1977.
- السيد ولد أباه وآخرون: موريتانيا الثقافة والدولة والمجتمع، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية العدد 28 بيرت 1995.
- المختار ولد داداه : موريتانيا على درب التحديات، منكرات أول رئيس لموريتانيا، الطبعة الأولى، باريس 2006
- عبد الواحد الجباري: العلاقات المغربية الموريتانية (1969-1976) دراسة ووثائق منشورات جمعية تنمية البحوث والدراسات القضائية، الرباط 1981.

- قاسم الزهيري: مذكرات دبلوماسي عن العلاقات المغربية الموريتانية: تقديم عبد الهادي التازي، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى 1991.
- أحمد بنكوكوس: العلاقات بين دول المغرب العربي وآفاق الوحدة أطروحة لنيل دكتوراه دولة في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية الحقوق 1989.
- البيان المشترك (بيان 8 يونيو 1970).
- محمد ماء العنين بن خليفة: دور موريتانيا في التكامل الاقتصادي العربي المنشود، كلية العلوم القانونية والاقتصادية، جامعة انواكشوط 1985.
- أحمد بن سيديا بن محنض: العلاقات الموريتانية الليبية، بح لنيل شهادة المتريز في القانون جامعة نواكشوط 1995.
- محمد بن ماسيري: التعاون العربي الليبي الموريتاني، أفاق التكامل الثنائي، بحث لنيل الإجازة في القانون، جامعة انواكشوط 1991.
- الطالب جدو ولد الزين: العلاقات الموريتانية المغربية "الخصيلة والآفاق"، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في القانون، جامعة سيدي عبد الله، فاس 2005.
- وثائق وزارة الخارجية الموريتانية (قطاع آسيا والعالم العربي).
- المختار ولد خليفة: الأبعاد الإقليمية للسياسة الخارجية الموريتانية، بحث لنيل شهادة الماجستير في القانون، جامعة الجزائر 2000.
- HORMAT ALLAH Moussa : contribution à l'étude des relation de maroco –mauritanienne. Mémoire pour l'obtention du D.E.S en droit publique université Mohamed V, faculté du droit, Rabat, 1987.
- Ould Alioua kaba : la coopération de la mauritanie avec pays du maghreb : problèmes et perspectives.

الشرف والولاية الصوفية بواحات المغرب في العصر الحديث
المرجعية المذهبية والعقدية

**Honor(Acharaf) and Sufi mandate(Alwilaya) in the oases of Morocco
in the modern
Era Religious and doctrinal reference**

الحاج ساسيوي Sassioui El Haj

أستاذ التعليم العالي مؤهل، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين،
مكناس، المملكة المغربية

Qualified Professor of Higher Education,
Regional Center for Education and Training Professions
Meknes, Kingdom of Morocco

10 عمارة كنوز، زنقة كيفة، شارع الجيش الملكي، مكناس
10 Imm Kounouz, Rue Kyfa, Avenue FAR, Meknes Meknès
elhaj.sassioui@yahoo.fr

ملخص: استمد تاريخ المغرب الحديث مقوماته من مختلف الروافد، سواء المادية أو الرمزية، ولذلك شكّل الشرف والتصوف أسسا فاعلة في دينامية الحياة الاجتماعية والثقافية في الفترة المذكورة، بالنظر لأهمية هاتين الفئتين، وأدوراهما العملية والرمزية إزاء المجتمع والسلطة، فكان لزاما البحث عن المرجعيات الدينية والتاريخية للشرف والولاية الصوفية وقيمتها الاعتبارية لدى المغاربة وقتئذ، وهو ما قام به محمد العربي الدرقاوي العلوي الحسني المدغري (ت. 1309هـ/1891م) في كتابه "الحسن الباهر في أهل النسب الطاهر" الذي فصل في ذلك بالمجتمع الواحي خلال القرنين 18 و19م.

الكلمات المفتاحية: المغرب- التصوف- المدغري- الدرقاوي- القرنين 18 و19.

Abstract:

The modern history of Morocco derived its foundations from various tributaries, whether material or symbolic. Therefore, honor and mysticism formed effective foundations in the dynamism of social and cultural life in the aforementioned period, given the importance of these two groups, and their practical and symbolic roles in relation to society and power. Therefore, it was necessary to search for religious and historical references to honor and state. Sufism and their legal value among the Moroccans at that time, which was done by Muhammad al-Arabi al-Darqawi al-Alawi al-Hasani al-Madghari (d. 1309 AH / 1891 CE) in his book "Al-Hassan al-Bahir fi Ahl al-Nasib al-Tahir", which elaborated on that in the revealed society during the 18th and 19th centuries AD.

Keywords : Morocco- Sufism- al-Madghari- al-Darqawi- the 18th and 19th centuries AD.

تتعدد مكونات الشخصية الحضارية للمغرب في العصر الحديث. وإذا كان البعض يشدد أهمية الأسس الفقهية، والعقدية، والصوفية في ذلك؛ فإن الجانب تلك المفاتيح لك تكن تتفاعل بمعزل عن المجتمع، وإنما كان هناك "طريق سيار" بين الأثر الفكري والمجتمعي في تشكيل المعالم الكبرى لتاريخ المغرب الحديث. ومن ثم فإننا أثرنا الوقوف تفاعلات الشرف والمجتمع بالمغرب الواحي الحديث من خلال كتاب "الحسن الباهر في أهل النسب الطاهر" لمحمد العربي الدرقاوي العلوي الحسني المدغري الكاوي (ت. 1309هـ/1891م)، لما يتضمنه من قضايا وإشكالات تتعلق بالبنى الثقافية والوجدانية والاجتماعية وقتئذ، وباعتباره مصدرا دفيما يكمل ما تتحدث عنه الكتب الإخبارية في هذا الصدد، تجعلنا نشدد على أهمية المصنفات المنقبة في إعادة قراءة التاريخ المحلي أو المنوغرافيات.

أولا- المرجعية الدينية للشرف والأشراف في المجتمع الواحي¹: حرص أعلام المغرب على إثبات نسبهم الشريف، نذكر على سبيل المثال ابن عجيبة، ومحمد الحراق، والمدغري الذين عملوا على إثبات نسبهم الشريف؛ فالأولان إدريسيان، والثاني حسني. كما أن أغلب الصوفية يتشبثون بهذه الخاصية؛ فالإمام الجيلاني يؤكد نسبه الشريف الذي يلصقه بالحسن السبط²، مما يجعلنا ننتبه إلى أهمية شرف النسب في التربية الصوفية؛ إذ يعتبره فريق من الصوفية عاملا تحفيزيا على اتخاذ شخص الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة للتأسي به. فكيف تتجلى تلك المعالم في كتاب "الحسن الباهر"؟

افتتح المدغري مؤلفه بحديثه عن سبب تأليفه له، فقال: "أما بعد لما كان نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم أشرف الأنساب، وحسبه العظيم أكرم الأنساب، ... ولما قصرت عن نشر فضائله إشارتي، ... تعلقة بنشر فضائل آله الأطهار، وآل بيته الأخيار"³. إن القراءة المتأنية لهذه الفقرة والتوقف عندها يجعل الباحث لا يكتفي بهذا التصريح، بل يلمس أن هناك أسبابا أخرى تكمن وراء هذا التأليف، خصوصا لدى

1- حول الشرف والشرفاء في تاريخ المغرب عموما، يراجع: محمد صدقي، موقع الشرف في التجارب السياسية والمذهبية لدول عصر الوسيط (من 317هـ/929م إلى 759هـ/1358م)، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي شعيب الدكالي، الجديدة، المملكة المغربية، 2016-2017م، (مرقونة)، في جزئين. محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1987م، صص 79-126. وبخصوص شرفاء المغرب الواحي، يراجع: الحسن بن أحمد بن محمد بن أحمد، الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية، مخطوط بالمكتبة الوطنية للملكة المغربية، الرباط، رقم 1351د. أحمد عبد اللوي علوي، مدغرة وادي زيز: إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1416هـ/1996م، ج1، صص 309-393.

Larbi Mezzine, Le Tafilalte, contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIe et XVIIIe siècles, Université Mohamed V, Rabat, 1987.

2- عبد القادر الجيلاني، السفينة القادرية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، ص90، 152.

3- محمد العربي الدرقاوي، الحسن الباهر في أهل النسب الطاهر، دراسة وتحقيق الحاج ساسيوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، المملكة المغربية، 1420-1421هـ/1999-2000م، (مرقونة)، ج2، صص 212-213.

المطلع على شخصية وتفاصيل حياة المدغري ذي التوجه الدرقاوي، فهو الذي ترك حياة البذخ والجاه، وهو ابن قاضي مدغرة بواحات الجنوب الشرقي للمغرب. إضافة إلى كون كثير من أعضاء أسرته يتوفرون على وزن سياسي هام، ولطالما خاطبتهم السلطة الحاكمة بأبناء عمنا وعمومتنا. فرغم هذه المكانة فإن المدغري لم يكتف بالانخراط في "الحزب الدرقاوي" بل تزعمه رغم العراقيل العائلية، وكأنه بذلك يعيد تجربة جده المذهبي ابن عجيبة والمعارضة العنيدة التي لقيها من أسرته.

إن تتبع منهجية المدغري في رسم خريطة لمؤلفه، يبين بوضوح أنه اعتبر ذات الرسول صلى الله عليه وسلم الشريفة تربط بين الماضي (لكون الرسول عربي) /الفترة ما قبل البعثة، والحاضر والمستقبل (التاريخ الإسلامي)/الفترة النبوية وما بعدها إلى نهاية الكون. كما شكلت شخصيته عليه السلام نقطة لتقاطع عدة دوائر: فالرسول هاشمي، وقرشي وعربي ومسلم.

لقد تميز الجنس العربي بكون "أشرف الخلق منهما أما وأبا، وأصلا ونسبا، وأي دليل يعادله؟ وأي برهان يماثله؟ فمن سمائهم طلعت شمس الوجود، ومن فلكهم تجلى قمر السعود"¹. وحرصا من المدغري على بيان فضائل الدائرة الأولى (العرب)/الكل، والذي ينتمي إليه الرسول صلى الله عليه وسلم/الجزء، وما لهذا الجزء من تأثير كبير على الكل، فإنه خصص ترجمة لهذا الجنس سماها "غاية الأرب في نشر فضائل العرب"². فشرف الانتساب للجنس العربي ينسحب على كافة القبائل العربية التي ينتمي إليها الجزء³. وللاشارة فإن داخل كل دائرة كبرى توجد دوائر صغرى. فداخل المكون العربي يقر المدغري بأن الرسول صلى الله عليه وسلم إبراهيمي، وإسماعيلي ثم كناني وقرشي وأخيرا هاشمي، ففي حديث صحيح أورده المدغري نقلا عن مسلم عن واثلة قال عليه السلام: ﴿الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفى من بني هاشم﴾⁴.

إن الحفاظ على احترام الدائرة العربية وصيانتها يستدعي من المدغري إيراد أدلة شرعية إنذارية وتوعيدية في حق كل من يمس بها، لذا فالمدغري يحدد أول من قاد المعارضة ضد العرب، وفي نظره فإن هذه المعارضة لم تنته بل استمرت، فشعوبية الأمس لازال لهم حفدة اليوم، وربما يشير بذلك إلى النظرة الاحتقارية والصورة الباهتة التي يحظى بها العرب في ذهنية الإنسان الأوربي/الاستعماري، يقول المدغري في هذا الصدد: "ذهبت فرقة تسمى الشعوبية إلى تفضيل العجم على العرب واستدلوا على مذهبهم بأدلة باطلة وأحاديث كلها موضوعة، وما ذلك منهم إلا محض مكابرة وعناد وخروج عن نهج الحق والسداد، فما

1- المصدر نفسه، ص 232.

2- المصدر نفسه، ص 226.

3- المصدر نفسه، ص 235.

4- المصدر نفسه، ص 239، 240.

أكثر جهلهم وما أشد حمقهم، إذ لم يعرفوا قدر العرب ولا حقهم، فمن قال بقولهم، وتمذهب بمذهبهم، يلزمه ما يلزمهم، ويجري عليه ما جرى عليهم"¹.

وأما بخصوص المكون/الدائرة الثانية لدى المدغري فإنها تتمثل في القبيلة القرشية، وكسابقتها العربية، وبما أن ما يتوفر للكل يحويه الجزء، أو أقول بما أن قريش عربية، فكل ما يميز العرب/الكل ينسحب على الجزء/ريش، فقد خصص ترجمة لهذه الدائرة سماها "نصرة الجيش ولذة العيش في فضائل قريش"². وأضاف عليها طابعا من التقدير والاحترام مادامت تضم الذات الشريفة للرسول صلى الله عليه وسلم، وبذلك "كفها فخرًا وسؤددًا، وعزا دائما مسرمدًا، فهم قبيلة خير البشر، ومنهم كل خير تفرع وانتشر، أعز الله بهم الدين ونصره، وأظهر بهم الإسلام ونشره، فهم سيوف الله في أرضه وبلاده، وحجة الله على جميع عباده، وهم جيران الله وحجية بيته، وسكان حرمة، وأنصار ملته، ومنهم المهاجرون الفضلاء السابقون الذين أخرجوا من ديارهم، ... ومنهم العشرة الأبرار الكرماء الأخيار، ... ومنهم الأربعة الذين هم قواعد الملة وأركانها"³.

إن القبيلة القرشية شكلت الدعامة الأساسية والأولية للدعوة الإسلامية، بعد أن كانت من عارضها، فرغم معارضتها العنيدة وخوضها لحروب ضد الرسول صلى الله عليه وسلم/ لرمز، فإنها انضمت إلى صفه بعد اعتناق أفرادها المعارضين للديانة الإسلامية، وأبليت البلاء الحسن في الدفاع والتبليغ والتضحية من أجل الإسلام والمسلمين حتى إن المدغري يستشهد بآثار تنعتهم: "بأهل الله"⁴، وهذا المصطلح له دلالة هامة في الحقل الصوفي، إذ إن هذا المصطلح أطلقته بعض الطرق الصوفية على بعض أعضائها، وفي مقدمتها الحركة الدرقاوية. ومما يبين حرص المدغري على التشبث بخاصية الاتباع كثرة استعمال هذا المصطلح في رسائله. وبالإضافة إلى ما ذكر فإن قريشا، حسب المنظور المدغري، شكلت النموذج المقتدى به، فهم "ولاة الناس"⁵، و"الناس تبع لهم"⁶.

وفيما يخص الدائرة الثالثة والتي تتكون من بني هاشم، فقد خصص المدغري ترجمة للحديث عن فضائلهم، سماها "الفتوح والغنائم في فضائل بني هاشم"⁷. وبما أن هذه الدائرة جزء من سابقتها، فإن المدغري يقول بهذا الصدد: "لإخفاء أن بني هاشم أخص من قريش الذين هم أخص من سائر العرب، والعرب أعم منهما، ومن المعلوم أن ما ثبت للأعم يثبت للأخص من غير عكس، فوجب أن يكون بنو

1- المصدر نفسه، ص 248.

2- المصدر نفسه، ص 252.

3- المصدر نفسه، صص 257-264.

4- المصدر نفسه، ص 260.

5- المصدر نفسه، ص 265.

6- المصدر نفسه، ص 269.

7- المصدر نفسه، ص 278.

هاشم بجميع ما تقدم أولى وأحق، وإلى جيازته على التحقيق أسق إذ هم لب اللباب، وخلاصة ذلك الجنب"1.

اختار المدغري أعضاء من داخل هذه الوحدة/الدائرة، وتحدث عنهم بإسهاب، فخصص لكل عضو ترجمة، كـ"راحة الأنفاس بذكر فضائل العباس"2، و"إدراك القوة والعزة في ذكر فضائل حمزة"3، و"المسك الأذفر في فضائل جعفر"4، و"غاية المنى والسؤل في مناقب ابن عم الرسول أمير المؤمنين أبي الحسن زوج البتول"5. وعدد المدغري فضائل كل عضو وبين احترام غير الهاشميين لهم رغم المكانة المتميزة للمحترمين، فأبو بكر الصديق يكن لعلي بن أبي طالب كثيرا من الاحترام والتقدير6. وكان العباس لا يمر بعمر وعثمان ركبانا إلا نزلا حتى يمر إجلالا له، ويقولان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان الفاروق إذا قحط أهل المدينة استسقى بالعباس كما حدث زمن الرمادة7.

وقد كان عمر، فيما نسبه المدغري للدارقطني، يقول: تحبوا إلى الأشراف وتوددوا واتقوا على أعراضكم من السفلة، واعلموا أنه لا يتم شرف إلا بولاية علي رضي الله عنه8. ودائما في إطار أسلوب التخصيص الذي نهجه المدغري، فإنه، ومن داخل الدائرة الهاشمية، خصص مكونا اعتبره رائدها ومشرفها، ويأتي في مقدمة هؤلاء الحسن والحسين، فيضع لهم ترجمة، وعدد بعض مناقبهما سماها "سبك العسجد واللجين في فضائل الحسن والحسين"9. وبطبيعة الحال وقبلهما أهمها فاطمة الزهراء التي حظيت في "الحسن الباهر" بترجمة تتفرع إلى فصول عدة، وهي تحت عنوان "الذخيرة الكبرى وغاية السرور والبشرى بذكر مناقب سيدة نساء الدنيا والآخرة بضعة المختار وأم السبطين فاطمة الزهراء"10، وأما خديجة "الدرة البهيجة في مناقب خير أمهات المؤمنين خديجة"11. ويحظى هذا المكون الصغير بكثير من الاحترام من قبل المدغري، فمن أجله ألف هذا الكتاب، ولعل هدف المدغري من التأصيل لهذا المكون،

1- المصدر نفسه، ص 282.

2- المصدر نفسه، ص 287.

3- المصدر نفسه، ص 306.

4- المصدر نفسه، ص 316.

5- المصدر نفسه، ص 325.

6- المصدر نفسه، ص 337.

7- المصدر نفسه، ص 290، 292.

8- المصدر نفسه، ص 338.

9- المصدر نفسه، ص 380.

10- المصدر نفسه، ص 487.

11- المصدر نفسه، ص 487.

يتمثل في البحث عن شرعية وجوده داخل الكون، حتى يثبت علاقته وانتماءه¹، فالمدغري يحرص على إثبات استمرارية هذا النسب². ويخرج عن تصريحاته المحتشمة ليعلم عن صحة نسبه الشريف، وانتمائه لآل البيت، وبذلك فهو يمثل آل البيت خلال القرن 19م، يقول موضحاً ذلك أثناء حديثه عن فاطمة الزهراء: "الوسيلة التي بلغنا بها غاية كل مقصود، والواسطة التي بنينا وبين أكرم الوجود، والوصلة التي بها قد اتصل حبلنا بخير الآباء وأكرم الجدود، وبها قد انتظمتنا في سلسلة خير بني وأكرم رسول، ... واكتسبنا بها بين الأنام عزا كبيرا ونورا"³.

وينتقل المدغري لإيراد الكثير من آراء وتعامل نخبة من العلماء والمتصوفة مع آل البيت طيلة التاريخ الإسلامي، وهي دعوة تحسيسية من أجل الاقتداء بهم ونهج خطاهم، فابن عربي يرى "أن حب أهل البيت لا يتبعض، فإنه ما تعلق إلا بمطلق الأهل لا بواحد بعينه، فاجعل بالك واعرف قدر أهل البيت، فمن خان أهل البيت خان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سننه"⁴. بل إن البعض من هؤلاء العلماء يتدخل لحماية الشرفاء، فأبو عبد الله محمد العربي الفاسي على إثر سجن بعضهم يقول: "وأنا منذ عقلنا لم نعقل إلا محبة لأولياء الله على العموم، ثم لذلك الجانب [الشرفاء] على الخصوص بالمنطوق والمفهوم"، ثم يضيف "ولهم الحق الواجب على هذه الأمة ورعي نسبهم لا ينسخ العقوق حكمه ووصية جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم ثابتة محفوظة"⁵.

لقد عمد المدغري إلى تمييز نسب آل البيت من داخل النسب الشريف الهامشي والقرشي، فأورد ترجمة يتحدث عن الجوانب التمييزية لهم، وسمى الترجمة الخاصة بذلك "ذكر اختصاصهم [آل البيت] بأن نسبهم الطاهر نافع موصول وما عداه من الأنساب والأسباب مقطوع مفصول"⁶.

وصور المدغري هذا النسب على أنه هدف ومبتغى كل إنسان، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو القدوة والخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كان في مقدمة الحريصين على الانتساب لآل البيت، وذلك بخطبته لأُم كلثوم بنت علي بن أبي طالب⁷.

ومن أجل تجديد دعوة الاحترام والتقدير لآل البيت، فإن المدغري أورد فصلاً يقرر ويثبت ذلك سماه "ذكر تعظيم سلف الأمة وخلفها لهذه العصابة الهاشمية والسلالة العلوية الفاطمية"⁸، فأبو بكر الصديق

1- المصدر نفسه، ص 447.

2- المصدر نفسه، ص 476.

3- المصدر نفسه، ص 483، 486.

4- المصدر نفسه، ص 544.

5- المصدر نفسه، ص 557، 558.

6- المصدر نفسه، ص 560.

7- المصدر نفسه، ص 560.

8- المصدر نفسه، ص 568.

حسبما أخرجه البخاري يقول: ﴿لأن أصل قرابة محمد صلى الله عليه وسلم أحب إلي من أصل قرابتي﴾، ونفس الشيء كان يكنه عمر الفاروق لهم¹. وقد نهج جيل التابعين ما قام به الخلفاء الراشدون اتجاه آل البيت من قبلهم، فعمر بن عبد العزيز أتاه عبد الله بن الحسن في حاجة فقال: "إذا كانت لك حاجة فاكتب إلي بها، فإني استحيى من الله أن يراك على بابي"². وضرب جعفر بن سليمان، وهو والي المدينة في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، مالك بن أنس حتى جعل مغشياً عليه، فدخل عليه الناس لما أفلق، فقال: "إني أشهدكم أنني جعلت ضاربي في محلي، فسئل في ذلك، فقال: أعوذ بالله، والله ما ارتفع سوط منها عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم³. ولمبالغة الإمام الشافعي في التعبير عن حبه واحترامه لآل البيت صرح بأنه من شيعتهم⁴. كما كان أبو حنيفة يعظمهم كثيراً وينفق عليهم، أما أحمد بن حنبل فإنه، واحتراماً لهم، كان دائماً يحرص على تقديمهم بين يديه⁵. وتأكيذاً من المدغري على استمرارية هذا السلوك، ووجوب القيام به، فإنه يقول في تعليق له على ما مر "وهذا شأن أكابر الأئمة، وأعيان الأمة، وخواص علماء الملة في كل عصر وزمان، وفي كل محل ومكان"⁶.

ورغم أن المدغري ذكر في أكثر من موضع من "حسنه" باستمرارية نسل آل البيت، فإنه خصص ترجمة للتذكير بذلك سماها "إقامة الحجة والبرهان على بقاء هذا النسل المكرم إلى انقضاء الزمان"⁷. ويبين المدغري المهام والأدوار الأساسية التي قام بها آل البيت في جميع الميادين طيلة التاريخ الإسلامي ف"بهم جمع الله الأمة، وأصلح شأنها وسكن روعها، وحقق دمائها في الزمن الأول والآخر، في الباطن والظاهر، وتوالى النفع بوجودهم للعباد وتحقق الأمن بهم للحاضر والباد، وأشرقت أنوارهم في سائر الجهات والأقطار... وجعل الله منهم الأقطاب والأوتاد والأبدال والعلماء والملوك والأبطال"⁸. و"مدد أهل البيت لا يزال في تجدد وازدياد واتصال ونوال، ليس له انقطاع ولا زوال إلى انقراض العالم وخرابه، وزوال الكون وذهابه"⁹.

1- المصدر نفسه، ص 568، 570.

2- المصدر نفسه، ص 571.

3- المصدر نفسه، ص 572.

4- المصدر نفسه، ص 572.

5- المصدر نفسه، ص 573.

6- المصدر نفسه، ص 573.

7- المصدر نفسه، ص 654.

8- المصدر نفسه، ص 656.

9- المصدر نفسه، ص 667.

وبذلك يتضح كيف أن المدغري يبين اعتناء الرسول صلى الله عليه وسلم بهم. ولتعزيز آرائه فإنه أورد شهادات كثيرة من العلماء ذوي الوزن المتميز والذين حسموا بصفة نسب شرفاء تافيلالت والتي يشكل شرفاء مدغرة فرعا منهم . كالحسن اليوسي، وأحمد بن عبد الله بن معن الأندلسي وعبد القادر الفاسي¹، وأحمد العالم جد الشرفاء الشفشاونيين²، وأبي العباس أحمد الحبيب اللمطي³، وعبد السلام القادري⁴.

ورغم الإشادة بآل البيت وتعداد فضائلهم، فإن العامل الفقهي والصوفي سيتحكم في تصور المدغري لمفهوم الشرف، يقينا منالمدغري بأهمية النسب الديني على الطيني/الجسدي، فالانتماء للبيت الحسني العلوي يجب أن يقن ويقيد بالشرعية الإسلامية. فالمدغري عمل على تقييد قارئ "الحسن الباهر" وتنبيهه على ذلك، فأورد ترجمة تحت اسم "التحذير والإنذار من التقصير والاغترار"⁵. ويبين لمعاصريه ولمن يأتي بعدهم أنه لا بد من نهج خطى السلف الذين كانوا على غاية الحذر يخشون ربهم فيما غاب وفيما حضر⁶، لأنهم اقتدوا بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال: "أنا أخشاكم لله أعلمكم به"⁷. وقال عليه السلام: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"⁸. ووجه كذلك خطابه لبني هاشم قائلا: "يا بني هاشم ليأتيني الناس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على ظهورهم، وتأتون بالدنيا على ظهوركم لا أغني عنكم من الله شيئا"⁹. وليوضح صلى الله عليه وسلم أن معيار التقوى هو الأهم فإنه قال: "إن أوليائي يوم القيامة المتقون، وإن كل نسب أقرب من نسبي، فلا يأتيني الناس بالأعمال، ويأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون: يا محمد، فأقول: هكذا وهكذا . وأخرج الشيخان أنه عليه السلام قال: "إن آل بني فلان فيسوا بأوليائي، إنما ولي الله وصالح المؤمنين"¹⁰.

إن التصور المدغري يركز على عدم صمود الشرف أمام الشريعة، ولعل اعتناقه بالمبادئ الدرقاوية، والاحتكاك بالمحرومين في مقابل التخلي عن الجاه العائلي تمشيا مع التعاليم الإسلامية لخير دليل على ذلك رغم المعارضة الأسرية في البداية له.

- 1- المصدر نفسه، ص 689.
- 2- المصدر نفسه، ص 690.
- 3- المصدر نفسه، ص 691.
- 4- المصدر نفسه، ص 692، 693.
- 5- المصدر نفسه، ص 631.
- 6- المصدر نفسه، ص 631.
- 7- المصدر نفسه، ص 632.
- 8- المصدر نفسه، ص 688.
- 9- المصدر نفسه، ص 560، 561.
- 10- المصدر نفسه، ص 560، 561.

وبالرجوع إلى "الحسن الباهر" فإن المدغري يورد قصة مفادها تجاوز أحد الشرفاء لما جاءت به الديانة الإسلامية، فما كان من أحد ولاية الأمر إلا أن خاطبه: "ولئن لم تنته عن غيك لأغمدن فيك سيف جدك". ويعلق المدغري على ذلك بقوله: "يريد أن يحكم فيه الشريعة، وصدق والله فما أعقله وأوعاه"¹. فالمنتمي للرسول صلى الله عليه وسلم نسبا عليه أن يكون آمينا، ومجاهدا، وعابدا، وبالجملة عليه "أن يكون أولى الناس بمتابعته، وأولوهم مبادرة ومساعدة إلى مرضاته ومناصحته والاعتداء بهديه وسيرته، والتحلي بوصفه ونعته"². وعلى هذا المنتمي أن يقتدي بأسلافه جسديا/طينيا، الذين أورد المدغري جوانب من سيرتهم الجهادية والعلمية والتربوية كزين العابدين³، وأبي جعفر محمد الباقر⁴، وجعفر الصادق⁵، وموسى الكاظم⁶، وعلي الرضى⁷، وعلي العسكري، ومحمد الجواد⁸، وأبي محمد الحسن الخالص⁹، وأبي القاسم محمد الحجة المنتظر¹⁰، والسيدة نفيسة حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب¹¹؛ فقد "كانت سيرتهم الحسنة وأحوالهم وأفعالهم الجميلة المستحسنة، وأقوالهم ومآلهم من الأسرار والكرامات والعلوم والأحوال والمقامات يتوارثون المجد والمآثر عن فاضل، وكابرا عن كابر، فينبغي لكل فرع أصله من هذه الشجرة أن تكون ثمرته مثل هذه الثمرة، وأن يقتدى بهذا الهدي الحسن"¹². ولعل في الرجوع إلى محور المحبة والاتباع مزيد من تأكيد المدغري على الالتزام بما سطرته الشريعة الإسلامية، وبيان أهمية التقوى كمييار للتمييز.

ثانيا-مرتكزات الولاية الصوفية: اكتسب هذا المفهوم أهمية قصوى لدى العلماء على مختلف توجهاتهم ومشاربهم، وأثيرت حوله نقاشات بين الوحدات المكونة للفكر الإسلامي، بل وحتى داخل الوحدة الوحيدة. فكيف تم ذلك؟ وما هي حظوظ حضوره في "الحسن الباهر"؟ وما القضايا التي أثارها المدغري بخصوصه؟

- 1- المصدر نفسه، ص 632.
- 2- المصدر نفسه، ص 632، 633.
- 3- المصدر نفسه، ص 634.
- 4- المصدر نفسه، ص 635.
- 5- المصدر نفسه، ص 636.
- 6- المصدر نفسه، ص 640.
- 7- المصدر نفسه، ص 642.
- 8- المصدر نفسه، ص 644، 645.
- 9- المصدر نفسه، ص 646.
- 10- المصدر نفسه، ص 647.
- 11- المصدر نفسه، ص 649، 654.
- 12- المصدر نفسه، ص 648، 649.

نشير بداية إلى أن تصفح "الحسن الباهر" يكشف من الناحية الشكلية عن وجود هذا المصطلح أو ما يدل عليه أو مشتقاته من قبيل: الولي، والأولياء، وقطب الأولياء. بل إن المدغري نعت البعض ممن استند إلى أقوالهم أو لأفعالهم في مؤلفه، بهذه الصفات.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم، فالولاية وردت مرات عديدة، لتعني ولاية أهل الحق فيما بينهم وفيما بينهم وبين الله، ولتعني أيضا الولاية بين الكافرين والمنافقين بعضهم ببعض، وبينهم وبين الشيطان الذي تولاهم مما يعني عموم انطباق هذه اللفظة في القرآن الكريم¹. و"الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد"²، وهذا التعريف يجعلها تنطبق على العلاقة بين الأصناف المذكورة، فشيخ الإسلام بهذا يكون قد اقتصر فقط على تعريفها اللغوي. وذهب الإمام الجيلاني إلى أن من وصل إليها فقد تعجلت له الراحة³. وهو ما يفصله ابن عجيبة فيعتبرها "حصول الأنس بعد المكابدة، واعتناق الروح بعد المجاهدة، وحاصلها تحقيق الفناء في الذات بعد ذهاب حسن الكائنات"⁴.

ويلخصها أحد تلامذة المدغري، أحمد السبعي، بقوله: "الولاية هي القرب من الله بالأعمال الخالصة واستيلاء الحق والتعرض لنفحات الجبروت"⁵. وقد ركز الإمام الشاطبي على حقيقة الأمر الباطني، وتخوف من اختلاط أمرها بعمل المبتلين، فقال: "إن الولاية، وإن ظهر لها في الظاهر أثر فقد يخفى أمرها، لأنها في الحقيقة راجعة إلى أمر باطني لا يعلمه إلا الله. فربما ادعيت الولاية لمن ليس بولي، أو ادعاها هو لنفسه، أو أظهر خارقة من خوارق العادات، هي من باب الشعوذة، لا من باب الكرامة"⁶. ولهذا جزم الإمام الغزالي بأن من ادعى الولاية والكرامة افتراء فعقوبته سوء الخاتمة⁷.

وبالرجوع إلى "الحسن الباهر" نلاحظ أن المدغري نعت بعض أقطاب الصوفية بنعوت تنثير كثيرا من النقاشات، فقد وصف ابن عربي بـ"قطب الأقطاب"⁸، وعبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر، أحد

1- يوسف محمد طه زيدان، الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م، ص 120.

2- ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، تصحيح وتعليق محمود عبد الوهاب فايد، دار العلم للملايين، بيروت، دون تاريخ، ص 24.

3- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المكتبة الشعبية، بيروت/مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، دون تاريخ، ص 42.

4- أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، مطبعة الميرني، تطوان، ط1، 1402هـ/1982م، ص 35.

5- المدغري، الفجر الساطع، ص 87.

6- أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، مطبعة السعادة، القاهرة، دون تاريخ، ج2، ص 10.

7- الجيلاني، السفينة القادرية، ص 140.

8- العربي الدرقاوي، الحسن الباهر، ص 220.

أفراد أسرة المدغري الكبيرة، بالقطب سليل الأقطاب¹، وأبا عبد العباس أحمد الحبيب اللمطي "بصاحب الولاية المشهورة"²، ولم يكتف بإضفاء هذه الصفات على الأشخاص بل سحبها كذلك على المجموعات، فأثناء حديثه عن شرفاء سجماسة قال: "وفيهم جماعة وافرة في القادام والحادث من الصلاح الظاهر وإن كانوا كلهم في الحقيقة صلحاء"³، و"فيهم الفقهاء... وذوو الأحوال"⁴، و"أهل السير والولاية والبركة آل الولي الصالح محمد الشرقي"⁵.

وبما أن "الحسن الباهر" يندرج في كتب المناقب والأنساب، فإن التساؤل المطروح ما حظ "الشرفاء" من هذه الصفات؟

إن ما يميز الشرفاء، حسب التصور المدغري، أن "قطب الأولياء في كل زمان لا يكون إلا منهم، وخصوصا لا يكون إلا شاذلي الطريقة". ويخصص المدغري من داخل الوحدة الشرفية فيضيف: "والحاصل أن القطب لا يكون إلا من ذرية الحسن إلى يوم القيامة، وعليه جمهور مشايخ الطريقة،... ولم يخالف ذلك منهم إلا النادر". والسبب، في رأي المدغري دائما، أن الحسن رضي الله عنه لما نزل عن الخلافة الظاهرية وتركها رغبة في صلاح الأمة، وإيثار الآخرة على الدنيا، عوضه الله عن ذلك بالخلافة الباطنة⁶. وبالإضافة إلى ذلك فإن المجدد على رأس كل مائة سنة لا يكون إلا منهم⁷.

وفي الوقت الذي يحظى قطب الأولياء بهذه المكانة، حسب التصور المدغري، واحتكاريته من قبل الدائرة الحسنية، فإن الولي له اتصال بعلي بن أبي طالب إما نسبة طينية/جسدية، أو سندا مذهبيا/دينيا. وشفيع المدغري في ذلك نسبة الصوفية إلى الجنيد، وأخذة عن سري السقطي عن معروف الكرخي عن علي الرضى عن والده عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب⁸.

وسيعمل المدغري على ربط شخصه بسلسلة النسب الديني/السند بعد إيمانه المسبق بنسبه الطيني/الجسدي بعلي بن أبي طالب، فاعتبر نفسه وريثا للطريقة القادرية ثم الشاذلية⁹، التي تشبث

1- المصدر نفسه، ص 430.

2- المصدر نفسه، ص 690، 691.

3- المصدر نفسه، ص 592.

4- المصدر نفسه، ص 695.

5- المصدر نفسه، ص 583.

6- المصدر نفسه، ص 531.

7- المصدر نفسه، ص 531.

8- المصدر نفسه، ص 376.

9- رسالة للمدغري، وثيقة خاصة، غير مؤرخة

بمبادئها وطبقها ودعا إلى تجديدها¹، ولعل أحسن دليل لذلك إصداره لـ"رسالة الإذن"، وإعلانه من خلالها تقلده لمنصب الإرشاد/الولاية وزعامة الطريقة الدرقاوية. فأول أقطاب هذه الأمة، حسب المدغري، هو الحسن "ثم واحد من بعد واحد إلى أن وصلت إلى الشيخ الإمام القطب الفرد الغوث الجامع... عبد القادر الجيلاني، ... ثم بعد ذلك أظهر الله الولي الكبير ذا النور الكثير القطب الشهير... الشريف الحسني الفاطمي المحمدي... القطب الغوث الفرد... أبا الحسن الشاذلي"، ثم استمر هذا السند في آل البيت².

واحتل مركز الأولياء أهمية متميزة لدى المدغري الصوفي، فاعتبر الأشخاص المتبعين للنبي صلى الله عليه وسلم "أقمار شمس الأنبياء وورثتهم"³، وهم "موجودون في كل زمان، ... وعلامتهم الاشتغال بالله عما سواه، عما في أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وأحوالهم، فهم... واضحون وضوح شمس الضحى لمن كان من أهل العناية، ومخالطتهم مما يعين على معرفتهم، فإن من خالطهم يرى أفعالهم ويسمع أقوالهم، ويعرف أخلاقهم ضرورة، فيفرق بينهم وبين غيرهم بالبدية فإن الأشياء لا تعرف إلا بأضدادها"⁴، وبيعته هي بيعة للرسول لكونهم حسب المدغري ورثته⁵.

ولهذا يؤكد قادة الصوفية، ومن بينهم المدغري، على أهمية منصب الولي/الشيخ في الطريق الصوفي. هذا الشيخ الذي قد يكون شيخ تعليم أو تربية أو ترقية، وقد تتعدد هذه الصفات في رجال، وقد تجمع في رجل واحد⁶. وإلى جانب ما ذكر فإن هؤلاء الأولياء يتميزون بتمكنهم من "العلم اللدني"⁷، وتعتبر درجة الصديقية من أعلى المراتب التي ينشدها كل سائر في الطريق إلى الله باعتبارها أرقى وأعلى درجة⁸. ومن ثم لم يخرج المدغري في تصوره عن النطاق الصوفي؛ إذ أثار من خلال "حسنه" قضايا أفرزت جدلاً كبيراً منها ما يتعلق بماهية الولي ومكانته، وبيعته، وما إلى ذلك.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف: 17] تدل هذه الآية على أن الغاية في القدرة على الهداية هي الولي المرشد، فهذا الأخير لا يمكنه تجاوز الإرادة الإلهية في إرشاد

1- رسالة للمدغري، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط، رقم 3353، مؤرخة بـ6 محرم 1289هـ، ص

36- رسالة للبدوي زويتن، وثيقة خاصة غير مؤرخة.

2- المدغري، الحسن الباهر، ص 696، 697.

3- رسالة البدوي زويتن، وثيقة خاصة، غير مؤرخة.

4- رسالة للمدغري (3353د)، ص 84.

5- رسالة للمدغري، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط، رقم 3705د، ص 3.

6- المصدر نفسه، ص 43.

7- المدغري، الحسن الباهر، ص 477، 480.

8- المصدر نفسه، ص 515، 516.

الخلق، وبذلك فالدعوة إلى الله تعالى تكون أجمل إذا وضع الإنسان يده بيد المرشد الذي هو وارث النبي صلى الله عليه وسلم¹.

ويعرف ابن قيم الجوزية معنى هذه الوراثة ويحددها في كون هؤلاء الأولياء "ورثة الرسل، وخلفاؤهم في أمهم، وهم القائمون بما بعثوا به علما وعملا ودعوة للخلق على طريقهم ومناجهم. وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة، وهي مرتبة الصديقية"². ويذهب كثير من الصوفية إلى أنهم المعنيون بالصادقين في قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، [التوبة: 120]، مما يجعل رأيهم وقرارهم يغلب عليه طابع "الاحتكارية" والتعميم، والله سبحانه وتعالى قد حدد صفات ومميزات الصادقين بشكل دقيق وكل من توفرت فيه يدخل في هذه الدائرة، وهم صادقون ومؤمنون وموقنون ومصلون ومزكون ومتقون وصابرون ووافون بالعهد ومنتظرون أن يستشهدوا في سبيل الله³.

وللإشارة لقي هذا الرأي الصوفي ردا عنيفا من قبل اتجاهات معادية ومناهضة للحقل الصوفي، ولقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية في فك هذا الإشكال فقال: "وهم يسيرون بالصوفي إلى معنى الصديق، وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 68]. ولهذا ليس عندهم بعد الأنبياء أفضل من الصوفي، لكن الصوفي في الحقيقة فرع من الصديقين، فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه"⁴.

ويضيف ابن تيمية بأسلوب موضوعي، بعد أن أورد آراء طرفي التأييد والمعارضة، قائلا: "والصواب أنهم [المتصوفة] مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب"⁵. وفي الوقت الذي يعمم فيه ابن تيمية صفة الولاية على كل من عمل من أجلها، فحددهم في كونهم "المؤمنون المتقون، سواء سمي أحدهم فقيرا أو صوفيا أو فقهيا أو عالما، أو تاجرا أو جنديا أو صانعا أو أميرا أو حاكما أو غير ذلك"⁶؛ فإن الإمام الجيلاني، ودائما في

1- سعيد حوى، تربيته الروحية، دار الكتب العربية، بيروت/دمشق، ط1، 1399هـ/1979م، ص222.

2- ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي وزائد بن أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي بجهة، 1429هـ، ص333.

3- حوى، المصدر نفسه، ص223.

4- ابن تيمية، الصوفية والفقراء، تحقيق وتعليق أبو حفص بن إبراهيم بن صادق عمران، دار الحديث، ط1، دون تاريخ، ص25. نفسه، فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي، 1398-1403هـ، ج11، ص17.

5- ابن تيمية، الصوفية الفقراء، ص26.

6- المصدر نفسه، ص27.

نفس الخط الذي سار فيه ابن تيمية، يعتبر الأولياء أطباء القلوب¹، ويقيد كل من يرغب في الولاية بما نص عليه الشرع الإسلامي، ويؤكد كذلك بقوله: "من لم يكن الشرع رفيقه في جميع أحواله فهو هالك من الهالكين"².

وبالجملة، فقد اعتبر ابن تيمية التفاضل في الولاية بحسب التفاضل في الإيمان والتقوى³، واعتبرهما شرطين لنيل الولاية، واعتبر العمل الصالح المقبول عماد الولاية ولا ولاية بدون ذلك⁴. وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور والمباحثات، فلا يتميزون بلباس، وغيره⁵، وليس من شرط ولي الله أن يكون معلوما لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفي عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان⁶.

ثالثاً- الاتباع: حظيت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بكثير من التقدير والإجلال من قبل الفقهاء والمتصوفة وغيرهم. ورغم كون المدغري يصرح في مقدمة "حسنه" بأنه عجز عن التأليف حول فضائل هذه الشخصية، واكتفى فقط بالتطرق لآل بيته، فإن المتصفح لهذا المؤلف يصادف في كثير من الأحيان الحديث عن شخصه عليه السلام.

إن تحليل وجود ذات الرسول صلى الله عليه وسلم في "الحسن الباهر" يجعل الباحث يقف عند مظاهر كماله عليه السلام، والتركيز فقط -كسابقه- ابن عجيبة على الجانب الأخلاقي دون الخوض في تفاصيل الإشكالات "الميتافيزيقية" التي يطغى عليها عنصر الخيار والرجم بالغيب⁷.

اعتقد المدغري، كأغلب المتصوفة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم وجد قبل وجود الخلق ليشكل "الإنسان النموذج"، فهذا وجود قبلي ليعقبه وجود آخر. ففيما نسبته المدغري للثعلبي يقول، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تعالى لواء من نور، وعموداً من زبرجد خلقهما الله قبل أن يخلق السماوات بألف عام مكتوب على رداء اللواء: لا إله إلا الله محمد رسول الله خير البرية، صاحب اللواء، إمام

1- الجيلاني، الفتح الرباني، ص 127.

2- المصدر نفسه، ص 128.

3- ابن تيمية، الفرقان، ص 50، 51.

4- المصدر نفسه، ص 52 وما بعدها.

5- المصدر نفسه، ص 57.

6- المصدر نفسه، ص 64.

7- حول نظرة ابن عجيبة لكمال الذات الشريفة، انظر: عبد المجيد الصغير، التصوف كوعي وممارسة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1999م، صص 11-17 و173-180.

القوم"¹. ويضيف في مكان آخر: "إن الله تبارك وتعالى خلقني أنا وعلي نورين بين يدي العرش نسبح الله ونقدسه قبل أن يخلق آدم بألف عام، فلما خلق الله آدم أسكننا صلبه، ثم نقلنا من صلب إلى صلب"². كما يبين المدغري بأن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يتجلى باسمه الظاهر، أظهر قبضة من نوره ليخلق منه الإنسان النموذج/الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ففي حديث نسبه المدغري للتلمساني في "حاشية على الشفا" يقول الله سبحانه مخاطبا النبي عليه السلام ضمن حديث طويل: "يا محمد لما نظرت إلى صفاء نوري الذي خلقتة بيدي، وأبدعته بحكمتي وأضفته تشريفا له إلى عظمتي، واستخرجت جزء وقسمته ثلاثة أقسام: فخلقتك أنت وأهل بيتك من القسم الأول، وخلقت أصحابك وأزواجك من القسم الثاني، وخلقت من أحبك من القسم الثالث، فإذا كان يوم القيامة عاد كل حسب ونسب إلى حسبه ونسبه، ورددت النور إلى نوري، فأدخلتك أنت وأهلك وأصحابك وأزواجك ومن أحبك جنتي برحمتي فأخبرهم يا محمد بذلك"³. والملاحظ أن هذه الأحاديث تطرح مشكلة درجة صحتها سنداً وممتناً، وقد أثارت نقاشات عدة بين العلماء.

كما اعتبر المدغري الإنسان الكامل النموذج/الرسول صلى الله عليه وسلم "السبب في كل موجود والرحمة التي عمت سائر الوجود ومنبع كل فضل وكرم وجود"⁴؛ فمن أجله خلقت السماء والأرض والجنة والنار والليل والنهار⁵. ويمتاز هذا الإنسان النموذج بالتفوق والامتياز عن باقي الخلق حتى وإن تعلق الأمر بآدم عليه السلام⁶، فقد "خصه الله بكل شرف وسؤدد وجعل على يده وبواسطته كل رحمة ومدد، الحبيب الذي لا يبلغ منزلته من المقربين عند الله، والشفيع الذي هو أقرب الشفعاء إلى الملك الصمد، زين الله الوجود بطلعة حسنه وبهجة جماله، وملاً الكون بتعظيمه وإجلاله"⁷، وجعل قرنه خير القرون⁸. ورغم خوض المدغري في هذا الإشكال فإنه ركز على الجانب الأخلاقي في حياة الرسول/الإنسان النموذج لبيان تفضيله عن باقي الخلق، وهذا الجانب الذي يعتبر سر الكمال اعتباراً لكون الرسول صلى الله عليه وسلم يمثل في أصله وطبيعته "سر" الذات الإلهية⁹؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم/الإنسان الكامل جامع للحقائق المتفرقة "والمعارضة"، فقد كانت الحقائق الكونية واحدة في الأصل ثم افترقت أو فرقها

1- المدغري، الحسن الباهر، ص 523.

2- المصدر نفسه، ص 571.

3- المصدر نفسه، ص 554، انظر كذلك ص 389.

4- المصدر نفسه، ص 567.

5- المصدر نفسه، ص 554.

6- المصدر نفسه، ص 498.

7- المصدر نفسه، ص 212.

8- المصدر نفسه، ص 233.

9- الصغير، التصوف، ص 175.

الإنسان حينما آمن ببعضها وترك البعض الآخر، في حين أن الإنسان الكامل جمع بينها، وتمكن منالفناء/الكمال في العمل والفكر. وبالتالي فإن هذا الإنسان مثل وطبق الجدل الصاعد (لمعرفة العالم الميتافيزيقي)، والجدل النازل (للتعرف على العالم الواقعي: الإنساني منه والطبيعي)¹. ويمثل هذا الكمال كذلك في حياته عليه السلام الخاصة والمجتمعية، والتي تشخصت في الإسلام كدين كامل يجمع بين حقائق الأديان السماوية ويظهرها ويتممها كما يتشخص هذا الكمال في سيرته؛ فقد "جاء بالرسالة العامة لكافة خلق الله، وهو الأمين على وحي الله، والقائم بشرع الله، والناصر لدين الله، والمجاهد في إعلاء كلمة الله، والداعي لجميع الخلق إلى توحيد الله، والواسطة العظمى بين العباد وبين الله"².

ومن صور كمال الشخص المحمدي/الإنسان النموذج أنه خزان للعلم والكرم، "وحامل سر الأزل، وترجمان لسانا لقدم، ... وواسطة عقد النبوة، ... وقائد ركب الأنبياء"³. وعمل هذا الإنسان الكامل على إرشاد وهداية الآخرين/الأتباع، ويدخل عليهم السعادة، ويبعد عنهم الشقاوة، ويزرع بينهم المحبة، ويكشف لهم عما فات وما سيأتي من أخبار خص بها من لدن الله، وعملهم أمر دينهم ودنياهم. وخص بالإسراء والمعراج، فاهتز لرؤيته العرش والكرسي. وعلم علم الأولين والآخرين. وعمومية رسالته، وكون قلبه بيت للحكمة، ولسانه محل الفصاحة⁴.

وفيما يخص عملية استلهاهم/اتباع النموذج الإنسان الكامل/الشخص المحمدي الأحمدي، فإنها عملية تتضمن جدلا مزدوج المظهر: صاعد ونازل، فالأول (الصاعد) يتمثل في محاولة الناس تقمص شخصية وأخلاق الإنسان الكامل مروراً بمقام الإسلام ثم الإيمان بالإحسان. أما الثاني (النازل) فإنه يتمثل في محاولة تقليده ظاهراً وباطناً⁵، وبهذا يستطيع هذا الإنسان المقلد للإنسان الكامل أن يتقلد منصب خلافة الله في الأرض بنجاح.

وقسم المدغري الإنسان المقلد/المتبع إلى صنفين، الأول يرتبط بالرسول صلى الله عليه وسلم/الإنسان الكامل جسدياً/طينياً وكذا دينياً، وهم آل البيت الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإنذارهم، والذين قال المدغري في حقهم: "كانوا والله على غاية الحذر، ويخشون ربهم فيما غاب وفيما حضر"⁶. ويؤكد المدغري حتمية اقتداء الأشراف/آل البيت بالجد/الشخص الأحمدي المحمدي حيث يقول: "وجب وتحتم على من تعلق بنسبه صلى الله عليه وسلم أن يكون أولى الناس بمتابعته، وأولهم مبادرة ومسارة إلى مرضاته، ... والاقتداء بهديه، وسيرته، والتحلي بوصفه، ونعمته، والنصرة لدينه، وشريعته،

1- المرجع نفسه، ص 175.

2- المدغري، الحسن الباهر، ص 632.

3- المصدر نفسه، ص 815.

4- المصدر نفسه، صص 815-820.

5- الصغير، التصوف، 178، 179.

6- المدغري، الحسن الباهر، ص 631، 632.

والشفقة على أتباعه وأمتة والتوقير لأصحابه وعلماء أمتة، وأن يكون نائباً عنه في إرشاد الخلق وتعليمهم ومناصحتهم، وحسن معاشرتهم، يعلم الجاهل، ويرشد الضال، ويغيب الملهوف، ويرحم المسكين والضعيف ويرفق بالأرملة واليتيم ويعين الفقير والعديم ويتحلى بأوصاف الكمال¹. ويضيف المدغري أن المقلد الشريف عليه أن يرث نصيبه من رحمة الجد/الإنسان الكامل². وبما أن المدغري، كما سبق الإشارة، ينتمي للفرع الحسني، فإنه يتحلى بإحساس الاتباع، حتى أنه صرح بقوله: "وكانت حالتي... على حالة الجد الأكبر"³.

وأما الصنف الثاني من المتبعين، فهو المتمثل في كافة المسلمين، فهؤلاء اعتبروا الذات الشريفة/النموذج موضع إلهام وشخصية اتباع. ولقد حظيت هذه الأمة بشرف الانتساب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فالله سبحانه "اختار أمة محمد وأعطاهما ما لم يعط أحد من العالمين".

ويضيف المدغري محددًا سبب ذلك في كونها "إلى حبيب الله مضافة منسوبة، وفي ديوانه الرفيع مرسومة مكتوبة، وعليه في الدنيا والآخرة محسوبة، فإن شرف الاتباع بشرف المتبوع، وبعلو الأصول تعلو الفروع، ومحبوب المحبوب محبوب، والمنسوب إلى المنسوب منسوب"⁴. ومتابعة من حب الله فلا يكون محبا لله إلا من اتبع سنة رسول الله، لأن الرسول لا يأمر إلا بما يحب الله، ولا يخبر إلا بما يحب الله والتصديق به، فمن كان محبا لله لزم أن يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم، فيصدقه فيما أخبر، ويتأسى به فيما فعل، وبهذا الاتباع يصل المؤمن إلى كمال الإيمان وتمامه، ويصل إلى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم⁵، والتي تتم بسلوك منهجه، واتباع طريقته، والتزام سنته دون مبالغة أو تقصير⁶. فهؤلاء المتبعون للنموذج/الرسول منذ بعثته وهم "الأقواله حافظون، ولأفعاله ضابطون، ولسيرة أحواله متتبعون، وفي إقامة شرعه ونصرة دينه وحماية ملته جادون مجتهدون، وللأدلة والحجج مقرون، وللأحكام الدينية مستخرجون ومستنبطون، كلما مضى سلف جاء بعده خلف تكلفت كل طائفة بنوع مخصوص"⁷، وبقرّبهم من الرسول/النموذج ونهج خطاه اقتربوا من الله سبحانه فمنحهم "الألقاب والخلع والإمارة"⁸.

وبعد هذا الإنسان الكامل/النموذج يقدم المدغري نموذجاً آخر تفرع عن سابقه أو أقول استنبط منه قدراً من الصفات، وإن كانت لا ترقى إلى الأصل، وتأتي له ذلك بالاحتكاك والاتباع، ويتشخص هذا

1- المصدر نفسه، ص 633.

2- المصدر نفسه، ص 633.

3- محمد العربي المدغري، رسالة الإذن، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط، رقم 140ك، ص 104.

4- المدغري، الحسن الباهر، ص 771.

5- محمود بن الشريف، الحب في القرآن، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1983م، ص 24.

6- سمير الحلبي، المحبة، مكتبة الصحابة، طنطا، 1408هـ/1988م، ص 40.

7- المدغري، الحسن الباهر، ص 772.

8- الحيلاني، الفتح الرباني، ص 148.

النموذج الثاني فيجيل الصحابة رضوان الله عليهم، الذين رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي مقدمة هؤلاء خلفاؤه الأربعة الذين تحملوا مسؤولية الأمة بعده. وللإشادة بهذا الجيل خصص المدغري ترجمة له سماها "إتحاف عامة أهل الإيمان بذكر محاسن أصحاب حبيب الرحمان"¹. وكعادته في أسلوبه التخصيصي أورد المدغري مجموعة من الأحاديث تختلف درجة صحتها، يمجّد الرسول صلى الله عليه وسلم فيها: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحزمة، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمان بن عوف، وخالد بن الوليد، وأبو ذر، والمقداد وسلمان... ووصفهم بالخصال الحميدة وأخبر بمحبته لهم².

ويعتبر أبو بكر رمز النموذج الثاني، فإبان تقلده لمنصب خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم اعتبر هذا الاستخلاف تكليفا لا تشريفا، دخلها (الخلافة) غنيا وخرج منها فقيرا، حيث أنفق ماله كله في مصلحة الأمة الإسلامية. وترك التجارة التي كان يتعاطى لها من قبل، واكتفى منها فقط بما يسد به رمقه ليصرف باقي وقته لأمر الخلافة³. وتميزت حياته رضي الله عنه بخشونة العيش⁴، فمباشرة بعد توليه الخلافة لقيه عمر في السوق، وقال: أين تريد؟ قال: السوق، قال تصنع ماذا؟، وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟⁵. ولقد سجل رضي الله عنه أروع مثال في التضحية والأمانة والإيثار، ففي حالة احتضاره أوتي بكفن جديد فقال: انظروا لي قديما يأكله التراب، وأما الجديد فالحى أولى به⁶. والأمثلة كثيرة جدا وفي جميع مياديننا لحياة: تربوية، وسياسية، واجتماعية وغيرها.

أما الفاروق فحتى الأعداء شهدوا له بالعدل والتفاني في خدمة الأمة ورعايتها، فبعد توليه للخلافة خرج إلى السوق ووضع قربة ماء، فلقيه ابنه وسأله مستكبرا: لم فعلت هذا؟ قال: نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها⁷. وسمعه أنس بن مالك من وراء الجدار يقول: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ، وبخ والله يا بني الخطاب لتتقين الله أو ليعذبك⁸. ولقد أورد المدغري بعض النماذج من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه⁹. ومن ناقلة القول بأن سيرة الفاروق شكلت نموذجا للخصال الحميدة السامية الإسلامية.

1- المدغري، الحسن الباهر، ص 669.

2- المصدر نفسه، ص 246، 309، 310، 334، 335، 350، 351، 361.

3- محمد يوسف، حياة الصحابة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ/1999م، ج2، ص 159.

4- ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت، 1377هـ/1957م، ج33، ص 196.

5- المصدر نفسه، ج3، ص 184.

6- المصدر نفسه، ج3، ص 197.

7- ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1977م، ج7، ص 135.

8- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص 229.

9- المدغري، الحسن الباهر، ص 769، 770.

وبخصوص الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فقد كان سخيا، حيث جهز جيش العسرة في وقت اشتد كرب المسلمين، وأنفق ماله بدون حد ولا عد لمصلحة الأمة¹. وكان رضي الله عنه زاهدا ورعا يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل بالخل². وبالإضافة إلى ذلك فإنه أكثر حياء³.

وحظيت شخصية الخليفة الرابع علي بن أبي طالب باهتمام كبير من لدن المدغري، فقد خصص له ترجمة تضم فصولا عدة سماها "غاية المنى والسؤل في مناقب ابن عم الرسول أمير المؤمنين أبي الحسن زوج البتول"⁴، وأكثر من ذلك فإن المدغري اعتبره عضوا من الدائرة الشريفة/آل البيت الذين أُلِفَ "الحسن الباهر" من أجلهم.

ولهذا فإن الخليفة الرابع يشكل نقطة تقاطع بين النموذج الثاني الذي يشكله الصحابة عموما والخلفاء الراشدون على وجه الخصوص، والنموذج الثالث. سأتطرق له لاحقا. الذي يتكون من آل البيت. وتحاول الطرق الصوفية عامة، ومن بينها الدرقاوية، البحث عن شرعية وجودها، فتعتمد وسيلة لذلك تسميها "السند المعنوي"، وعلى كثير من الأحاديث النبوية رغم ما تلقاه من نقد، وأضرب مثالا لذلك بالحديث النبوي: "أنا مدينة العلم وعلى بابها"، وفي رواية: "فمن أراد العلم فليأت من الباب"، وفي أخرى عند الترمذي: "أنا دار الحكمة وعلى بابها"⁵. ويمتاز الإمام علي عن غيره من الصحابة، وحتى عن بني هاشم بأنه الشخص الوحيد الذي نشأ وتربى في بيت النبوة، فكان أول من أسلم من الصبيان⁶.

ولقد وصف المدغري عليا بن أبي طالب بصاحب الأخلاق المثالية والمعاني السامية، والسلوك الرباني، فيما نسب له لضرار الصداي، من أصحاب علي، عندما طلب منه معاوية بن أبي سفيان أن يصفه له فقال: اعفني يا أمير المؤمنين. قال: لتصنفه. قال: والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فعلا ويحكم عدلا، يتجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرته، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة كثير الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استبأناه، ونحن والله مع تقرّبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبه له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، أشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تملل السقيم، ويبكي

1- الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج9، ص 85. ابن عبد البر،

الاستيعاب، تحقيق الجاوي، القاهرة، دون تاريخ، ج3، ص 1040.

2- محمد يوسف، حياة الصحابة، ج1، ص 116.

3- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص 60.

4- المدغري، الحسن الباهر، ص 325.

5- المصدر نفسه، ص 347.

6- ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص 233.

بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، إلي تعرضت أم إلي تشوفت، هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة لي فيها، فعمرك قصير، وخطرك حقير، أن من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق¹.

وبهذا كان علي شبيها بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر وعمر وعثمان، إنسانا ربانيا لينا متواضعا، زاهدا في الدنيا، وهي طوع يده، مقامه مقام العظمة، وأحواله أحوال المساكين، كما تجلى في مأكله وملبسه وكل شؤونه. إضافة إلى إثارة المتناهي رغم الجوع وقلة الزاد²، ومسارحته وهروله للعبادة³. وبالجملية فسيرته رضي الله عنه درسا نموذجيا لكل المتبعين، وقد حاول المدغري الإحاطة بأوصافه فنعتة بـ"سيد النجباء، وإمام النقباء، ومفزع الأولياء، وقبله الأصفياء، ونور الأتقياء، سيف النبوة المخصوص بالأخوة، دارس الرسالة، ومعدن الجلالة، مولى الأمة، وسفينة النجاة، وعين الحياة نور الشمس وقوت النفوس، وشرف الأقمار، وبهجة الأبرار، وغم الفجار، ومبيد الكفار، وابن عم المختار، ليث الكتائب، والسهم الصائب، زخر بني غالب"⁴.

إن الاستناد إلى فترة الخلفاء الراشدين/النموذج الثاني، ومحاولة الاقتداء بهم من قبل كل أعضاء الأمة الإسلامية بغض النظر عن توجهاتهم ومذاهبهم ليس ضربا من العبث، فالكل يبحث عن سند الانتماء، ونهج سنة الاتباع سواء وفق أول م يوفق، فهذه الخلافة لم تكن من طراز دول الدنيا [بل] هي بالأمور النبوية وللأحوال الأخيرية أشبه. والحق في هذا أن زيتها قد كان زي الأنبياء، وهدايا هدي الأولياء، وفتوحها فتوح الملوك العظام، فأما زيتها فهو الخشونة في العيش والتنقل في المطعم والملبس. كان أحدهم يمشي راجلا وعليه القميص الخلق المرفوع إلى نصف ساقه، وفي رجله تاسومة [نعل صحراوية] وفي يده درة. فمن وجب عليه حد استوفاه منه. وكان طعامهم من أدنى فقرائهم⁵.

وإلى جانب الخلفاء/النموذج الثاني، أورد المدغري مقتطفات من حياة الصحابة الآخرين بغية اتباع خطاهم، أذكر منهم: العباس، وحمزة، وجعفر، والمقداد، وسلمان وأبو ذر.

أما النموذج الثالث، فيأتي في مقدمته بالإضافة إلى علي، كل من فاطمة الزهراء، والحسن والحسين، وقد خصص المدغري تراجم لاستعراض أطوار حياتهم وفضائلهم، فاعتبر علي نظير رسول الله صلى الله عليه وسلم⁶، ومولى كل مؤمن ومؤمنة⁷.

1- المدغري، الحسن الباهر، ص 369، 370.

2- المصدر نفسه، ص 475.

3- المصدر نفسه، ص 457، 458.

4- المصدر نفسه، ص 524.

5- ابن طباطبا، تاريخ الدول الإسلامية، دار صادر بيروت، دون تاريخ، ص 73.

6- المدغري، الحسن الباهر، ص 335.

7- المصدر نفسه، ص 361.

وأما الحسين رضي الله عنه فقد كان أشبه الناس به عليه السلام¹، واتخذ الحسن نموذجاً للصالح بين الفئات الإسلامية المتخاصمة². ولم يقتصر الأمر على هؤلاء بل حتى ذريتهم، ففي أبيات لبعض آل أبي بكر الصديق حين أتاه أحد أهل البيت ليزوره، قابله بكثير من التقدير والاحترام مخاطباً إياه:

إذا زرتموننا لفضلكم	وإن نحن زرتناكم فمن فضلكم زرنا
طهرتم فطهرنا بفضل طهوركم	وطبتم فمن طيب طيبكم طبنا
وإن نحن قلنا قول مفصل	فمما سمعنا منكم عنكم قلنا
ورثنا من الآباء حفظ وداكم	وإن نحن قد متنا فنورثه الأبناء ³

وكان المدغري بذلك يذكر القارئ بالاحترام الذي كان يوليه أبو بكر، كباقي الصحابة . لآل البيت، وهي دعوة مدغرية لاحترام آل البيت بغض النظر عن مكان وزمان تواجدهم.

ومن داخل النموذج يبرز المدغري شخصية كل من زين العابدين، فقد كان عظيم التجاوز والعفو والصفح، حتى إنه سبه رجل فتغافل عنه فقال له: إياك أعني، فقال: وعنك أعرض في إشارة إلى آية ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: 199]. ووصف أبا جعفر محمد الباقر بالزهد والعلم والعبادة⁴. ومما يعبر عن فطنة الحسن أبي محمد الحسن الخالص أن أحداً رآه وهو صبي يبكي فقال له: اشتر لك ما تلعب به، فقال: يا قليل العقل، ما للعب خلقنا، فقال له: فلماذا خلقنا؟ فقال: للعلم والعبادة، فقال له: من أين لك ذلك؟ قال من قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ [المؤمنون: 116]⁵.

ويدعو المدغري كل من ينتسب إلى هؤلاء جسدياً/ينياً أن يقتدي بسيرتهم ونهجهم، حتى يتصل بهم دينياً، وفي هذا الصدد يقول: "كانت سيرتهم الحسنة، وأحوالهم وأفعالهم الجميلة المستحسنة، وأقوالهم ومآلهم من الأسرار والكرامات، فالعلوم والأحوال والمقامات، يتوارثون المجد والمآثر فاضلاً عن فاضل وكابراً عن كابر، فينبغي لكل فرع أصله من هذه الشجرة أن تكون ثمرته مثل هذه الثمرة، وأن يقتدي بهذا الهدى الحسن، ويرغب من مولاه أن يجريه على هذه السنن"⁶. وأخيراً فقد شكل النموذج الرابع، حسب التقسيم المدغري، "كل المؤمنين السابقين، ومن سلك طريقهم وتبع نهجهم إلى يوم القيامة"⁷. وقد خصص

1- المصدر نفسه، ص 381.

2- المصدر نفسه، ص 558.

3- المصدر نفسه، ص 594، انظر كذلك، ص 538، 539.

4- المصدر نفسه، ص 635.

5- المصدر نفسه، ص 646.

6- المصدر نفسه، ص 648.

7- المصدر نفسه، ص 728.

المدغري لهذه المجموعة ترجمة سماها "إتحاف عامة أهل الإيمان بذكر محاسن أصحاب حبيب الرحمان"¹.

خلاصة القول إن الشرف والولاية شكلا أحد أهم مقومات البنية الاجتماعية والثقافية والعقلية بالمغرب الواحي في العصر الحديث، بفضل ما قام به الأشراف والأولياء من أدوار ووظائف متنوعة لصالح المجتمع والسلطة، إما لتثبيت اللحمة الداخلية، أو التصدي لمختلف الأخطار، الطبيعية والبشرية، التي واجهت الأفراد والأسر، مما جعلهم فاعلين حيويين في المشهد التاريخي وقتئذ.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا- المصادر

- ابن أحمد (الحسن بن أحمد بن محمد)، الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية، مخطوط بالمكتبة الوطنية للملكة المغربية، الرباط، رقم 1351د.
- البدوي (زويتن)، رسالة البدوي زويتن، وثيقة خاصة، غير مؤرخة.
- ابن عبد البر، الاستيعاب، تحقيق البجاوي، القاهرة، دون تاريخ.
- ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، تصحيح وتعليق محمود عبد الوهاب فايد، دار العلم للملايين، بيروت، دون تاريخ.
- ابن تيمية، الصوفية والفقراء، تحقيق وتعليق أبو حفص بن إبراهيم بن صادق عمران، دار الحديث، ط1، دون تاريخ.
- ابن تيمية، فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي، 1398-1403هـ.
- الجيلاني (عبد القادر)، السفينة القادرية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، ص90، 152.
- الجيلاني (عبد القادر)، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المكتبة الشعبية، بيروت/مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، دون تاريخ.
- الحلبي (سمير)، المحبة، مكتبة الصحابة، طنطا، 1408هـ/1988م.
- الدرقاوي (محمد العربي المدغري)، الحسن الباهر في أهل النسب الطاهر، دراسة وتحقيق الحاج ساسيوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، المملكة المغربية، 1420-1421هـ/1999-2000م، (مرقونة).
- الدرقاوي (محمد العربي المدغري)، رسالة للمدغري، وثيقة خاصة، غير مؤرخة.
- الدرقاوي (محمد العربي المدغري)، رسالة للمدغري، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط، رقم 3353د، مؤرخة ب6 محرم 1289هـ.
- الدرقاوي (محمد العربي المدغري)، رسالة للمدغري، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط، رقم 3705د.
- الدرقاوي (محمد العربي المدغري)، رسالة الإذن، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط، رقم 140ك.
- ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت، 1377هـ/1957م.

1- المصدر نفسه، ص 679.

- الشاطبي (أبو إسحاق)، الاعتصام، مطبعة السعادة، القاهرة، دون تاريخ.
- ابن طباطبا، تاريخ الدول الإسلامية، دار صادر بيروت، دون تاريخ.
- ابن عجيبة (أحمد)، معراج التنشوف إلى حقائق التصوف، مطبعة الميرني، تطوان، ط1، 1402هـ/1982م.
- ابن قيم (الجوزية)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي وزائد بن أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي بجهة، 1429هـ.
- ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1977م.
- الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م.

ثانياً- المراجع

- حوى (سعيد)، تربيتنا الروحية، دار الكتب العربية، بيروت/دمشق، ط1، 1399هـ/1979م.
- زيدان (يوسف محمد طه)، الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.
- ابن الشريف (محمود)، الحب في القرآن، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1983م.
- صدقي (محمد)، موقع الشرف في التجارب السياسية والمذهبية لدول عصر الوسيط (من 317هـ/929م إلى 759هـ/1358م)، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي شعيب الدكالي، الجديدة، المملكة المغربية، 2016-2017م، (مرقونة).
- الصغير (عبد المجيد)، التصوف كوعي وممارسة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1999م.
- عبد اللوي علوي (أحمد)، مدغرة وادي زيز: إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1416هـ/1996م.
- القبلي (محمد)، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1987م.
- يوسف (محمد)، حياة الصحابة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ/1999م.
- Larbi Mezzine, Le Tafilalte, contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIe et XVIIIe siècles, Université Mohamed V, Rabat, 1987.

الملك عبدالعزيز في مجلة الكويت
1348-1346 هـ / 1930-1928 م
King Abdulaziz in Kuwait Magazine
1348 H - 1346 - 1928-1930 M

د. أحمد بن عبدالله العرف، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد بقسم التاريخ

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم - المملكة العربية السعودية

Dr. Ahmed Bin Abdullah Al-Orf; Assistant Professor of Modern and Contemporary History, Department of History

College of Arabic Language and Social Studies, Qassim University - Kingdom of Saudi Arabia

AH.ALORF@qu.edu.sa

ملخص

تناولت كثير من الدراسات الأكاديمية والعديد من الصحف والمجلات العربية والأجنبية تاريخ المملكة العربية السعودية وحكامها، وكان من بينها "مجلة الكويت" تلك التي حوت العديد من الأحداث التاريخية المتعلقة بتاريخ الملك عبدالعزيز ومملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، "المملكة العربية السعودية" في الفترة ما بين عامي 1346-1348 هـ/1928-1930 م، لذا حرصت على جمع كل تلك الأحداث التاريخية وترتيبها والتعليق عليها وترجمة الأعلام والمواقع والبلدان وضمتها في هذا البحث تحت عنوان: "الملك عبدالعزيز في مجلة الكويت 1348-1346 هـ/1928-1930 م".

احتوى هذا البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة فيها أهم النتائج تلاها قائمة الملاحق ومن ثم المصادر والمراجع وفهرساً للموضوعات.

أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وتقسيمه وأهم مصادره. وتناول المبحث الأول التعريف بالمجلة والحديث عن عبدالعزيز الرشيد البдах تناولت فيه: حياته وأعماله ورحلاته وعلاقته بالملك عبدالعزيز ومن ثم التعريف بمجلة الكويت. أما المبحث الثاني: فقد تضمن الحديث عن الأحداث والأخبار التاريخية المتعلقة بالملك عبدالعزيز ومملكته الواردة بالمجلة من شهر رمضان 1346 هـ/ فبراير 1928 م حتى شهر محرم من عام 1348 هـ/ يوليو 1930 م. ومن ذلك الحديث عن حائل وحالتها الطبيعية والعلمية والاقتصادية والسياسية، وهجون الإخوان على أطراف الكويت "هجوم ابن شقير" وهجوم ابن عشوان "حادثة الرقعي"، والأخبار المختلفة على الحجاج، و الملك عبدالعزيز والإخوان في "معركة السبله 19 من شوال 1347 هـ/ 30 مارس 1929 م، ومعركة أم رضة في 5 ربيع الثاني 1348 هـ/ 9 سبتمبر 1929 م". وتطرق المبحث الثالث: الحديث عن الأحداث التاريخية الخاصة بالملك عبدالعزيز ودولته الواردة بالمجلة من شهر صفر 1348 هـ/ يوليو 1929 م حتى شهر شوال 1348 هـ/ مارس 1930 م، ومن ذلك صدق انتصار الملك عبدالعزيز على الإخوان في البحرين، وخضد شوكة الإخوان ومآل حركتهم، و تاريخ نجد من خلال قصيدة شاعر الخليج خالد بن محمد آل فرج "البائية" تضمنت موجز تاريخ آل سعود "الملك عبدالعزيز ونسبه - والشيخ محمد بن عبدالوهاب ومقاومة آل معمر للشيخ ونصرة آل سعود له"، و ما قاله مندوب الأهرام عن إصلاحات الحجاز، وتضمن كذلك زيارة الملك عبد العزيز إلى البحرين، آمال الملك عبدالعزيز الكبيرة بنشر أسفار العلوم الدينية. أما المبحث الرابع فقد خُصص للحديث عن مصداقية مجلة الكويت وقيمتها التاريخية. وفيه: مقارنة بعض أخبار المجلة في سنتي صدورها 1346-1348 هـ/ 1928-1930 م بصحيفة أم القرى التي تصدر بمكة المكرمة حينذاك. ومن ثم الإشارة إلى قيمة المجلة التاريخية. وأخيراً الخاتمة وفيها أهم النتائج تلاها قائمة الملاحق ومن ثم المصادر والمراجع وفهرساً للموضوعات.

الكلمات المفتاحية: نجد - الحجاز - الملك عبدالعزيز - الكويت - السبله - أم القرى.

Abstract

Many academic studies and many Arab and foreign newspapers and magazines dealt with the history of the Kingdom of Saudi Arabia and its rulers, including the "Kuwait Magazine", which contained many historical events related to the history of King Abdulaziz, the Kingdom of Hejaz and Najd and its appendices. "The Kingdom of Saudi Arabia" in the period between the years 1346-1348 H / 1928-1930 M, so it was keen to collect, arrange and comment on all these historical events and translate flags, sites and countries and include them in this research under the title: "King Abdulaziz in Kuwait Magazine 1346-1348 H / 1928-1930 M".

This research contained an introduction, four sections and a conclusion in which the most important results followed by a list of appendices and then sources and references and an index of topics.

As for the introduction, it showed It contains the importance of the topic, the reasons for its selection, division and the most important sources.

The first section dealt with the definition of the magazine and talk about Abdulaziz Al-Rasheed Al-Baddah dealt with: his life, his work, his travels and his relationship with King Abdulaziz and from Then the definition Kuwait Magazine.

The second topic included talking about the historical events and news related to King Abdulaziz and his kingdom contained in the magazine from the month of Ramadan 1346 H / February 1928 M until the month of Muharram in 1348 H / July 1930 M.

This includes talking about Hail and its natural, scientific, economic and political state, and the Brotherhood's attacks on the outskirts of Kuwait, "Ibn Shuqair attack", Ibn Ashwan's attack, "Al-Riggae incident", and fabricated news on pilgrims, and King Abdulaziz and the Brotherhood in "The Battle of Al-Sablah 19 of Shawwal 1347 H / March 30, 1929 M, and the Battle of um Radmah on 5 Rabi' Al-Thani 1348 H / September 9, 1929 M".

The third topic dealt with: talking about the historical events of King Abdulaziz and his state contained in the magazine from the month of Safar 1348 H / July 1929 AD until the month of Shawwal 1348 H / March 1930 M, including the echo of King Abdulaziz's victory over the Brotherhood in Bahrain, And break the thorn of the Brotherhood and the fate of their movement, and the history of Najd through the poem of the Gulf poet Khalid bin Mohammed Al Faraj "Al-Ba'i" included a summary of the history of the House of Saud "King Abdulaziz and his lineage - and Sheikh Mohammed bin Abdul Wahhab and the resistance of Al Muammar to the Sheikh and the support of Al Saud him", and what he said representative of Al-Ahram about the reforms of the Hijaz, and also included the visit of King Abdul Aziz to Bahrain, King Abdulaziz's great hopes to publish the books of religious sciences.

The fourth section was devoted to talking about the credibility of Kuwait magazine and its historical value.

In it: Comparing some of the magazine's news in the years of its publication 1346-1348 H / 1928-1930 M with um Al-Qura newspaper, which was published in Makkah Al-Mukarramah at that time. Hence the reference to the value of the historical journal.

Finally, the conclusion, which contains the most important results, and then the sources and references.

Key words: Najd - Hijaz - King Abdulaziz – Kuwait – Sabilla - Umm al-Qura.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادي الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد: تناولت كثير من الدراسات الأكاديمية والعديد من الصحف والمجلات العربية والأجنبية تاريخ بلادنا الغالية، وكان من بينها "مجلة الكويت" تلك التي حوت العديد من الأحداث التاريخية المتعلقة بتاريخ الملك عبدالعزيز

ومملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، "المملكة العربية السعودية" في الفترة ما بين عامي 1346-1348هـ/1928-1930م، لذا حرصت على جمع كل تلك الأحداث التاريخية وضمها في هذا البحث تحت عنوان: "الملك عبدالعزيز في مجلة الكويت 1346-1348هـ/1928-1930م"، وكان ذلك بعد تتبع كل تلك الأحداث والموضوعات التاريخية في المجلة التي تطرقت لتاريخ الملك ومملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ورتبتها حسب تسلسلها التاريخي، آملاً تحقيق الأهداف المرجوة، من هذا البحث، ولعل أهمية هذا البحث وأسباب اختياره تكمن فيما يلي:

- التعرف على صاحب هذه المجلة وعلى علاقته بالملك عبدالعزيز.
 - الكشف عن الجزء من تاريخ بلادنا في هذه المجلة.
 - معرفة نظرة أهل تلك البلاد عن الأحداث التاريخية في تلك المدة.
 - السعي لخدمة الباحثين والمهتمين بتاريخ الملك عبدالعزيز والمملكة العربية السعودية.
 - أن بعض الموضوعات لم تمتد إليها يد الباحثين بعد.
 - جمع كل ما يتعلق بتاريخ الملك عبدالعزيز الموجود في هذه المجلة.
 - استعراض بعض معارك التوحيد في غير المصادر المحلية.
- بدأت في هذا البحث الذي قسمته أربعة مباحث بدأتها بمقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وتقسيمه وأهم مصادره.
- أما المباحث فهي على النحو التالي:
- المبحث الأول:** وفيه تعريف بالمجلة والحديث عن عبدالعزيز الرشيد البдах تناولت فيه: حياته وأعماله ورحلاته وعلاقته بالملك عبدالعزيز ومن ثم التعريف بمجلة الكويت.
- المبحث الثاني:** تضمن الحديث عن الأحداث والأخبار التاريخية المتعلقة بالملك عبدالعزيز ومملكته الواردة بالمجلة من شهر رمضان 1346هـ/ فبراير 1928م حتى شهر محرم من عام 1348هـ/ يوليو 1930م.
- ومما جاء فيه:

- تاريخ نجد الحديث تضمن الحديث عن حائل وحالتها الطبيعية والعلمية والاقتصادية والسياسية.
- هجوم الإخوان على أطراف الكويت "هجوم ابن شقير" وهجوم ابن عشوان "حادثة الرقعي".
- الحجاز بين الأمس واليوم.
- عطف الملك عبدالعزيز على فقراء الطائف.
- الأخبار المختلفة على الحجاج.
- الملك عبدالعزيز والإخوان "معركة السبلة في التاسع عشر من شوال سنة 1347هـ/ 30 مارس 1929م، ومعركة أم رضة في 5 ربيع الثاني 1348هـ/ 9 سبتمبر 1929م"

المبحث الثالث: وفيه الحديث عن الأحداث التاريخية الخاصة بالملك عبدالعزيز ودولته الواردة بالمجلة من شهر صفر 1348هـ/يوليو 1929م حتى شهر شوال 1348هـ/مارس 1930م.

ومما جاء فيه:

- صدق انتصار الملك عبدالعزيز على الإخوان في البحرين.
- خضد شوكة الإخوان ومآل حركتهم.
- تاريخ نجد قصيدة شاعر الخليج خالد بن محمد آل فرج "البائية" تضمنت موجز تاريخ آل سعود "الملك عبدالعزيز ونسبه - والشيخ محمد بن عبدالوهاب ومقاومة آل معمر للشيخ ونصرة آل سعود له".
- ما قاله مندوب الأهرام عن إصلاحات الحجاز.
- زيارة الملك عبد العزيز إلى البحرين.
- آمال الملك عبدالعزيز الكبيرة بنشر أسفار العلوم الدينية.

أما المبحث الرابع فجاء بعنوان: مصداقية مجلة الكويت وقيمتها التاريخية.

وفيه: مقارنة بعض أخبار المجلة في سنتي صدورها 1346-1348هـ/1928-1930م بصحيفة أم القرى التي تصدر بمكة المكرمة حينذاك. ومن ثم الإشارة إلى قيمة المجلة التاريخية. وأخيراً الخاتمة وفيها أهم النتائج تلاها قائمة الملاحق ومن ثم المصادر والمراجع وفهرساً للموضوعات. ولا أنسى أن أقدم كل الشكر أولاً لله سبحانه وتعالى ولكل من مد لي يد العون والمساعدة وأخص بذلك صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود الذي كان له بعد الله الفضل الكبير من خلال توجيهاته وإرشاداته وتزويده لي بالمصادر التاريخية للمملكة العربية السعودية، والشكر موصول للأستاذ الدكتور محمد بن عبدالله السلطان وللجميع كل الدعوات الصادقة.

المبحث الأول:

أ- عبدالعزيز الرشيد البداح: نشأته، حياته وأعماله ورحلاته وعلاقته بالملك عبدالعزيز.

ب- التعريف بمجلة الكويت.

● أ- عبدالعزيز بن أحمد الرشيد البداح: نشأته، حياته وأعماله ورحلاته وعلاقته بالملك عبدالعزيز:

عاش أحمد الرشيد البداح شطراً من حياته في نجد في الزلفي، وهاجر إلى الكويت ورزق في الكويت بولده سماه عبدالعزيز، وكانت ولادته سنة 1305هـ/1887م وأدخله أحد الكتاتيب، ولما بلغ السادسة أرسله إلى معلم كان يُدرس إلى الغرب من مسجد آل عبدالزراق، وبعدما ختم عبدالعزيز القرآن الكريم، التحق بمجلس علم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان⁽¹⁾، فدرس الفقه الحنبلي وأسس النحو والصرف⁽¹⁾ ثم غادر الكويت إلى

(1) **عبدالله بن خلف الدحيان:** ولد سنة (1875 - 1931) (1292 هـ - 1349 هـ) في مدينة الكويت ونشأ فيها. ذهب إلى الزبير لطلب العلم، وتعلم عند الشيخ عبدالله بن حمود والشيخ صالح المبيض والشيخ محمد بن عبدالله العوجان، ثم رجع إلى الكويت وشرع في التعليم، وهو عالم وقاضٍ وشاعر كويتي. ألزمه الشيخ جابر الصباح بمنصب القضاء سنة 1346هـ/1929م

مدينة الزبير طلباً للعلم، وقد وصلها سنة 1320 هـ/1902م والتحق بدروس الفقه الحنبلي على الشيخ محمد بن عبدالله العوجان⁽²⁾ في مدرسة الزهير في مسجد الباطن، كما درس في تلك المدرسة أصول الفقه والنحو والتجويد والفلك والجبر والهندسة⁽³⁾ وبعد سنة من الدراسة عاد عبدالعزيز إلى الكويت فزوجه والده لكي يستقر؛ لكنه بعد شهور سافر عبدالعزيز وحيداً إلى الأحساء طلباً للعلم سنة 1324 هـ/1906م، فلحق به والده وأعادته إلى الكويت، لكنه عاد إلى الأحساء ثانية ثم عاد إلى الكويت وعمل مع والده في الغوص على اللؤلؤ⁽⁴⁾ وفي سنة 1329 هـ/1911م غادر الكويت إلى بغداد طلباً للعلم، وقصد علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي⁽⁵⁾ الذي رحب بعبدالعزیز فدرس النحو على الشيخ محمد شكري وأخيه علاء الدين الألوسي⁽⁶⁾.

حياته العملية:

لكنه لم يستمر به سوى سنة واحدة. كان مثالا للعفة والنزاهة حين تولّى القضاء، وقد تميّز بالسماحة والكرم، وكثرة العلم والتواضع. له شعر جيد، توفي في رمضان سنة 1349 هـ/1930م. يعقوب: إميل، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، مج ٢، الطبعة الأولى؛ دار صادر، بيروت ٢٠٠٩م، ص ٧٣٥؛ القناعي، يوسف بن عيسى: صفحات من تاريخ الكويت، ط4، مطبعة الحكومة، الكويت، 1388 هـ/1968م، ص. ص 46-47

(1) الدغيم، محمود السيد: الشيخ عبدالعزيز الرشيد رائد الصحافة في أندونيسيا، صحيفة الحياة، العدد 13472، تاريخ النشر 1420/10/23 هـ، ص19.

(2) الشيخ محمد بن عبدالله العوجان: أصله من بلدة القصب من بلدان الوشم بنجد، ولد في الزبير عام 1269 هـ-1852م. نشأ فيها وتعلم على أشهر مشايخه منهم الشيخ أحمد بن عثمان بن جامع، حتى صار من أكبر وأشهر علماء الزبير؛ أخذ عنه علماء كثيرون الفقه والفرائض والحديث، منهم الشيخ عبدالمحسن أبابطين والشيخ ناصر بن إبراهيم وغيرهم، كان إماماً في مسجد غانم بعد وفاة والده عبدالله، ثم جعل أخاه أحمد إماماً فيه بدلاً منه، توفي يوم الثلاثاء غرة جمادى الأولى سنة 1342 هـ/1924م. البسام: يوسف حمد، الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، طبع في المطبعة العصرية: الكويت، 1391 هـ/1971م، ص 80؛ وانظر: آل بسام، عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط2، مج6، دار العاصمة، الرياض 1419 هـ، ص 164.

(3) الدغيم: رائد الصحافة في أندونيسيا، صحيفة الحياة، مرجع سابق، ص19.

(4) الحجي، يعقوب بن يوسف: الحجي، يعقوب بن يوسف: الشيخ عبدالعزيز الرشيد سيرته وحياته، ط1، مركز البحوث والدراسات الكويتية، تاريخ النشر 1991م، ص33؛ الدغيم: رائد الصحافة في أندونيسيا، صحيفة الحياة، مرجع سابق، ص19.

(5) محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين محمود الألوسي، ولد سنة 1273 هـ/1857م في بغداد، وهو مؤرخ، عالم بالأدب والدين، نشأ في بيت علم ودين، أخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما، وأخذ عن أبيه مبادئ العربية والخط، وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد، له 52 مصنفاً بين كتاب ورسالة ومن مؤلفاته: فتح المنان، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح مسائل الجاهلية، وشرح منظومة عمود النسب، توفي في الرابع من شهر شوال عام 1342 هـ/1924م على إثر مرض ألم به. الزركلي: خير الدين، الأعلام، مصدر سابق، مج7، ص172.

(6) معجم البابطين لشعراء العربية: سيرة عبدالعزيز الرشيد

عمل الشيخ عبدالعزيز معلماً في المدرسة المباركية⁽¹⁾ بالكويت عام 1332هـ/1917م⁽²⁾ كانت المدرسة المباركية آنذاك المدرسة النظامية الوحيدة بالكويت، وكان لها مجلس يدير شؤونها من أعيان الكويت، وهو المسؤول عن توفير المال اللازم لها، وبعد أن حصل خلاف بين ناظرها يوسف القناعي⁽³⁾ والشيخ مبارك الصباح⁽⁴⁾ استلم الشيخ عبدالعزيز إدارتها فأصبح مديراً لها وهو في الثلاثين من عمره، وكان يتقاضى راتباً قدره 100 روبية، وفي عام 1337هـ/1919م تأسست مدرسة العامرية على يد عبدالملك الصالح⁽⁵⁾، وانتقل إليها عبدالعزيز الرشيد⁽⁶⁾ ولما أسس الشيخ أحمد الجابر⁽¹⁾ مجلس أعيان الكويت

(1) المدرسة المباركية كانت هناك أعين تراقب منهجها ولا ترى إدخال غير العلوم الدينية، فالجغرافيا والهندسة واللغة الإنجليزية من المواد غير المرضي عنها، وهي محرمة ولا يجوز تدريسها مادامت هذه المدرسة تعتمد في ميزانياتها على تبرعات الأهالي، وعلى ما لديها من استثمار بسيط في حرفة الغوص على اللؤلؤ؛ الحجي، يعقوب: مرجع سابق، ص 67.

(2) أسرة التحرير صحيفة الرياض: عبدالعزيز بن أحمد بن رشيد البداح، العدد 15922، تاريخ النشر الجمعة 4 ربيع الأول 1433هـ.

(3) يوسف بن عيسى القناعي: من قبيلة السهول ولد في الكويت عام 1296هـ/1879م وتوفي فيها في عام 1393هـ/1973م، درس على يد عدد من العلماء في البصرة ومكة المكرمة، تولى القضاء في الكويت وأسهم في تأسيس مجلس الشورى في عام 1921م/1339هـ، وله أعمال كبيرة في التعليم وافتتح عدداً من المدارس وهو أحد رواد النهضة في تاريخ الكويت، وأسهم في نهضتها الأدبية، وقد سعى في الإصلاح الاجتماعي لدولته، له عدد من الكتب المطبوعة، ومن تلاميذه الشيخ سالم بن مبارك الصباح، حاكم الكويت من (1917 - 1921م/1335-1339هـ) والشيخ عبدالله السالم الصباح، حاكم الكويت (1950 - 1964م/1369-1384هـ)؛ الرومي، عدنان بن سالم: علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون، ب.ط، مكتبة المنار الإسلامية الكويت، 1420هـ/1999م، ص 455-492؛ مجلة الوعي الإسلامي: يوسف بن عيسى القناعي، العدد 532، تاريخ النشر 3/9/2010م.

(4) مبارك بن صباح بن جابر بن عبد الله بن صباح، ولد في الكويت عام 1269هـ/1844م، وهو الولد الثالث للشيخ صباح والحاكم السابع من أمراء آل الصباح في الكويت ويلقب بمبارك الكبير، ومؤسس الكويت الحديثة. نشأ فيها وكان ذكياً عالي الهمة، نافذ الكلمة، انفرد بالحكم في سنة 1313هـ/1896م، وترجع علاقة الشيخ مبارك مع الملك عبدالعزيز إلى عام 1310هـ/1892م يوم نزلها مع أسرته وتوطدت العلاقة بعد أن انفرد الشيخ مبارك بالحكم سنة 1313هـ/1896م واسترداد الملك عبدالعزيز الرياض في 5 شوال 1319هـ/15 يناير 1902م، وكذلك نجدة الملك عبدالعزيز للشيخ مبارك يوم حاصر ابن رشيد الكويت في العام نفسه الذي فتح فيه الرياض، إلا أن هذه العلاقة تكررت بسبب تقلب سياسة الشيخ مبارك، توفي -رحمه الله- في 20 من المحرم 1334هـ/18 نوفمبر 1915م. الزركلي، خير الدين: الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، مج 5، الطبعة الخامسة عشر، الناشر: دار العلم للملايين، 2002م، ص 370؛ انظر: القناعي، يوسف بن عيسى: صفحات من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص 21، الرشيد، عبدالعزيز: تاريخ الكويت، وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه يعقوب عبدالعزيز الرشيد، ج 2، طبعة منقحة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1978م، ص 146؛ أبو حاكم، أحمد مصطفى: تاريخ الكويت الحديث 1750-1965م، ط 1، طباعة ونشر وتوزيع ذات السلاسل، بيروت، 1984م، ص 305؛ خزعل، حسين خلف الشيخ: تاريخ الكويت السياسي: عصر الشيخ مبارك، ج 2، (د.ن)، (د.ت)، ص 11-12.

(5) هو عبدالملك الصالح المبيض: ولد في الزبير عام 1308هـ/1891م، تلقى تعليمه في الزبير، ولما قدمت أسرته "المبيض" إلى الكويت، عمل معلماً في المدرسة المباركية، ثم أسس المدرسة العامرية عام 1337هـ/1919م ودرس بها، ثم عين ناظراً للمدرسة الأحمدية 1339هـ/1921م، ثم سكرتيراً لدائرة المعارف، ثم معلماً في المدرسة القبلية عام 1359هـ/1940م، توفي رحمه الله في عام 1365هـ/1946م؛ الرومي: علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون، ص 323-336؛ المطيري، ضاري: علماء من الكويت عبدالملك الصالح المبيض الحنبلي، جريدة الأنباء الكويتية، 31-7-2012م، عدد إلكتروني.

(6) الحجي، يعقوب بن يوسف: الشيخ عبدالعزيز الرشيد ص 68.

المكون من 12 عضواً، كان أحدهم الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرشيد، وقد أصبح عبدالعزيز وجيهاً من وجهاء الكويت، يقابل زوارها بحضور حكامها، فقابل أمين الريحاني⁽²⁾ والشيخ محمد أمين الشنقيطي⁽³⁾ وغيرهم⁽⁴⁾.

(1) أحمد بن جابر بن مبارك آل صباح: (1302 - 1369 هـ / 1885 - 1950 م)، أمير الكويت. ولد ونشأ وتعلم القراءة والكتابة في قصر أبيه، أرسله الشيخ سالم لمفاوضة الملك عبدالعزيز في حفر العتش، وحين توفي الشيخ سالم عُين مكانه أميراً للكويت مبارك سنة 1339 هـ / 1921 م، وأتم الصلح مع الملك عبدالعزيز في سنة ولايته الإمارة، وفي عهده انتعشت الإمارة بظهور آبار النفط، واتسعت الحركة العمرانية فيها، واستمر في الإمارة إلى أن توفي سنة 1369 هـ / 1950 م. الزركلي، خير الدين: الأعلام، مصدر سابق، مج4، ص 106. مجموعة مؤلفين: موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1419 هـ / 1999 م، ص 490.

(2) أمين بن فارس بن أنطوان البجاني، والمعروف بالريحاني: ولد في لبنان عام 1293 هـ / 1876 م، ويعد الريحاني ناشطاً سياسياً، زار عدداً من البلدان العربية والأجنبية، وفي عام 1340 هـ / 1922 م، انطلق في رحلته الشهيرة فزار الحجاز وقابل الشريف حسين ثم زار اليمن والمخلاف السليمانى ونجداً والكويت والبحرين والعراق، وكان نتاج هذه الرحلات عدداً من كتب الرحلات والتاريخ باللغتين العربية والإنجليزية، منها: ملوك العرب، وتاريخ نجد، ودارت بينه وبين الملك عبدالعزيز العديد من المراسلات، توفي في القرية التي ولد بها عام 1359 هـ / 1940 م، وقد ترك نتاجاً أدبياً قوامه 26 كتاباً باللغة العربية و 29 كتاباً باللغة الإنجليزية، بينها 17 مخطوطة؛ الزركلي: الأعلام، ج2، ص18؛ الشاربي، خالد: الملك عبدالعزيز آل سعود من خلال كتابات أمين الريحاني وجون فليبي وحافظ وهبة، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، 1434 هـ / 2013 م، ص10؛ الحايك، نهاد: أمين الريحاني الإنسان والكاتب، مجلة أفاق عربية، مجلد 13، العدد 2، العراق، 1408 هـ / 1988 م، ص152؛ الكيالي: موسوعة السياسة، ج1، ص340.

(3) محمد أمين الشنقيطي: ولد -رحمه الله- في شنقيط عام 1293 هـ / 1876 م في موريتانيا، حيث تلقى علومه الأولية فيها حيث نشأ في بيت علم ودرس مبادئ العلوم وعلوم القرآن والسيرة النبوية، كما درس مختلف الفنون على كبار علماء بلده من التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة والمنطق. ورحل من بلاده في عام 1318 هـ / 1900 م إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ثم اتجه سنة 1318 هـ / 1929 م لزيارة المسجد النبوي في المدينة المنورة وأخذ الفقه والحديث عن الشيخ شعيب شيخ المذهب المالكي في باب زيادة بالمدينة المنورة، ثم رحل إلى مصر فأخذ عن علماء الأزهر، وفي نجد أخذ عن مشايخ مدينة عنيزة وهو الشيخ أبو وادي، ثم اتجه إلى الكويت ودرس في مدرستها هنا في عهد الشيخ مبارك الصباح، بعدها رحل إلى الأحساء ودرس فيها على بعض مشايخها، ثم ذهب إلى الزبير بطلب من الشيخ مزعل، وفي سنة 1339 هـ / 1920 م، أسس الشنقيطي مدرسة النجاة الأهلية في الزبير وفي سنة 1341 هـ / 1921 م افتتحت المدرسة ودرس فيها اللغة العربية. كما عمل مديراً لها، توفي سنة 1351 هـ / 1932 م في الزبير.

انظر: البسام: يوسف حمد، الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، طبع في المطبعة العصرية: الكويت، 1391 هـ / 1971 م، ص 81، 86-89؛ الشبيلي، عبدالرحمن بن صالح: مذكرات محمد الأمين فال الخير الحسني الشنقيطي: مؤسس مدرسة النجاة في الزبير، كتبها في مدينة عنيزة سنة 1336 هـ / 1918 م، ط1، مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، الكويت، 1436 هـ / 2015 م، ص 29؛ آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبد الله: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط2، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض 1394 هـ، ص 517-520.

(4) الدغيم: رائد الصحافة في أندونيسيا، صحيفة الحياة، مرجع سابق، ص19.

وفي عام 1347هـ/ 1929م رحل عبدالعزيز واستوطن البحرين ورحب به رجال المنتدى الإسلامي هناك فعينوه محاضراً في النادي ومدرساً في مدرسة الهداية الخليفية في المنامة. والتقى الشيخ عبدالعزيز مع الملك عبدالعزيز في الهفوف الأحساء، واقترح الشيخ على الملك طباعة تفسير ابن كثير، فوافق على طباعته على نفقته، ثم عاد الشيخ إلى البحرين ثم زار العراق والشام ولبنان وفلسطين ومصر. وغادر مصر بحراً إلى جدة، وغادرها إلى مكة المكرمة⁽¹⁾.

لقاءه بالملك عبدالعزيز:

في اليوم السابع والعشرين من رمضان 1349هـ/ 14 فبراير 1931م أقام الملك عبدالعزيز مأدبة إفطار على شرف كبار الحجاج والأهالي في القصر الملكي العالي في المعابدة بمكة المكرمة، وكان الشيخ عبدالعزيز من ضمن المدعوين لهذه المأدبة، ثم ترأس الملك عبدالعزيز المأدبة، وبعد الانتهاء تجمعوا في بهو الفندق وأقيمت القصائد وكان من بينها قصيدة للشيخ عبدالعزيز الرشيد مدح بالملك عبد العزيز منها قوله:

أما الحجاز ففيها نجل أشاوس	من آل يعرب زينة الأكوان
ملك إذا ذكر الملوك فإنه	هو فيهم كالروح للجثمان
عبدالعزیز ومن له من أصله	درع يقيه تهجم الفتیان
بالحلم قد ملك القلوب بأسرها	فضلاً عن الأجسام والأبدان
وتراه يجتذب الرجال بعفوه	والعفو شأن الطاهر الوجدان

أما الجزء الآخر من القصيدة ففيه وصف لحالته النفسية والاجتماعية حيث يقول:

يامن به حفظ الهدى وجنوده	من كيد كل متلبس شيطاني
إنني سعيد بحبكم وولائكم	وغسلت من قلبي صدى الأدران
وبحبكم مازلت أصدق دائماً	سيان في سري وفي إعلاني
وبحبكم عرضت نفسي للنوى	وهجرت أوطاناً بها إخواني
وتركت أطفالاً صغاراً رضعاً	هم قطعة من قلبي الحيران
من حولهم شيب عواطل مالهم	غير الإله الواحد المنان
واتخذت داركم العزيرة سيدي	مأوى أفى لدوحة الفينان

(1) القشعبي، محمد بن عبدالرزاق: مجلة العربي تتجاهل الرشيد ودوره الدعوى في أندونيسيا، صحيفة عكاظ، العدد 3577، تاريخ النشر 1432/4/29هـ؛ الدغيم: المرجع سابق، ص19.

ويستمر في الوصف إلى أن يقول:

هذى شمائلكم وتلك خصالكم
يشدو بها قاصي الورى والداني
خلق بهم أتعبتم من بعدكم
ممن يروم السبق في الميدان
فالله يبقي منكم شهماً لنا
ولشرعه المبعوث من عدنان⁽¹⁾

وفي أثناء زيارته هذه للحجاز اقترح الوزير عبدالله السليمان⁽²⁾ على الملك عبدالعزيز أن يرسل الشيخ عبدالعزيز داعية للسلفية في أندونيسيا، فوافق الملك عبدالعزيز وتم الاتفاق بينه وبين الشيخ عبدالعزيز الذي قبل العرض وأدى فريضة الحج وركب مع إحدى بواخر الحجاج في طريقه إلى جزيرة جاوة في أندونيسيا، وكان قد بلغ سن الرابعة والأربعين⁽³⁾.

ولم يتردد الشيخ عبدالعزيز في قبول هذا التكليف الجديد، لقد كان يناسب طبيعته وتفكيره، وقد أرسل الشيخ عبدالعزيز إلى صديقه أحد أصدقائه في مملكة البحرين يخبره بما كلفه به الملك عبدالعزيز، قائلاً: "وقد أظهر جلالته أخيراً رغبته في سفري إلى (جاوه) لبعض الشؤون، وتفضل علينا بمائة جنيه إنجليزي، وبكسوة فاخرة"⁽⁴⁾.

ومن هنا يظهر أن الملك عبدالعزيز هو الذي أرسل الشيخ عبدالعزيز إلى أندونيسيا وهو الذي أمده بالمال لبدء رحلته هناك.

(1) الرومي: علماء الكويت وأعلامها خلال ثمانية قرون، ص296؛ فاطمة، عبدالرحمن: بحوث وشهادات أدبية وحضور كبير في افتتاحيات جلسات ملتقى جواثي الثقافي، صحيفة اليوم، العدد14123، تاريخ النشر الثلاثاء 14 فبراير2012م؛ الحجى، 228،229.

(2) عبدالله بن سلمان آل حمدان: و(يكنى ابن سليمان) ولد في مدينة عنيزة عام 1302هـ/ 1885م، وتلقى تعليمه بالطريقة التقليدية، حيث تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والقرآن الكريم وتجويده في كتاتيب عنيزة، حيث أتقن القراءة والحساب ومسك الدفاتر، واشتهر بخطه الجميل، بعد ذلك غادر عنيزة وهو في سن الخامسة عشر أو الثامنة عشر في عام 1320هـ/ 1902م إلى الأحساء ثم إلى الكويت، ثم إلى بومباي، وفي عام 1338هـ/ 1920م ذهب إلى الرياض وعمل كاتباً في الديوان الملكي، كما شغل منصب إدارة الشؤون المالية بعد انضمام الحجاز، وفي عام 1346هـ/ 1927م عينه الملك عبدالعزيز وكيلاً عاماً للمالية، ثم أسند إليه مناصب أخرى تخص الجيش والدفاع ونيابة وزارة الخارجية وتقلد منصب وزير المالية. توفي -رحمه الله- في يوم الأربعاء 1385/7/17هـ الموافق 10 نوفمبر 1965م.

انظر: الرويشد، عبدالرحمن بن سليمان: عبدالله السليمان الحمدان صفحة مشرقة في تاريخ المملكة العربية السعودية 1302-1385هـ/ 1885-1965م، ط1، [د.ن.]، 1421هـ، ص 15-36؛ العرابي، عبدالرحمن بن سعد: عبدالله السليمان الحمدان سيرة وتاريخ، شركة تارة الدولية، الرياض، 1439هـ، ص 15-25، 263.

(3) القشعبي، محمد بن عبدالرزاق: عبدالعزيز الرشيد ودوره في نشر اللغة العربية في أندونيسيا، مجلة العربي، عدد إلكتروني، 2012م.

(4) الحجى، يوسف: مرجع سابق، ص230؛ القشعبي: مرجع سابق.

وفي ربيع الأول 1350هـ/ يوليو 1931م وصل الرشيد وصار يخطب الجمعة في مسجد التقوى ، وفي سنة 1351 هـ/ 1932م قصد الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرشيد البداح الكويت مروراً بسنغافورة، ثم مر بمدينة بومباي الهندية ومنها إلى الكويت مكث فيها أسبوعين شاهد أولاده الأربعة ثم قابل الشيخ أحمد الجابر والشيخ عبدالله السالم⁽¹⁾، وبعد إقامة أسبوعين توجه إلى البحرين ثم غادرها إلى الرياض حيث التقى الملك عبدالعزيز، فأخبره بأحوال المسلمين في أندونيسيا، ثم توجه إلى الطائف فاجتمع بالأمير فيصل بن عبدالعزيز نائب والده الملك عبدالعزيز في الحجاز، ثم قصد مكة المكرمة فاعتمر وغادرها إلى جدة حيث استقل الباخرة إلى جاوة، فوصل سنغافورة في 1351هـ/ 1933م ثم غادرها إلى جاكرتا،⁽²⁾ وحينذاك قدم استقالته من العمل في نظارة مدرسة الإرشاد في 17 شوال سنة 1354هـ/ 1936م ثم غادر أندونيسيا قاصداً الكويت، ماراً بالهند، فوصلها في سنة 1355هـ/ 1937م، وبعد أسبوعين زار العراق ثم عاد إلى الكويت التي ما لبث أن غادرها في 1356/2/22هـ/ 1937/5/12م متوجهاً إلى البحرين ثم الرياض والتقى الملك عبدالعزيز، ثم قصد الطائف ثم مكة المكرمة فجدة، واستقل الباخرة إلى الهند ومنها إلى أندونيسيا فوصلها في جمادى الأولى 1356هـ/ أغسطس 1937م قاصداً أسرته لاصطحابها والعودة معها إلى الكويت، ولكنه فوجئ بالمرض فنقل إلى جاكرتا وفارق الحياة في الثالث من ذي الحجة سنة 1356هـ الموافق للثالث من فبراير 1938م، فدفن في مقبرة العرب في أندونيسيا⁽³⁾.

وسياتي توضيح لقائه بالملك عبدالعزيز في البحرين والأحساء في الفصول القادمة بإذن الله تعالى. من مؤلفاته:

- رسالة تحذير المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين 1329هـ.
- تاريخ الكويت، في جزأين صدر سنة 1345هـ.
- رسالة الدلائل البينات في حكم تعليم اللغات 1345هـ.
- كتاب تاريخ الكويت.
- وله مجموعة من المؤلفات غير المطبوعة في الإسلام والتاريخ، والأدب⁽⁴⁾.

ب-مجلة الكويت:

- (1) عبدالله بن سالم بن مبارك بن صباح: (1306-1385هـ/ 1888-1965م): وهو الأمير الحادي عشر من أمراء آل صباح، حكم الكويت منذ سنة 1169هـ/ 1756م، تولى الإمارة بعد وفاة ابن عمه أحمد الجابر الصباح سنة 1950م/369هـ، قام بإلغاء معاهدة الحماية التي كانت مع بريطانيا سنة 1899م/1316هـ. الزركلي: خير الدين، الأعلام، مصدر سابق مج4، ص 88.
- (2) الدغيم: رائد الصحافة في أندونيسيا، صحيفة الحياة، مرجع سابق، ص19.
- (3) الحجى، يعقوب: مرجع سابق، ص289، فصل كويتي في جاوه؛ الدغيم: المرجع سابق، ص19.
- (4) صحيفة الرياض: عبدالعزيز بن أحمد بن رشيد البداح، العدد 15922، المرجع السابق؛ معجم البابطين لشعراء العربية: مرجع سابق، إلكتروني.

تعد أول مطبوعة صحافية في تاريخ الكويت وهي مجلة دينية تاريخية أدبية أخلاقية، شهرية تصدر في الكويت ورئيس تحريرها ومديرها عبدالعزيز الرشيد، رأت النور في شهر رمضان 1346هـ الموافق مارس 1928م، وهي مستقلة وليست حكومية وتصنف من ضمن صحافة الأفراد، ظلت تصدر لمدة سنتين كاملتين حتى شهر شوال 1348هـ الموافق مارس 1930م، وكان مؤسسها يصدر عشرة أعداد كل سنة فتوفر لها عشرون عدداً، ومع أن الشيخ عبدالعزيز الرشيد هو منشئ هذه المجلة ورئيس تحريرها ومديرها، فإنه في الوقت نفسه يقوم بدور المراسل والموزع والمحاسب لكن بعد ما زاد أعداد المشتركين اضطر لتعيين وكلا عنه في الخارج لكي يقوموا بجمع الاشتراكات ثم يرسلوها إليه ⁽¹⁾.

واجه عبدالعزيز الرشيد العديد من الصعوبات من أجل إصدار هذه المجلة فلم يكن في الخليج آنذاك مجلة يمكنه أن يستفيد منها ومن خبراتها في هذا المجال، حتى وجود أشخاص يحسنون الطباعة على الآلة الكاتبة في الكويت آنذاك لم يكن أمراً سهلاً، فلم تكن العوائق أمامه قليلة، ثم إن المجلة تحتاج إلى تشجيع القراء، وهي تحتاج إلى المادة الإعلامية الجيدة المنتظمة، كما تحتاج إلى من يوصلها للقراء بانتظام، ويجمع الاشتراكات منهم، والأهم من ذلك كله هو موقف حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر على إصدار مثل هذه المجلة، فلا بد من وسيلة يتقرب بواسطتها إلى الشيخ أحمد لكي يسمح له بإصدار هذه المجلة ⁽²⁾ يقول بهذا الخصوص: "... وبعد فإن إصدار مجلة للكويتيين أمنية كان الوصول إلى قمته من أسمى ما تتوق إليه النفس ومن أجمل ما تتمناه في هذه الحياة، غير أن أشباح المشبطات التي ما زلت أبصرها في الطريق كادت ترميني في هوة من اليأس لولا التشجيع الذي آنسته من رجل الكويت عندما عرضت عليه المشروع فإنه أخذ بيدي إلى ساحة الأمل ودك كل ما أمامي من عقبات ⁽³⁾.

الحاصل أنه وافق الشيخ أحمد الجابر على إصدار هذه المجلة، وحصل الشيخ عبدالعزيز على ترخيص رسمي لطباعتها، لكن الشيخ أحمد الجابر اشترط على الشيخ عبدالعزيز أن يطلعه على محتوى العدد الأول من هذه المجلة قبل السماح له بطباعتها، وهذا ما حصل بالتأكيد ⁽⁴⁾ حيث أصدر الأمير أوامره بطباعتها على أن يكون يوسف بن عيسى القناعي مراقباً على هذه المجلة واستقر رأي عبدالعزيز الرشيد على أن تطبع مجلة الكويت في المطبعة العربية بالقاهرة، التي كان يملكها ويديرها خير الدين الزركلي ⁽⁵⁾.

(1) مجلة الكويت: مقدمة الناشر دار قرطاس، ط1، الكويت 1999م، مقدمة المؤلف؛ جريدة النهار الكويتية: عبدالعزيز الرشيد رائد الصحافة الكويتية، العدد 376، تاريخ النشر 28-7-1436هـ/ 16-2-2015م.

(2) الحجي، يعقوب بن يوسف: الشيخ عبدالعزيز الرشيد، مرجع سابق، ص137-138.

(3) مجلة الكويت: العدد الأول، تاريخ النشر رمضان 1346هـ/فبراير 1928م، ص3.

(4) الحجي، يعقوب: المرجع السابق، ص139.

(5) خير الدين بن محمود الزركلي: شاعر ومؤرخ ومحقق ولد في بيروت سنة 1310هـ/ 1892م، نشأ وتعلم بدمشق، وهو من الأعلام في العصر الحديث، دعاه الملك عبدالعزيز ليكون مستشاراً للمفوضية العربية السعودية بمصر سنة 1353هـ/1934م،

وقد أهدى العدد الأول للمجلة إلى أمير الكويت الشيخ أحمد الجابر الصباح واشتملت المجلة على أبواب عدة، هي الدين، رد الشبهات على الدين، الأخلاق، القديم والجديد، الأدب، التاريخ، التراجم، الفتوى، اللغة، متفرقات الفوائد، وأخيراً التقرير والانتقاد⁽¹⁾.

طُبِعَ العدد الأول من هذه المجلة وتم شحنه من مصر إلى الهند ثم إلى الخليج العربي حتى الكويت، ولما وصلت جمرات الكويت بعد حوالي أسبوعين استلم الشيخ عبدالعزيز العدد الأول من مجلته، وكان كما وعد حاوياً على شتى المواضيع الدينية، والثقافية والاجتماعية والأدبية والتاريخية⁽²⁾.

كان باب الدين هو الباب الأول وفيه إجابات عن الأسئلة الدينية التي ترد على الشيخ عبدالعزيز، وأما في الثقافة فقد نُشر مقالات عن الأدب في الأحساء وفي نجد وفي عمان، مع إيراد نبذ من أشعار من هم كبار الشعراء في هذه البلدان، كما ترجم للعديد من الشعراء، مثل عبدالرحمن القصيبي⁽³⁾، وعبدالله الفرج⁽⁴⁾، وغيرهم.

أما مشتركي هذه المجلة فيذكر الدكتور يوسف العقبي أنه بمراجعة دفتر الشيخ عبدالعزيز وجد من بينهم ديوان الملك عبدالعزيز وابنه فيصل والشيخ محمد بن عيسى آل خليفة إضافة إلى شيوخ الكويت مثل:

وعمل بوزارة الخارجية السعودية، ومثل الحكومة السعودية في العديد من المؤتمرات وفي عام 1957م، عُيِّنَ سفيراً للمملكة في الرياض، وفي عام 1385هـ/1965م وعاد إلى الرياض وتقلّب بينها وبين بيروت ودمشق والقاهرة، توفي -رحمه الله- سنة 1396هـ/1976م، وله مؤلفات منها "شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز"، "الأعلام"، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز"، وغيرها؛ الروشد: عبدالله بن سعد: نظرات في ديوان الشاعر خير الدين الزركلي، مجلة دار الملك عبدالعزيز، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، 1985م، ص127-128.

(1) جريدة النهار الكويتية الإلكترونية: عبدالعزيز الرشيد رائد الصحافة الكويتية، مرجع سابق.

(2) العقبي، يوسف: مرجع سابق، ص142.

(3) عبدالرحمن بن حسن القصيبي: يلقب بـ شيخ اللؤلؤ، ولد سنة 1302هـ/1884م، تلقى تعليمه في مدارس البحرين وتعلم اللغة الإنجليزية في الهند وهناك تعلم وتدرّب على البيع والشراء وتجارة اللؤلؤ، وقد حظي بتقدير من الملك عبدالعزيز وأخذ يشيد به في كثير من المناسبات، كما عمل وسيطاً للاتصال الدبلوماسي بين الملك عبدالعزيز والبريطانيين، ولتقّة الملك عبدالعزيز به فقد أصدر أوامره بأن يكون وكيلاً له في البحرين، وفي عام 1370هـ/1951م صدر مرسوم ملكي بمنحه لقب وزير مفوض من الدرجة الأولى وفي سنة 1374هـ/منحه الملك سعود لقب وزير دولة، له صفات وأخلاق عالية وله العديد من الاسهامات العلمية كبناء المدارس ودعمها وله جهود في طباعة الكتب ونشرها توفي رحمه الله سنة 1396هـ/1976م؛ القشعبي، محمد بن عبدالرزاق: معتمدو الملك عبدالعزيز ووكلاؤه في الخارج، ط1، الانتشار العربي، لبنان، 2015م، ص87-106؛ العساف، منصور: رمز وطني «وقف بإخلاص مع قيادته قبل اكتشاف البترول، صحيفة الرياض، العدد 16881، تاريخ النشر 17 ذي القعدة 1435هـ.

(4) عبدالله بن محمد بن فرج الدوسري: شاعر له أثر كبير في مسيرة الأدب والفن في الكويت والخليج، ولد في الكويت سنة 1252هـ/1836م، وتوفي بها سنة 1319هـ/1901م، حفلت حياته بالهجرة والاعتراب وتمتاز قصائده بالتعبير البلاغية والتأثر بالأدب العربي، كما برع في الشعر النبطي، وله قصائد مطولات غاية بالإجادة وروعة بالتصوير؛ الجبالي حمزة، موسوعة الشعر النبطي الخليجي، بنط، 2016م، ص48؛ الخالدي، إبراهيم؛ السبيعي ناصر: حديث الصحراء، ط1، المختلف للطباعة والنشر، الكويت، 1423هـ/2002م، ص107.

أحمد الجابر وعبدالله السالم، وعبدالله الجابر، وتجار الكويت، وأدباؤها، كما أرسل له عدد من أصدقائه رسائل يشكروه فيها ونُشرت هذه الكلمات في الجزء الثامن من شهر ربيع الأول من عام 1347هـ/1928م بعنوان مجلة الكويت في نظر الفضلاء، منهم على سبيل المثال لا الحصر عبدالله بن حمد البسام في بومباي الذي قال: "...تصفحنا مجلتكم فألفيناها مجموعة فوائد ومعدن فرائد فأهنتك أولاً بما وفقت له من خدمة الدين والأدب وأهنت جميع قرائها، ثانياً لما احتوت عليه من الفوائد الدينية والتاريخية والأدبية التي يندر وجودها في غيرها..."⁽¹⁾ وعبدالله الخليل معتمد أمير الكويت في البصرة فقال: "...لقد تشرفت بالمجلة المشحونة بالعلوم الدينية والآداب الدنيوية والفوائد الجمّة، ولا عجب فالمحرر لها نابغة وطنه وفريد زمنه..."⁽²⁾، وغيرهم من الشخصيات والعديد من المراكز والجمعيات الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي.

وفي شوال 1348هـ/1929م أتمت مجلة الكويت عددها الأخير وهو العدد الذي نُشر فيه قصيدة مدح بالملك عبدالعزيز قالها محمود شوقي الأيوبي⁽³⁾ يأتي الحديث عنها لاحقاً، وفي هذا العدد أراد الشيخ عبدالعزيز الرشيد أن يختمه بكلمة تعبر عما كان يشعر به تجاه هذا العمل الذي لم يسبق لأحد في الخليج القيام به، ويخفف فيها عن نفسه بعض العناء الذي كان يكابده في تحرير هذه المجلة طيلة العامين المنصرمين⁽⁴⁾، فكتب في هذا العدد قائلاً: "في هذا العدد الممتاز من مجلة الكويت... تنتهي السنة الثانية التي اجتزتها بكل صبر وجلد على ما فيها من متاعب وصعاب وعلى ما ألقى في طريقها من عراقيل لا يقصد من ورائها إلا الفت من عضدي عن مواصلة السير في هذا السبيل الذي لا يعرف وعورته إلا من باشر العمل بنفسه... ثم ليعلم أولئك الإخوان الذين يسرهم فشلي وحبوط مشروعي أنني لا أزداد بما ألقى منهم من غلظة وجفاء إلا قوة ونشاط معتمداً على الله تعالى في تلك المهمة الشاقة... نسأل الله في الختام أن يوفقنا وإخواننا لما فيه صلاح ديننا وأن يبصر كلاً منا بعيوبه"⁽⁵⁾.

(1) مجلة الكويت، الجزء الثامن، شهر ربيع الأول 1347هـ/أغسطس 1928م، ص 399.

(2) المصدر السابق، ج 8، ص 398.

(3) محمود شوقي الأيوبي، شاعر ولد في الكويت عام 1320هـ/1901م، وتلقى الشاعر تعليمه في مدرسة أولية في الكويت، وهي كتاب الملا زكريا الأنصاري حيث تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، ثم أكمل دراسته في بغداد، وعمل مدرساً في المدرسة المباركية والأحمدية في الكويت، زار بلاد كثيرة ولتقى بالملك عبدالعزيز، توفي في 2 من ذي الحجة 1385هـ الموافق 23 مارس 1966م. الأيوبي، محمود شوقي: ديوان الملاحم العربية؛ قدم له ودرسه وعلق عليه محمد بن عبدالرحمن الربيع، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، 1419هـ/1999م، ص 11-14.

(4) الحجّي، يعقوب: الشيخ عبدالعزيز الرشيد سيرته وحياته، مرجع سابق، ص 217.

(5) مجلة الكويت: الجزء العاشر، شوال 1348هـ/مارس 1930م، ص 398.

المبحث الثاني: الأحداث والأخبار التاريخية الخاصة بالملك عبدالعزيز ومملكته الواردة بالمجلة من شهر رمضان 1346هـ/ فبراير 1928م حتى شهر محرم من عام 1348هـ/ يوليو 1930م.

● تاريخ نجد:

بدأ العدد الأول من المجلة في الحديث عن تاريخ نجد، مركزاً في ذلك على الحديث عن حائل، في دراسة معمقة شاملة عن الحالة الطبيعية والسياسية والاقتصادية فيها، مع التطرق بالتفصيل إلى قراها وجبالها وأسباب تسمياتها وما قيل فيها من أشعار، وعن قبائلها وتاريخ نزوحهم إليها.

التسمية:

بدأ في الحديث عن حائل متناولاً نشأتها، وغاية ما وصل إليه وأنها موجودة قبل الإسلام في الزمن الجاهلي وهذا عائد لذكرها في بعض أشعار أهله إذ ذاك، وأنها كانت مقراً لطبي القبيلة الشهيرة التي أنجبت بعض المشاهير من رجال العرب كحاتم الطائي الذي سارت بأحاديث جوده الركبان ولهذا اليوم له ولابنه عدي آثار باقية فيها.

حالتها الطبيعية:

أشار إلى أنها من أخصب بلاد الجزيرة أرضاً وأصفاها جواً وأعدلها هواءً تحيط بها جبال شامخة لها شهرة واسعة، من أشهرها أجا وسلمى الجبلان اللذان تغنى بهما الشعراء قديماً وحديثاً، وفيها النفود الذي يبعد عنها مسافة ثماني ساعات، والملاحظ هنا أن جميع حديث المجلة في المسافات بين المدن والقرى بالساعات التي تقطعها الإبل، وأشار إلى الحيوانات الموجودة فيها ومنها الضبع والذئب والأرنب، كما ذكر حيوانات لكنها ليست موجودة في وقتنا الحالي مثل النمر والوعل والوضيحي⁽¹⁾.

● حالتها السياسية:

أوضح أنها عاصمة آل رشيد⁽²⁾ سابقاً وقد استخلصها منهم الملك عبدالعزيز عام 1340هـ/ 1922م وأشار إلى عدد سكانها الذين قدرهم بـ(20) ألف نسمة، كلهم مسلمون سنيون على مذهب الإمام أحمد، ثم بدأ يصف أهل حائل بقوله: "عرفوا بالشجاعة والكرم والعفة والأمانة وأنهم شديدين في المحافظة على الدين كسائر أهل نجد، ثم ذكر أنه استقر في حائل طائفة من الشيعة نزحوا إليها من العراق⁽³⁾ للتجارة وأقاموا

(1) مجلة الكويت: الجزء الأول تاريخ النشر رمضان 1346هـ/ فبراير 1928م، ص 20-21.

(2) مؤسس إمارة آل رشيد هو عبدالله بن علي بن رشيد (ت: 1263هـ) وهو من آل جعفر من أحد بطون عبده من قبيلة شمر، وتولى الإمارة سنة 1253هـ تقريباً، وكانت إمارة الجبل قبل ذلك في آل علي الذين كان آخرهم صالح بن عبدالمحسن الذي عزله الإمام فيصل بن تركي وولى مكانه عبدالله بن رشيد؛ نصيف، محمد: أخبار نجد من مجلة لغة العرب البغدادية من المجلد الأول إلى التاسع: تحقيق قاسم الرويس، ط1، دار جداول، بيروت، 2014م، ص 136.

(3) يسمون أهالي المشهد أي النجف ولهم حارة خاصة بهم تعرف بحارة المشاهدة لهم ما للغير وعليهم ما على الغير وهم أحرار في ديانتهم مع وجوب المحافظة على الآداب العامة؛ نصيف، محمد: أخبار نجد: المرجع السابق، ص 143.

فيها بضع سنين، لكن بعد أن استقل أمر الإخوان أخرجوهم منها، وعن حالتها الأمنية أوضح أنه مضى لها وقت هي الوساطة الحسنة لإيصال الحاج من العراق والكويت إلى بيت الله آمين مطمئنين حيث يخرج حاكمها معهم قوة تحميهم من قطاع الطريق ذهاباً وإياباً⁽¹⁾.

● حالتها العلمية:

مما لا شك فيه أن العلم والثقافة لهما دورهما في حياة الإنسان فهي تجلي الحكمة والبصيرة في الحياة، وتشكل لدى الإنسان مجموعة من المعارف والتصورات، وحديثنا هنا عن الحياة العلمية في حائل والعلم التي كانت تُدرس حين ذاك (1346هـ / 1927م) حيث أوضح صاحب المجلة أن التعليم فيها محصور في دائرة التعليم الديني من فقه وتوحيد وحديث وتفسير وفي علوم العربية أيضاً من نحو وصرف⁽²⁾، وهذا لا شك أنه التعليم السائد في ذلك الوقت في سائر بلدان نجد، والذي كانت أماكنه الكتاتيب، وهي غالباً في إحدى زوايا المسجد أو في غرفة تُبنى بجواره، أو في جزءٍ من مكان عام، أو في منزل المدرس نفسه، ولنا أن نطلق على ذلك (التعليم الأولي) لأنه بالفعل يعتبر أول درجات التعليم وأن ما يتعلمه الطالب يعد من أولويات التعليم⁽³⁾.

● حالتها الاقتصادية:

أوضح أنها محتاجة إلى ضرورياتها وكمالياتها وبالأخص الأواني والأثاث والخامات وغيرها كالسكر والقهوة والشاي وأنها تستوردها من الجبيل والأحساء والحجاز ومعان في اليمن، وكانت الكويت فيما مضى هي من أهم المدن التي توصلها في جميع حاجاتها، ولحائل من الصادرات الإبل والغنم والدهن، وجل ذلك يعرض في أسواق الحجاز ومعان، أما الزراعة فيها فالكثير من النخيل منتشر في أوديتها وهي غالباً لا تحتاج إلى سقي "هذا يدل أن المياه متوفرة بكثرة"، وأجود تمرها وأشها هو الحلوة، وهي تزيد عن حاجة أهلها من بادية وحاضرة، ويزرع فيها أيضاً من الحبوب الحنطة والشعير والذرة، ومن الفواكه العنب والرمان والتين والخوخ والليمون والبطيخ، وفيها من الخضر الباذنجان والطماطم والبامية واليقطين⁽⁴⁾، ومن هنا يتضح أن حائل كانت ولا زالت أرضاً خصبة صالحة للزراعة تسد حاجتها وتصدر الكثير من إنتاجها للعديد من مدن وقرى المملكة العربية السعودية .

هوبر Hopper⁽⁵⁾ في حائل:

(1) مجلة الكويت: الجزء الأول تاريخ النشر 1346هـ/1928م، ص 20-21.

(2) المصدر السابق، ص 22.

(3) السلطان ، محمد بن عبد الله، التعليم في عهد الملك عبد العزيز ، دار الملك عبدالعزيز ، الرياض ، 1419هـ / 1998م، ص 33.

(4) مجلة الكويت، الجزء الأول، ص 22-23.

(5) تشالز هوبر (Chales Huber): رحالة فرنسي ، ولد عام 1253هـ/1837م في مقاطعة الألزاس الفرنسية، اهتم بالبحوث الأثرية والجغرافية، بدأ رحلاته إلى الشرق في عام 1291هـ/1874م وهو من أبرز الرحالة الأجانب الذين جالوا في شمال الحجاز والجزيرة العربية، وترجع أهميته تلك إلى كونه أسهم بنصيب وافر في إمطة اللثام عن تاريخ شمال الجزيرة العربية القديم، حيث

تحدث عن زيارة هوبر Hopper وهو رحالة فرنسي زار حائل في أيام الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد⁽¹⁾ ومما قاله في ذلك: "في أيام الأمير محمد آل رشيد زار أحد رجال فرنسا حائل ليستجلي غوامضها وما بين صخورها من آثار ونزل ضيفاً على الأمير محمد بن رشيد فأكرم وفادته وأعد له رجالاً يقومون بخدمته ويسيروا معه إلى حيث أراد من جهات حائل، فطاف كثيراً من جبالها ووديانها وأماكنها المعروفة، ولم يعلم ماذا صنع إلا أخذه ثلاثة رسوم لثلاثة أماكن... واختص الأماكن الثلاثة دون سواها لآثار الكتابة القديمة التي عليها ثم أرجعه محمد بن رشيد بعد أن قضى مهمته معززاً مكرماً".

بعد ذلك تحدث صاحب المجلة عن حائل في كتب الأشعار فذكر قصيدة امرؤ القيس، ومطلعها:

أبت أجا أن تُسلمَ اليوم جارها فمَن شاء فلينهض لها من مقاتل

تَبَّتْ لبُوني بِالْقَرْيَةِ أَمَّناً واسرحها غباً بأكناف حائل"

وأتبعها بأبيات نسبها لأحد البادية دون ذكر اسمه الشاعر وأنه قالها بعد أن اشتاق لبلاده:

لعمري لنور الأقحوان بحائل، ونور الخزامي في ألاء وعرفج

أحب إلينا، يا حميد بن مالك، من الورد والخيري ودهن البنفسج

وأكل يرابع وضب وأرنب أحب إلينا من سماني وتدرج

ونص القلاص الصهب تدمي أنوفها يجبن بنا ما بين قو ومنعج⁽²⁾

وذكر قصيدة لأحد شعراء طيء مطلعها:

فلما أتينا السفح من بطن حائل بحيث تتاجي طلحها وبسالها

دعوا لنزار وانتمينا لطيء كأسد الشرى إقدامها ونزولها.

درس بعض المواضيع ذات الأهمية التاريخية في تلك الناحية كتياء والعلا ومدائن صالح وخيبر، ويُعد هوبر مصدراً مهماً لمجموعة مهمة من النقوش العربية القديمة؛ الرشيد، فهد بن خنفور: منطقة حائل في عصر الدولة السعودية الثانية وذلك من خلال كتابات الرحالة الأجانب ما بين عامي 1240-1309هـ/1828-1891م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم، قسم التاريخ، ص51؛ صالح بن محمد: هوبر في الجزيرة العربية، صحيفة الجزيرة، العدد 12568، تاريخ النشر الأحد 7 صفر 1428هـ.

(1) محمد عبدالله بن رشيد : ولد سنة 1252هـ/1836م، واستولى على حكم حائل سنة 1289هـ/1871م، ودانت له نجد بأسرها سنة 1309هـ/1890م، بلغت الإمارة في عهده من الاتساع ما لم تبلغه من قبل، يلقب بالمهاد، توفي سنة 1315هـ/1897م، وكانت مدة حكمه في الإمارة (26) عاماً ولنجد كلها (6) سنوات ؛ ضاري بن فهد الرشيد ، نبذة تاريخية عن نجد، تحقيق عبدالله صالح العثيمين، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م؛ ص199؛ بالزعاير، محمد بن عبدالله: إمارة آل رشيد في حائل، ط1، دار بيسان للنشر والتوزيع، 1417هـ/1997م، ص66.

(2) هذه الأبيات كاملة في معجم البلدان لياقوت الحموي، ج 2، ص243، ولم ينسبها كذلك لياقوت الحموي لأحد بل ذكر ما نصه: "دخل بدوي إلى الحضر فاشتاق إلى بلاده فقال هذه الأبيات...."، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص243.

ومن ثم الحديث عن قرى حائل وفصل في بعضها ومن القرى التي ذكرت "فيد⁽¹⁾، طابه⁽²⁾، سميرة⁽³⁾، وغيرها⁽⁴⁾.

● هجوم الإخوان على أطراف الكويت:

تحت هذا العنوان قدم صاحب المجلة قبل الدخول في تفاصيل هذا الحدث التاريخي بمقدمة قال فيها: "ليس من غرضنا الآن التفلسف في البواعث والأسباب التي حدثت بالإخوان إلى الهجوم على أطراف الكويت والإفاضة في العواقب والنتائج التي قد تتبعث من جراء هاتيك الهجمات المتوالية فهذا مع كون الجرائد وبعض المجلات قد أفاضت فيه إفاضة لم تدع لقائل مجالا فليس هو من خطة مجلتنا التي حظرتنا عليها سلوك منهجه المدلهم أو التعمق في البحث عنه امتثالاً للأستاذ الإمام عليه رحمة الملك العلامة حيث يقول: (أعوذ بالله من ساس ويسوس وما تصرف منها) لاسيا ولنا في تعدد المواضيع العلمية والأبحاث الأدبية غنى عن التورط في مأزق السياسة ... إذاً فنحن إذا ما اضطررنا إلى ذكر شيء من الحوادث التي لها مساس بالسياسة فإنما نذكرها كما هي وكما يصورها الواقع حفظاً لحقيقتها من الضياع ولأننا نود أن تكون مجلتنا هذه مصدراً صحيحاً فيما بعد لتاريخ الكويت وقبل الخوض في سرد بعض ما وقع من تلك الحوادث يجدر بنا أن نشير إلى الآثار السيئة التي أحدثتها غارة الإخوان على أطراف الكويت وعربانها في نفس جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود فقد شرح جلالته تلك الآثار على صفحات الرسائل التي تبودلت بين جلالته وسمو أميرنا المعظم وإخوانه في الكويت وبالأخص قتل الشيخ علي بن سالم آل الصباح وجرح قائد الحملة الشيخ علي آل خليفة آل الصباح⁽⁵⁾. وأظهر جلالته أيضاً استعداداته التام لإعادة ما أخذه الإخوان من أموال الكويتيين ولو من خزينته الخاصة إذا لم يوفق لاسترداد ما أخذه من أيديهم وهذا هو الذي كان ينتظر من جلالته إزاء الكويت وأهلها..."⁽⁶⁾، بعد ذلك أشار إلى:

● هجوم ابن شقير وموقف الملك عبدالعزيز من غارات الإخوان:

(1) فيد: من قرى المسعود من الأسلم من شمر، فيه مركز من مراكز إمارة حائل. الجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 943.

(2) طابه: من قرى شمر سكانها المسعود من الأسلم بمنطقة حائل، فيها مركز إمارة. الجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، الطبعة الأولى، القسم الثاني، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض 1397هـ/ 1977م، ص 741.

(3) سميراء: قرية فيها إمارة من إمارات حائل، وأكثر سكانها من بني تميم في منطقة حائل وفيها مركز إمارة. الجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مرجع سابق، القسم الأول، ص 598.

(4) مجلة الكويت، الجزء الثاني شوال وذو القعدة 1346هـ/أبريل-مايو 1928م، ص 74-75؛ وللاستزادة عن رحلة هوبر يمكن الرجوع إلى: الرشيد: منطقة حائل في عصر الدولة السعودية الثانية وذلك من خلال كتابات الرحالة الأجانب ما بين عامي 1240-1309هـ/1828-1891م، المرجع السابق، ص 50-55.

(5) كان ذلك في موقعة الرقي وهي بتاريخ 6 شعبان 1346هـ/ 28 يناير 1928م؛ الرويس: يوميات الدببة ليويسف ياسين، سبق ذكره، ص 62.

(6) مجلة الكويت: الجزء الثاني 1346هـ/1928م، ص 76.

وفي ذلك قال: "في جماد الثاني من سنة 1346هـ هجم ابن شقير⁽¹⁾ بنحو مئة وخمسين مقاتلاً على الأعداوية⁽²⁾ في أم الرحم، فقتلوا ثلاث من رجالهم واستاقوا بعضاً من إبلهم وأغنامهم وقد حاول الكويتيون مصادرتهم لكن أمير الكويت أراد الابتعاد عن كل ما يثير حفيظة الملك عبدالعزيز، حيث لم ير من الصواب الرد عليهم قبل أن يراجع الملك عبدالعزيز في الأمر ويبسط له الحادث كما هو استطلاعاً لرأيه فيما حدث، وقد جرت المخابرة بين الاثنين فعلاً فكان جواب جلالته ما عرفته آنفاً..."⁽³⁾ وتؤكد المصادر أن غزوات الإخوان لم تكن بموافقة الملك عبدالعزيز أو علمه وكيف ذلك وهو لم يأل جهداً في تهدئتهم، ولكنها كانت عصياناً لأوامره المتكررة بمنع الغزو واللجوء إلى المباحثات⁽⁴⁾. وأشار بعد ذلك إلى:

● هجوم ابن عشوان أو حادثة الرقعي⁽⁵⁾:

في شعبان 1346هـ/1928/1/28م هجم علي ابن عشوان⁽⁶⁾ أحد زعماء الإخوان من قبيلة مطير في نحو خمسمائة ما بين هجان وخيال يقودهم ابن عشوان، فغزوا إمارة الكويت، وقد أصيب الفريقان هناك بخسائر طفيفة من قتل وتجريح، وأخذ الإخوان ما وصلت إليه أيديهم من إبل وبقر وغنم، بعد أن قتلوا رئيس الحرس مبارك بن هيف وبعد أن وقفت حكومة الكويت على الخبر أرسلت عليهم ستين رجلاً في نحو اثني عشرة سيارة، بقيادة الشيخ علي الصباح، وكان معه عدد من أفراد الأسرة الحاكمة في الكويت، فأدركوهم في الرقعي فوقعت معركة شديدة بين الطرفين، وقد انتصر الكويتيون على الإخوان في هذه المعركة⁽⁷⁾.

(1) وهو أحد زعماء الإخوان من قبيلة مطير.

(2) الأعداوية: هو الحرس الخاص للأمير.

(3) مجلة الكويت: الجزء الثاني والثالث مج1، 1346هـ/1928م، ص 76.

(4) نصيف، محمد: أخبار نجد، مرجع سابق، ص183.

(5) أشار الباحث قاسم بن خلف الرويس إلى هذه الحادثة وهي أن علي ابن عشوان رئيس العبيات من مطير ومن معه أغار على جماعة من أهل الكويت واستياقه لإبلهم، لتطارده السيارات الكويتية بعد ذلك تدخل معهم في معركة عرفت بمعركة الرقعي وتسميها مطير العاذريات وسيأتي الإشارة لها بتاريخ 6 شعبان 1346هـ/28 يناير 1928م، ويذكر أنه فعلاً قتل فيها نفر من بينهم علي السالم الصباح ابن عم أمير الكويت بينما أصيب في هذه المعركة من أسرة الصباح علي الخليفة الصباح وعبدالله الجابر؛ الرويس: يوميات الدبدبة ليوسف ياسين، سبق ذكره، ص62.

حادثة الرقعي يسميها الكويتيون الرقعي، وتسميها مطير كون العاذريات وتاريخها 6 شعبان 1346هـ/28 يناير 1928م، وقتل فيها بضعة نفر، بينما أصيب في هذه المعركة من أسرة الصباح اثنان هما: علي الخليفة الصباح وعبدالله الجابر؛ ياسين، يوسف: يوميات الدبدبة، مرجع سابق، ص62.

(6) علي بن عشوان: من قبيلة مطير، وهو شيخ فخذ العبيات من مطير.

(7) مجلة الكويت: الجزء الثاني مج1 1346هـ/1928م، ص 76. ص 76.

هذا وقد فصل صاحب المجلة في الحديث عن هذه المعركة⁽¹⁾.

لكن يتضح أنه قد بالغ في وصف نصر الكويتيين وهزيمة الإخوان مع العلم أن كلا الطرفين وقع بينهم قتلى وجرحى، هذا وقد أنشد غنيم بن بطاح⁽²⁾ فيها قصيدة، تعتبر وثيقة تاريخية حيث يذكر فيها الظروف المكانية والزمانية للمعركة، بالإضافة لتفاصيل الأحداث تدريجياً وتطوراتها تبعاً، ومما قاله فيها نختار هذه الأبيات:

يوم تهايا بأيمن العاذريات

يوم عبوس يودع الراس شايب

لحقن تنابيل⁽³⁾ على الهوش جسرات

مقصودهن أرقابنا والركايب

يصوعنا الرشاش والملح غششات مثل البرد من مرزمات السحايب

الجيش من دونه عيال العبيات⁽⁴⁾

بمشوكات يجدعن الضرايب

والصبح لحقنا طياير⁽⁵⁾ صفات

أركن علينا حاميات اللهايب

وحده طرحناها وخمس سليمان

رصاصها بأيمان ربعي نهايب⁽⁶⁾

(1) انظر ذلك في الجزئين الثاني مج 1 1346هـ/1928م، ص 76-78.

(2) غنيم بن صفوق بن حسين بن بطاح: شاعر وفارس من العبيات من قبيلة مطير نشأ في نجد وعاصر وخاض أحداث ومعارك تاريخية في جزيرة العرب توفي في عام 1363هـ/1943م؛ الهفتاء، خالد بن هجاج؛ الشاطري منصور بن مروي: تاريخ قبيلة مطير من عام 350-1371هـ، ط1؛ مركز قبيلة مطير للدراسات والبحوث، لندن، 1431هـ/2010م، ص723.

(3) تنابيل: فيها المقصود السيارات. وتعتبر معركة الرقعي هي أول معركة تشارك فيها السيارات في جزيرة العرب والتي كانت نادرة وقليلة الوجود في تلك الفترة التاريخية؛ وقد فصل في الحديث عن هذه المعركة عبدالرحمن بن إبراهيم الربيعي (1309هـ - 1402هـ/1892-1982م)، في مخطوطته التي وصلت إلى مكتبة الملك فهد الوطنية عن يوم العاذريات، وكذلك الرويس: قاسم: أخبار نجد في مجلة لغة العرب البغدادية.

(4) عيال العبيات: أبناء قبيلته.

(5) طياير يقصد الطائرات: حيث استخدمت الطائرات في هذه المعركة ولاحقت الإخوان في اليوم التالي ست طائرات استطاعوا أن يسقطوا واحدة منها؛ الرويس: أخبار نجد، مرجع سابق، ص177.

(6) ياسين، يوسف: يوميات الدببة، مذكرات أعدها للنشر قاسم بن خلف الرويس، ص56

وفاة الإمام عبدالرحمن الفيصل:

تضمن العددان الرابع والخامس (المجتمعان) من السنة الأولى الخبر الآتي: نعت إلينا الأخبار وفاة الإمام عبدالرحمن الفيصل، والد جلالة الملك عبدالعزيز، وكان ذلك في الرياض، عاصمة نجد يوم 13/12/1346هـ / 2/6/1928م عن عمر يناهز (83) بعد أن تقلّب من الدهر بأطواره، وذاق من طعمه الحلو والمر، وأبصر وجهه عابساً ومبتسماً، رحمه الله رحمة واسعة، وأجزل لآله الأجر والثواب على هذا المصاب:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آله حذاء محمول⁽¹⁾.

● أغلاط مجلة الشرق الأدنى في حادثة الرقعي:

مجلة الشرق الأدنى هي من أوسع المجالات التي تناولت مسائل الشرق الأدنى باختلاف أقطاره، وقد نشرت في عددها الصادر يوم 16 شعبان من عام 1346هـ، تحت عنوان: "العراق ونجد والكويت" عن حادثة الرقعي، لكنها وقعت في أخطاء وتم تصحيحها في مجلة الكويت، ومما ذكرت مجلة الشرق الأدنى أن قائد الإخوان هو فايد بن عشوان لكن الصحيح هو علي بن عشوان، وتذكر أيضاً أن من الذين خسرتهم الكويت في هذه المعركة عبد الله بن جابر، لكن الصحيح أنه أصيب بجروح خفيفة برأ منها فيما بعد⁽²⁾، وقد أشار يوسف ياسين لهذه الحادثة في مذكراته

● الحجاز بين الأمس واليوم.

في زاوية التاريخ، في الأعداد الثامن والتاسع والعاشر، ظهرت ثلاثة مقالات متسلسلة تصف حال الحجاز والأمن في الحج ومزايا تطبيق الشريعة الإسلامية ووضع الحجاز بعد دخوله في الدولة السعودية، أما المقال الثالث فهو عن الطائف وعطف الملك عبدالعزيز على الفقراء فيه.

تحدث عن الوضع الأمني في الحجاز قبل ضم الملك عبدالعزيز له حيث قال: بالأمس كان الخوف قد عمه من أقصاه إلى أقصاه والذعر سد منافذه وطرقه واستولى على قاصديه حتى ليهون عليهم ما يلاقونه في عامة طريقهم من الأخطار المتنوعة...ومن ثم يبدأ بوصف الأخلاق وفسادها وسوء البضائع⁽³⁾، كما يصف الحجاز بأوصاف وعادت يقول إنها انتشرت وتشفت فيها، لكن لا يليق المقام لذكرها هنا، لأنه ينقل الخبر عن طريق السماع ليس عن طريق المشاهدة فقد يكون من ينقل له غير دقيق في ذلك.

يقول عما كان يسمعه: "... سبحان الله أكاد أطيّر من هول ما أسمع... فهل يا ترى يأتي يوم نرى فيه علالي تلك المفاسد مهدمة وأعلامها منكسة وهل سيسعدنا الحظ بأن نشاهد ذلك الوقت الميمون ونحن

(1) مجلة الكويت: الجزء الرابع والخامس شهري ذو الحجة ومحرم من عام 1346هـ/يونيو-يوليو 1928م ص175.

(2) مجلة الكويت: ج 4-5، 1347هـ/1929م، ص181.

(3) مجلة الكويت: الجزء الثامن، 1347هـ/1929م، ص322.

على قيد الحياة، إنه ليوم سيعد تشرق فيه شمس العفاف في هاتيك الربوع⁽¹⁾، ثم يقول: كنت أحدث نفسي بكل هذا ولكن اليأس قد بلغ مني مبلغه وذهب بي القنوط كل مذهب، لكن الدهر أبو العجائب والله ذو غيرة لاحد لها فقد أصبح ما كنت أحسبه مستحيلاً، حيث برز إلى عالم الوجود بفضل المهمة والإخلاص فحل الطهر...وطويت تلك المنكرات ولم يسمع لها صوت في طول البلاد...فالحق أن هذه ميزة للحجاز اليوم لو لم يتح له سواها لكان واجباً على الأحرار والمفكرين أن يعتبروها من أظهر المرجحات لعصر هذا الملك العربي المفدى على بقية العصور التي تقدمته فكيف وهناك من المميزات العديدة ما يضيق العد بحصرها، مميزات أكبرها كل من ابتعد عن التعصب والهوى⁽²⁾.

ومما لاشك فيه أن الأوضاع في الحجاز قد تغيرت فعلاً بعد ضمها إلى حكم الملك عبدالعزيز وأصبحت تنعم بالأمن والأمان وارتاح الناس بأن يسر الله جل وعلا لهم حاكم عادلاً عمل على توفير الراحة والأمن والأمان⁽³⁾.

يقول الملك عبدالعزيز في بلاغ إلى أهل الحجاز بعد أن أكمل ضمه لحكمه: "...إخواننا أهل الحجاز سلمهم الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...أهنتكم وأهنئ نفسي بما من الله به علينا وعليكم من هذا الفتح الذي أزال الله به الشر وحقن دماء المسلمين وحفظ أموالهم، وأرجو الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه ومتبعي هداة...إخواني تعلمون أنني بذلت جهدي وما تحت يدي في تخليص الحجاز لراحة أهله وأمن الوافدين إليه طاعة لأمر الله...ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن ساد السكون والأمن في الحجاز من أقصاه إلى أقصاه... وإني سأبذل جهدي في ما يؤمن البلاد المقدسة ويجلب الراحة والاطمئنان لها لقد مضى يوم القول ووصلنا إلى يوم البدء والعمل..."⁽⁴⁾.

● عطف الملك عبدالعزيز على فقراء الطائف:

وصف في هذا المقال في الجزء العاشر عطف الملك عبدالعزيز وكرمه إذ يقول: "... في هذا العصر لا يسمح أن يبتدأ... بغير ذلك الملك العربي المفدى جلالة ملك الحجاز ونجد عبدالعزيز آل سعود الذي

(1) مجلة الكويت: الجزء التاسع، جمادى الأولى، 1347هـ/1929م، ص380.

(2) مجلة الكويت: الجزء التاسع، جمادى الأولى، 1347هـ/1929م، ص381.

(3) نشرت صحيفة أم القرى الصادرة في مكة المكرمة في ذلك الوقت العديد من الأخبار التي تشيد بمستوى الأمن الذي تحقق على يد الملك عبدالعزيز في الحجاز، ومن ذلك على سبيل المثال انظر؛ أم القرى: الدين النصيحة، عالم داغستاني أشاد بمستوى الأمن في الحجاز، العدد 50، بتاريخ 25-5-1344هـ/11-12-1925م، ص2؛ وانظر أيضاً أم القرى: للأمن في الحجاز، الملك عبدالعزيز يستدعي رؤساء القبائل في الحجاز ويقسم لهم طرق الحجاز التي يجب عليهم أن يلتزموا بحفظ الأمن فيها ويأخذ عليهم العهود والمواثيق؛ العدد60، السنة الثانية، 6شعبان 1344هـ/19 فبراير 1926م، ص3.

(4) نصيف، حسين محمد: ماضي الحجاز وحاضرة، ط2، التنوير، بيروت، 2012م، ص 263-264.

أصبحت أخبار جوده أحاديث الناس في مجالسهم وأنديتهم يحف بها الإكبار والإعجاب أخبار تحرك أوتار الأفئدة والقلوب...⁽¹⁾.

وبعد الثناء على الملك عبدالعزيز الذي لا شك أنه فعلاً يستحقه -رحمه الله- نقل ما وصله من الأخبار إذ يقول: "...وصلتنا الأخبار تعطف الملك عبدالعزيز على فقراء الطائف وموعزيهم بأربعة آلاف قياماً بواجب رعويتهم وشفقة على ما أصابهم من فاقة وفقر"⁽²⁾، ولا شك أن مثل هذا المبلغ ليس بالسهل في ذلك الوقت، والحق أنها منحة توجب على أهل الطائف أن يرفعوا له ذكراً علماً.

● الأخبار المختلفة على الحجاج والحجاز:

مما لا شك فيه أن الأخبار التي تلفق على الحجاج لا يراد منها إلا إضعاف العزائم عن أداء ما أوجبه الله تعالى على عباده من فرائض دينية، كما يراد منها تعكير صفو بين رواد تلك الربوع المقدسة من مختلف الأقطار الإسلامية، والواقع أن الملك عبدالعزيز بذل كل ما في وسعه للعناية البالغة لراحة الحجاج وقد سار أبناؤه من بعده على ما سار عليه والدهم.

ويصف صاحب مجلة الكويت بعض الأخبار التي كانت تلفق على الحجاج حيث يورد برقية عن لندن أن عدد 2500 حاج من مسلمي جزر الهند الشرقية الهولندية قد توفاهم الله بأمراض مختلفة نتجت عن متاعب ومشقات في أثناء تأديتهم فريضة الحج إلى مكة المكرمة، يقول: نقلنا هذا الخبر عن جريدة البيان الأمريكية بنصه لا لأنه صحيح بل لنسأل إخواننا في جاوه⁽³⁾ عن مبلغ هذا الكذب من عالم الكذب، ويرد أيضاً حيث يقول: كنا نسمع بكثير من أمثاله ينشر بالصحف لا عن موسم الحج والحجاج فقط بل عن كل شؤون الحجاز وأهله إثارة للعواطف على حكومته وهاكم مثلاً واحداً على شاكلته حيث نشرت إحدى المجلات التي أنشأت للدفاع عن الحجاز خبراً عن مكة المكرمة بأن أحد الإخوان قتل عالماً يمانياً في الحرم رمية بالرصاص سمع منه كفوفاً بواحاً فأحل دمه ولم يقاصص القاتل بحجة دفاعه عن دينه، فتسائلنا عن ذلك وبحثنا بحثاً دقيقاً فما هي الأيام حتى قرأنا في تلك المجلة نفسها تكذيب الخبر بقلم مكاتبها في مكة المكرمة⁽⁴⁾.

والخلاصة أن الأخبار التي تنشرها الصحف في ذلك الوقت عن الحجاز وأهله وعن الحج وموسمه وعن الملك وحكومته وعن النجديين ومن يخالفهم في الدين من الحجاج لا حقيقة لها ولا أساس لها من الصحة، أخبار يجب على المنصف ألا يقبلها بل يجب عليه أن يزنها قبل ذلك بميزان العدل والإنصاف⁽⁵⁾.

(1) مجلة الكويت: الجزء العاشر، جمادى الآخرة، 1347هـ/1929م، ص 424.

(2) الجزء العاشر، جمادى الآخرة، 1347هـ/1929م، ص 425.

(3) كان صاحب المجلة وهو عبد العزيز الرشيد مقيم في جاوه بإندونيسيا حيث بعثه الملك عبدالعزيز للدعوة هناك كما مر بنا.

(4) مجلة الكويت: الجزء العاشر، جمادى الآخرة، 1347هـ/ديسمبر 1928م، ص 427.

(5) مجلة الكويت: الجزء العاشر، جمادى الآخرة، 1347هـ/ديسمبر 1928م، ص 428.

وقد ختم حديثه عن الأخبار المختلفة على الحجاز والحجاج بقوله: "ثم لنفرض أن ما يصيب الحجاج من الأمراض والموت صحيح لا مرية فيه فما هو ذنب الحجاز وحكومته ومنشأ ذلك وباء لا يسلم منها حتى أرقى الشعوب مدنية وأدقها اعتناء في النظافة واستعمال وسائل الصحة⁽¹⁾."

وما يجيب الإشارة إليه هنا جهود حكومتنا الرشيدة التي كانت ولا زالت تقوم بالعديد من الخدمات لتوفير سبل الراحة خدمة لحجاج بيت الله الحرام.

● إهداء المجلة إلى الملك عبدالعزيز:

في الجزء الأول من السنة الثانية للمجلة الصادر في شهر محرم من عام 1348هـ/1929م أهدى المجلة إلى الملك عبد العزيز قائلاً: "إليك يا من أحييت للعروبة اسماً كاد يُقبر، ورفعت للدين مناراً شع نوره في جميع الأقطار أهدى (مجلة الكويت) في سنتها الثانية... أقدم لك تلك الفتاة بيد التقدير الذي لا يليق إلى لشخص كريم مثل شخصكم تجمعت فيه المزايا... شجاعة ورأي وصبر في حزم وكرم في بشاشة وغيره صادقة على الدين... سهر على مصالح العباد والبلاد وهمه في سبيل السؤدد تتأطح السحاب وعزم في الإصلاح لا يلين... وختم ذلك الإهداء بقوله: "آمل أن تتفضلوا عليها بقبول يشرح صدرها ورضاء يعلي شأنها..."⁽²⁾.

ومن هنا يتضح عمق علاقته ومحبته للملك عبدالعزيز وشدة إعجابه بشخصيته فيصفه بـ ملك العرب والمسلمين، وحرصه على الإسلام والعلم وكرم الأخلاق، ولا ننس أن الملك عبدالعزيز قد وقف معه وحقق مراده، وجملة القول إن ما وصف به الرشيد الملك عبدالعزيز لا شك أنه شخصية مثل شخصيته تستحق الكثير والكثير لأنها فعلاً شخصية استثنائية.

● الأدب في نجد:

تحت هذا العنوان أورد قصيدة للشيخ محمد العثيمين⁽³⁾ يقول إنه آن لنجد أن تباهي بقية أخواتها من البلاد العربية بما فيها من أدب غض ورجال نبلاء، ثم أشاد بمعاودة الملك عبدالعزيز لأبنائه⁽⁴⁾ ولا شك أنه منذ أن سطع نجم الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - في الساحة السياسية للجزيرة العربية بعد استرجاعه

(1) مجلة الكويت: الجزء العاشر، جمادى الآخرة، 1347هـ/ديسمبر 1928م، ص 428.

(2) مجلة الكويت: الجزء الأول، شهر محرم 1348هـ/أغسطس 1928م، ص 14.

(3) محمد بن عبد الله بن عثيمين: من أشهر شعراء الجزيرة العربية في العصر الحديث وشاعر الملك عبد العزيز السياسي إذ كلما حقق الملك عبد العزيز نصر سجله ابن عثيمين شعراً، ولد ابن عثيمين عام 1270هـ/1854م، في قرية السلمية من قرى الخرج، وعاصر الملك عبدالعزيز وصحبه في حله وترحاله مشاركاً له في غزواته وتنتقلاته، وتوفي في عام 1363هـ/1944م وله من العمر 93 سنة، الرويشد، عبدالله: رائد الشعر والفكر والأدب وشاعر الملك عبدالعزيز السياسي محمد بن عبدالله بن عثيمين، صحيفة الجزيرة، العدد 11217، تاريخ النشر الأحد 5 ربيع الأول 1424هـ/15 يونيو 2003م؛ المضحى، عبدالعزيز بن عبدالله: علما شاعر ورواية حول الملك عبدالعزيز، صحيفة الجزيرة، العدد 12463، تاريخ النشر الأحد 21 شوال 1427هـ/12 نوفمبر 2006م.

(4) مجلة الكويت: الجزء الأول، محرم 1348هـ/أغسطس 1929م، ص 15.

لملك آبائه وأجداده، ناشراً الأمن والطمأنينة والعدل في ربوع البلاد المترامية الأطراف، تسابق إليه الشعراء من البادية والحاضرة للثناء عليه، وخلدوا سيرته شعراً لا يزال مسطراً في صفحات تاريخنا الأدبي، وفي مقدمة هؤلاء الشعراء قصيدة الشاعر والأديب محمد بن عبد الله آل عثيمين⁽¹⁾ وقد نشرت مجلة الكويت قصيدة مطولة له خص بها الملك عبدالعزيز جاءت القصيدة في (77) بيتاً، نقتطف منها ما يلي:

أجل إنه ربع الحبيب فسلم
وقف تتبين ظاعناً من مخيم
معاهد حل الحسن فيها نطاقه
وقرة عين الناعم المتنعم

ثم يقول:

هو الملك الحامي حمى الدين بالتقى
وسمر العوالي ركبت كل لهزم
له سلف يعلو المنابر نكرهم
وينحط عنه قدر كل معظم
هموا أوضحوا للناس نهج نبيهم
بمحكم آيات وشفرة مخدم
ليوث إذا لاقوا بدور إذا انتدوا
غيوث إذا أعطوا جبال لمحتي
وإن وعدوا أوفوا وإن قدروا عفوا
وإن حكموا هم أقسطوا في المحكم⁽²⁾

ثم يقول:

إمام الهدى عبدالعزيز بن فيصل
سمام العدى بحر الندى والتكرم
همام أفادته القنا وسيوفه
وهماته أن يمتطي كل معظم

ويصفه أيضاً بقوله:

ولكن نصرت الحق جهدك واعتلت
بك السنة الغراء في كل معلم
وألفت شمل المسلمين وقد غدوا
أيادي سبا ما بين فذ وتؤم
عفيت عن الجاني وأرضيت محسناً
وعدت بأفضال على كل معدم
بنيت بيوت المجد بالببيض والقنا
وسدت بني الدنيا بكل التكرم
وما الجود إلا صورة أنت روحها
ولولاك أضحى كالرميم المرمم

إلى أن يقول:

إليك إمام المسلمين زففتها
لها بك فخر، بين عرب وأعجم

(1) المضحي، عبدالعزيز بن عبدالله: رسالتان بخط شاعر الملك عبدالعزيز محمد آل عثيمين وقائمة بما كتب عنه، صحيفة الجزيرة، العدد 12939، تاريخ النشر الأحد 24 صفر 1429هـ/2 مارس 2008م.

(2) مجلة الكويت: الجزء الأول، محرم 1348هـ/يوليو 1929م، ص 15-16.

إذا أنشدت في حفل قال ربّه
أعدها، بصوت المطرب المترنّم⁽¹⁾

وتجدر الإشارة هنا أن للشيخ محمد بن عبد الله بن عثيمين من مكانة علمية مرموقة تبوأها بين علماء ومشايخ عصره جعلت قصائده تشتهر بين الناس وكان من بينها هذه القصيدة.

● الملك عبدالعزيز آل سعود والإخوان:

تحت هذا العنوان بدأ الحديث عن معركة السبلة وهي معركة تاريخية فاصلة حدثت في 19 شوال 1347هـ/30 مارس 1929م، بين قوات الملك عبدالعزيز المؤلفة من أغلب حرب بقيادة عبدالمحسن الفرم⁽²⁾ وشمر بقيادة ندا بن نهير⁽³⁾، وقسم من الظفير بقيادة عجمي بن سويط⁽⁴⁾، قسم من عتيبة بقيادة عمر بن ربيعان⁽⁵⁾، وقسم من مطير بقيادة مشاري بن بصيص⁽⁶⁾، وكذلك حاضرة القصيم والعارض، وبين من انشق من قوات الإخوان من أهل الأوطاوية وغيرهم بقيادة فيصل الدويش⁽⁷⁾ وسلطان بن بجاد⁽¹⁾ في

(1) مجلة الكويت: الجزء الأول، محرم 1348هـ/يوليو 1929م، ص 17-18.

(2) عبد المحسن بن صنيان بن عبد المحسن الفرم، شيخ بني علي، من مسروح من حرب، وأحد فرسان العرب وكرمائمهم، شارك في معارك كثيرة أشهرها معركة السبلة، وكان مع قومه إلى جانب الملك عبدالعزيز، وله فيها فعل مشهود، توفي سنة 1387هـ/1967م؛ الحديثي، سليمان بن محمد: الحداوي للأمير محمد الأحمد السديري، ط1، 1429هـ، ج1، ص233؛ الرويس، قاسم بن خلف: يوميات الدببة ليوسف ياسين، ص45.

(3) ندا بن خلف بن نهير: من شيوخ الويار من شمر، وفارس من فرسان قبيلته، شارك مع قبيلته في كثير من المعارك وقاد بعضها بنفسه محققاً انتصارات كثيرة، كان محكناً وكثير الحظ، وانضم إلى حركة الإخوان، وله مشاركات مع جيش الملك عبدالعزيز، ظل على ولائه وإخلاصه للملك عبدالعزيز إلى أن توفي سنة 1348هـ/1929م حيث قُتل في معركة أم رضمه؛ وقد ألف عنه أخوه عيادة كتاباً لا يزال مخطوطاً بعنوان: الإيضاح في سيرة طير فلاح؛ الحديث: مرويّات الأمير محمد السديري، ط1، 1434هـ، ص47؛ الحديثي: الحداوي للأمير محمد الأحمد السديري، سبق ذكره، ج2، ص157.

(4) عجمي بن شهيل آل سويط، أمير قبيلة الظفير، كان له مساهمات مع الملك عبدالعزيز في توحيد المملكة، خلف ابن عمه في مشيخة الظفير وأسس هجرة الصفيري توفي -رحمه الله- عام 1408هـ/1988م عن عمر تجاوز المائة؛ السبيعي، ناصر؛ الخالدي إبراهيم: حديث الصحراء، ص261.

(5) عمر بن عبدالرحمن بن تركي بن سلطان بن ربيعان: من ذوي ثبوت من الروقة من عتيبة، ولد في المليدا سنة 1308هـ/ونشأ في نجد وهو من أشهر شيوخ عتيبة الروقة، شارك مع الملك عبدالعزيز في العديد من معارك التوحيد في الليث ونجران، وكذلك قيادته قسم من قبيلة عتيبة في معركة السبلة، والرغامة وغيرها، نزل في بداية التوطين في هجرة الداهنة وتولى إمارتها ثم انتقل إلى بلدة نفي حتى توفي فيها عام 1400هـ/1980م. المانع، محمد: توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين، دن، دم، 1995م، ص158، الرويس: يوميات الدببة ليوسف ياسين، ص45-107-108.

(6) ينتمي إلى البصايصة من الأسر النجدية المعروفة ويرجع نسبه إلى الصعران من بريه من قبيلة مطير، تولى مشيخة الصعران إبان حركة الإخوان؛ السديري: مرويّات الأمير محمد الأحمد السديري، ص22.

(7) فيصل بن سلطان بن الحميدي بن فيصل الدويش: ولد سنة 1299هـ/1882م، وهو من أشهر شيوخ قبيلة مطير، تولى مشيخة قبيلته بعد وفاة والده، وكان أبرز زعامات حركة الإخوان، استوطن هجرة "الأوطاوية" عام 1330هـ/1912م، اشتهر بالنكاء والشجاعة وشارك في عشرات المعارك وقاد كثيراً منها بنفسه؛ الحديثي؛ الحداوي هكذا يقول الأجداد على صهوات الجياد، المرجع

روضة قرب الزلفي، انتهت بانتصار الملك عبدالعزيز، وتعتبر آخر المعارك الرئيسية التي خاضها الملك عبدالعزيز في سبيل تأسيس المملكة العربية السعودية⁽²⁾.

أوردت مجلة الكويت شيئاً من التفصيل عن بعض مواقف الإخوان مع الملك عبدالعزيز وما دار بينهم من معارك، وقد بدأ بإيضاح أسباب الاختلاف ذكره حين قال: "أنكر بعض قصيري النظر من الإخوان على الملك عبدالعزيز أموراً أحدثها في ملكه تقتضي المصلحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية إحداثها ولا ينافي الدين شيئاً منها"⁽³⁾.

والواقع أن اختلاف الإخوان مع الملك عبدالعزيز قد بدأ بعد أن تم له توحيد منطقة الحجاز عام 1344هـ/1925م مع ما وحده من مناطق البلاد وأقاليمها بدأت تظهر علامات اختلاف بينه وبين بعض قادة الإخوان، لا سيما الدويش، وابن بجاد، وضيدان بن حثلين زعيم قبيلة العجمان⁽⁴⁾، وكان مما أعلنوا اختلافهم معه حول استخدام المخترعات الحديثة كالهاتف والبرقيات، ومرونة الملك عبدالعزيز في التعامل مع دول وفئات يرون خطأ التعامل معها، وعدم السماح لهم بغزو بعض الدول المجاورة التي يرون انحرافها عن الدين⁽⁵⁾.

وقد حاول الملك عبدالعزيز ردهم إلى الحق بالحجة وإرجاعهم إلى الصواب، ويقابل قسوتهم باللين وجهلهم بالعقل... وسعى لإصدار فتاوى شرعية من علماء نجد تنص على جواز ما أنكروه، لكن لم تقد معهم تلك

السابق، ج1، ص299؛ صابان، سهيل، مدخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، ط1، دار جداول للنشر والترجمة، لبنان، 1434هـ/2013م، ص300.

(1) سلطان بن بجاد بن سلطان بن هندي بن حميد: قائد شجاع من قبيلة عتيبة، تولى الزعامة بعد وفاة والده، صحب الملك عبدالعزيز في غزواته، وأقام في هجرة الغطغط على مقربة من الرياض، وكان أميراً لها، أرسله الملك عبدالعزيز إلى تربة عام 1337هـ/1919م، ودخل مكة مع خالد بن لؤي، ثم كان مع الأمير فيصل بن عبدالعزيز في حرب عسير، وبعد الطاعة والإخلاص انضم إلى زعماء الإخوان الخارجيين عن طاعة الملك عبدالعزيز إلى أن ألقى القبض عليه، توفي عام 1351هـ/1932م؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص109؛ الفحطاني، منى: التنظيمات الداخلية في مكة بعد دخول الملك عبدالعزيز لآل سعود 1343-1351/1924-1932م، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، 1427-2006م، ص51.

الحديثي؛ الحداوي للأمر محمد الأحمد السديري، مرجع سابق، ص39.

(2) ياسين، يوسف: يوميات الدببة، مرجع سابق، ص45.

(3) مجلة الكويت: الجزء الثاني، صفر 1348هـ/أغسطس 1929م، ص507.

(4) ضيدان بن خالد حثلين: شيخ العجمان، وقائدهم في معركة كنزان ضد الملك عبدالعزيز سنة 1333هـ/1915م، ثم لجأ إلى الكويت سنة 1336هـ/ حيث وقع اتفاقية مع الشيخ سالم الصباح والعقيد هاملتون لحل مشكلة وجود العجمان في الأراضي الكويتية في 20-5-1336هـ/4-3-1918م، وفي أواخر سنة 1337هـ/1918م قد إلى الملك عبدالعزيز متصالحاً فعاد بقبيلته إلى الأحساء ملتحقين بحركة الإخوان ليكون ضيدان بعد ذلك من أشهر قيادات الإخوان وشارك مع قوات الإخوان في بعض حروب فترة التوحيد، وانضم بعد ذلك للإخوان المختلفين مع الملك عبدالعزيز، قتل في معركة عوينة كنهر سنة 1347هـ/؛ الرويس: يوميات الدببة ليوسف ياسين، ص49.

(5) العثيمين، عبدالله الصاح: معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد، ط1، 1415هـ/1995م، ص284.

الفتاوى⁽¹⁾ لذا عقد الملك عبدالعزيز مؤتمراً في الرياض حضره علماء نجد وحضره أيضاً كثير من علماء الإخوان، وكان الملك عبدالعزيز حريص على حضور قادة المنشقين أملاً في إقامة الحجة عليهم، وتجديد تبعيتهم له، ليكون له العذر في اتخاذ أي إجراء مناسب ضدهم إن لم يعدلوا عن موقفهم لكن الدويش لم يحضر بل أرسل ابنه عبدالعزيز نائباً عنه، ولم يحضر أيضاً ابن بجاد أما ابن حثلين فعلم وهو في الطريق أن هذين الزعيمين لن يحضرا، فعاد إلى هجرته، وفي الثاني والعشرين من جمادى الأولى عام 1347هـ/5-11/1928م بدأ ذلك المؤتمر⁽²⁾ وألقى الملك عبدالعزيز خطبة بليغة، ومن ثم أبدى العلماء آراءهم المؤيدة للملك عبدالعزيز، ثم انفض المؤتمر بتحديد البيعة للملك عبدالعزيز، وكانت نهاية المؤتمر انتصاراً سياسياً واضحاً له على المنشقين من الإخوان، ذلك أن العلماء أفتوا بأن الجهاد بالذات وهو أهم مسألة أثارها هؤلاء المنشقون، أنه بيد ولي الأمر⁽³⁾ ولم يكن عزم الملك عبدالعزيز على قتالهم مادامت الوسائل السلمية تنجح، ودارت بينهم المحادثات لكنهم أرادوا إثارة الفتنة، فبدأ الإخوان يبادرون وأول حركة رفع رايتها سلطان بن بجاد في هجومه على طائفة من شمر قادمين من الشام، قتل فيها من الإخوان أكثر مما قتل من غيرهم⁽⁴⁾.

وبعد أن بلغ الملك عبدالعزيز هذا النبأ الفظيع علم أن وراء الأكمة ما وراءها وأن السياسة تطلب منه أن يأخذ اليوم غير التدابير التي أسلفها معهم فاستنفر شجعان نجد وأبطالها وأقبلوا إليه طائعين... وثم يبدأ صاحب المجلة بوصف الإخوان بأوصاف غير لائقة لا يمكن ذكرها هنا.

ومن ثم يصف أحداث معركة السبلة وهزيمة الإخوان فيها وتركهم ما يزيد عن ألف وثلاث مائة قتيل بينهم بعض أقارب فيصل الدويش وفيصل نفسه مجروحاً⁽⁵⁾.

ويبدو للباحث هنا أنه بالغ في عدد القتلى من الإخوان حين ذكر أنهم يزيدون عن 1300 قتيل لكن الصحيح أن قتلاهم يتراوحون بين أربع مائة وخمسمائة، وعدد القتلى من قوات الملك عبدالعزيز حوالي مائتين⁽⁶⁾.

الفصل الثالث: أخبار الملك عبدالعزيز ومملكته الواردة بالمجلة من شهر صفر 1348هـ حتى شهر شوال 1348هـ.

● صدى انتصار الملك عبدالعزيز على الإخوان في البحرين:

(1) مجلة الكويت: الجزء الثاني، صفر 1348هـ/أغسطس 1929م، ص 507.

(2) العثيمين: معارك الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص 288.

(3) العثيمين، عبدالله الصالح: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج 2، 1430هـ/2009م، ص 221-226، العثيمين: معارك الملك عبدالعزيز، المرجع السابق، ص 287.

(4) مجلة الكويت، الجزء الثاني، 1348هـ/1929م، ص 509.

(5) مجلة الكويت: الجزء الثاني، 1348هـ/1929م، ص 510.

(6) العثيمين: معارك الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص 299.

جاء في هذا العدد تكملة لخبر سابق وهو أن بشار نصر الملك عبدالعزيز عمت البحرين وهي بشارة سارة للشيخ عيسى آل خليفة والشيخ حمد حاكم البحرين وبيت آل قصيبي، وأهل البحرين عامة وأخذ بعضهم يهنئ بعضاً بهذا النصر، وقد أطلقت حكومة البحرين عدة مدافع مشاركة الملك عبدالعزيز فرحه وسروره، وانهارت التهاني الكتابية والشفهية على حسن بن إبراهيم القصيبي موضع ثقة الملك عبدالعزيز واعتماده في البحرين، وكان يقابلها بالتقدير والشكر⁽¹⁾.

● مدرسة سلفية في القدس:

يورد الجزء الثاني شهر صفر من السنة الثانية 1348هـ/1929م خبراً منقولاً من جريدة الشورى المصرية، مفاده أن (ملك العرب والإسلام عبدالعزيز كما يسميه) عزم على تشييد مدرسة سلفية في القدس قرر لها 5000 جنيه كل عام⁽²⁾.

● الشبل من ذاك الأسد:

بعد مقدمة أجاد فيها الثناء على الأمير فيصل نائب الملك عبدالعزيز في الحجاز، ومما جاء فيها قوله: "...ليس سمو الأمير الجليل فيصل نائب جلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود في الحجاز بمجهول المقام عند أحرار العرب ومصلحيهم ولا هو في حاجة إلى المدح والإطراء، وهو شبل ذاك الأسد الهصور..." ومن ثم قدمت المجلة قصيدة طويلة للشاعر عبدالمحسن الكاظمي⁽³⁾ بالأمير فيصل بن عبدالعزيز، و في مطلعها:

من مبلغ نجداً وزمزم والصفاء	أنني على ألم الكنانة أنزل
يا حبذا نجداً ومن حلوا بها	أهلاً ومن بهم الحجاز يؤهل
فهم المقيمون الرواسي إن هموا	نزلوا به وهم الخفاف الرحل
الأسد ألا أنهم لم يغدروا	والشوس إلا أنهم لم يختلوا
آل السعود وما السعود بمدير	عن آله إن قيل عنهم أقبلوا

إلى أن يقول:

يا من إذا مثلت أئمة يعرب	فأبوه في العرب الإمام الأمثل
المجد مجدك ما تروح وتغتدي	والجود جودك ما تحل وترحل

(1) مجلة الكويت، الجزء الثاني، 1348هـ/1929م، ص510.

(2) مجلة الكويت، الجزء الثاني، صفر 1348هـ/أغسطس 1929م، ص45.

(3) هو أبو المكارم عبدالمحسن بن محمد بن علي، ولد في بغداد سنة 1865م، ونشأ في الكاظمية، ارتحل كثيراً إلى أن استقر في مصر، توفي -رحمه الله- عام 1935م؛ داره الملك عبدالعزيز: الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى، 1419هـ/1999م، ج2، ص974.

يلجأ إليه الحائرون وموئل⁽¹⁾

عش وابق واسلم أنت فينا ملجأ

والقصيدة جاءت في المجلة بـ "27"

● خضد شوكة الإخوان ومآل حركتهم:

في العدد السابق نفسه نشر عبدالعزيز الرشيد مقالاً عن الملك عبدالعزيز والإخوان بعنوان: "خضد شوكة الإخوان ومآل حركتهم"، ذكر فيه خبر انتصار الأمير عبدالعزيز بن مساعد آل جلوي⁽²⁾ أمير حائل على قوة الإخوان بقيادة عبدالعزيز بن فيصل الدويش في أم رضمه⁽³⁾ وقال "... لقد جاء تلغراف من الكويت يفيد بأن قوة الأمير عبدالعزيز بن مساعد أمير حائل اصطدمت بقوة عبدالعزيز الدويش في أم رخمه فحطمتها عن آخرها... وتلا هذا أيضاً نبأ آخر وهو هزيمة أحد زعماء عتيبة في صحراء الدهناء..."⁽⁴⁾ ولقد أعرب الرشيد عن فرحه بهذا الانتصار ثم بين أن الرعاية التي أحاط الملك عبدالعزيز الإخوان بها، وسعة العيش التي وفرها لهم، وقارن بين حالتهم المعيشية آنذاك وحالهم بعد أن شقوا عصا الطاعة عليه، إذ يقول: "قد يستغرب من لم يدرس حالتهم الدرس الدقيق ويستغرب إذا قلنا له إن فيصل الدويش كان له الأوطاوية⁽⁵⁾ قصر فخم أثث بالأثاث الفاخر وزود بالأواني الثمينة وأنير بالمصابيح الوضاءة... ويقول

(1) مجلة الكويت، الجزء الثاني، ربيع الأول 1348هـ/سبتمبر 1929م، ص 45-47.

(2) الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي بن عبد الله بن سعود: ابن عم الملك عبدالعزيز، ولد في عام 1302هـ/1885م في الرياض، نشأ في كنف والديه حتى بلغ السابعة من عمره، بعد استيلاء بن رشيد على نجد عام 1309هـ/1891م نزح مع والده والأسرة السعودية إلى الكويت. شارك مع الملك عبدالعزيز في استرداد الرياض 1319هـ/1902م. كما شارك في جميع معارك التوحيد. وأسند إليه إمارة القصيم سنة 1339هـ/1923م، وبعد فتح حائل عام 1341هـ/1923م انتقل إليها وعمل على استتباب الأمن فيها، وفي عام 1351هـ/1932م عينه الملك عبدالعزيز قائداً عاماً للقوات السعودية للقضاء على فتنة الأدارسة. ظل على رأس العمل حتى عام 1391هـ/1971م. توفي رحمه الله ليلة السبت الأول من شهر ربيع أول عام 1397هـ/1977م. انظر: سليمان، حسن حسن: الأمير عبدالعزيز بن مساعد: حياته ومآثره، [د. ط.]، [د. ن.]، بدون مكان وتاريخ، ص 23-31؛ هذلول، سعود: تاريخ ملوك آل سعود، الجزء الأول، ط2، [د. ن.]، [د. م.]، 1402هـ/1982م، ص 356.

(3) أم رضمه: موضع جرت فيه معركة مشهورة بين عبدالعزيز بن مساعد وجنوده وبين عبدالعزيز الدويش ومن معه من جهة أخرى، وذلك يوم السبت 4 ربيع الثاني 1348هـ/8 سبتمبر 1929م، كانت البداية ناجحة للإخوان إلا أن سير المعركة بدأ ينقلب إلى هزيمة بعد أن فقد الإخوان 300 مقاتل ووصول قوات إضافية إلى عبدالعزيز بن مساعد، وقُتل عبدالعزيز الدويش كما قُتل نداء بن نهير من شيوخ شمر الذي كان في جيش ابن مساعد، للتفاصيل في هذه المعركة انظر "وللاطلاع على موقف الإخوان الرجوع إلى الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، الزركلي، خير الدين، ط11، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م، ص 107-120؛ ياسين، يوسف: يوميات الدبدبة، مرجع سابق، ص 55؛ العثيمين: معارك الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص 304.

(4) مجلة الكويت، الجزء الثالث، ربيع الأول 1348هـ/سبتمبر 1929م، ص 701.

(5) الأوطاوية: هجرة من هجر قبيلة مطير، في إقليم سدير، من إمارة الرياض، تبعد عن الرياض حوالي ثلاثمائة كيلاً شمالاً وترتبط بمنطقة المجمعة إدارياً. الجاسر، حمد: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (معجم مختصر)، القسم الأول، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، دون تاريخ، ص 183؛ وانظر: ابن خميس، عبدالله بن محمد: معجم اليمامة، مج1، ط1، [د. م.]، الرياض، 1398هـ/1978م، ص 72.

أيضاً عن نقل فيصل الدويش إلى الرياض "... يوصله الملك ... في عاصمة ملكه الرياض المحروسة، وهناك يلقي فناءً رحباً ووجهاً بشوشاً وترحيباً ينسيه آلامه ويحقق آماله، ينقلب في النعيم بضعة أيام ثم يرجع إلى أهله ... يرجع مسروراً بعد أن كان حزيناً..."⁽¹⁾.

ويستمر عبدالعزيز الرشيد في حديثه عن الإخوان لكنه في هذا العدد ينشر خبراً بعنوان:

● نصيحة واجبة للإخوان الثائرين:

بدئها بقوله: "...إن الواجب يقضي على أبناء العرب اليوم أن يلتقوا حول الملك عبدالعزيز يفدوه بكل عزيز لديهم ويعملوا مع العاملين لتوطيد ملكه، وقمع المعتدي عليه وجذب القلوب والأفئدة إليه...ومن هو الذي ينكر وأعمال جلالته شاهدة ناطقة، وآثاره الطيبة بارزة...بسط الأمن في بلد كن الناس يتخطفون من حولها وقلوبهم خائفة..."⁽²⁾ ومن ثم بدأ يطلب من الإخوان الاقتداء بالرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي وردت عنه أحاديث وأخبار توجب طاعة أولياء الأمور، وتحرم الخروج عليهم إلا بالحق.

وحين تم انتصار الملك عبدالعزيز على الإخوان نهائياً كتب الشيخ عبدالعزيز مقال بعنوان:

● انتصار الملك عبدالعزيز على الإخوان:

بدأه بقوله: "أما الآن وبعد أن استراح الملك من ذلك الجند... الذي ضيق عليه واسع أوقاته، ويقف في وجهه كلما أراد أن يجري إصلاحاً...ويعلم أولئك المتخرسون ما لجلالته من أعذار شرعية كانت تمنعه فيما مضى عن القيام بما تتوق إليه نفسه الكريمة من الخير والإصلاح، ويعلمون أيضاً خطأهم في تسرعهم بالقدر قبل أن يعرفوا حقيقة العذر الذي تركت جلالته صامتاً كل هذه المدة الطويلة"⁽³⁾ وأتبع كلامه هذا بالأبيات التالية:

قال العداة بأنكم في غفلة	عما به ترقى البلاد إلى العلا
وبأنكم أهملتم تنقيف من	حملوا لكم أغلى المودة والولا
قالوا وقالوا كلما أوحى لهم	حسد أصاب من الجميع المقتلا

إلى أن يقول:

هذا الحجاز وما به من نهضة	أمسى بها خير الحجاز مؤصلا
هو شاهد عدل على إخلاصكم	يجتث من نفس الحسود المقولا ⁽⁴⁾

(1) مجلة الكويت، الجزء الثالث، ربيع الأول 1348هـ/سبتمبر 1929م، ص 701.

(2) مجلة الكويت، الجزآن الرابع والخامس، ربيع الثاني وجمادى الأولى، 1348هـ/أكتوبر-نوفمبر 1948م، ص 252.

(3) مجلة الكويت، الجزآن السادس والسابع، جمادى الآخرة ورجب، 1348هـ/نوفمبر-ديسمبر 1929م، ص 317-318.

(4) الحجي، يعقوب: الشيخ عبدالعزيز الرشيد سيرة حياته، مرجع سابق، ص 188؛ مجلة الكويت، المرجع السابق، ص 318.

أخيراً يمكن القول إن هذا ما كان عليه شعور الشيخ عبدالعزيز الرشيد تجاه الإخوان، وتجاه الملك عبدالعزيز وما دار بينهم من أحداث رصدها وعلق عليها.

لا يعرف الحق إلا ذووه:

تحت هذا العنوان في مجلة الكويت تم الحديث عن مكانة الملك عبدالعزيز لدى الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين، ومما جاء فيها: " كان لجلالة ملك العرب والإسلام عبد العزيز آل السعود محل رفيع في نفس سمو الأمير الجليل الشيخ حمد بن الشيخ عيسى آل خليفة حاكم البحرين المعظم ومحبة صادقة تخللت منه الروح والجسم. وكان يطرب كثيراً لغرر القصائد التي تشرفت بمدح جلالته وسما قدرها بذكر أعماله وآماله وكثيراً ما يأمر منشده بقراءتها في مجالسه الخاصة سواء ما أودع منها مجلة الكويت⁽¹⁾ التي كان يقرأها سموه أو غيرها من در مدائحه وقلما تخلو مجالس سموه من ذكر مناقب جلالته وفضائله التي كان يرتاح للحديث عنها أيما ارتياح... اجتمع جملة من وجهاء البحرين عند سموه (بالصخير)⁽²⁾ وكان من بينهم الفاضل على بن إبراهيم آل كانو فدار الحديث هناك عن أعمال جلالته الملك التي كان يقوم بها لرفع شأن العرب والإسلام وما يجب على المسلمين لجلالته في ذلك اليوم إزاء هذه الأعمال الجليلة، فقال ذلك الفاضل مخاطباً سمو الأمير الكريم يا صاحب السمو اقترح على سعادتك بأن تأمرؤا خطباء الجمع في البحرين بالدعاء لجلالة الملك عبد العزيز آل السعود على المنابر إذ جلالته اليوم هو الملجأ الوحيد للإسلام والعرب وهو مطمح أنظار زعماء المسلمين في جميع الأقطار، أبدى حضرته هذا الاقتراح الموفق فوق عند سموه موقع الاستحسان حتى طفق يردده على مسامع الحاضرين برهة من الزمن قائلاً: نعم إنه اقتراح صادف محله ولم يعد أهله ولقد أحسنت (يافلان) في هذا الاقتراح واجدت وقد أعجبني جداً من بين اقتراحاتك العديدة التي كنت تبديها لنا في مجلس البلدية، وهكذا كانت لهجة سموه في استحسان الاقتراح على هذا النمط مما دل على تمكن محبة الملك الصادقة في قلبه وميله الشديد إليه، وإذا فيصدق من قال في المثل: (لا يعرف الفضل إلا ذووه)⁽³⁾.

ونُشر في المجلة في الجزء الرابع والخامس، ربيع الثاني /جمادى الأولى 1348هـ قصيدة لعبدالعزیز الرشید قدمها إلى الملك عبد العزيز، وجاء في مقدمتها:

"...هذه قصيدة قدمها صاحب هذه المجلة إلى جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل السعود في عاصمة ملكه (الرياض) من نحو خمس سنين تقريباً سنبتها في الكويت احتفاظاً بها وتحلية لجيد (الكويت) بمدح أخلاق من قدمت إليه:

(1) كان مما أولع به الشيخ حمد على حد قول صاحب مجلة الكويت: قصيدة خالد الفرج في مدح الملك عبدالعزيز تحت عنوان إياك نختار. سبق الحديث عنها.

(2) الصخير منطقة صحراوية تقع في مملكة البحرين.

(3) مجلة الكويت: الجزء الثالث، مج2، شهر ربيع الأول سنة 1348هـ/سبتمبر 1929م، ص125-126.

هل لداعي الإصلاح شهم مجيب	أم لداء الفساد ثم طيب
هل حكيم برد كل اعتلال	وله في القضاء رأى مهيب
هل عظيم على المكاره جلد	وعليم به تسود الشعوب
خبروني فديتكم من رجال	خبروني وللسؤال أجيبوا
فتشوا لي ومن يجدي مرادى	فله الشكر ماشدا عندليب ⁽¹⁾
أيها السائل الملح رويداً	إن هذا اللحاح شيء عجيب
ليس هذا الذي تفتش عنه	وبه الوقت والزمان يطيب
غير عبد العزيز (سلطان) نجد	من له العز والفناء الرحيب
وعجيب وأنت تسأل عنه	وهو شمس وما عراها غروب
وهو ندب يذل كل عنيد	وهو حصن إذا الخطوب تنوب
وهو غيث إذا السحاب شحت	وأصاب العباد يوم جديب
وهو بدر به الدياجر تجلى	وهو للحزم صاحب وقريب
إن دهته الخطوب فهو كصخر	ليس فيه مدى الزمان ندوب
يا إماما له المفاخر تنمى	وهما ما له المقام الرهيب
أنت ملك جمعت غر خصال	يخجل البدر نورها ويعيب
أنت ملك ما سمعنا بملك	هو قاض وقائد وخطيب
وهو أنس الجليس أن ما تصدى	الأمور يهتز منها الأديب
هو ومسلاة كل هم وغم	عن قلوب قد أحرقتها الكروب
أنت ملك إذا هممت بأمر	ليس يثنيك عاذل أو كذوب
قد سحرت العقول منك بنطق	هو در لكل لب خلوب
لك حلم وليس حلم ابن قيس	ودهاء به تزول الخطوب
لا تلمني يا عاذلي في هواه	إن عذل العذول أمر مريب
كيف أصغى إلى العذول	بملك ومزايه شمسها لا تغيب

(1) مجلة الكويت، الجزء الرابع والخامس، ربيع الثاني وجمادى الأولى 1348هـ/أكتوبر-نوفمبر 1929م، ص153-154.

فتراه واليوم يوم عصيب يبدو ليثاً والوجه منه غضوب
وتراه واليوم يوم سرور مشرق الوجه لم يشنه قطوب
وتراه إذا الكماة تلاقت ثابت الجأش والكماة تنوب⁽¹⁾

والقصيدة أطول من هذا وهي تبلغ (39) بيتاً.

● أمير القطيف الشاب:

تحت هذا العنوان تحدث عن محمد بن عبدالرحمن بن سويلم، وأثنى عليه وتحدث عن لقائه به في البحرين، تجاذب معه أطراف الحديث عن نجد وعن مجلة الكويت ورضا الملك عبدالعزيز عنها⁽²⁾.

● تاريخ نجد:

تحت هذا العنوان نشر قصيدة شاعر الخليج خالد بن محمد آل فرج⁽³⁾ البائية التي ضمنها موجز تاريخ آل سعود منذ ظهورهم وتاريخ الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله والأعمال التي قام بها الملك عبدالعزيز آل سعود، وقد بدأت هذه القصيدة بالملك عبدالعزيز ونسبه ومن ثم انتقل للشيخ محمد بن عبدالوهاب ومقاومة آل معمر للشيخ، ونصرة آل سعود له، وأول أبيات هذه القصيدة قوله:

إلى مجدك العليا تُعزى وتنسب وفي ذكرك التاريخ يُملى ويكتب
وفي عدلك الشرع الشريف ممثّل وفي حكمك الأمثال تتلى وتضرب
محمد ينميه سعود بن مقرن فعبد العزيز الفاتح المتغلب

(1) مجلة الكويت، الجزء الرابع والخامس، ربيع الثاني وجمادى الأولى 1348هـ/أكتوبر-نوفمبر 1929م، ص153-154.

(2) مجلة الكويت، الجزء الرابع والخامس، ربيع الثاني وجمادى الأولى 1348هـ/أكتوبر-نوفمبر 1929م، ص330.

(3) خالد بن محمد بن فرج الدوسري، ولد في الكويت عام 1316هـ / 1898م (وتوفي في لبنان سنة 1374هـ / 1954م)، هو مثقف وشاعر ومؤرخ، قضى حياته العملية متنقلاً من الكويت إلى بومباي والبحرين والسعودية وتلقى علومه المبكرة في الكتاب، بدأ حياته العملية مدرساً في المباركية، فكاتباً عند أحد كبار الكويتيين في الهند، وأسس في بومبي المطبعة العمومية التي طبع فيها مجموعة من الكتب كان بعضها على نفقة الملك عبد العزيز، ثم انتقل إلى البحرين (1341هـ/1923م) ليصبح مدرساً بمدرسة الهداية، ثم صار مسؤولاً في بلدية الأحساء ورئيساً لبلدية القطيف، وله عدد من المؤلفات ومنها: أحسن القصص في سيرة الملك عبدالعزيز، رجال الخليج، كتاب الخبر والعيان في تاريخ نجد وما يجاورها من البلدان، وغيرها؛ مجلة اليمامة: الشاعر خالد الفرج 1316-1374هـ، العدد الخامس جمادى الأولى 1373هـ/1955م، السنة الثانية، ص25؛ الشبيلي، عبدالرحمن: خالد الفرج سيرة رجل جسد حلم الوحدة بين الخليجيين، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 13271، تاريخ النشر 1 ذو الحجة 1435هـ؛ الشبيلي عبدالرحمن: خالد الفرج رائد الملاحم الوطنية في سيرة الملك عبدالعزيز، صحيفة الجزيرة، العدد 448، تاريخ النشر 1 محرم 1436هـ/24 أكتوبر 2014م.

سعود وعبدالله تركي وفيصل
ومن عابد الرحمن مجدك أعقبوا
وينتقل فيها للشيخ محمد بن عبد الوهاب ومقاومة آل معمر له ومما قاله في ذلك:
أتى الشيخ والإيمان يملأ صدره
على حين أن الناس للغي أقرب
فنادى فصموا عن سماع ندائه
وأقصوه عنهم خائفاً يترقب
لقد خسرت فيه العينة منقذاً
وإبعاده والجهل بالعقل يلعب
وختمت هذه القصيدة بنصرة آل سعود للشيخ ومما قيل في هذه المقطوعة:
وآوه في الدرعية البطل الذي
تلقاه بالإجلال وهو يرحب
محمد أصل المجد في آل مقرن
به اشتد للشيخ المبجل منكب
هنالك عض الإصبع ابن معمر
وأصبح ينحي نفسه ويؤنب
وهيهات أن يثني مشيئة ربه
بأحكامه وهو العليم المسبب⁽¹⁾

● ذكرى جلوس الملك عبدالعزيز آل سعود:

تورد المجلة ما قاله مندوب الأهرام، على إثر مشاركته في مناسبة احتفال الحجاز بذكرى اعتلاء الملك عبدالعزيز عرش الحجاز، وقد أحيوا ذلك اليوم فعلاً في الحجاز، وأقاموا لذكراه احتفالاً باهراً دعي إليه مندوبو الصحف المصرية على نفقة الحكومة وهناك أتيح للمندوبين مشاهدة الحجاز ونهضته، وكتبوا بعد رجوعهم إلى وطنهم عن الإصلاحات المتنوعة التي حُرِم منها الحجاز كل تلك المدة الطويلة قبل دخولها في حكم الملك عبد العزيز⁽²⁾.

● ما قاله مندوب الأهرام عن إصلاحات الحجاز:

تحت هذا العنوان جاء شيء من التفصيل عن الإصلاحات في الحجاز سبقها الحديث بإيجاز عن الشريف وعدم تطويره لها، حين قال مندوب صحيفة الأهرام: "...لم يكن في الحجاز إلا سيارتين إحداها للشريف والأخرى لابنه، ولم يكن يسمح لأحد باستخدام السيارات وكانت وسائل النقل الوحيدة هي الجمال

(1) مجلة الكويت، الجزآن الثامن والتاسع، شعبان ورمضان، 1348هـ/يناير-فبراير 1930م، ص313.

(2) مجلة الكويت، الجزآن الثامن والتاسع، شعبان ورمضان، 1348هـ/يناير-فبراير 1930م، ص313؛ نشرت صحيفة أم القرى العديد من الأخبار التي تؤكد الاحتفال بذكرى جلوس الملك عبدالعزيز على عرش الحجاز، انظر أم القرى: لجنة الاحتفال بعيد الجلوس الملوكي، العدد 262، السنة السادسة، 26-7-1348هـ/12-27-1919م، ص2؛ أم القرى: الاحتفال بعيد جلوس جلالة الملك، العدد 263، السنة السادسة، 3-8-1348هـ/3-1-1930م، ص1؛ أم القرى: برنامج الاحتفال في مكة بعيد جلوس صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز، العدد 264، السنة السادسة، 7-8-1348هـ/7-1-1930م، ص2.

والبغال والحمير، وكانت الطرق إلى بيت الله الحرام لمكة المكرمة والمدينة المنورة سيئة متعبة...⁽¹⁾ ثم بدأ يتحدث عن إصلاحات الملك عبد العزيز بعد أن ضم الحجاز ليقول: "...وبعد أن جاء ابن سعود أصلح تلك الطرق وشجع على جلب السيارات لنقل الحجاج والبضائع إلى مكة المكرمة، وإلى المدينة المنورة...ومن ثم يقول ومن مكة لجدة منظر السيارات ترش الطريق بالمياه وقد قيل لي أنها مبالغه وصيانة للصحة العامة، والمياه ممزوجة بمادة مطهرة..." ويقول أيضاً أن من الأشياء التي لفتت انتباهه كثرة الآلات المستوردة لحفر الآبار وآلات الزراعة وآلات الكهرباء لإنارة الحرم، وأن الحكومة تشجع الناس على استجلاب الآلات الزراعية من الخارج وتعفيهم من الضرائب، أما من الناحية الصحية فيقول: "أن الملك عبدالعزيز نظم الصحة تنظيمًا دقيقاً وكان موسم الحج مشهوراً بالأوبئة فأصبح بعد ذلك الحجاز خالياً من كل الأوبئة" وقد أنشئت مستشفيات وصيديات وتصرف الأدوية مجاناً، وكذلك أنشئت محطات لاستراحة الحجاج مجهزة بكل وسائل الراحة بالماء والتلج، وبمظلات تقي الحجاج حرارة الشمس" ويختم إصلاحات الملك عبد العزيز في الحجاز بالحديث عن ربطه الحجاز ونجد بالتلغراف اللاسلكي وأن هناك نحو 13 محطة له، وإنشاء مدينة خارج أسوار جدة بعد أن ضاقت جدة بمن فيها، وكان هدفه إنشاء مدينة جديدة لأن جدة كانت مبانيها عتيقة، وقد وضع مخطط لتلك المدينة على شاطئ البحر، ومن المشاريع أيضاً إنشاء ميناء جدة⁽²⁾.

كل ما ذكره سابقاً لا شك أنه يدل على عناية الملك عبدالعزيز العالية بتنظيم بلاده من النواحي كافة، ورفقه بها، وعندما يكون هذا الكلام من صحيفة ليست وطنية يتضح لنا إعجاب غير السعوديين بأعمال الملك عبدالعزيز وجهوده في تطوير بلاده -رحمه الله-.

● البلدية في الأحساء:

يرد في العديدين أنفي الذكر خبر عن أمر الملك عبدالعزيز بإنشاء بلدية في الأحساء للنهوض بها والقيام بوظيفة التنظيف والتطهير لتريح أهلها من الروائح الكريهة التي كانت تنبعث من أكوام القمامات، ولتقوم أيضاً البلدية بتعبيد الطرق وتنوير الأسواق⁽³⁾، ومما لا شك فيه أن مثل هذا المشروع لا يستهان به، وهو لا يعود على أهله إلا بالفائدة الجمة والصحة والنظافة، ولا ينكر ذلك أحد.

● زيارة الملك عبد العزيز إلى البحرين:

على إثر المؤتمر الذي عقد بين جلالة الملك عبدالعزيز وفيصل ملك العراق لحل المسائل المتعلقة بين المملكتين، توقفت الباخرة الإنجليزية المقلة لجلالته في البحرين في زيارة تستغرق عدة ساعات، وذلك مساء يوم الثلاثاء 26 رمضان 1348هـ/25-2-1930م واستقبله آل خليفة استقبالا حاراً، يقول

(1) مجلة الكويت، الجزآن الثامن والتاسع، الجزآن الثامن والتاسع، شعبان ورمضان، 1348هـ/يناير-فبراير 1930م، ص 314.

(2) مجلة الكويت، الجزآن الثامن والتاسع، شعبان ورمضان، 1348هـ/يناير-فبراير 1930م، ص 315.

(3) مجلة الكويت، شعبان ورمضان، 1348هـ/يناير-فبراير 1930م، ص 319.

عبدالعزیز الرشید ذهب أنا وجملة من أهالي نجد الذين استوطنوا هناك لمقابلة الملك عبدالعزیز غیر أنا صادفنا جلالتہ قد ذهب إلى المنامة ليسلم على الشيخ عیسی آل خلیفة الذي منعتہ الشیخوخة من السير إلى الملك عبدالعزیز والذي تحمل مشقة العبور من المحرق إلى المنامة لمقابلة جلالتہ⁽¹⁾.

هذا وقد دار بينهم الحديث حيث بادر الشيخ الملك بقوله: "لقد أخبروني في الليل أنك لن تنزل إلى بلدك البحرين فلم أصدق ذلك، وقد حاولوا إحباط عزمي اليوم صباحاً ولكنني كنت ممثلاً يقيناً بأني سأراك اليوم وستقر عيني بك... لقد كان هذا جلّ أمنيتي من زمن طويل، وإنني لا آسف على موتي بعد الآن..."⁽²⁾ وأجابه الملك عبدالعزیز "لقد توفي والدي وليس هناك من أستشير عداك، ولقد حاولوا إحباط عزمي عن النزول⁽³⁾ ولكن يأبى الله إلا ما أراد ولا راد لأمره، لقد أراد الله أن أنزل في البحرين، وأن تقر عيني برؤيتك فالحمد لله على ذلك"⁽⁴⁾.

هنا يتضح حرص الملك عبدالعزیز على الوحدة بين الدول المجاورة وبخاصة دول الخليج العربي، فسعى إلى تنمية حسن الجوار وتقوية الروابط، حرصاً على الاستقرار والتوازن والتعاون. هذا وقد أقيمت للملك عبدالعزیز بعد نزوله مدينة المنامة المهرجانات الكبيرة والتي اشترك الجميع، وأطلقت المدافع تحية لوصول الملك، وهتفت الأصوات بالدعاء له بطول العمر وبالعز والتأييد، ثم اتجه الملك إلى الرفاع لزيارة أسرة آل قصيبي، وألقى خليفة بن عبد الرحمن بن حسن القصيبي قصيدة من نظم صاحب المجلة يقول في مطلعها:

مولاي من حرس الهدى ببقائه	من بعد ما كاد الهدى أن يخذلا
أنت المعيد إلى العروبة مجدها	ولمجدها ما زلت أنت مهرولاً
ولمجدها حملت نفسك سيدي	ما لا يطيق سواك أن يتحملا
بدر السعود من زكت أعراقه	وحكت خلائقه السحاب الهطلا
هذي الوجوه تهللت لقدمكم	والسعد كبر في الجموع وهلا
والكل يسأل ربه في سره	أن يحمي ملكك ما الزمان تنقلا

(1) الطريفي، طلال: العلاقات السعودية البحرينية في عهد الملك عبدالعزیز 1319-1373هـ/1903-1953م، ط1، 1428هـ، دار الملك عبدالعزیز، الرياض، ص84.

(2) مجلة الكويت، الجزآن الثامن والتاسع، شعبان ورمضان، 1348هـ/يناير-فبراير 1930م، ص319.

(3) يقصد الملك عبدالعزیز الوكيل السياسي البريطاني في البحرين حين بعث لهم الملك عبدالعزیز برقية إشعار برغبته لزيارة الشيخ عیسی، وكان رد الوكيل البريطاني أن الشيخ مريض وليس في المنامة، لذلك لا يمكن أن يرحب بالملك عبدالعزیز، وينصح الملك بعدم الزيارة؛ الطريفي، طلال: المرجع السابق، ص82.

(4) الطريفي، طلال: العلاقات السعودية البحرينية، المرجع السابق، ص84.

ويقيك من كيد الزمان وصرفه ويزيد قدرك رفعة بين الملا⁽¹⁾

استغرقت يومين، غادر بعدها الملك عبدالعزيز، واتضح من خلالها أن لهذه الزيارة أثر كبير في نفوس أهالي البحرين وأهالي نجد المقيمين فيها، وأظهرت التلاحم بين البلدين في تلك الفترة.

● رحلة صاحب المجلة عبدالعزيز الرشيد من البحرين إلى الأحساء:

بعد نهاية رحلة الملك عبدالعزيز إلى البحرين اتجه إلى العقير وأقام في الأحساء، ولقد تبعة الشيخ عبدالعزيز الرشيد حيث قدم الأحساء، وتحدث عن رحلته بالتفصيل وأنه ركب مع باخرة أعدت لنقل حاجيات الملك عبدالعزيز المتنوعة من البحرين إلى العقير، وكان اسم تلك السفينة "سعودي" وأنه كان متفائلاً بهذا الاسم لقوله سيكون السعد رفيقي في هذه الرحلة، وقد التقى حين وصوله الملك عبد العزيز ونقل عنه كلاماً مطولاً عن واجب الدعوة، وعن أمور دينية ودينية عديدة.

يقول: "حظيت بالمثل بين يديه في مجلسه الزاهر... وصافحت يمينه وقبلت كتفه... وأجلسني بجانبه وأخذ يؤنسني بعطفه... كان يرسل من ساعة لأخرى في تدبير ملكه الواسع الذي لا يفوته من أمره صغيرة ولا كبيرة... لقد عجبت كل العجب في حلمه الواسع وفي قوة شكيمته وطيب مقابله لكل وافد إليه..."⁽²⁾ ثم بدأ بالحديث مع الملك عبدالعزيز عن أمور الدين وعن الشيخ محمد بن عبد الوهاب منشأه ودعوته، وتطرق إلى ذكر الحجاز وفتحه وأسباب ذلك، وناقش معه حتى في الأدب والتاريخ، لكن هذه الحوار لم ينشر في المجلة، والذي يتضح أن الملك عبدالعزيز من كلام الشيخ عبدالعزيز الرشيد وبعد محاورته له كان على اطلاع واسع بالعلوم الدينية والتاريخية وأن حديثه سهل في التعبير وكلامه واضح ودقيق لا يردد الكلام ولا يتلعثم وسريع بديهة، وماهر في الانتقال من موضوع إلى آخر

- رحمه الله رحمة واسعة ووالدينا وجميع المسلمين -.

● آمال جلالة الملك الكبيرة بنشر أسفار العلوم الدينية:

في العدد الأخير من المجلة تحدث عن جهود الملك عبد العزيز في نشر العلوم وطباعة الكتب الدينية أمثال كتاب المُنْغني الذي لم يطبع قبل هذه المرة لموفق الدين بن قدامة وتفسير ابن كثير وغيرها من الكتب في الفقه والتاريخ والطب والشعر، ومن ثم يتحدث عن خدمة الملك عبدالعزيز للإسلام وأهله، ولقد أشار الشيخ عبدالعزيز الرشيد وعرض على الملك عبدالعزيز طباعة كتاب تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية فرد عليه الملك عبدالعزيز بقوله: "كنت راغباً كل الرغبة في طبع هذا التفسير الجليل ونشره بين الناس بأسرع وقت ممكن ولكن لا أعلم في أي مكان يوجد لنقوم بواجب نشره اليوم... ثم بدأ الملك يتحدث عن شيخ الإسلام وقال: "لشيخ الإسلام مؤلفات مهمة لم نقف عليها... ونحن في أشد الحاجة إليها وإلى

(1) مجلة الكويت، الجزآن الثامن والتاسع، شعبان ورمضان، 1348هـ/ يناير-فبراير 1930م ص 320-321؛ للاطلاع على تفاصيل هذه الزيارة انظر الطريفي، طلال: العلاقات السعودية البحرينية، المرجع السابق.

(2) مجلة الكويت، الجزآن الثامن والتاسع، شعبان ورمضان، 1348هـ/ يناير-فبراير 1930م، ص 337-377.

نشرها لينتفع الناس بها... وفي العزم إرسال شخص من أهل العلم والمعرفة للبحث عنها في أوروبا... قد تكون موجودة في تلك المكاتب... وبنصاحبه بتوصيات تسهل عليه مهمته كلما وجد شيء أخذه ولو بالفتوغراف ثم يبعثه إلينا..." (1).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الشيخ عبد العزيز الرشيد يثبت أن همة الملك عبدالعزيز لم تقتصر على توسيع دائرة ملكه ودعّمه؛ بل في رعاية العلم والتعليم ونشر بعض نفائس الكتب الدينية في عدد من المطابع الداخلية والخارجية، هذا وتبين أيضاً أنه يستخدم نفوذه لخدمة الإسلام والعلم. ولقد تحدث كثير من المؤرخين قديماً وحديثاً عن جهود الملك عبدالعزيز في نشر العلم والاهتمام به، ولعل من آخر الدراسات في هذا الجانب صالح حبيب الله الأستاذ المشارك بجامعة شمال غرب الصين في بحث قدمه خلال جلسات المؤتمر العالمي الثاني عن تاريخ الملك عبدالعزيز بعنوان: "جهود الملك عبدالعزيز آل سعود في النهضة بالتعليم"، فبين أن الملك عبدالعزيز قد أعطى الجانب التعليمي أعظم اهتمامه، إيماناً منه بأن نهضة البلاد وتقدمها لا يكون إلا عن طريق التعلم، ونقل عنه قوله: احرص على تعلم العلم، لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله ثم العلم ومعرفة العقيدة. وأشار إلى أن الملك اهتم أشد الاهتمام بنشر العقيدة السلفية الصحيحة والعلوم الشرعية والدنيوية النافعة، وحرص على ذلك أشد الحرص، لعلهم أن الجهل بالشرعية هو الذي يوقع في البدع والمعاصي ومخالفة أحكام الدين، بما يؤدي في نهاية الأمر إلى القلاقل والاضطراب والفساد والانحراف (2).

المبحث الرابع: مصداقية مجلة الكويت وقيمتها التاريخية.

بعد أن استعرضنا شيئاً من أخبار الملك عبدالعزيز وأخبار مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها" المملكة العربية السعودية" عموماً في مجلة الكويت خلال عامي 1346-1348هـ / 1928-1930م في المبحثين الثاني والثالث، بقي أن نعرف هل هذه الأخبار مؤكدة وصادقة ودقيقة أم لا تصل لهذا المستوى؟ وماهي قيمتها التاريخية سياسياً وحضارياً.

ولكي نعرف ذلك لا بد من أن نقارن ما ورد فيها بمصدر مهم، وهو صحيفة أم القرى التي كانت تصدر بمكة المكرمة حينذاك، والتي تحرص على توثيق تاريخ الملك عبدالعزيز في تلك الفترة، ومن ثم الحديث عن قيمة مجلة الكويت التاريخية.

أولاً: مقارنة الأحداث والأخبار الواردة بمجلة الكويت بـ(صحيفة أم القرى) :

فقد اتفقت مع أخبار مجلة الكويت في السنتين المذكورتين بما يلي من أخبار:

(1) مجلة الكويت: الجزء العاشر، شوال 1348هـ/مارس 1930م، ص380-381؛ السماري، إبراهيم: الملك عبدالعزيز الشخصية

والقيادة، ط1، دار الملك عبدالعزيز الرياض، 1419هـ، ص55.

(2) الموقع الرسمي للمؤتمر العالمي الثاني عن تاريخ الملك عبدالعزيز.

ورد في المجلة خبر بعنوان: الحجاز بين الأمن واليوم تحدث فيه الكاتب عن حال الحجاز والأمن في الحج ومزايا تطبيق الشريعة الإسلامية ووضع الحجاز بعد دخوله في الدولة السعودية، وقارن بين الوضع الأمني في الحجاز قبل دخوله في حكم الملك عبدالعزيز وبعد دخوله، ويصف الأوضاع بأنها قدت تغيرت للأحسن فعلاً بعد دخولها في حكم الملك عبدالعزيز، وأصبحت تتعم بالأمن والأمان وارتاح الناس بأن يسر الله جل وعلا لهم حاكم عادلاً عمل على توفير الراحة والأمن والأمان، وقد اتفق هذا الخبر مع خبر آخر في صحيفة أم القرى بعنوان: "الأمن في الحجاز ماضيه وحاضره ومستقبله"⁽¹⁾ تحدث عن الأمن في القديم وما كان يلاقيه الناس زمن الترك وزمن الحسين من مصاعب ومشقات في سبيل أداء فريضة الحج ما الله به عليم، مستشهداً بكتب الرحلات وأخبار المؤرخين بما كان يقاسيه الحجاج... "وقد تحدث عن الأمن زمن الشريف حسين، وأن الطريق كان محفوفاً بالمخاطر وأنه لم يستطع أن يؤمن الطريق بين مكة والمدينة، وأشار إلى أن كان يؤخذ من الحجاج من متاع، وعن عدم قدرته على إخضاع قبائل البادية، بعد ذلك بينت صحيفة أم القرى في المقال نفسه أن من أعظم النعم على المسلمين أن يوفق الله لهم قوة ذات عقل راجح تستطيع أن تحفظ الأمن في الحجاز حتى يفد المسلمون إلى هذه الديار فيشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله وهم آمنون مطمئنون"⁽²⁾، وتشير الصحيفة في العدد نفسه إلى الخطط والإجراءات التي اتخذها الملك عبدالعزيز لضبط الأمن، وكيف أصبحت البلاد تتعم بالأمن والأمان، وكيف أصبح الحجاج يمشون ويقطعون المسافات دون أن يمسه أحد بأذى، واستشهدت الصحيفة بقصص تؤكد ذلك⁽³⁾، وأشارت الصحيفة في مقال آخر بعنوان: "دور السكون في الحجاز واجب الحجازيين"، أوردت فيه حالة السكون والأمن في الحجاز وأنه يرفرف من أقصاه إلى أقصاه، وأن الناس أصبحوا يهتمون بالتجارة والصناعة نتيجة ما حدث لهم من أمن وهناء ورخاء، وأن القوافل أصبحت تتراد الطرق دون أن يؤخذ منها شيء في الطريق، وأصبحوا قادرين على أداء فرائضهم وآمنين على أموالهم ومعتمدين على الله في نجاح أعمالهم⁽⁴⁾، واتفقت صحيفة أم القرى كذلك مع مجلة الكويت في ما ورد فيها بهذا الشأن، "الأمن في الحجاز" أن الملك عبدالعزيز جمع رؤساء قبائل الحجاز وقابلهم وقسم لهم الطرق في الحجاز إلى مناطق وحددها، وتعهده كل واحد منهم بأنه يحمل المسؤولية عن أفراد قبيلته وأن كل مخالفة تقع من واحد منهم فهو المسؤول عنه، وأوضح لهم المحافظة على عابري السبيل من حجاج بيت الله، أو جمال أو طراقي أو

(1) أم القرى: الأمن في الحجاز ماضيه وحاضره ومستقبله، العدد 7، السنة الأولى، 28 جمادي الآخرة 1343هـ/23 يناير 1924م، ص1.

(2) أم القرى: الأمن في الحجاز ماضيه وحاضره، المصدر السابق، ص1.

(3) أم القرى: حكومة نجد هي المسؤولة، العدد 7، السنة الأولى، 28 جمادي الثانية 1343هـ/23 يناير 1924م، ص2.

(4) أم القرى: دور السكون في الحجاز وواقع الحجازيين، العدد 54، السنة الثانية 23 جمادي الثانية 1344هـ/8 يناير 1926م، ص1.

غيرهم وأنه ليس لهم شيء من الحقوق لا على الحجاج ولا غيرهم من عابري السبيل، وأن جميع الحقوق السابقة باطلة...⁽¹⁾.

وقد ردت مجلة الكويت على الأخبار المختلفة على الأوضاع في الحجاز بعد دخوله في حكم الملك عبدالعزيز، حيث ورد فيها مقال بعنوان: "الأخبار المختلفة على الحجاج والحجاز" والتي لاشك أنه لا يراد منها إلا إضعاف العزائم عن أداء ما أوجبه الله تعالى على عباده من فرائض دينية، كما يراد منها تعكير صفو بين رواد تلك الربوع المقدسة من مختلف الأقطار الإسلامية، وكما هو الحال بالنسبة لصحيفة أم القرى فقد ردت هي أيضاً في أكثر من موضع على ما كان ينشر في بعض الصحف الخارجية من أخبار فيها أكاذيب وأباطيل يذيعها أرباب الأغراض عن الحالة في الحجاز، ومن ذلك على سبيل المثال: مقال بعنوان: "قتل الخراصون"، ردت فيه أم القرى على أكاذيب الصحف وبينت حقيقة الأوضاع في الحجاز بعد دخوله في حكم الملك عبدالعزيز، وما حدث فيه من تورات في مختلف المجالات العلمية والصحية والصناعية والأمنية وغيرها⁽²⁾.

- وجاء في مجلة الكويت مقال بعنوان: "تكرى جلوس الملك عبدالعزيز آل سعود"، ونشرت صحيفة أم القرى عدد من أخبار الاحتفال بهذه الذكرى وبرنامج الاحتفال بذكرى جلوس الملك عبدالعزيز على عرش الحجاز، ولجان الاحتفال بهذه الذكرى⁽³⁾
- واتفقت مجلة الكويت مع ما نشرته صحيفة أم القرى، من أخبار حيث أوردت مجلة الكويت مقالاً بعنوان: "ما قاله مندوب الأهرام عن إصلاحات الحجاز" حيث ذكرت فيه أنه بعد أن جاء الملك عبدالعزيز أصلح الطرق وشجع على جلب السيارات لنقل الحجاج والبضائع إلى مكة المكرمة، وإلى المدينة المنورة...، وذكر الكتاب في المجلة أن من الأشياء التي لفتت انتباهه كثرة الآلات المستوردة لحفر الآبار وآلات الزراعة وآلات الكهرباء لإنارة الحرم، وأن الحكومة تشجع الناس على استجلاب الآلات الزراعية من الخارج وتعفيهم من الضرائب...، وجاء في صحيفة أم القرى مقال بعنوان: "النهضة الزراعية الصناعية مقارنة بين الماضي والحاضر"، وفيه ذكرت أنه لما جاء الملك عبدالعزيز إلى الحجاز ورأى ما فيها من قلة عناية، وجه إلى تهيئة الوسائل التي من شأنها النهوض بالبلاد، فمهد الطرق، وأسس الصناعات وأهمها (دار الكسوة)، وبدأ جلب الآلات

(1) أم القرى: للأمن في الحجاز، العدد 60، السنة الثانية، 6 شعبان 1344هـ/19 فبراير 1926م، ص3.

(2) أم القرى: قتل الخراصون، العدد 196، السنة الرابعة، 14 ربيع الثاني، 28 سبتمبر 1928م، ص1.

(3) أم القرى: لجنة الاحتفال بعيد الجلوس الملوكي، العدد 262، السنة السادسة، 26-7-1348هـ/27-12-1919م، ص2؛ أم القرى: الاحتفال بعيد جلوس جلالة الملك، العدد 263، السنة السادسة، 3-8-1348هـ/3-1-1930م، ص1؛ أم القرى: لجنة الاحتفال بعيد جلوس جلالة الملك، العدد 263، السنة السادسة، 3-8-1348هـ/3-1-1930م، ص2؛ أم القرى: برنامج الاحتفال في مكة بعيد جلوس صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز، العدد 264، السنة السادسة، 7-8-1348هـ/7-1-1930م، ص2.

الزراعية والري، وغير ذلك من الأعمال الاقتصادية التي تبشر بمستقبل باهر لهذه البلاد المقدسة،⁽¹⁾

• واتفقت صحيفة أم القرى ومجلة الكويت فيما بينهما من أخبار حيث أوردت مجلة الكويت ما نصه: "ومن مكة لجدة منظر السيارات ترش الطريق بالمياه وقد قيل لي إنها مبالغة وصيانة للصحة العامة، والمياه ممزوجة بمادة مطهرة..."، ونشرت صحيفة أم القرى عن حج ذلك العام 1347هـ/1929م، أنه ولأول مرة تم مشاهدة سيارة الرش تسير في طرقات منى في كل وقت ترش الأرض بالماء الممزوج بالمواد المطهرة، وغير ذلك من الوسائل الوقائية التي جاءت بالفوائد العظيمة"⁽²⁾.

• واتفقت كذلك صحيفة أم القرى ومجلة الكويت فيما ينشر فيهما من أخبار عن عناية الملك عبدالعزيز بالأمور الصحية، حيث جاء في مجلة الكويت "أن الملك عبدالعزيز نظم الصحة تنظيمًا دقيقًا وكان موسم الحج مشهوراً بالأوبئة فأصبح بعد ذلك الحجاز خالياً من كل الأوبئة"، وأكدت صحيفة أم القرى ذلك في التقرير الصحي لحج ذلك العام، فذكرت ما نصه: "أن جميع الإصابات من الأمراض العادية والشيخوخة والشمس وبعض الإصابات بالزحام، وأنه لم يشاهد أي مرض ساري قطعياً ولله الحمد..."، وأن حج هذا العام نظيفاً سالمًا من الأمراض والأوبئة"⁽³⁾.

• واتفقتا صحيفة أم القرى ومجلة الكويت فيما نشر فيهما من أخبار وأحداث حيث نشرت أم القرى قصيدة خالد بن محمد الفرج المعنونة بـ "تاريخ نجد" وجاء في مقدمتها: "هذه القصيدة العصماء التي رفعها الشاعر النجدي المطبوع خالد بن محمد الفرج لجلالة الملك عبدالعزيز المعظم أوجز فيها تاريخ نجد منذ ظهور آل سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب وأفاض بما تم على يدي جلالة الملك من أعمال عظيمة..."⁽⁴⁾، وفي العنوان نفسه نشرتها مجلة الكويت كما سبق ذكرها في الجزأين الثامن والتاسع، شعبان ورمضان، 1348هـ/يناير، فبراير 1930م.

• وكذلك نشرت مجلة الكويت قصيدة محمد بن عبدالله عثيمين بعنوان: الأدب في نجد وعدد أبياتها "77" بيتاً، وهي كذلك في صحيفة أم القرى في عددها الصادر بتاريخ 28 شعبان 1347هـ/8 فبراير 1929م "77" بيتاً⁽⁵⁾.

• واتفقتا مجلة الكويت وصحيفة أم القرى فيما ينشر فيهما أيضاً من قصائد، فنشرت مجلة الكويت

(1) أم القرى: النهضة الزراعية الصناعية مقارنة بين الماضي والحاضر العدد 233، السنة الخامسة، 7 محرم 1348هـ/14 يونيو 1929م، ص1.

(2) أم القرى: حج هذا العام، العدد 230، السنة الخامسة، 7 ذو الحجة 1347هـ/2 مايو 1929م، ص3.

(3) أم القرى: حج هذا العام، العدد 284، السنة السادسة، 17 ذو الحجة 1348هـ/16 مايو 1930م، ص3.

(4) أم القرى: تاريخ نجد، العدد 180، السنة الرابعة، 6 ذو الحجة 1346هـ/25 مايو 1930م، ص1-2.

(5) أم القرى: وفود العرب بباب ملك الحجاز ونجد، العدد 215، السنة الخامسة، 28 شعبان 1347هـ/8 فبراير 1929م، ص3.

قصيدة الشاعر خالد بن محمد الفرج المعنونة بـ: "إياك نختار"، ونشرتها كذلك أم القرى بعنوان: "الملك فيك من الأجداد متصل"، وكلاهما جاء في العدد نفسه "48" بيتاً⁽¹⁾.

- وتحت عنوان: "إياك نختار"، نشرت مجلة الكويت في جمادى الأولى 1347هـ/أكتوبر 1928م، قصيدة للشاعر خالد بن محمد الفرج، وقدمت لها المجلة بهذه المقدمة:

هي القصيدة العصماء التي جادت بها قريحة الشاعر المفلق الفاضل خالد بن محمد آل فرج بمناسبة طلب جلالة الملك عبد العزيز آل السعود من زعماء الإخوان والنجديين وغيرهم في أن يختاروا لهم من يقوم بمهام الملك ويبايعوا من يرتضونه لإدارة دفتة وإعطائه إياهم الحرية التامة في إبداء آرائهم في ذلك ولم يعبر الشاعر بهذه القصيدة الغراء عن رأيه وحده وإنما عبر أيضاً عن رأي كل فرد من أفراد رعية جلالته وبالأخص الذين ذاقوا الآلام المريرة قبل أن يتولى جلالته زمام الملك في نجد والحجاز فهم وحدهم الذين يقدرون الحالة الراهنة قدرها، ويعرفون مقدار ما يجنونه وتجنیه الأمة من الفوائد الجمة ببقاء جلالته آمراً وناهياً في تلك الأصقاع التي هي في أشد الحاجة إلى حنكة كحنكته وإلى عزم كعزمه وفي أشد الحاجة إلى حلمه وبذله الذين لا زال ينثر دررها بين مختلف رعيته ويحل بهما من المشكلات أعدها.

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا
نعم ويقدر تلك الحالة من سواهم أيضاً كل من درسها درساً دقيقاً وتجرد من الهوى القاتل والتعصب الذي يشك من الحقيقة سويدائها.

وليس ما شرحه الشاعر من الآثار الطيبة التي انبثت بين أهل الحجاز ونجد اليوم إلا قطرة من بحر آثار جلالته التي غمرت الجبال والوديان⁽²⁾ ثم أوردت المجلة القصيدة كاملة وعدد أبياتها "48" بيتاً، ومنها:

إياك نختار فاحم البيت والحرما	وخذ لنصرك منا العهد والقسما
ولم شعث بنى عدنان كلهم	يا باني الركن شيد فوقه الأطلما
وذي النفوس فداء أن تسل دما	هذي النفائس بخس فيك مثنها
لم يحكم الله والأخطار محدقة	إلا لتصبح للدين القويم حمى
أعانك الله فاجتزت الصعاب على	شوك القتاد تقود الخطم واللجما
وبعد ما شدت هذا الملك فامتلات	أرجأوه بجنود ترعب الأماما
وقمت تصلي عداة الدين نار لظى	والخائنين ومن والاهم حمما

(1) أم القرى: الملك فيك من الأجداد متصل، العدد 209، السنة الخامسة، 16 رجب 1347هـ/28 ديسمبر 1928م، ص3.

(2) مجلة الكويت: إياك نختار، الجزء العاشر، مج1، جمادى الأولى 1347هـ/أكتوبر 1928م، ص413-415.

لم يبق للعرب والإسلام ملتجأ سواك يلجأ فيه الشعب معتصما
والله ولاك ثم السيف فاجتمعت بك الفلول وأضحى الشمل ملتئما
هذي الجزيرة كان الأمن مضطربا فيها وكان لهيب الويل مضطربا
والجهل بالدين بين البدو منتشر لولاك أصبح دين الله منهما
دعوتهم فاستجابوا للهدى ووعوا ووجدوا الله قلبا منهم وفما
وأصبحوا إخوة في الله واتحدوا بعد التفرق حتى استنزلوا العصما
إخوان من قد أطاع الله محتسبا حياته في سبيل الله إن هجما
تكتظ منهم بيوت الله في هجر زادت بها الأرض عمراناً ومغتتما
قد أسسوها على تقوى فكل فنا غدا بكل خشوع القلب مزدحما⁽¹⁾

ونشرت هذه القصيدة كذلك صحيفة أم القرى بعنوان: "الملك فيك من الأجداد متصل"، وكلاهما جاء في العدد نفسه "48" بيتاً⁽²⁾.

- واتفتتا صحيفة أم القرى ومجلة الكويت في تحديد يوم وفاة الإمام عبدالرحمن الفيصل والد الملك عبدالعزيز-رحمهما الله-، حيث ورد في مجلة الكويت بأن وفاته في 13/12/1346هـ/ 1928/6/2م، وكذلك ورد في صحيفة أم القرى بأن وفاته كان في يوم الثالث عشر من ذي الحجة المصادف ليوم الجمعة من عام 1346هـ الموافق الثاني من شهر يونيو 1928م⁽³⁾.

ثانياً: قيمتها التاريخية.

عنت مجلة الكويت بأخبار الملك عبدالعزيز ومملكته، وهي معلومات تاريخية قيمة، رصدت الواقع والأحداث في ذلك الوقت، لتضيف إلينا مصدراً مهماً قريباً من الحدث بتلك الفترة من شهر رمضان 1346هـ الموافق مارس 1928م، وحتى شهر شوال 1348هـ الموافق مارس 1930م، ولمدة عامين كاملين، خاصة وقد شهدت المنطقة أحداثاً عدة تنوعت تأثيراتها محلياً وإقليمياً. وفي الوقت نفسه تجاوزت مجلة الكويت العرض التقليدي للأحداث السياسية، ورصدت الحياة الثقافية، والظواهر الاجتماعية، والتيارات الفكرية السائدة⁽⁴⁾، واستقطب الشيخ عبدالعزيز الرشيد كثيرين من أعلام العصر في الدول العربية فضلاً عن العلماء والأدباء من الكويت وأقطار الجزيرة والخليج العربي، وأراد الشيخ عبدالعزيز لمجلته أن

(1) مجلة الكويت: الجزء العاشر، مج1، جمادى الأولى 1347هـ/أكتوبر 1928م، ص413-415.

(2) أم القرى: الملك فيك من الأجداد متصل، العدد 209، السنة الخامسة، 16 رجب 1347هـ/28 ديسمبر 1928م، ص3.

(3) أم القرى: وفاة الإمام عبدالرحمن، العدد 182، السنة الرابعة، 26 ذي الحجة 1346هـ/15 يونيو 1928م، ص1.

(4) خليفة الوقيان: الثقافة في الكويت، بواكير - اتجاهات - ريادات، ص65-66.

تكون غنية في المادة التي تقدمها للقراء، فهو يعرفها بأنها مجلة دينية تاريخية أدبية أخلاقية⁽¹⁾، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، فقد كانت للعلاقة الخاصة بين الملك عبدالعزيز وصاحب المجلة ومؤسسها عبدالعزيز الرشيد دور مهم لدقة الأخبار والمعلومات التي نقلتها المجلة؛ وقد التقى بالملك عبدالعزيز وجرت بينهما الحوارات التي تناولت جوانب متنوعة من الأحداث السياسية وحتى الأدب والثقافة، بما يجعلها مصدراً مهماً وشاهد عيان لكثير من المعلومات والأحداث التاريخية الخاصة بالملك عبدالعزيز ودولته.

ومنذ العدد الأول نجد مجلة الكويت تتناول حائل في دراسة شاملة للحالة الطبيعية والسياسية والاقتصادية فيها، مع التطرق بالتفصيل إلى قراها وجبالها وأسباب تسمياتها وما قيل فيها من أشعار، وعن قبائلها وتاريخ نزوحهم إليها، وقدرت عدد سكانها في ذلك الوقت بـ 20 ألف نسمة، ووصفت أهلها بأنهم معروفون بالشجاعة والكرم والعفة والأمانة والتدين كسائر أهل نجد، وعرضت الدور المهم الذي قامت به حائل كمعبر آمن للحجاج من العراق والكويت إلى بيت الله، حيث يخرج حاكمها معهم بقوة تحميهم من قطاع الطريق ذهاباً وإياباً، ورصدت أخبار مهمة عن التغير الذي حدث عقب سيطرة الإخوان علي حائل، حيث أخرجوا منها طائفة من الشيعة الذين نزحوا إليها من العراق للتجارة، وهو ما يبين كم التغيرات التي ستترك أثرها بين نجد وجوارها الإقليمي في السنوات اللاحقة، خاصة وأنها محتاجة إلى ضرورتها وكمالياتها التي تستوردها من الجبيل والأحساء والحجاز واليمن والكويت، وتصدر الكثير من إنتاجها للعديد من الأقاليم المجاورة.

ومن الأخبار المهمة والمميزة التي نجدها في مجلة الكويت هي الأخبار المتعلقة بوضع الحجاز بعد دخولها في الدولة السعودية، خاصة وقد كان هناك في ذلك الوقت حملة كبيرة على الحجاز وعلى الملك عبدالعزيز وحكومته، وعلى النجديين ومن يخالفهم، استخدمت فيها بعض الصحف، بترويج الشائعات وبث الأكاذيب وتنفيذ الناس من الملك عبدالعزيز ودولته، فقامت مجلة الكويت بالتصدي لها ونقل الحقائق، وفندت الافتراءات على الدولة السعودية والملك عبدالعزيز، وأوردت مقالات عن الطائف وعن عطف الملك عبدالعزيز على الفقراء فيه، وتحسن الوضع الأمني والإصلاحات التي أدخلها الملك عبد العزيز سواء في الحجاز، وكذلك فقد فندت مجلة الكويت بعض الأخبار التي كانت تلفق على الحجاج كموت 2500 حاج من مسلمي جزر الهند الشرقية الهولندية، والذي ورد في جريدة البيان الأمريكية، لتؤكد أن الخبر كذب صريح، ولا أساس له من الصحة، مثله مثل قتل الإخوان للعلماء بالحجاز، فهي كلها جزء من حملته منظمة من بعض الصحف التي تتناول شؤون الحجاز إثارة للعواطف على حكومته.

كذلك يمكن النظر لتمييز الأخبار التي توردها مجلة الكويت عن الإخوان وموقف الملك عبدالعزيز من غارات الإخوان. حيث أوردت حادثة هجون ابن شقير في جمادى الآخرة من سنة

(1) هلال الشايجي: الصحافة في الكويت والبحرين منذ نشأتها حتى عهد الاستقلال، ص 85، 86.

1346هـ/نوفمبر 1927م على الحرس الخاص في أم الرحم، وموقف أمير الكويت منهم والذي أراد الابتعاد عن كل ما يثير حفيظة الملك عبدالعزيز، ولم ير من الصواب الرد عليهم قبل أن يراجع الملك عبدالعزيز ليأخذ رأيه في الحادثة، ورغم تناول مجلة الشرق الأدنى -وهي من أوسع المجلات- في عددها الصادر يوم 16 شعبان من عام 1346هـ/يناير 1928م، تحت عنوان: "العراق ونجد والكويت" عن حادثة الرقعي، لكنها وقعت في أخطاء تم تصحيحها في مجلة الكويت، حيث ذكرت أن قائد الإخوان هو فايد بن عشوان لكن الصحيح هو علي بن عشوان، وذكرت أيضاً أن من الذين خسرتهم الكويت في هذه المعركة عبد الله بن جابر، لكن الصحيح أنه أصيب بجروح خفيفة برأ منها فيما بعد؛ الأمر الذي يؤكد القيمة التاريخية للأخبار والمعلومات الواردة بمجلة الكويت.

وتعد مجلة الكويت من المصادر المهمة لنهاية حركة الإخوان، فقد أوردت بشيء من التفصيل أسباب الخلاف بينهم وبين الملك عبدالعزيز، ومواقف الإخوان مع الملك عبدالعزيز وما دار بينهم من معارك، ومن ثم وصفت أحداث معركة السبلة وهزيمة الإخوان فيها، وأثر هذه الهزيمة في الإقليم من فرح وسرور وخاصة في البحرين، وقد أعرب عبدالعزيز الرشيد نفسه عن فرحه بهذا الانتصار.

وبالإضافة لذلك فقد كان عبدالعزيز الرشيد شاهد عيان لبعض الأحداث كزيارة الملك عبدالعزيز إلى البحرين مساء يوم الثلاثاء 26 رمضان 1348هـ/25-2-1930م واستقبال الشيخ عيسى آل خليفة استقبلاً حاراً له، وبعد نهاية رحلة الملك عبدالعزيز إلى البحرين اتجه إلى العقير وأقام في الأحساء، وتبعة الشيخ عبدالعزيز الرشيد حيث قدم الأحساء، وتحدث عن رحلته بالتفصيل وأنه ركب مع باخرة أعدت لنقل حاجيات الملك عبدالعزيز المتنوعة من البحرين إلى العقير، وكان اسم تلك السفينة "سعودي" وأنه كان متقائلاً بهذا الاسم لقوله سيكون السعد رفيقي في هذه الرحلة، وقد التقى حين وصوله الملك عبد العزيز ونقل عنه كلاماً مطولاً عن واجب الدعوة، وعن أمور دينية ودينية عديدة.

وهكذا يعد عبدالعزيز الرشيد أيضاً مصدراً تاريخياً مهماً عن شخصية الملك عبدالعزيز فقد التقى به وجلس معه، ووصف حلمه الواسع وقوة شكيمته وتواضعه وطيب مقابله لكل وافد إليه. وقد تحدث مع الملك عبدالعزيز عن أمور الدين وعن الشيخ محمد بن عبد الوهاب منشأه ودعوته، وتطرق إلى ذكر الحجاز وفتحه وأسباب ذلك، وناقش معه في السياسة والأدب والتاريخ، وذكر كيف كان يرسل من ساعة لأخرى في تدبير ملكه الواسع، وأوضح أنه لم يكن يفوته من أمره صغيرة ولا كبيرة، وقد استخلص كذلك من محاورته له أن الملك عبدالعزيز كان على اطلاع واسع بالعلوم الدينية والتاريخية وأن حديثه سهل في التعبير وكلامه واضح ودقيق لا يردد الكلام ولا يتلعثم وسريع بديهة، وماهر في الانتقال من موضوع إلى آخر؛ خاصة وقد أورد أخباراً تؤيد ذلك ومنها جهوده في نشر العلوم وطباعة الكتب الدينية أمثال كتاب المغني الذي لم يطبع قبل هذه المرة لموفق الدين بن قدامة وتفسير ابن كثير وغيرها من الكتب في الفقه والتاريخ والطب والشعر، من ثم يتحدث عن خدمة الملك عبدالعزيز للإسلام وأهله.

لذا فالبرغم من قصر المدة التي صدرت فيها مجلة الكويت إلا أنها تمدنا بمعلومات وأحداث تاريخية مهمة، عن دولة الملك عبدالعزيز وعلاقاته الخارجية بإمارات الخليج، وأحداث فتنة الإخوان وكيف تعامل الملك عبدالعزيز معها، وكذلك بشخصية الملك عبدالعزيز وأخلاقه وتعرض جوانب مهمة من اهتماماته، وهي في المجمل معلومات وأخبار تقع أهميتها في كونها تصدر من شاهد عيان وهو الشيخ عبدالعزيز الرشيد، الذي حمل رؤيته بثقة وأمانه في الملك عبدالعزيز ومملكته، ليعطينا وجهة نظره، وكيف نظر متقفي الخليج ومفكره لهذه المملكة ومملكها في فترة حرجة هي فترة التأسيس؛ لذلك حري بكل باحث يتناول هذه الفترة أن يعود إليها ويستطلع ما بها.

خاتمة:

في نهاية هذا البحث المتواضع، والجهد اليسير أحمد الله تعالى وأشكره، حمداً وشكراً دائمين، متلازمين، لا يحصي عددهما إلا هو سبحانه وتعالى على ما أمدني به من العون، والتيسير لإتمام هذا الموضوع الذي أتمنى من خلاله أن أكون قدمت فيه شيئاً عن تاريخ الملك عبدالعزيز وتاريخ بلادنا المملكة العربية السعودية، ولعله من المناسب أن أشير إلى بعض من النتائج التي توصلت لها من خلال القيام بهذا البحث وهي:

- اتضح أن الشيخ عبدالعزيز الرشيد نال ثقة ومحبة الملك عبدالعزيز.
- أظهر البحث مؤلفات الشيخ عبدالعزيز الرشيد والتي قد لا يستغني عنها الباحث في تاريخ الخليج العربي، ولعل أهمها كتاب تاريخ الكويت.
- أسهم البحث في التعرف على بعض من أعمال الملك عبدالعزيز في الحجاز والأحساء.
- اتضحت جهود الملك عبدالعزيز في نشر العلوم الدينية واستثماره نفوذه لذلك.
- تبين أن الملك عبد العزيز حاول مع الإخوان بالطرق السلمية قبل المواجهة الحربية.
- كشف عمق العلاقة التاريخية الوطيدة بين المملكة العربية السعودية والبحرين.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو حاكمه، أحمد مصطفى: تاريخ الكويت الحديث 1750-1965م، ط1، طباعة ونشر وتوزيع ذات السلاسل، بيروت، 1984م.
- 2- آل بسام، عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط2، مج6، دار العاصمة، الرياض 1419هـ.
- 3- آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط2، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض 1394هـ.
- 4- الأيوبي، محمود شوقي: ديوان الملاحم العربية؛ قدم له ودرسه وعلق عليه محمد بن عبدالرحمن الربيع، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، 1419هـ/ 1999م.

- 5- البسام: يوسف حمد، الزبير قبل خمسين عامًا مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، طبع في المطبعة العصرية: الكويت، 1391هـ/ 1971م.
- 6- الجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، الطبعة الأولى، القسم الأول، والثاني، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض 1397هـ/ 1977م.
- 7- الحجي، يعقوب بن يوسف: الشيخ عبدالعزيز الرشيد سيرته وحياته، ط1، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 1991م.
- 8- خزل، حسين خلف الشيخ: تاريخ الكويت السياسي: عصر الشيخ مبارك، ج2، (د.ن)، (د.ت).
- 9- ابن خميس، عبدالله بن محمد: معجم اليمامة، مج1، ط1، [د.م]، الرياض، 1398هـ/ 1978م.
- 10- الرشيد، عبدالعزيز: مجلة الكويت: مقدمة الناشر دار قرطاس، ط1، الكويت 1999م.
- 11- الرشيد: عبدالعزيز، تاريخ الكويت، وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه يعقوب عبدالعزيز الرشيد، ج2، طبعة منقحة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1978م.
- 12- الرويشد، عبدالرحمن بن سليمان: عبدالله السليمان الحمدان صفحة مشرقة في تاريخ المملكة العربية السعودية 1302-1385هـ/ 1885-1965م، ط1، [د.ن]، 1421هـ.
- 13- الزركلي، خير الدين، ط11، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م.
- 14- الزركلي: خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج4، ط15، الناشر: دار العلم للملايين، 2002 م.
- 15- الخالدي، إبراهيم؛ السبيعي ناصر: حديث الصحراء، ط1، المختلف للطباعة والنشر، الكويت، 1423هـ/ 2002م.
- 16- السديري، محمد بن أحمد، الحداوي هكذا يقول الأجداد على صهوات الجياد، تحقيق سليمان الحديثي، ط1، الرياض، 1430هـ/ 2009م.
- 17- السديري، محمد الأحمد: مرويات الأمير محمد الأحمد السديري، ط1، 1434هـ.
- 18- السلطان، محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبد العزيز، داره الملك عبدالعزيز، الرياض، 1419هـ/ 1998م.
- 19- سليمان، حسن حسن: الأمير عبدالعزيز بن مساعد: حياته ومآثره، [د.ط]، [د.ن]، بدون مكان وتاريخ.
- 20- الشبيلي، عبدالرحمن بن صالح: مذكرات محمد الأمين فال الخير الحسني الشنقيطي: مؤسس مدرسة النجاة في الزبير، كتبها في مدينة عنيزة سنة 1336هـ/ 1918م، ط1، مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، الكويت، 1436هـ/ 2015م.
- 21- صابان، سهيل، مدخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، ط1، دار جداول للنشر والترجمة، لبنان، 1434هـ/ 2013م.
- 22- الطريفي، طلال: العلاقات السعودية البحرينية في عهد الملك عبدالعزيز 1319-1373هـ/ 1903-1953م، ط1، داره الملك عبدالعزيز، الرياض، 1428هـ.
- 23- العثيمين، عبدالله الصاح: معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد، ط1، 1415هـ/ 1995م.
- 24- العثيمين، عبدالله الصالح: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج2، 1430هـ/ 2009م.
- 25- العرابي، عبدالرحمن بن سعد: عبدالله السليمان الحمدان سيرة وتاريخ، شركة تارة الدولية، الرياض، 1439هـ.
- 26- القناعي: يوسف بن عيسى، صفحات من تاريخ الكويت، الطبعة الرابعة، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1388هـ/ 1968م.
- 27- نصيف، حسين محمد: ماضي الحجاز وحاضرة، ط2، التنوير، بيروت، 2012م.
- 28- نصيف، محمد: أخبار نجد من مجلة لغة العرب البغدادية من المجلد الأول إلى التاسع، تحقيق قاسم الرويس، ط1، دار جداول، بيروت، 2014م.
- 29- هنلول، سعود: تاريخ ملوك آل سعود، الجزء الأول، ط2، [د.ن]، [د.م]، 1402هـ/ 1982م.
- 30- يعقوب: إميل، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، مج ٢، الطبعة الأولى؛ دار صادر، بيروت ٢٠٠٩م.

الصحف والمواقع الإلكترونية:

31- أسرة التحرير صحيفة الرياض: عبدالعزيز بن أحمد بن رشيد البداح، العدد 15922، تاريخ النشر الجمعة 4 ربيع الأول 1433هـ.

32- أسرة التحرير: جريدة النهار الكويتية: عبدالعزيز الرشيد رائد الصحافة الكويتية، العدد 376، تاريخ النشر 16/2/2015م.

33- أسرة التحرير: مجلة الوعي الإسلامي: يوسف بن عيسى القناعي، العدد 532، تاريخ النشر 3/9/2010م.

34- الدغيم، محمود السيد: الشيخ عبدالعزيز الرشيد رائد الصحافة في اندونيسيا، صحيفة الحياة، العدد 13472، تاريخ النشر 1420/10/23هـ.

35- الرشيد، ضاري بن فهد، نبذة تاريخية عن نجد، تحقيق عبدالله صالح العثيمين، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م.

36- الرويشد، عبدالله: رائد الشعر والفكر والأدب وشاعر الملك عبدالعزيز السياسي محمد بن عبدالله بن عثيمين، صحيفة الجزيرة، العدد 11217، تاريخ النشر الأحد 5 ربيع الأول 1424هـ/15 يونيو 2003م.

37- الزعاري، محمد بن عبدالله: إمارة آل رشيد في حائل، ط1، دار بيسان للنشر والتوزيع، 1417هـ/1997م.

38- الشبيلي عبدالرحمن: خالد الفرج رائد الملاحم الوطنية في سيرة الملك عبدالعزيز، صحيفة الجزيرة، العدد 448، تاريخ النشر 1 محرم 1436هـ.

39- الشبيلي، عبدالرحمن: خالد الفرج سيرة رجل جسد حلم الوحدة بين الخليجيين، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 13271، تاريخ النشر 1 ذو الحجة 1435هـ.

40- فاطمة، عبدالرحمن: بحوث وشهادات أدبية وحضور كبير في افتتاحيات جلسات ملتقى جواثي الثقافي، صحيفة اليوم، العدد 14123، تاريخ النشر الثلاثاء 14 فبراير 2012م.

41- القشعري، محمد بن عبدالرزاق: مجلة العربي تتجاهل الرشيد ودوره الدعوى في اندونيسيا، صحيفة عكاظ، العدد 3577، تاريخ النشر 1432/4/29هـ.

42- مجموعة مؤلفين: موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1419هـ/1999م.

43- المضحي، عبدالعزيز بن عبدالله: رسالتان بخط شاعر الملك عبدالعزيز محمد آل عثيمين وقائمة بما كتب عنه، صحيفة الجزيرة، العدد 12939، تاريخ النشر الأحد 24 صفر 1429هـ/2 مارس 2008م.

44- المضحي، عبدالعزيز بن عبدالله: علما شاعر ورواية حول الملك عبدالعزيز، صحيفة الجزيرة، العدد 12463، تاريخ النشر الأحد 21 شوال 1427هـ/12 نوفمبر 2006م.

45- المطيري، صالح بن محمد: هوبر في الجزيرة العربية، صحيفة الجزيرة، العدد 12568، تاريخ النشر الأحد 7 صفر 1428هـ.

46- الهفتاء، خالد بن هجاج؛ الشاطري منصور بن مروي: تاريخ قبيلة مطير من عام 350-1371هـ، ط1؛ مركز قبيلة مطير للدراسات والبحوث، لندن، 1431هـ/2010م.

47- أم القرى: العدد 263، السنة السادسة، 3-8-1348هـ/3-1-1930م.

48- أم القرى: العدد 264، السنة السادسة، 7-8-1348هـ/7-1-1930م.

49- أم القرى: العدد 262، السنة السادسة، 26-7-1348هـ/27-12-1919م.

المواقع الإلكترونية:

50- معجم البابطين لشعراء العربية: سيرة الشاعر عبدالعزيز الرشيد www.almoajam.org

التداوي بالنباتات الزراعية والطبيعية في العصر الراشدي بالشرق العربي**Medicinal agricultural and natural plants in ALRashidy Era in the Eastern Arabic**

السيدة: كوثر عنتر فتحي

Mes. Kawthar Antar Fathi

أ.د. نضال مؤيد مال الله

قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانية

جامعة الموصل/ العراق

Prof. Dr. Nidhal Muayad Mal Allah.

Teaching/ Department of History/ College of Education for Humanities/

University of Mosul

nidhal2017@uomosul.edu.iq

ملخص.

تناول هذا البحث أهم النباتات والأعشاب الطبية (الزراعية والطبيعية) في العصر الراشدي بالشرق العربي (مصر، وبلاد الشام، والعراق، وشبه الجزيرة العربية) فضمت هذه الأقاليم العديد من النباتات الطبية نظرا لتنوع تضاريسها واختلاف مناخها وجودة أنواع تربتها التي ساعدت على نمو مثل هذه النباتات فاستغلها الإنسان أحسن استغلال واستعمالها في التداوي والعلاج لكثير من الأمراض التي قد تصيبه بعد التجارب الكثيرة، وتبين كيف أن العرب والمسلمين في العصر الراشدي وفي أقاليم الشرق العربي كافة استعانوا بالنبات في مداواة أنفسهم ولمعالجة ما يصابون به من أمراض، فضلاً عن ذكر الفوائد العلاجية لكل نبات وكيفية خلط الأعشاب والنباتات وطرائق استعمالها للتداوي متبعين بذلك الارشادات والنصائح النبوية التي عرفت (بالطب النبوي) التي ارتبطت بالنباتات والأعشاب الطبية، ومن المهم أن نبين دور الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) واتباعهم لسنة رسول الله (ﷺ) في تقديم النصائح الطبية للتداوي ببعض النباتات والأعشاب.

الكلمات المفتاحية: التداوي، النباتات، العصر الراشدي، الشرق العربي.

Abstract

This research dealt with the most important medicinal plants and herbs (agricultural and natural) in the Rashidun era in the Arab Mashreq (Egypt, the Levant, Iraq, the Arabian Peninsula). So man made good use of it and used it in medicine and treatment for many diseases that may afflict him after many experiments, and it became clear how the Arabs and Muslims in the Rashidi era and in all regions of the Arab Mashreq used the plant to treat themselves and to treat the diseases they afflicted with, In addition to mentioning the therapeutic benefits of each plant and how to mix herbs and plants and ways to use them for medication, following the prophetic instructions and advice that were known (Prophetic Medicine) and which were associated with plants and medicinal herbs. Peace be upon him) in providing medical advice for the treatment of some plants and herbs

Keywords: Medication, plants, ALRashidy era, the Arab East.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

يعد النبات أحد أهم قواسم الحياة الأساسية التي سخرها الله تعالى للإنسان فضلاً عن أنه مصدر من مصادر الغذاء والأوكسجين ومادة أولية للعديد من المنتجات الصناعية كالأخشاب والورق، فهو من أهم العلاجات وأقدمها التي استعملها الإنسان بهدف الانتفاع للشفاء من عدد من الأمراض، وقد ضمت أقاليم المشرق العربي العديد من النباتات الطبية نظراً لتنوع تضاريسها واختلاف مناخها وجودة تربتها التي ساعدت على نمو مثل هذه النباتات، لذا فقد جاء اختيار موضوعنا الموسوم بـ"التداوي بالنباتات الزراعية والطبيعية في العصر الراشدي بالمشرق العربي" الذي كان الهدف منه هو التعرف على مدى أهمية النباتات في علاج الكثير من الأمراض التي قد تصيب الإنسان من خلال توضيح أهم النباتات الطبية وكيفية استعمالها وتحضيرها بوصفها دواءً نافعاً ومفيداً، والتعرف على كيفية استعمال هذه النباتات للتداوي في عصر الخلافة الراشدة.

تم تقسيم البحث على مقدمة ومحورين، تضمن المحور الأول: التداوي بالنباتات الزراعية ويشمل (البصل، والتمر، والتين، والثوم، والرمان، والزيتون، والهندباء). وتضمن المحور الثاني: التداوي بالنباتات الطبيعية ويشمل (الاراك، والبلسان، والبنفسج، والحبة السوداء، والحلبة، والحناء، والحنظل، والسنا، والعسل، والقسط، والكماة، واللبان، والورس)، فضلاً عن الخاتمة والاستنتاجات.

اعتمد البحث على العديد من المصادر والمراجع التاريخية والعلمية القيمة التي أغنت البحث بالمعلومات المهمة كان من أهمها: كتاب "صحيح البخاري" لإسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت: 256هـ/869م)، وكتاب "صحيح مسلم" لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري الشهير بمسلم (ت: 235هـ/849م) اللذان أفادا البحث في تخريج أحاديث الرسول (ﷺ) المتعلقة بأمور التداوي ببعض النباتات، وكتاب "الطب النبوي" لأبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني (ت: 430هـ/1308م) والذي أفاد بالأحاديث والإرشادات النبوية المتعلقة في الطب وحفظ الصحة والوقاية من الأمراض وطرق التداوي بالأعشاب والنباتات.

لقد ضمت أقاليم المشرق العربي العديد من النباتات الطبية نظراً لتنوع تضاريسها واختلاف مناخها وجودة أنواع تربتها التي ساعدت على نمو مثل هذه النباتات، ومن هذه النباتات:

أولاً: النداي بالنباتات الزراعية:

1_ البصل:

ورد ذكر البصل في القرآن الكريم في قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِنْ الْأَرْضِ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصَلَهَا) ⁽¹⁾. وللبصل فوائد طبية كثيرة، فهو يمنع الإصابة بالأمراض وكان قد وصفه الطبيب الحارث بن كلدة إلى قوم قد شكوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وباء ارضهم فقال لهم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "لو تركتموها، قالوا: هي معاشنا ومعاش عيالنا، فارسل عمر عن ذلك الحارث بن كلدة، فقال: يا امير المؤمنين البلاد الوبيئة هي ذات انجال⁽²⁾ وبعوض وتريب⁽³⁾، ولكن لو خرج اهلها منها قريب إلى أن ترتفع الثريا وأكلوا البصل والكرث والثوم ويتداووا بالسمن العربي يشربونه ويمسون طيباً ولم يعسوا فيه حفائاً ولم يناموا بالنهار رجوت أن يسلموا من وباء بها فأمرهم عمر بذلك"⁽⁴⁾.

ويعالج البصل أمراضاً كثيرة ومنها: أنه يذهب البهق وداء الثعلب بالتدليك به وهو بالملح يقلع الثآليل⁽⁵⁾، ويشهي إلى الطعام ان أكل مشوياً أو نيئاً والمسلق منه يدر البول والحيض⁽⁶⁾، وهو يقطع الأخلط للزجة ويفتح السدد⁽⁷⁾، وماؤه ينفع الجروح الوسخة، وإذا سعط بمائه نقى الرأس ويقطر في الأذن لنقل الرأس والطنين والقيح في الاذنين⁽⁸⁾، وإذا خلط عصيره مع العسل وطبخ نفع من الرطوبة وكثرة الريق

(1) سورة البقرة، الآية 61.

(2) ذات انجال: أي عيون يخرج منها الماء. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تيم الفراهيدي، العين، تحقيق، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، د. ت)، 6/ 125.

(3) تريب: التريب، الأرض أي تربة الأرض، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى ابن سيدة، المخصص تحقيق، خليل إبراهيم جفال، (ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1996م)، 3/ 41.

(4) عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي القرطبي ابن حبيب، مختصر في الطب العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب، تحقيق، محمد امين الضناوي، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م)، 55؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني ابن الفقيه، البلدان، تحقيق، يوسف الهادي، (ط1، د. م. د. ن، 1996م)، 491؛ أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ط2، بيروت، دار صادر، 1995م)، 2/ 72؛ نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت)، 2/ 595.

(5) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ايوب بن سعد ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، (بيروت، دار الهلال، د. ت)، 217.

(6) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م)، 3/ 305.

(7) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 217.

(8) نشوان بن سعيد اليماني الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق، حسين بن عبد الله العمري ومظهر بن علي الأرياني ويوسف محمد عبد الله، (ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1999م)، 7/ 4576.

والبهر الحادث من الرطوبة⁽¹⁾. وإذا اكتحل بعصارته نفع من ابتداء الماء في العين والبياض⁽²⁾ وهو نافع من عضة الكلب مع الهندباء ومن سم الحيات، ويدفع ضرر ريح السموم⁽³⁾، والبصل فاتح للشهية ويقوي المعدة ويزيد في المنى⁽⁴⁾.

2_ التمر:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: (وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ يَجْمَعُ النَّخْلَةُ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَيِّدًا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَرَبِّي عَيْنًا)⁽⁵⁾، وثبت عن النبي (ﷺ): "من أصبح بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر"⁽⁶⁾، الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: "من أكل عند نومه سبع تمرات من عجوة قتلت الدود في بطنه"⁽⁷⁾، ولهذا فإن التمر له أهمية كبيرة في الغذاء وفي الدواء، فهو يدخل في الأغذية والأدوية والفاكهة ويوافق أكثر الأبدان ولا تتولد عنه من الفضلات الرديئة ما يتولد عن غيره من الأغذية والفاكهة⁽⁸⁾.

وفي الحديث عند الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن تفضيل التمر على العنب، "فذكروا عند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): أيهما أطيب العنب أم الرطب؟ فقال عمر أرسلوا إلى أبي حنثة، فقال: يا أبا حنثة أيهما أطيب، الرطب أم العنب؟ فقال: ليس كالصقر في رأس الرقل، الراسخات في الوحل،

(1) الحميري، نفسه، 7 / 4576؛ يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني، المعتمد في الأدوية المفردة، ضبطه وصححه، محمود عمر الدمياطي، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م)، 22.

(2) ضياء الدين بن محمد بن عبد الله بن أحمد الأندلسي ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م)، 1 / 133؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (ط1، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2002م)، 11 / 57.

(3) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 217؛ عمر بن مظفر بن عمر بن محمد زين الدين ابن الوردي، منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضراوات والرياحين، تحقيق، محمد سيد الرفاعي، (دمشق، دار الكتاب العربي، د. ت)، 139.

(4) ابن البيطار، الجامع، 1 / 133؛ الغساني، المعتمد، 22.

(5) سورة مريم، الآيتان 25 - 26.

(6) أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي العباسي ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، تقديم، كمال يوسف الحوت، (ط1، بيروت، دار الناج، 1989م)، باب مذكر في تمر العجوة، رقم الحديث (23477)، 5 / 36؛ ابن حنبل، المسند، رقم الحديث (1571)، 3 / 140؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري مسلم، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م)، باب فضل تمر المدينة رقم الحديث (2047)، 3 / 1618.

(7) ابن حبيب، التدوي بالأغذية والأعشاب، 43؛ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، صححه، محم باقر حمودي، (ط1، منشورات وزارة الارشاد الإسلامي، د. ت)، 59، 274.

(8) ابن القيم، زاد المعاد في هدى خير العباد، (ط27، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1990م)، 4 / 90؛ الغساني، المعتمد في الأدوية المفردة، 39.

المطعمات في المحل تحفة الصائم وتعلّة الصبي، ونزل مريم ابنة عمران، وينضج ولا يعنّي طابخه، ويحترش به الضب من الصلعاء، ليس كالزبيب الذي إن أكلته ضرست، وإن تركته غرثت⁽¹⁾. والصقر (الدبس بلغة أهل الحجاز) والرقل الطوال (من النخل واحدها رقلة)⁽²⁾.

كانت ام المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) "تأمر من الدوام او الدوار بسبع تمرات عجوة في سبع غدوات على الريق"⁽³⁾.

فالتمر مقوي للكبد وملين للطبع وهو يبزي من خشونة الحلق⁽⁴⁾، وينفع التمر علاج الأمراض الجلدية مثل الثعلب وآثار الكلف والبرص⁽⁵⁾، والتمر يخضب البدن إذا أكل بالقثاء⁽⁶⁾، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: "كانت امي تعالجني للسمنة تريد أن تدخلي على رسول الله (ﷺ) فما أستقام لها ذلك حتى أكلت القثاء بالرطب، فسمنت كأحسن سمنة"⁽⁷⁾.

والتمر ذا قيمة غذائية عظيمة، فهو مقوي للعضلات والأعصاب ومرمم ومؤخر لمظاهر الشيخوخة وإذا اضيف إليه الحليب كان من أصلح الأغذية⁽⁸⁾، وللتمر فوائد كثيرة للمرأة بعد الولادة، فروي عن الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال: "اطعموا نساءكم الولد الرطب، فإن لم يكن الرطب فتمر وليس من

1) إسماعيل بن القاسم بن عيزون بن عيسى بن محمد بن سلمان أبو علي القالي، الأمالي، عني بوضعها وترتيبها، محمد عبد الجواد الأصمعي، (ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1926م)، 58 / 2؛ منصور بن الحسين الرازي أبو سعد الأبي، نشر الدر في المحاضرات، تحقيق، خالد عبد الغني محفوظ، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م)، 22 / 6.

2) أبو علي القالي، الأمالي، 58 / 2.

3) ابن أبي شيبة، المصنف، باب ما ذكر في تمر العجوة، رقم الحديث (23479)، 37 / 5؛ ابن حبيب، العلاج بالأغذية، 43.

4) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 218.

5) الحسين بن عبد الله ابن سينا، القانون في الطب، حققه ووضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، (د. م. د. ن. د. ت)، 690 / 1؛ الغساني، المعتمد، 39.

6) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، تحقيق، مصطفى خضر دونمز التركي، (ط1، القاهرة، دار ابن حزم، 2006م)، 731 / 2.

7) محمد ابن إسحاق بن يسار، السير والمغازي، تحقيق، سهيل زكار، (ط1، بيروت، دار الفكر، 1987م)، 155؛ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار احياء الكتب العربية، د. ت)، باب القثاء والرطب يجمعان، رقم الحديث (3324)، 1104 / 2، بحكم الألباني وهو صحيح؛ أبو داود، السنن، باب الكاه، رقم الحديث (3903)، 48 / 6، أخرجه النسائي؛ النسائي، السنن، باب القثاء بالتمر، رقم الحديث (6691)، 6 / 251.

8) ابن الوردي، منافع النبات، 29.

الشجر اكرم على الله من شجرة نلت تحتها مريم بنت عمران⁽¹⁾. والتمر يزيد من المنى⁽²⁾ وينبت الشعر⁽³⁾ وهو فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى⁽⁴⁾.

3_ التين:

هو الثمرة المباركة التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وأقسم بها في قوله تعالى : (وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2))⁽⁵⁾، والتين هو اغذى من جميع الفواكه وينفع خشونة الحلق والصدر وقصبة الرئة، ويغسل الكبد والطحال وينقي الخلط البلعومي من المعدة ويغزو البدن غذاءً جيداً⁽⁶⁾، ويستعمل التين لعلاج الجروح والقروح النتنة بعد غليه بالحليب كضماد⁽⁷⁾، وإذا استعمل مع قشر الرمان أبرأ الداحس⁽⁸⁾، وهو علاج فعال للأمراض الجلدية كالبهق والبرص ويضمد به على الخيلان والثآليل⁽⁹⁾، وهو يسكن العطش وينفع السعال المزمن ويدر البول ويقتح سد الكبد والطحال وأكله مع الأغذية الغليظة رديء جداً⁽¹⁰⁾.

وقد يطبخ معه دقيق شعير ويستعمل في ضماد الأوجاع وتحليل الأورام الصلبة⁽¹¹⁾، ويفيد منقوع التين في علاج التهابات الجهاز التنفسي، كالتهاب القصبات والحنجرة والتهاب البلعوم⁽¹²⁾، وهو غذاء مفيد جداً للحوامل والرضع⁽¹³⁾، وإذا أخذ بالجوز المقشر كان غذاء حميداً مطلقاً للبطن كاسراً للرياح نافعاً للقولنج ووجع الظهر والورك⁽¹⁴⁾، وقال رسول الله (ﷺ) وقد أحضر ورق التين بين يديه: "لو قلت أن فاكهة

(1) أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن هلال التميمي المدهلي، مسند أبي يعلى، تحقيق، حسين سليم أسد، (ط1، دمشق، دار المأمون للتراث، 1984م)، 1/ 353؛ عبد الله بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، كتاب الأمثال في الحديث النبوي، تحقيق، عبد العلي عبد الحميد حامد، (ط2، بومباي، الدار السلفية، 1987م)، 309.

(2) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 1/ 191؛ الغساني، المعتمد، 39.

(3) ابن سينا، القانون في الطب، 1/ 690.

(4) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 219.

(5) سورة التين، الآية 1 - 2.

(6) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 219.

(7) سيد مبارك، خلاصة تذكر داود في التداوي بالأعشاب والنباتات، (القاهرة، المكتبة المحمودية، د. ت)، 23.

(8) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، الحاوي في الطب، تحقيق، هيثم خليفة طعمي، (ط1، بيروت، دار احياء التراث العربي، 2002م)، 6/ 69.

(9) ابن سينا، القانون في الطب، 1/ 692 - 693.

(10) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4/ 468.

(11) مبارك، خلاصة تذكر داود، 23.

(12) صبري القباني، الغذاء والدواء، (بيروت، دار العلم للملايين، 1980م)، 85.

(13) الرازي، الحاوي في الطب، 6/ 69.

(14) ابن البيطار، الجامع في الأدوية، 1/ 200، الغساني، المعتمد، 36.

نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوا منها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس⁽¹⁾.

4_ الثوم:

وللثوم خصائص علاجية كثيرة، فهو يخرج الرياح الغليظة ويقطع البلغم والرطوبات الفاسدة في الجوف وقوى المعدة⁽²⁾، وهو ينفع الشخص الذي يشتكي من وجع ضرسه بدقه وخلطه مع العسل أو اللبن وتدليك⁽³⁾، وينفع لعلاج البهق وداء الثعلب إذا خلط مع العسل طلاء⁽⁴⁾. والثوم مقوي ومشهي للأمعاء ويصفي الصون وهو يؤكل نياً ومطبوخاً ومشوياً⁽⁵⁾، وهو هاضم للطعام قاطع للعطش مطلق للبطن ومدر للبول⁽⁶⁾، فضلاً عن ذلك فهو ينفع في لسع الحيات والعقارب ضماداً⁽⁷⁾، ويستعمل الثوم لمعالجة أمراض القلب فضلاً عن أنه طارد ممتاز للديدان⁽⁸⁾. "وقد روي عن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال لليهود خبير: كيف صحتكم بها وهي أوبى بلاد الله، فقالوا: نأكل الثوم والتريب على الريق ونشرب السكر عليه"⁽⁹⁾، وروي "أن ابن عمر كان إذا اشتكى صدره صنع له الحساء فيه الثوم فيحسوه"⁽¹⁰⁾.

(1) أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أشرف على إخراجه: صلاح عثمان، حسن الغزال، أمين باشا، (ط1، جدة، دار التفسير، 2015م)، 10/30؛ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4/268؛ الطب النبوي، 219؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جامع الأحاديث ضبطه وخرج أحاديثه فريق من الباحثين، بإشراف، علي جمعة، طبع على نفقة، حسن عباس زكي، (د. م. د. ن. د. ت)، 15/268؛ شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم، (القاهرة، مطبعة بولاق، 1868م)، 4/557.

(2) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، القاهرة، (دار الكتب العربية، د. ت)، 13.

(3) الدينوري، عيون الأخبار، 3/307.

(4) النويري، نهاية الأرب، 11/60.

(5) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 4/270.

(6) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 1/209.

(7) السيوطي، الرحمة في الطب ولحكمة، 13.

(8) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط2، الاسكندرية، د. ن، 1993م)، 16/27؛ القبانى، الغذاء لا الدواء، 152.

(9) ابن حبيب، العلاج بالأغذية والأعشاب، 56.

(10) ابن أبي شيبة، المصنف، رقم الحديث (24468)، 5/135؛ زكريا بن علام قادر الباكستاني، ما صح من آثار الصحابة في الفقه، (ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة للنشر، 2000م)، 3/1144.

5_ الرمان:

قال تعالى: (فِيهِمَا فَاكِهُةٌ وَغُلٌّ وَزَمْنَانٌ) ⁽¹⁾، وللرمان فوائد طبية كثيرة، فقد كان الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذا أكل الرمان يأكله بشحمه ويقول: "ان في كل رمانة حبة من الجنة" ⁽²⁾، ويقول: "كلوا الرمان بشحمه فإنه يدبغ المعدة" ⁽³⁾. وروي عن ابن عباس (عليه السلام) أنه قال: "لا تكسروا الرمانة من رأسها فإن فيها دودة يعتري منها الجذام" ⁽⁴⁾.

وهذه النصوص تدل على استعمالات العرب للرمان في علاج أمراض متعددة، والرمان على نوعين (حلو وحامض) فالحلو منه جيد للمعدة ومقوي لها نافع للحلق والصدر والرئة وجيد للسعال وماؤها ملين للبطن ⁽⁵⁾، وحب الرمان مع العسل ينفع في قروح المعدة ⁽⁶⁾، وماؤها علاج لمرض اليرقان وإزالة الصفرة من العين اكتحالاً ⁽⁷⁾، وإذا طبخ قشره قطع الإسهال المزمن والدم شرباً، وهو يلحم الجراح والقروح طلاء وشرباً ⁽⁸⁾، والرمان مقوي للقلب ويكافح الأورام في الغشاء المخاطي إذا قطر بالأنف مصحوباً بالعسل ⁽⁹⁾، وكان قشره يستعمل في علاج الحكة والجرب والجذري وطرده الديدان ⁽¹⁰⁾، فضلاً عن أهمية قشره في تثبيت الألوان، فقد تستعمل في دباغة الجلود وفي التخضيب بالحناء ⁽¹¹⁾، وكان يستخرج من عصير الرمان شراب مرطب ⁽¹²⁾.

(1) سورة الرحمن، الآية 68.

(2) محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الرازي، الزهد، تحقيق، منذر محمود الدومحي، (ط1، الرياض، دار اطلس للنشر والتوزيع، 2000م)، 71؛ الطبراني، المعجم الكبير، 10 / 263.

(3) ابن حنبل، المسند، رقم الحديث (23237)، 38 / 273؛ ابن حبيب، العلاج بالأغذية، 57؛ أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، 1 / 408؛ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 289؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق، حميد الدمرداش، (ط1، مكتبة نزار مصطفى البار، 2004م)، 143.

(4) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، (دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، 1995م)، 73 / 335؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط2، القاهرة، دار الكتب العلمية، 1964م)، 7 / 104.

(5) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4 / 289.

(6) الرازي، الحاوي في الطب، 6 / 171؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 2 / 440.

(7) ابن سينا، القانون في الطب، 1 / 666؛ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4 / 289.

(8) الغساني، المعتمد، 138؛ مبارك، خلاصة تذكره داود، 45.

(9) عبد اللطيف عاشور، التداوي بالأعشاب والنبات، (القاهرة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر، 1988م)، 84.

(10) ابن سينا، القانون في الطب، 1 / 666؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 2 / 440.

(11) القباني، الغذاء لا الدواء، 66.

(12) نظير، الثروة النباتية، 219.

وروي أن أنس بن مالك (رضي الله عنه) سأل رسول الله (ﷺ) عن الرمان فقال: "يا أنس ما من رمانة إلا فيها حبة من حب الجنة، فسأله الثانية فقال: يا ابن مالك ما لقحت رمانة إلا من ماء الجنة، فسأله الثالثة فقال: نعم يا ابن مالك ما أكل أحد رمانة إلا ارتد قلبه وهرب الشيطان منه أربعين ليلة"⁽¹⁾.

6_ الزيتون:

جاء ذكر الزيتون في كتاب الله تعالى في قوله: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)⁽²⁾، وللزيتون وزيته فوائد علاجية، فهو يعالج السموم ويطلق البطن ويخرج الدود⁽³⁾، وهو ينفع للأمراض الربو والرئة والزيتون الغليظ المملوح يثير الشهوة ويقوي المعدة⁽⁴⁾، وإن مضغ ورقه أذهب فساد اللثة والقلاع وأورام الحلق وأن دق وضمد به أو بعصارته منع الجمرة والنملة والقروح وختم الجراح وقطع الدم حيث كان⁽⁵⁾، وإذا طبخ بالخل نفع من وجع الأسنان⁽⁶⁾، وصمغ الزيتون جيد لوجع الأسنان المتأكلة إذا وضع عليها ولغشاوة العين يكمل به ويجلو وسخ القرحة العميقة التي تحدث في القرنية ويبرئ الجرب المتقرح والقوباء⁽⁷⁾، وجميع أصنافه ملينة للبشرة وتبطن الشيب وتشد اللثة وتمنع العرق⁽⁸⁾.

أما زيت الزيتون، فيقول الرسول (ﷺ): "كلوا الزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة"⁽⁹⁾. وعن الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، يقول: "عليكم بالزيت فإنه يكشف المرة ويذهب البلغم ويشد العصب، ويذهب بالإعياء ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب بالهم"⁽¹⁰⁾. فزيت الزيتون حار رطب

(1) أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، 1/ 406؛ اربعون حديثاً، 44؛ محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله واعلام نبوته وافعاله واقواله في المبدأ والمعاد، تحقيق، عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993م)، 12/ 219.

(2) سورة النحل، الآية 10-11.

(3) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 238.

(4) النويري، نهاية الأرب، 11/ 130.

(5) مبارك، خلاصة تذكرة داود، 49.

(6) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 2/ 484.

(7) الرازي، الحاوي في الطب، 6/ 185.

(8) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 239.

(9) أحمد بن حنبل، المسند، 25/ 449؛ الدارمي، المسند، باب فضل الزيت، رقم الحديث (2096)، 2/ 1303؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب الزيت، رقم الحديث (3319)، 2/ 1103؛ الترمذي، سنن الترمذي، باب الزيت رقم الحديث (1851)، 4/ 285، حكم الألباني وهو حديث صحيح.

(10) شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبوي شهري، المستطرف في كل من مستطرف، (ط1، بيروت، عالم الكتب، 1998م)، 498؛ محمد بن قاسم بن يعقوب الحنفي الأماصي، روض الخيار من ربيع الأبرار، (ط1، حلب، دار القلم العربي، د.ت)، 226.

موافق لوقع المفاصل، وينفع من الصداع اللند المدامية مضمضة ويشد الأسنان المتحركة وسواه وينفع لأوجاع الضرس وأعراض المذبة⁽¹⁾، ويذكر "أن عمر (ﷺ) قال: عليكم بالزيت، فإن خفتم ضرره فأثخنه بالماء فإنه يصير كالسمن"⁽²⁾.

7_ الهندباء :

ويطلق عليها الشيكوريا⁽³⁾، وهو من الخضراوات التي تكثر زراعتها في الأرض الطينية والجافة وعلى الطرق⁽⁴⁾. وتكون أزهاره زرقاء أو بيضاء، وعلى نوعين بستاني يؤكل وبري يستعمل كعلاج⁽⁵⁾، وظلت الهندباء منذ أيام الفراعنة دواء ممتازاً معترفاً به ولاسيما للمصابين بأكبادهم⁽⁶⁾. ويقال إن أول بقلة زرعها آدم (عليه السلام) هي الهندباء⁽⁷⁾، ويقول الرسول (ﷺ) في الهندباء: "ما من ورقة من ورق الهندباء إلا وعليها قطرة من ماء الجنة"⁽⁸⁾. فمائها ينقي الدم ويجلو العين المصابة بالتهابات كما أنه علاج لورم العين الحارة⁽⁹⁾، وهي تقوي المعدة وتفتح السدد العارض في الكبد وتتقي مجاري الكلى⁽¹⁰⁾، وورق الهندباء ينفع للحمى ولسع العقارب والزنابير والحيات ضماً⁽¹¹⁾، ويضمد به مع دقيق الشعير للتشققات⁽¹²⁾ وهي علاج للمصاب بعسر البول، فإنه مدرر جيد البرأ يخلط مائه بعصير الليمون ثم يشرب بارداً أو دافئاً فله مفعول جيد⁽¹³⁾، وهي تنفع للشخص المصاب بمرض اليرقان⁽¹⁴⁾.

(1) ابن الوردي، منافع النبات، 34.

(2) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، 3/ 320.

(3) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 4/ 97.

(4) محمد السيد ارناؤوط، الأعشاب والنباتات غذاء ودواء، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1998م)، 212.

(5) النويري، نهاية الأرب، 11/ 67.

(6) القباني، الغذاء والدواء، 332.

(7) النويري، نهاية الأرب، 11/ 67.

(8) الحارث، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، باب ما جاء في الهندباء، رقم الحديث (534)، 2/ 579؛ أبو القاسم

سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق، حمدي بن عبد المجيد السلفي، (ط2، القاهرة، مكتبة

ابن تيمية، د. ت)، رقم الحديث (2892)، 3/ 130؛ أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، 2/ 627؛ اربعون حديثاً، 46/

23؛ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4/ 368؛ السيوطي، جامع الأحاديث، 19/ 204.

(9) الرازي، الحاوي في الطب، 6/ 443.

(10) الغساني، المعتمد، 391.

(11) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 305.

(12) الرازي، الحاوي في الطب، 6/ 443.

(13) الغساني، المعتمد، 392.

(14) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 306.

ثانياً: التداوي بالنباتات الطبيعية.

1_ الأراك:

هي شجرة السواك⁽¹⁾ وهي شجر من الحمض يستاك به له حمل مثل حمل عناقيد العنب⁽²⁾، واستفاد العرب من أغصان الأراك ذات الرائحة العطرة في صناعة المساويك لتنظيف الأسنان ولأذهاب التغير من صفره غير ذلك⁽³⁾، فضلاً عن ذلك فهو يشد اللثة ويقطع البلغم ويجلو البصر ويذهب بالحفر ويصح المعدة⁽⁴⁾، وعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: ان النبي (ﷺ) قال: "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب"⁽⁵⁾، وكذلك استعملت ثماره لعلاج التهاب المعدة والأمعاء⁽⁶⁾. ومن فوائد ورقه يستعمل في علاج عسر البول شرباً فهو يعمل على در البول⁽⁷⁾، وروي "عن الخليفة عمر بن الخطاب أنه كان يستاك وهو صائم ولكنه كان يستاك بعود قد ذوي"⁽⁸⁾ يعني يابساً⁽⁹⁾. وقد اشتهرت مكة ومنذ الجاهلية بصناعة السواك وما زالت الحجاج يقتنون المساويك من مكة⁽¹⁰⁾

2_ البنفسج:

(1) الفراهيدي، العين، 5/ 404.

(2) أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف، محمدنعيم العرقسوسي، (ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 2005م)، 931؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، جماعة من المختصين، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، د. ت)، 27/ 36.

(3) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله أحمد السهيلي، الروض الأنف، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت)، 7/ 579.

(4) الرازي، الحاوي في الطب، 1/ 443؛ ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، 243.

(5) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردارية البخاري، الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وأيامه المعروف بصحيح البخاري، تحقيق، جماعة من العلماء، (ط1، القاهرة، مطبعة بولاق السلطانية الكبرى، 2001م)، باب سواك الرطب واليابس للصائم، 3/ 31.

(6) ابن سينا، القانون في الطب، 2/ 267.

(7) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، 1/ 20.

(8) أحمد بن حنبل، الجامع لعلوم الامام أحمد (علوم الحديث)، تحقيق، إبراهيم النحاس، (ط1، القاهرة، دار الفلاح، 2009م)، 18/ 457؛ أبو عبيد القاسم بن سلام، غريب الحديث، تحقيق، محمد عبد المعيد خان، (ط1، حيدر آباد، مطبعة المعارف العثمانية، 1964م)، 4/ 255.

(9) أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن افع الحميري اليماني الصنعاني، المصنف، تحقيق، حبيب الرحمن الاعظمي، (ط2، بيروت، توزيع المكتب الإسلامي، 1983م)، 4/ 200.

(10) علي، المفصل، 16/ 31.

هي شجرة ذات قضبان تشبه العليق⁽¹⁾، ولها ساق تخرج من أصله عليها زغب صغير وعلى طرفه ساق زهر طيب الرائحة جداً وينبت في المواضع الظليلة الحسنة⁽²⁾. ويدخل البنفسج في مجموعة الزهورات التي تؤخذ بوصفها علاج لبعض الأمراض ومنها البرد والامساك⁽³⁾، وشرابه نافع في مرض ذات الجنب والرئة والتهاب المعدة وكذلك ينفع من وجع الكلى⁽⁴⁾.

أما دهن البنفسج فهو يحتوي على فوائد طبية كثيرة ودهنه يكاد يتفوق على سائر الدهان، فيقول الرسول (ﷺ) في دهن البنفسج: "فضل دهن البنفسج على سائر الأدهان، كفضل الإسلام على سائر الأديان"⁽⁵⁾. أو قال: "كفضلي على سائر الخلق"⁽⁶⁾.

وكذلك أدرك الخلفاء الراشدون الفوائد العلاجية لدهن البنفسج وحثوا الناس على الأدهان به، فروي عن الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: "ادهنوا بالبنفسج فإنه بارد في الصيف حار في الشتاء"⁽⁷⁾. لذلك فإن دهن البنفسج طلاء ينفع في علاج الصداع الحار وينوم أصحاب السهر ويرطب الدماغ⁽⁸⁾ وهو مفيد ونافع جداً في الأمراض الجلدية مثل الجرب والحكة⁽⁹⁾.

3_ الحبة السوداء (حبة البركة):

(1) الحميري، شمس العلوم، 1/ 638.

(2) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 1/ 156.

(3) القباني، الغذاء والدواء، 336.

(4) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 1/ 156؛ الغساني، المعتمد، 28.

(5) محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد أبو حاتم الدارمي البستي، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق، محمود إبراهيم أبو زيد، (ط1، حلب، دار الواعي، 1976م)، 2/ 103؛ الطبراني، المعجم الكبير، 3/ 130؛ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (القاهرة، مطبعة السعادة، 1974م)، 3/ 204.

(6) البستي، المجروحين، 2/ 103؛ أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، 2/ 761؛ أبو عثمان سعيد بن محمد بن أبي الحسين أحمد بن محمد بن جعفر بن بحير البحيري النيسابوري، الرابع من فوائد أبي عثمان البحيري، (ط1، مخطوط نشر في برنامج جوامع الكلم المجاني لموقع الشبكة الإسلامية، 2004م)، 85.

(7) أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الاخيار، (ط1، بيروت، مؤسسة الاعلمي، 1991م)، 5/ 68؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985م)، 18/ 295؛ الأبهسي، المستطرف في كل من مستطرف، 498؛ الأماسي، روض الأخيار المنتخب، 226.

(8) الغساني، المعتمد، 28.

(9) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 1/ 157.

وتسمى الشونيز وهي الكمون الأسود ويسمى الكمون الهندي⁽¹⁾، نبات طويل مجوف يحوي في داخله حب أسود طيب الرائحة⁽²⁾، وقد جعل الله في هذه النبتة الشفاء من كل داء فيقول الرسول (ﷺ): "جعل الشفاء في الحبة السوداء والحجامة والعسل وماء السماء"⁽³⁾. ويقول (ﷺ) في الحبة السوداء: "فيها شفاء من كل داء إلا السام، والسأم الموت"⁽⁴⁾.

فالحبة السوداء تشفي من الزكام إذا صُر في خرقة وشمه المزكوم⁽⁵⁾، ويقتل الدود إذا أكل على الريق أو وضع في البطن من خارج⁽⁶⁾. وهي نافعة جداً إذا خلطت بالعسل أو شربت مع الماء، فكان رسول الله (ﷺ): "إذا اشتكى تقمح كفاً من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلاً"⁽⁷⁾. فهي تذيب الحصاة التي تكون في الكليتين والمثانة وتنزل الحيض والبول⁽⁸⁾، وتستخدم في علاج الأمراض الجلدية كالبهق والبرص والجرب والحزاز والثآليل بعد خلطها بالخل⁽⁹⁾ وتعالج الفالج والكزاز⁽¹⁰⁾ وإذا نفع بخل واستعط به نفع من الاوجاع المزمنة في الرأس⁽¹¹⁾، وإذا طبخ بخل وتمضمض به نفع من وجع الأسنان⁽¹²⁾، وإذا أخذ من

(1) ابن القيم الجوزية، نفسه، 4/ 273؛ أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت)، 21/ 273.

(2) الغساني، المعتمد، 198.

(3) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، مسند أبي حنيفة رواية الحسكي، تحقيق، عبد الرحمن حسن محمود، (القاهرة، دار الاداب، د. ت)، 7.

(4) أبو داود الطيالسي سلمان بن داود بن الجارود، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق، محمد بن عبد المحسن التركي، (ط1، القاهرة، دار هجر، 1999م)، 4/ 206؛ أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الاسدي الحميدي المكي، مسند الحميدي، تحقيق، حسن سليم اسد الداراني، (ط1، دمشق، دار السقا، 1996م)، 2/ 263؛ علي بن عبيد الجوهري البغدادي ابن الجعد، مسند ابن الجعد، تحقيق، عامر أحمد حيدر، (ط1، بيروت، مؤسسة نادر، 1990م)، 155.

(5) ابن حبيب، العلاج بالأغذية والأعشاب، 51؛ بدر الدين العيني، عمدة القاري، 21/ 235.

(6) بدر الدين العيني، عمدة القاري، 21/ 235؛ عبد الله بن عمر باموسى، الحبة السوداء في الحديث النبوي والطب الحديث، (ط1، المدينة المورة، مجمع الملك فهد للطباعة، 2004م)، 15.

(7) الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق، أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة، دار الحرمين، 1995م)، 1/ 40؛ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق، حسام الدين المقدسي، (القاهرة، مكتبة القدس، 1994م)، 5/ 87؛ الصالحي، سبل الرشاد، 12/ 109.

(8) ابن حبيب، العلاج بالأغذية، 51؛ باموسى، الحبة السوداء، 15.

(9) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 3/ 96؛ الغساني، المعتمد، 198.

(10) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 224؛ با موسى، الحبة السوداء، 15.

(11) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4/ 273؛ الغساني، المعتمد، 197.

(12) العيني، عمدة القاري، 21/ 236.

الحبة السوداء سبع حبات عدداً نفع في علاج اليرقان سعوطاً بعد سحقها وخلطها بحليب امرأة مرضع⁽¹⁾، وتستعمل الحبة السوداء في علاج الرمد وذلك بذر مسحوقها على عين المصاب⁽²⁾، وكذلك استعملت كضماد في علاج الصداع⁽³⁾، وتستعمل في علاج الأرحام بعد عجنها بالسمن والعسل⁽⁴⁾.

4_ الحلبة:

نبات معروف له حب أصفر يتعالج به، ويبيت فيؤكل⁽⁵⁾، وهي ذات فوائد كثيرة وتعالج أمراضاً عديدة، فقد روي ان النبي محمد (ﷺ) زار سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) في مرضه، فقال أدعوا له طبيباً فدُعي له الحارث بن كلة، فلما نظر إليه قال اتخذوا له (فريقه) وهي الحلبة المطبوخة مع التمر⁽⁶⁾.

"وروي ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سأل الحارث بن كلة الثقفي عن دواء الخاصرة، قال: الحلبة تطبخ ويجعل فيها سمن البقر"⁽⁷⁾، والحلبة إذا طبخت بماء لينت الحلق والصدر والبطن ودقيقها إذا خلط بالنطرون والخل حل ورم الطحال⁽⁸⁾، والحلبة المطبوخة إذا شربت مع العسل تطلق البطن وتخرج ما في الأمعاء من الاخلات الرديئة⁽⁹⁾. وطبيخ الحلبة او ماءها ينفع بوصفه ضماداً للأقدام الصلبة ويحللها كاورام العين وأورام الثدي أيضاً⁽¹⁰⁾، ويستعمل دقيق الحلبة مخلوطاً مع بذر الكتان والعسل شرباً في الهضم ومعالجة أوجاع المعدة⁽¹¹⁾، وإذا شرب ماؤها نفع من المغلى العارض من الرياح وأزلق الأمعاء⁽¹²⁾، وتجلس النساء في طبيخ الحلبة فينفعها من وجع الأرحام والعارض من وجع الرحم والضخامة

(1) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (ط7، القاهرة، المطبعة الاميرية الكبرى، د. ت)، 365 / 8.

(2) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، (بيروت، دار المعرفة، د. ت)، 145 / 10.

(3) ابن القيم الجوزي، الطب النبوي، 224؛ با موسى، الحبة السوداء، 16.

(4) العيني، عمدة القاري، 236 / 21.

(5) جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي ابن منظور، لسان العرب الحواشي، اليازجي ومجموعة من اللغويين، (ط1، بيروت، دار صادر، 1993م)، 333 / 1.

(6) أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، 1 / 404؛ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4 / 276.

(7) ابن حبيب، العلاج بالأغذية والأعشاب، 21.

(8) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 226.

(9) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 2 / 281.

(10) الرازي، الحاوي في الطب، 1 / 197، 933.

(11) ابن سينا، القانون في الطب، 2 / 458.

(12) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 227.

وتسهيل الولادة⁽¹⁾، وماء طبخها يعصر ويغسل به الرأس بعصارتها فينفع الشعر⁽²⁾. وقال رسول الله (ﷺ):
 "لو تعلم أمتي ما لها في الحلبة لاستردوها ولو بوزنها ذهباً"⁽³⁾.

5_ الحناء:

وهي الشجرة المعروفة، ومنابتها في أرض العرب كثيرة ويعظم شجره حتى يكون كالدر وله فاعية
 وهي نوره وبزره وهو طيب الرائحة⁽⁴⁾، يختطب به الرجال والنساء، وروي أنه "كان لا يصيب رسول الله
 (ﷺ) تقرحه ولا شوكة إلا ووضع عليها حناء"⁽⁵⁾.

وتوضع الحناء المطبوخة بالماء على المواضع التي تحترق بالنار وتستعمل في مداوات الاورام
 الملتهبة كالضماد⁽⁶⁾، ودهن الحناء نافع لأوجاع الرحم والأعصاب ولكسر العظام ويدخل في المراهم
 الموافقة للفالج⁽⁷⁾، ويستعمل طلاء الحناء على مواضع الجسم التي يحدث فيها تشقق وتيبس وبثور⁽⁸⁾، وهو
 علاج لايزال يستعمل في الوقت الحاضر.

وكانت العرب تستعمل الحناء إذا بدء مرض الجدري يخرج بصبي يخضب أسافل رجليه
 بالحناء⁽⁹⁾، وورق الحناء إذا مضغ أبرأ القلاع والعفونة والقروح المسماة بالجمرة في الفم⁽¹⁰⁾، واستعملت في
 علاج الصداع⁽¹¹⁾.

(1) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 2/ 281.

(2) الغساني، المعتمد، 73.

(3) الطبراني، المعجم الكبير، 20/ 96؛ أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، 2/ 610؛ أبو نعيم الأصفهاني، أربعون حديثاً
 من الجزء الرابع في كتاب الطب، 54؛ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال، الآثار المروية في الأطعمة
 السرية، تحقيق، أبو عمار محمد ياسر الشعيري، (ط1، الرياض، اضاء السلف، 2004م)، 281؛ ابن القيم الجوزية، زاد
 المعاد، 4/ 278.

(4) أبو حنيفة بن داود الدينوري، النبات، تحقيق، برنهارد لفين، (خيسبادن، فرانز شتاينر، 1974م)، 178.

(5) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، محمد
 فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، (ط1، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م)، باب ما جاء في التدوي
 بالحناء، 4/ 392، حكم الألباني صحيح؛ الطبراني، المعجم الكبير، 24/ 298.

(6) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 2/ 2-3.

(7) الرازي، الحاوي في الطب، 6/ 109.

(8) الغساني، المعتمد، 83.

(9) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 67.

(10) الرازي، الحاوي في الطب، 1/ 469.

(11) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 2/ 303.

والحناء امان من أمراض الجذام والبرص، فيقول النبي (ﷺ): "الحناء بعد النورة أمان من الجذام والبرص"⁽¹⁾، فضلاً عن استعمالاتها الطبية والعلاجية فقد استعملت الحناء في تخضيب الشعر والبشرة، فيقول الرسول (ﷺ): "إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم"⁽²⁾.

وروى ابن سعد في طبقاته⁽³⁾ "أن أبا عبيدة بن الجراح مات في طاعون عمواس في خلافة عمر بن الخطاب وأبو عبيدة يوم مات ابن ثمانية وخمسين كان يصبغ رأسه ولحيته بالحناء والكتم". ودهن فاغية الحناء جيد في استرخاء الشعر ويقويه ويشده⁽⁴⁾.

6_ الحنظل:

هو نبات يخرج أغصاناً وورقاً مفروشة على الأرض وله ثمرة مستديرة⁽⁵⁾ شديدة المرارة⁽⁶⁾، يعالج أمراضاً عديدة ومنها الأم المعدة إذا خلط بالعسل يؤخذ منه شراباً⁽⁷⁾. وهو مفيد لوجع الأسنان إذا خلط مع الخل بالمضمضة به⁽⁸⁾، وينفع ورق الحنظل الرطب في علاج صمم ووجع الأذن حيث يدق ويقطر منه في الأذن وهو فاتر⁽⁹⁾، وهو مسهل للبلغم والصفراء ونافع للصرع والفالج والرعشة والحمى⁽¹⁰⁾ ويمكن الإستدلال على استعمال الحنظل للعلاج والتداوي في العصر الراشدي ذلك أن معيقب بن أبي فاطمة الدوسي⁽¹¹⁾ أصابه مرض الجذام في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فعالجوه بالحنظل،

(1) أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، 1/ 369؛ أبو شجاع شيديه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الهمذاني، الفردوس بمأثور الخطاب تحقيق، السعيد بن بيسوني زغلول، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1986م)، 2/ 156؛ عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، (القاهرة، المطبعة الكاستلية، 1866م)، 2/ 59؛ السيوطي، جامع الأحاديث، 20/ 284.

(2) أبي حنيفة، مسند أبي حنيفة، 6؛ ابن أبي شيبة، المصنف، في الخضاب بالحناء، رقم الحديث (25001)، 5/ 182؛ ابن حنبل، المسند، رقم الحديث (21337)، 35/ 265؛ ابن ماجه، السنن، باب الخضاب بالحناء، رقم الحديث (3622)، 2/ 1196، حكم الألباني صحيح.

(3) 3/ 216.

(4) ابن حبيب، العلاج بالأغذية، 74؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 2/ 303.

(5) الغساني، المعتمد، 81.

(6) ابن منظور، لسان العرب، 11/ 177.

(7) الرازي، الحاوي في الطب، 2/ 322.

(8) ابن سينا، القانون في الطب، 3/ 544.

(9) الرازي، الحاوي في الطب، 2/ 324.

(10) ابن الوردي، منافع النبات، 116.

(11) معيقب بن أبي فاطمة الدوسي: هو من المهاجرين من بني أمية وشهد بدرًا وكان أميناً على خاتم النبي (ﷺ) استعمله الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على الفيء واستعمله الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خازناً على بيت المال، وتوفي معيقباً آخر خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه). عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن الاثير،

"وكان عمر يطلب له الطب من كل من سمع له بطب حتى قدم إليه رجلان من أهل اليمن فقال: هل عندكما من طب لهذا الرجل الصالح؟ فإن هذا الوجع قد أسرع فيه... فقالا له: هل تنبت أرضك الحنظل؟ فقال: نعم. قالوا: فاجمع لنا منه فHمر من جمع لهما مكتلين عظيمين فعمدا إلى كل حنظلة فشقاها بثنتين ثم اضجعا معيقاً ثم اخذ كل رجل منهما بYحدى قدميه ثم جعلا يدلكان بطوي قدميه بالحنظل حتى إذا محقت أخذ أخرى حتى رأينا معيقاً يتنخم اخضر مرّاء ثم أرسلاه فقالا لعمر: لا يزيد وجعه بعد هذا أبداً"⁽¹⁾.

7_ السنا:

هو نبات حجازي يتداوى به وواحدته سنة⁽²⁾، وأفضله السنامكي⁽³⁾، وله فوائد طبية ويستعمل في علاج أمراض كثيرة وما يؤكد ذلك هو أن النبي (ﷺ) ذكره فيقول: "عليكم بالسنا والسنوات، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام، قيل وما السام يا رسول الله قال: الموت"⁽⁴⁾.

ومما يؤكد استعمال السنا بوصفه علاجاً في العصر الراشدي أن قد "وصف الحارث بن كلدة لعمر بن الخطاب شرب السنا يطبخ بالزيت، وأنه ينفع من الخام ووجع الظهر، فأرسل عمر إلى أزواج النبي (ﷺ) بنعت ذلك لكي يتعالجن به وكانت عائشة لا تعيبه"⁽⁵⁾.

ومن خلال هذه النصوص وضحت أهمية السنا الطبية فهو يسهل الصفراء والسوداء⁽⁶⁾، واستعمل في علاج الصداع والصرع⁽⁷⁾، وهو ينفع في علاج أمراض الجلد كالحكة والجرب والبثور⁽¹⁾، والسنا

أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994م)، 5/ 231.

(1) أبو عبد الله محمد ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م)، 4/ 88؛ ابن حبيب، التداوي بالأغذية، 27؛ محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، الرياض النضرة، (ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت)، 2/ 391؛ يوسف بن قزاوغي بن عبد الله سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق، محمد بركات، كامل محمد الخراط وآخرون، (ط1، دمشق، دار الرسالة العالمية، 2013م)، 6/ 28؛ أبي الحسن علي بن محمد الخزامي التلمساني، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، (القاهرة، نخبة أحياء التراث الإسلامي، 1995م)، 67.

(2) الحميري، شمس العلوم، 5/ 3219.

(3) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4/ 69.

(4) ابن ماجه، السنن، باب السنا والسنون، رقم الحديث (3457)، 4/ 511 إسناد ضعيف؛ الطبراني، مسند الشاميين، تحقيق، حمدي عبد المجيد السلفي، (ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984م)، 1/ 31؛ النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث (7442)، 4/ 224؛ أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، 1/ 283.

(5) ابن حبيب، العلاج بالأغذية، 37.

(6) الصالحی، سبل الهدی والرشاد، 12/ 156.

(7) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4/ 69.

المدقوق إذا خلط بعسل وسمي مفيد وقوي للاسهال⁽²⁾، واستخدموا أيضاً في علاج المصاب بمرض النقرس وعرق النسا وألم المفاصل طلاء⁽³⁾، فضلاً عن ذلك استعملوه في تسويد الشعر وتقويته بعد خلطه بالحناء⁽⁴⁾.

8_ العسل:

وهو سيد الأدوية⁽⁵⁾، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم مبيناً أهمية العسل الصحية: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهِنَّ شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ)⁽⁶⁾، ومما لا شك فيه ان الحق تبارك وتعالى قد اوحى سراً عظيماً إلى النحل لتأكل من الثمرات وجمع رحيق الأزهار وهضمه وتخويله إلى شراب مختلف الألوان فيه شفاء للناس من أمراضهم، وقد أكد الرسول (ﷺ) على أهمية العسل لجسم الإنسان بقوله: "أن رجلاً أتى النبي (ﷺ) فقال أخي يشتكي بطنه فقال إسقه عسلاً ثم أتى الثانية فقال: إسقه عسلاً، ثم أتى الثالثة فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه فقال قد فعلت فقال صدق رسول الله وكذب بطن أخيك إسقه عسلاً فسقاه فبرأ"⁽⁷⁾.

ومما يؤكد استعمال العسل بوصفه شفاءً للأمراض في العصر الراشدي: "أن الخليفة عمر بن الخطاب حين قدم الشام شكاً إليه أهل الشام وباء الأرض وثقلها، وقالوا: لا يصلحنا إلا هذا الشراب، فقال عمر: اشربوا هذا العسل، فقال رجل من أهل الأرض: هل لك ان نجعل لك من هذا لشراب شيئاً لا يُسكر؟ قال: نعم. فطبخوه حتى ذهب منه الثلثان وبقي الثلث. فأتوا به عمر فأدخل فيه عمر إصبعه ثم رفع يده فتبعها يتمطط، فقال: هذا الطلاء هذا مثل طلاء الابل فأمرهم عمر أن يشربوه، فقال له عبادة بن الصامت احللتها والله فقال عمر: كلا والله، اللهم اني لا أحل لهم شيئاً حرمة عليهم ولا أحرم

(1) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 57.

(2) الفيروزآبادي، من هدي الرسول (ﷺ) المسمى سفر السعادة، ضبط وتحقيق، أحمد عبد الرحيم السايح، عمر يوسف حمزة، (ط1، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، 1997م)، 235.

(3) الغساني، المعتمد، 1/ 244.

(4) الغساني، نفسه، 1/ 224؛ علي، المفصل، 8/ 395.

(5) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، 12.

(6) سورة النحل، الآيتان 68-69.

(7) ابن أبي شيبة، المصنف، رقم الحديث (3686)، 5/ 59؛ ابن حنبل، المسند، 17/ 234؛ البخاري، صحيح البخاري،

باب الدواء بالعسل، رقم الحديث (5684)، 7/ 123؛ مسلم، صحيح مسلم، باب الدواء بالعسل، رقم الحديث (2217)، 4/ 1736.

عليهم شيئاً أحلته لهم⁽¹⁾. وروي أنه "خرج يوماً عمر بن الخطاب حتى أتى المنبر وقد كان قد اشتكى شكوى فنتع له العسل، وكان في بيت المال عكة فقال: إن أذنتم لي فيها أخذتها وإلا فأنها علي حرام فأذنوا فيها"⁽²⁾.

والعسل غذاء حي استمد وجوده من الأزهار والنباتات⁽³⁾، ومن فوائد العسل العلاجية أنه يجلو البصر ويشد الفؤاد⁽⁴⁾، وهو ينفع في البلغم والرطوبة ويخلط في كحال العين وهو يخلط مع أدوية كثيرة⁽⁵⁾، وشرب العسل الممزوج بالماء البارد أو لعله على الريق يغسل خمل المعدة ويدفع عنها الفضلات ويفتح سدها⁽⁶⁾.

9_ القسط:

هو نوع من أنواع العود ذو رائحة طيبة⁽⁷⁾ يجلب من بلاد الهند ومن بلاد أخرى ويستعمل للتبخير به⁽⁸⁾، ومن أسمائه القسط والمر والعود الهندي⁽⁹⁾، والقسط من النباتات التي استعملت في العلاج فقد أشار الرسول (ﷺ) إلى أهميته العلاجية في قوله (ﷺ): "عليكم بالعود الهندي فإن فيه سبعة أشفية يستعط به من العذرة ويلد به من ذات الجنب"⁽¹⁰⁾.

(1) مالك بن انس، الموطأ، صححه ورقمه وأخرج أحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1985م)، باب جامع تحريم الخمر، رقم الحديث (14)، 2/ 847؛ أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي، المسند، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1979م)، باب في الإنبذة، رقم الحديث (2546)، 3/ 256؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى تحقيق، محمد عبد القادر عطا، (ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م)، باب ما جاء في صنعه نبيذهم الذي كانوا يشربونه، رقم الحديث (17425)، 8/ 522.

(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (ط2، بيروت، دار التراث، 1967م)، 4/ 208؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، (ط1، القاهرة، مطبعة السعادة، 1924م)، 98؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 111؛ علاء الدين علي بن بسام بن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي، كنز العمال، تحقيق، بكري حياني، صنفوه السقا، (ط5، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م)، 12/ 656.

(3) القباني، الغذاء لا الدواء، 349.

(4) ابن حبيب، العلاج بالأغذية والأعشاب، 44.

(5) الحميري، شمس العلوم، 7/ 4525.

(6) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4/ 205.

(7) ابن سيده، المخصص، 3/ 267.

(8) محمود مصطفى الدمياطي، معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، 1965م)، 125.

(9) النويري، نهاية الأرب، 12/ 50 - 51.

(10) الصنعاني، المصنف، باب بول الصبي، رقم الحديث (1486)، 1/ 380؛ ابن أبي شيبة، المصنف، باب ما رخص فيه من الأدوية، رقم الحديث، (23436)، 5/ 33؛ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم ابن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق، عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، (ط1، المدينة المنورة، مكتبة الايمان، 1991م)، رقم الحديث

ومن معنى الحديث يفهم أن السبعة التي فيها كيفية التدوي بالقسط هي إما طلاء أو شرباً أو ضماداً أو تنطيلاً⁽¹⁾، أو تبخيراً أو سعوياً أو لدوداً⁽²⁾، وروي أن النبي (ﷺ): "دخل على عائشة (رضي الله عنها) وعندها صبي يسيل منخراه دماً، فقال: ما هذا؟ قالوا به العذرة. فقال: ولكن تقتلن أولادكن، أيما امرأة أصاب ولدها العذرة أو وجع في رأسه فلتأخذ قسطاً هندياً فلتحكه بماء ثم تسعطه به ثم أمر عائشة فضعت ذلك فبراً"⁽³⁾.

لذلك فالقسط يعالج أمراضاً كثيرة منها الزكام والنزلات والوباء ويستعمل بخوراً⁽⁴⁾، وهو يعالج أمراض المعدة والكبد والكلية وذلك بعد سحقه وخلطه بالماء والعسل شرباً⁽⁵⁾، ويستعمل في علاج التشنجات والآم المفاصل وفي علاج عرق النسا ضماداً⁽⁶⁾، وتنطيلاً في علاج الرأس⁽⁷⁾، وهو يعالج عسر التنفس والسعال المزمن إذا تبخر به المريض⁽⁸⁾، ويعالج العذرة بعد سحقه وخلطه بالزيت سعوياً ولدوداً في علاج مرض ذات الجنب⁽⁹⁾، وهو يعمل على إزالة الكلف والبهق بعد خلطه بالخل والعسل⁽¹⁰⁾.

10_ الكمأة:

من النباتات المعروفة في بلاد العرب وهي من الدرنيات والجزور التي لا ساق لها ولا أوراق، تشبه البطاطا في شكلها اما لونها فهو بني قاتم، تخرج من غير ذي زرع وتكثر أيام الخصب عقب سقوط

(2175)، 5/ 70؛ البخاري، صحيح البخاري، باب الدود، رقم الحديث (5713)، 7/ 127؛ مسلم، صحيح مسلم، باب التدوي بالعود الهندي، رقم الحديث (2214)، 4/ 1734.

(1) التنطيل: هو سكب ماء فيه دواء على رأس المريض قليلاً. ابن منظور، لسان العرب، 11/ 667؛ وينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 10/ 183.

(2) لدود: هو الدواء الذي يصب في احد جانبي فم المريض. ابن منظور، لسان العرب، 3/ 390.

(3) أحمد بن الفرات بن خالد العيني الرازي، جزء فيه عوالي منتقاة من جزء أبي مسعود أحمد بن الفرات، تحقيق، أبو عمان عبد الله بن ضيف الله العمري الشمراني، (ط1، الفجيرة، دار الريان، 1992م)، 49؛ أبو جعفر بن عمرو بن البخاري بن مدرك البغدادي الرزاز، مجموع فيه مصنفات أبي جعفر بن البخاري، تحقيق، نبيل سعد الدي جزار، (ط1، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 2001م)، 430؛ أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، 1/ 335؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 5/ 152؛ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4/ 87.

(4) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 10/ 183.

(5) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 4/ 263؛ الغساني، المعتمد، 282.

(6) مهذب الدين أبو الحسن علي بن هبل البغدادي، المختارات في الطب، (ط1، حيدر اباد، دائرة المعارف العثمانية، د. ت)، 2/ 167.

(7) ابن هبل، نفسه، 2/ 167.

(8) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 4/ 263؛ مبارك، خلاصة تذكرة داود، 75.

(9) القسطلاني، إرشاد الساري، 8/ 367.

(10) الغساني، المعتمد، 283.

الأمطار والرعد⁽¹⁾، لذلك سماه العرب نبات الرعد⁽²⁾، وسماه العرب أيضاً بـ(جدرى الأرض)⁽³⁾. يقول الرسول (ﷺ): "الكَمأة من المن وماؤها شفاء العين"⁽⁴⁾.

وهو يؤكل نياً أو مطبوخاً⁽⁵⁾، وهو ينفع على الجراحات الخبيثة والوسخة وكعلاج نافع لعرق النساء واوجاع الورك وإذا ادمنت اورثت الفالج والقولنج والسكتة⁽⁶⁾، والاكتحال به نافع من ظلمة البصر والرمد يجلو العين وتقيد في تشقق الشفتين⁽⁷⁾. "قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) للأحنف: أي الطعام أحب إليك قال: الزبد والكَمأة"⁽⁸⁾.

11_ اللبان:

وهو شجرة شوكية طولها نحو ذراعين ورقها كورق الآس لها ثمر مر الطعم⁽⁹⁾، وهو نوع من أنواع الصمغ ويسمى المر واللادن والكندر أيضاً⁽¹⁰⁾، وتنمو هذه الشجرة في بلاد اليمن والهند وجنوب إفريقيا⁽¹¹⁾، واللبان كان اساس التجارة اليمنية ورمز اليمن في تاريخها القديم، فكان على رأس البضائع التجارية المطلوبة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، وقد عرفت بلاد اليمن ببلاد اللبان⁽¹²⁾.

(1) البخاري، صحيح البخاري، 6 / 18.

(2) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 273.

(3) زكريا بن محمد بن محمود القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، (ط1، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2000م)، 322؛ علي، المفصل، 7 / 62.

(4) الطيالسي، المسند، رقم الحديث (2519)، 4 / 15؛ أبو عبيد بن سلام، غريب الحديث، 2 / 173؛ ابن أبي شيبة، المصنف، في الكَمأة، رقم الحديث (23693)، 5 / 60؛ ابن حنبل، المسند، رقم الحديث (1633)، 3 / 178؛ البخاري، صحيح البخاري، باب المن شفاء العين، رقم الحديث (5708)، 7 / 126؛ مسلم، صحيح مسلم، باب فضل الكَمأة ومداواة العين بها، رقم الحديث (2049)، 3 / 1619.

(5) ابن سينا، القانون في الطب، 1 / 526.

(6) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، 274.

(7) ابن القيم الجوزية، نفسه، 274؛ القبانى، الغذاء لا الدواء، 219.

(8) الدينوري، عيون الأخبار، 3 / 219؛ أحمد بن يحيى بن جابر بن داؤد البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق، سهيل زكار، ورياض الزركلي، (ط1، بيروت، دار الفكر، 1996م)، 12 / 327؛ عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي ابن عبد ربه، العقد الفريد، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م)، 718؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، 3 / 247.

(9) ابن منظور، لسان العرب، 5 / 153.

(10) النويري، نهاية الأرب، 11 / 229.

(11) الهمياطي، معجم اسماء النباتات، 138.

(12) علي، المفصل، 7 / 240.

وقد استخدم العرب اللبان في علاج بعض الأمراض، فإن شراب منقوعه ينفع من البلغم والسعال ويقوي المعدة⁽¹⁾، ومضغه يقوي اللثة والأسنان ويقطع الرائحة الكريهة⁽²⁾، والتضميد به يقطع نزف الدم ويدمل الجروح⁽³⁾، ودهنه يستعمل طلاء بعد خلطه بالخل في علاج القوباء⁽⁴⁾ والثآليل و الخدر⁽⁵⁾، وهو ينفع أمراض الأذن والرعاف بعد خلطه بالزيت فطوراً⁽⁶⁾، وهو يستعمل في عمل البخور والكحل المستعمل في العين⁽⁷⁾.

واللبان نافع ومفيد للنساء الحوامل فيقول الرسول (ﷺ): "اطعموا حبالكم اللبان فإن يكن في بطنها ذكر يكن زكي القلب وإن يكن أنثى تحسن خلقها وتعظم عجيزتها"⁽⁸⁾. واللبان ينفع للنسيان وسوء الفهم وهو مقوي للذاكرة بعد خلطه بالعسل والسكر⁽⁹⁾. فقد جاء إلى الخليفة علي بن أبي طالب (ﷺ) رجل فشكا إليه النسيان فقال: "عليك باللبان فإنه يشجع القلب ويذهب بالنسيان"⁽¹⁰⁾.

12_ الورس:

نبات لا يزرع ولا يوجد إلا باليمن⁽¹¹⁾، ويشبه هذا النبات نبات السمسم⁽¹²⁾، وإذا جف هذا النبات أنتفض منه ثمر الورس⁽¹³⁾، وأجود أنواعه ذو الثمر الأحمر المائل إلى الصفرة⁽¹⁾، الشبيه بسحيق الزعفران⁽²⁾.

(1) الغساني، المعتمد، 315.

(2) مبارك، خلاصة تنكرة داود، 82.

(3) الغساني، المعتمد، 315.

(4) القوباء: من الأمراض الجلدية التي ينقشر لها الجلد فتتسع. ابن منظور، لسان العرب، 693 / 1.

(5) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 4 / 349.

(6) الغساني، المعتمد، 316.

(7) مبارك، خلاصة تنكرة داود، 83.

(8) أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، 2 / 609؛ أربعون حديثاً، 74؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 5 / 1237؛ السيوطي، الحاوي للفتاوي، (بيروت، دار الفكر، 2004م)، 2 / 45.

(9) النويري، نهاية الأرب، 11 / 2230؛ السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، 15.

(10) أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، 2 / 609؛ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 4 / 355؛ الطب النبوي، 294؛ السيوطي، جامع الأحاديث، 32 / 237.

(11) أبو نصر إسماعيل بن حماد الرازي الجوهري، الصحاح تاج اللغة، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، (ط4، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م)، 3 / 988؛ القزويني، عجائب المخلوقات، 337.

(12) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 4 / 19؛ الغساني، المعتمد، 2 / 547.

(13) أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، كتاب النبات والشجر، جمع ونشر، أوغست هفير، (ط2، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1908م)، 26.

وهو يعالج كثيراً من الأمراض فهو علاج للبرص بعد سحقه وخلطه مع الماء⁽³⁾، ويعالج الحكة في الجسم بسبب أشعة شمس القوية⁽⁴⁾، ويعمل على إزالة الكلف⁽⁵⁾، وماء الورس يساعد على تفتيت الحصاة في المثانة⁽⁶⁾، وهو علاج نافع لمرض ذات الجنب إذا خلط مع الزيت أو القسط، فكان رسول الله (ﷺ): "ينعت الزيت والورس من ذات الجنب يله من جانبه الذي يشتكيه"⁽⁷⁾.

الخاتمة والاستنتاجات:

بعد انجاز هذا البحث تم التوصل إلى العديد من الاستنتاجات كان من أهمها:

1. كشفت الدراسة أن النباتات (الزراعية والطبيعية) كانت ولا زالت تمثل مصدراً مهماً وعلاجاً الكثير من الأمراض والعلل والتي اتضحت في العديد من التجارب الإنسانية ومن هذه النباتات البصل والتمر والحبّة السوداء والحنظل والقسط واللبن وغيرها.
2. تبين أن الأطباء في أقاليم المشرق العربي في عصر الخلافة الراشدة اعتمدوا على النباتات في علاج المرضى ومداواتهم.
3. تبين أن هناك مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة والتي عرفت بالطب النبوي وحت على نصائح وإرشادات طبية حث الناس على أن يأخذوها وبالذات فيما يتعلق بالتداوي والعلاج بأنواع النباتات والأعشاب.
4. اتضح أن الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) التزموا بالإرشادات النبوية فيما يتعلق بالتداوي بالنباتات والأعشاب الطبية واستشاروا الأطباء في الأمور الطبية وساروا على نهج رسول الله (ﷺ) في تقديم النصح والإرشاد في كيفية استعمال بعض النباتات والأعشاب للعلاج.

-
- (1) أبو الخير عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق، محمد العربي الخطابي، (ط1)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995م، 830 / 2.
 - (2) ابن هبل، المختارات من الطب، 71 / 2.
 - (3) ابن سينا، القانون في الطب، 651 / 1.
 - (4) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 19 / 4؛ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، 403 / 4.
 - (5) السيوطي، الرحمة في الطب، 137.
 - (6) ابن هبل، المختارات في الطب، 71 / 2.
 - (7) ابن حنبل، المسند، رقم الحديث (19327)، 75 / 32؛ الترمذي، السنن، باب ما ماجاء في دواء ذات الجنب، رقم الحديث (2078)، 407 / 4؛ النسائي، السنن الكبرى، الدواء بالزيت والورس من ذات الجنب، رقم الحديث (7544)، 7 / 91؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث (7444)، 224 / 4.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر الأولية:

- 1- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستطرف، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1998م.
- 2- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، اسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994م).
- 3- ابن إسحاق، محمد بن يسار، السير والمغازي، تحقيق، سهيل زكار، (ط1، بيروت، دار الفكر، 1987م).
- 4- الأصبهاني، أبو الشيخ عبد الله بن حيان، كتاب الامثال في الحديث النبوي، تحقيق، عبد العلي عبد الحميد حامد، (ط2، بومباي، الدار السلفية، 1987م).
- 5- الأصمعي، أبي سعيد عبد الملك بن قريب، كتاب النبات والشجر، جمع ونشر، أوغست هفير، (ط2، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1908م).
- 6- الأماسي، محمد بن قاسم بن يعقوب، روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار، ط1، حلب، دار القلم العربي، د. ت.
- 7- البحيري، أبو عثمان سعيد بن محمد، الرابع من فوائد أبي عثمان البحيري، (ط1، مخطوط نشر في برنامج جوامع الكلم المجاني لموقع الشبكة الإسلامية، 2004م).
- 8- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وأيامه المعروف بصحيح البخاري، تحقيق، جماعة من العلماء، (ط1، القاهرة، مطبعة بولاق السلطانية الكبرى، 2001م).
- 9- بدر الدين العيني، أبو محمد محمود، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بيروت، دار احياء التراث العربي، د. ت.
- 10- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الآثار المروية في الأطعمة السرية، تحقيق، أبو عمار محمد ياسر الشعيري، (ط1، الرياض، أضواء السلف، 2004م).
- 11- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، أنساب الأشراف، تحقيق، سهيل زكار، ورياض الزركلي، (ط1، بيروت، دار الفكر، 1996م).
- 12- ابن البيطار، ضياء الدين بن محمد بن عبد الله، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م).
- 13- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى تحقيق، محمد عبد القادر عطا، (ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م).
- 14- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، (ط1، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م).
- 15- التلمساني، أبي الحسن علي بن محمد، تخریج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، (القاهرة، نخبة إحياء التراث الإسلامي، 1995م).
- 16- الثعلبي، أبو إسحاق محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أشرف على إخراج: صلاح عثمان، حسن الغزال، أمين باشا، (ط1، جدة، دار التفسير، 2015م).
- 17- ابن الجعد، علي بن عبيد الجوهري، مسند ابن الجعد، تحقيق، عامر أحمد حيدر، (ط1، بيروت، مؤسسة نادر، 1990م).

- 18- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، تاريخ عمر بن الخطاب، (ط1، القاهرة، مطبعة السعادة، 1924م).
- 19- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، (ط4، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م).
- 20- ابن حبان البستي، محمد بن أحمد بن معاذ، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق، محمود إبراهيم أبو زيد، (ط1، حلب، دار الواعي، 1976م).
- 21- ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب بن سليمان، مختصر في الطب العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب، تحقيق، محمد أمين الضناوي، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م).
- 22- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، (بيروت، دار المعرفة، د. ت).
- 23- الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير، مسند الحميدي، تحقيق، حسن سليم أسد الداراني، (ط1، دمشق، دار السقا، 1996م).
- 24- الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق، حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الأرياني ويوسف محمد عبد الله، (ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1999م).
- 25- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، الجامع لعلوم الامام أحمد (علوم الحديث)، تحقيق، إبراهيم النحاس، (ط1، القاهرة، دار الفلاح، 2009م).
- 26- أبو حنيفة النعمان، بن ثابت، مسند أبي حنيفة رواية الحسكي، تحقيق، عبد الرحمن حسن محمود، (القاهرة، دار الآداب، د. ت).
- 27- أبو الخير الإشبيلي، عمر بن خليفة، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق، محمد العربي الخطابي، (ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995م).
- 28- الدينوري، أبو حنيفة بن داود، النبات، تحقيق، برنهارد لفين، (خيسبادن، فرانز شتاينر، 1974م).
- 29- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، (ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985م).
- 30- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا، الحاوي في الطب، تحقيق، هيثم خليفة طعمي، (ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2002م).
- 31- الرازي، محمد بن إدريس بن المنذر، الزهد، تحقيق، منذر محمود الدومحي، (ط1، الرياض، دار أطلس للنشر والتوزيع، 2000م).
- 32- ابن راهويه، أبو يعقوب اسحاق بن إبراهيم، مسند اسحاق بن راهويه، تحقيق، عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، (ط1، المدينة المنورة، مكتبة الإيمان، 1991م).
- 33- الرزاز، أبو جعفر بن عمرو بن البخاري، مجموع فيه مصنفات أبي جعفر بن البخاري، تحقيق، نبيل سعد الدي جزار، (ط1، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 2001م).
- 34- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، جماعة من المختصين، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، د. ت).

- 35- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، (ط1، بيروت، مؤسسة الأعلمي، 1991م).
- 36- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق، محمد بركات، كامل محمد الخراط وآخرون، (ط1، دمشق، دار الرسالة العالمية، 2013م).
- 37- أبو سعد الأبي، منصور بن الحسين، نشر الدر في المحاضرات، تحقيق، خالد عبد الغني محفوظ، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م).
- 38- ابن سعد، أبو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م).
- 39- ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن عبد الله، غريب الحديث، تحقيق، محمد عبد المعيد خان، (ط1، حيدر آباد، مطبعة المعارف العثمانية، 1964م).
- 40- السهمودي، نور الدين أبو الحسن علي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت).
- 41- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت).
- 42- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص تحقيق، خليل إبراهيم جفال، (ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1996م).
- 43- ابن سينا، الحسين بن عبد الله، القانون في الطب، حققه ووضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، (د. م، د. ن، د، ت).
- 44- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق، حميد الدمرداش، (ط1، مكتبة نزار مصطفى البار، 2004م).
- 45- _____، جامع الاحاديث ضبطه وخرج احاديثه فريق من الباحثين، بإشراف، علي جمعة، طبع على نفقة، حسن عباس زكي، (د. م، د. ن، د. ت).
- 46- _____، الحاوي للفتاوي، (بيروت، دار الفكر، 2004م).
- 47- _____، الرحمة في الطب والحكمة، القاهرة، (دار الكتب العربية، د. ت).
- 48- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، المسند، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1979م).
- 49- الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم، (القاهرة، مطبعة بولاق، 1868م).
- 50- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله، المصنف في الاحاديث والآثار، تقديم، كمال يوسف الحوت، (ط1، بيروت، دار التاج، 1989م).
- 51- الصالحي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأقواله في المبدأ والمعاد، تحقيق، عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993م).
- 52- الصفوري، عبد الرحمن بن عبد السلام، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، (القاهرة، المطبعة الكاسطية، 1866م).
- 53- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، (ط2، بيروت، توزيع المكتب الإسلامي، 1983م).

- 54- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، مسند الشاميين، تحقيق، حمدي عبد المجيد السلفي، (ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984م).
- 55- _____، المعجم الكبير، تحقيق، حمدي بن عبد المجيد السلفي، (ط2، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د. ت).
- 56- _____، المعجم الاوسط، تحقيق، أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة، دار الحرمين، 1995م).
- 57- الطبري، محب الدين أبو العباس أحمد، الرياض النضرة، (ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت).
- 58- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، (ط2، بيروت، دار التراث، 1967م).
- 59- الطيالسي، أبو داود سلمان بن داود، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق، محمد بن عبد المحسن التركي، (ط1، القاهرة، دار هجر، 1999م).
- 60- ابن عبد ربه، عمر شهاب الدين أحمد، العقد الفريد، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م).
- 61- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، (دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، 1995م).
- 62- أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي، عني بوضعها وترتيبها، محمد عبد الجواد الأصمعي، (ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1926م).
- 63- الغساني، يوسف بن عمر بن علي، المعتمد في الأدوية المفردة، ضبطه وصححه، محمود عمر الدمياطي، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م).
- 64- ابن الفرات، أحمد بن خالد العيني، جزء فيه عوالي منتقاة من جزء أبي مسعود أحمد بن الفرات، تحقيق، أبو عمان عبد الله بن ضيف الله العمري الشمراني، (ط1، الفجيرة، دار الريان، 1992م).
- 65- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، تحقيق، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، د. ت).
- 66- ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد، البلدان، تحقيق، يوسف الهادي، (ط1، د. م، د. ن، 1996م).
- 67- الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد، القاموس المحيط، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بأشراف، محمدنعيم العرقسوسي، (ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 2005م).
- 68- _____، من هدي الرسول (ﷺ) المسمى سفر السعادة، ضبط وتحقيق، أحمد عبد الرحيم السايح، عمر يوسف حمزة، (ط1، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، 1997م).
- 69- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله، عيون الأخبار، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م).
- 70- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط2، القاهرة، دار الكتب العلمية، 1964م).
- 71- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، (ط1، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2000م).
- 72- القسطلاني، أحمد بن محمد، ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (ط7، القاهرة، المطبعة الاميرية الكبرى، د. ت).
- 73- ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد، زاد المعاد في هدى خير العباد، (ط27، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1990م).

- 74- _____، الطب النبوي، (بيروت، دار الهلال، د. ت).
- 75- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء الكتب العربية، د. ت).
- 76- مالك بن انس، الموطأ، صححه ورقمه وأخرج أحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1985م).
- 77- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م).
- 78- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب الحواشي، اليازجي ومجموعة من اللغويين، (ط1، بيروت، دار صادر، 1993م).
- 79- أبو نعيم الاصفهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (القاهرة، مطبعة السعادة، 1974م).
- 80- _____، الطب النبوي، تحقيق، مصطفى خضر دونمز التركي، (ط1، القاهرة، دار ابن حزم، 2006م).
- 81- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، (ط1، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2002م).
- 82- ابن هبل، مهذب الدين أبو الحسن علي، المختارات في الطب، (ط1، حيدر اباد، دائرة المعارف العثمانية، د. ت).
- 83- الهمداني، أبو شجاع شيديه بن شهردار، الفردوس بمأثور الخطاب تحقيق، السعيد بن بيسوني زغلول، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1986م).
- 84- الهندي، علاء الدين علي بن بسام، كنز العمال، تحقيق، بكري حياني، صنفوة السقا، (ط5، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م).
- 85- الهيتمي، أبو الحسن نور الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق، حسام الدين المقدسي، (القاهرة، مكتبة القدس، 1994م).
- 86- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضراوات والرياحين، تحقيق، محمد سيد الرفاعي، (دمشق، دار الكتاب العربي، د. ت).
- 87- ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان، (ط2، بيروت، دار صادر، 1995م).
- 88- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى، تحقيق، حسين سليم أسد، (ط1، دمشق، دار المأمون للتراث، 1984م).

ثانياً: المراجع الثانوية:

- 1- أرناؤوط، محمد السيد، الأعشاب والنباتات غذاء ودواء، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1998م).
- 2- الباكستاني، زكريا بن علام قادر، ما صح من آثار الصحابة في الفقه، (ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة للنشر، 2000م).
- 3- باموسى، عبد الله بن عمر، الحبة السوداء في الحديث النبوي والطب الحديث، (ط1، المدينة المورة، مجمع الملك فهد للطباعة، 2004م).

- 4- الدمياطي، محمود مصطفى، معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، 1965م)
- 5- عاشور، عبد اللطيف، التداوي بالأعشاب والنبات، (القاهرة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر، 1988م).
- 6- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط2، الاسكندرية، د. ن، 1993م).
- 7- القباني، صبري، الغذاء والدواء، (بيروت، دار العلم للملايين، 1980م).
- 8- مبارك، سيد، خلاصة تذكرة داؤد في التداوي بالأعشاب والنباتات، (القاهرة، المكتبة المحمودية، د. ت).
- 9- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، صححه، محمد باقر حمودي، (ط1، منشورات وزارة الإرشاد الإسلامي، د. ت).

مرجعية الحكم في دولة الأمير عبد القادر (1832م - 1847م) وأثرها في النظام الدستوري الجزائري
Reference of the Authority of Governance in the State of Srince Abdelkadir
(1832 AD - 1847 AD) and its Impact on the Algerian Constitutional System

د. عبد الله بक्रاوي

جامعة أحمد درايعية أدرار الجزائر

مخبر الدراسات الشرعية والتراثية

Dr. Abdellah Bekraoui

Ahmed Draya University, Adrar, Algeria

Legitimacy and heritage studies laboratory

bekraoui2008@univ-adrar.edu.dz

ملخص:

ولد الأمير عبد القادر بقرية القيطنة سنة 1807م، تلقى علومه الأولى على يد والده، ثم انتقل ليواصل دراسته خارج بلدته. تولى الإمارة بعد أن بايعه الشعب عندما اعتذر أبوه بسبب كبر سنه، وكانت صفاته تجمع ما بين العلم والشجاعة والفروسية، وهذا ما أهله لوضع منهج فريد من نوعه لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وأسس دولته وفق نظام سياسي شوري ديمقراطي. وقسم السلطات على ثلاث هيئات، أولها: السلطة التنفيذية، حيث استحدث عاصمة مركزية ومقاطعات محلية، كما أنشأ الوزارات والكتاب، وعهد بولايتهم لأشخاص ذوي كفاءة ونزاهة، وثانيها: السلطة التشريعية، حيث أنشأ كذلك مجلسا استشاريا مركزيا من كبار العلماء والأعيان، ومجالس محلية استشارية تعين الولاة في القيام بشؤونهم المحلية. وثالث السلطات: السلطة القضائية، التي وزع اختصاصاتها على ثلاث جهات: القضاء العادي، القضاء العسكري، وقضاء المظالم. فهذا المنهج المتميز للحكم يمكن اعتباره منطلقا لبناء الدولة الجزائرية الحديثة، لأنه راعى فيه مقومات الشعب الجزائري ومرجعياته الأصيلة، ولم يكن نسخة من أنظمة غربية كما هو عليه الحال في الدساتير الجزائرية المتعاقبة منذ الاستقلال عام 1962م عموما، والدستور الحالي على وجه الخصوص.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر. دولة الأمير عبد القادر. منهج الحكم، سلطات الحكم.

Abstract

Prince Abdelkader was born in the village of Al-Qaytana in the year 1807 AD. He received his first education at his father, then moved to continue his studies outside his hometown. He took over the emirate after the people pledged allegiance to him when his father apologized because of his old age, and his qualities combined knowledge, courage and chivalry, and this qualified him to develop a unique approach to resist the French occupation, and he established his state and established a democratic Shura political system. He divided the authorities into three authorities, the first of which is: the executive authority, where he created a central capital and local provinces, and also established ministries and writers, and entrusted their mandate to persons of competence and integrity, and the second: the legislative authority, where he also established a central advisory council of senior scholars and dignitaries, and local advisory councils appointed governors in carrying out their local affairs. And the third authority: the judiciary, whose competencies were distributed among three sides: the ordinary judiciary, the military judiciary, and the judiciary of grievances. This distinguished approach to governance can be considered as a starting point for building the modern Algerian country, because it took into account the elements of the Algerian people and their original reference, and it was not a copy of Western regimes, as is the case in the successive Algerian constitutions since independence in 1962 AD in general, and the current constitution in particular.

Keywords: Prince Abdelkader. State of Prince Abdelkader . Governance methodology, governing authorities.

مقدمة:

منذ أن احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م، ما فتئ الشعب الجزائري يقاوم الاحتلال، فسجلت عدة مقاومات قادها أبطال وبطلات من أمثال الشيخ بوعمامة ولالة فاطمة نسومر وغيرهم، إلا أن ما ميز مقاومة الأمير عبد القادر هو تأسيسه دولة متكاملة في ظل ظروف داخلية وخارجية عصيبة، فلقد أسس الأمير عبد القادر دولته على قواعد وأسس ومرجعية محددة، وقد حاول توزيع السلطات بين ثلاث هيئات أساسية كما هو متعارف عليه في الدول المتمدنة.

ومنذ الاستقلال ظلت الجزائر تبحث عن نظام ديمقراطي يحقق لها الاستقرار والأمن ويؤدي إلى تطبيق مبادئ ثورة نوفمبر، فكان خلاص النظام الدستوري الجزائري في الاقتباس عن بعض الأنظمة الغربية وخاصة النظام الفرنسي، وقد برر البعض اتباع ذلك من طرف المؤسسين الأوائل للجمهورية الجزائرية بعد الاستقلال تارة بانعدام وجود النموذج المقتدى به، وتارة أخرى بضرورة تقليد الأنظمة الديمقراطية الغربية، متجاهلين أن النظام السياسي والدستوري وكل القوانين ينبغي أن تخرج من رحم الشعب ومقوماته.

- أهمية البحث:

تتأثر أنظمة الحكم في الدول بتاريخ وأعراف وتقاليد المجتمع، وينعكس ذلك على أبعاد نظام الحكم فيها، وفي الجزائر يلاحظ غياب هذا الارتباط بين التاريخ والحاضر، فبالرغم من كون دولة الأمير عبد القادر دولة فتية، إلا أنها تعتبر نموذجا يقتدى به في الدولة الجزائرية الجديدة، وتبقى الحاجة ملحة لإرجاع تلك الحلقة المفقودة بين ماضي الأمة -المبني على المرجعية الإسلامية وثقافة الشعب الجزائري- وحاضرها في مجال النظام القانوني والدستوري.

- الإشكالية:

لقد اتبع الأمير عبد القادر طريقة واضحة المعالم في الحكم، فما منهجه في ذلك؟ وما هي مرجعيته؟ وهل يمكن اعتباره نواة للدولة الجزائرية الحديثة؟

- الأسباب:

- يضطر الباحث في نشأة وتطور الأنظمة القانونية والسياسية في الجزائر إلى الرجوع للأنظمة الغربية وخاصة الفرنسية منها، كونها تمثل في الغالب المرجعية التاريخية للنظام القانوني الجزائري، وهذا حتى يتمكن -الباحث- من فهم أسباب نشأة تلك الأنظمة وتطورها.

- يلجأ الباحثون والمهتمون بالقانون عموماً في الجزائر في العديد من الأحيان إلى النص الأصلي باللغة الفرنسية، من أجل فهم النصوص القانونية، وكشف ما يكتنفها من الغموض؛ لأن النص باللغة العربية ما هو إلا ترجمة عن النص الأصلي بالفرنسية.

- البحث عن نموذج تاريخي يمكن الاعتماد عليه في تطوير الدستور الجزائري، واعتبار دولة الأمير عبد القادر كنموذج يهتدى به، كون أن الأمير شهد له بالعبقريّة والتميز في الحكم.

- الأهداف:

- محاولة جعل الجزائر الحديثة امتداد للدولة الجزائرية التي أنشأها الأمير عبد القادر الجزائري، كونها هذه الأخير كانت نابعة من عمق الشعب الجزائري المكافح.

- إبراز أهمية إرجاع النظام القانوني والسياسي إلى جذوره التاريخية والوطنية وفق المبادئ التي ارتضاها وعاش عليها الشعب الجزائري منذ القدم.

أولاً: لمحة عن الأمير عبد القادر.

ينتهي نسب الأمير عبد القادر إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولقد كان للبيئة التي عاش فيها أثر في بروز شخصيته وتميزها، وانعكس ذلك على الدولة التي أسسها.

01- نسب الأمير عبد القادر ومولده:

يتصل نسب الأمير عبد القادر بالنسب الشريف للرسول صلى الله عليه وسلم، فهو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن مختار بن عبد القادر بن أحمد المختار... إلى أن يصل إلى حسن السبط بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهو ينتمي إلى عائلة شريفة.¹

ولد الأمير عبد القادر في يوم الجمعة 23 رجب عام 1222هـ الموافق لـ 25 سبتمبر 1807م في قرية القيطنة³، وأمه السيدة بنت عبد القادر بن خدة وهي تنحدر من بيت علم وتقوى من أولاد سيدي عمر بن دوحه⁴، تلقى دروسه الأولى في مسقط رأسه تحت إشراف والده، وقد ختم القرآن الكريم قبل بلوغه سن الحادية عشر، وبرع في تلقي العلوم التاريخية والفلسفية والفقهية واللغوية والشرعية، ونال درجة الطالب، وكلف بتحفيظ القرآن للأطفال وإلقاء الدروس في الزاوية. وكان مولعاً بالفروسية والسلاح، وهذا ما جعله عالماً وفارساً في نفس الوقت، جامعاً لل سيف والقلم في آن واحد.⁵

1 - ينظر: علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر، دار المعرفة، بيروت: لبنان، ص 100.

2 - ينظر: الزركلي خير الدين، الأعلام، ج1، ط7، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 1986، ص 46.

3 - القيطنة: من قرى أيلة وهران بالجزائر (الزركلي، المرجع نفسه، ص 45).

4 - ينظر: علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 101.

5 - ينظر: نزار أباطة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر الفكري، دمشق، 1414هـ/1994م، ص 9،

واصل طلبه للعلم خارج موطنه في أرزيو ووهران، فتتلمذ على يد القاضي الشيخ أحمد بن الطار البطيوي والشيخ مصطفى الهاشمي والشيخ بن نفريد، وعاد إلى مسقط رأسه وتزوج ابنة عمه عام 1823م، واستقر في القيطنة معلما.¹

حج مع والده عام 1241هـ، وقام معه بالجهاد ضد الفرنسيين، فأظهر الشجاعة ورباطة الجأش والرأي السديد، وهذا ما أدى إلى محبة الناس له، وقد بايع الناس والده بسبب مكانته وعلمه وصلاحه وشجاعته، وبعد اعتزال والده بسبب سنه، تم اختياره ليكون خلفا له.²

ولقد تأثرت شخصية الأمير بالبيئة التي عاش فيها، حيث انعكس ذلك على تكوينه النفسي والجسماني والفكري والاجتماعي والسياسي. وهذا ما تجلّى في بروز عبقريته وتميز شخصيته، وقد جمع من خلال تسييره للدولة بين السياسة والدين.³

كما خاض حربا ضد المحتل الفرنسي استمرت قرابة خمسة عشر عاما، كان خلالها يتقدم الجيش، وبسبب الأوضاع الداخلية والخارجية، اضطر للاستسلام - كما يرى بعض المؤرخين - سنة 1263هـ/1847، حيث نفاه الفرنسيون إلى طولون ومنها إلى أنبواز، ليطلق سراحه ويزور الإستانة، ثم استقر به المقام في دمشق سنة 1271هـ، وتوفي بها سنة 1300هـ/1883م.⁴ تجدر الإشارة إلى أن البعض يرى بأنه فرنسا لم تف بوعدها للأمير بعد أن أعطته الأمان للخروج من الجزائر إلى حيث يشاء، ولكن الفرنسيين خدعوه ورحلوه إلى فرنسا، كما أنهم عرضوا عليه الإقامة في فرنسا مقابل منحه الأراضي والأموال، ولكن كانت إجابته "إني لا أقبل هذا ولو فرشت لي سهول فرنسا ومسالكها بالديباج"⁵

02- تأسيس دولة الأمير عبد القادر.

لقد اختار الشعب الأمير لتولي المسؤولية، ولم يتقدم بنفسه لها، وكانت مبايعته على توليه الإمارة وفق مبادئ السياسة الشرعية، كما أنّ اختيار الموظفين كان يتم وفق معايير الكفاءة والنزاهة والشجاعة.

أ- مبايعة الأمير عبد القادر.

نظرا للمكانة التي كانت لوالد الأمير عبد القادر، بسبب دوره في مقاومة المحتل وقيادة القبائل للجهاد، رأى بعض الناس ضرورة مبايعته⁶، لكنه اعتذر عن ذلك؛ بسبب كبر سنه، واقترح عليهم ابنه عبد

1 - ينظر: علي بن محمد الصلابي، المرجع نفسه، ص 102.

2 - ينظر: نزار أباطة، المرجع السابق، ص 10.

3 - ينظر: علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 102.

4 - ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ص 46.

5 - قوراري سليمان، "شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات، مجلة الحقيقة، العدد 31، ص 55.

6 - ينظر: محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر عبد القادر الجزائري، ج1، المطبعة التجارية- غرزوي وجاويش، الإسكندرية، 1903، ص 96 وما بعدها.

القادر لما يمتلكه من مؤهلات، واتفق مع الأهالي على موعد انعقاد البيعة بتاريخ الإثنين صباحاً يوم 03 رجب 1248هـ/1832م، وتم التوقيع على المبايعة في 13 فبراير 1833م.¹

فتنصيب الأمير كان بإجماع شعبي بشكل مشروع، يشبه بيعة العقبة الأولى والثانية² في التاريخ الإسلامي في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، مخالفاً بذلك ما جرى عليه العمل إبان الحكم التركي فيما يتعلق بتعيين الدايات، فالأمير لم يفرض نفسه بالقوة على المجتمع، وإنما كان كان الاختيار حراً وبإلحاح من شيوخ القبائل. ومن خلال ما سبق يمكن القول أن تنصيب الأمير كان اللبنة الأولى لبداية دولة جزائرية جديدة ديمقراطية مستمدة شرعيتها من الإسلام، وليس كما يدعيه البعض أن الدولة الجزائرية الحديثة كانت بدايتها من 1962م.³

ب- منهج الأمير عبد القادر في الحكم ومرجعياته.

لقد أفصح الأمير عبد القادر عن برنامجه في تسيير الحكم من خلال خطبته ورسائله للقبائل، حيث خاطب زعماء القبائل والأعيان ومثلي العشائر والعلماء بقوله: "إنني لست أفضلكم خلقاً وشجاعة وحكمة، ولم يخطر لي هذا المنصب يوماً ولكنني أجبرت عليه كما تعلمون فهو مسؤولية أمام الله وأمامكم، أرجو منه تعالى التوفيق والعون لتطهير البلاد من الغزاة ورفع راية الإسلام عالية في سماء بلادنا، فالإسلام هو الذي وحد قبائلنا بعد شتات وجعلها قوة لا تقهر، تدفعنا ميادين المجد والشرف وجعلنا إخوة يحب أحداً لأخيه ما يحب لنفسه ولا فرق بين عربي وأعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى وأمرنا بالعدل والمساواة وإذا عدنا إلى التاريخ نجد كل من دخل هذه البلاد غازياً من رومان وفاندال وإسبان هزمتهم قوة بأس وشجاعة الأجداد، وكان هدف غزوهم لبلادنا إخضاع شعوبنا وإذلالها ونهب خيراتها لزيادة رفاهية شعوبهم والذين حالف النصر أعلامهم من الفاتحين حملوا إلى هذه البلاد حضارة إلهية، وشيدوا صروحاً من القيم باقية إلى الأبد لا ينضب معينها ودخلوا هذه البلاد لتكون دعوة الإسلام حرة فيها، قال تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (الأنبياء، آية: 107). ومدينة راقية لا تزال آثارها تشهد عليها في مدننا في فاس، وقرطبة، وغرناطة، وإشبيلية، وفي وهران، وقسنطينة، إخواني في الإسلام، أيها زعماء القبائل والعلماء أيها المجاهدون من أبناء هذا الوطن العظيم سنكون أقوياء سندافع عن الراية والرسالة التي حملها لنا طارق بن زياد وموسى بن نصير وسيظل ارتباطنا وثيقاً بدولة الخلافة العثمانية ارتباطاً روحياً بنظامها الإسلامي، ولن نكون جاحدين لأعمال الأخيار من الولاة في خدمة الإسلام ومحاربتهم لقوى الشر في بلادنا ولن نخرج دولتنا عن طاعة الخليفة، ولن نكون عوناً لأعدائها عليها، وكما قال والذي: هذا

1 - ينظر: علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 108-110.

2 - ينظر: محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، المرجع نفسه، ص 101.

3 - ينظر: عبد القادر دوحه، "التأسيس الدستوري لدولة الأمير عبد القادر"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد رقم: 09، ديسمبر 2014، ص 307، 308.

المنصب الذي اخترتموني له لن يكون متوارثا وأرفض لقب سلطان أو ملك " حسبني الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" (التوبة، آية: 129). والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".¹

وتعتبر هذه المبادئ التي رسخها الأمير عبد القادر بمثابة " الأساس الأخلاقي للدولة الجزائرية ومرجعا لمشروعيتها وقديسيته".² ومما ينقل عن تشرشل أن الأمير قال: " لن آخذ بقانون غير القرآن ولن يكون مرشدي غير تعاليم القرآن، والقرآن وحده. فلو أن أخي الشقيق قد أحل دمه بمخالفة القرآن لمات".³

فمرجعية الأمير كانت القرآن والسنة، وهذا المثال الذي ضربه بأخيه يذكرنا بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ((لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.))⁴. فكانة الحياة اليومية للناس تسير وفق أحكام الشريعة الإسلامية في العبادات والمعاملات والعادات.⁵

ولم يحظ الأمير بالمكانة والاعتبار من الجزائريين فقط بل حتى عند الآخرين من غير الجزائريين.⁶ ولهذا فإن الأمير عبد القادر يعتبر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة.⁷

وكان يتم اختيار الموظفين من أبناء الشعب الجزائري وزعماء القبائل والأعيان والعلماء وأصحاب الكفاءة والقدرة والملكات الإدارية والقيادية، وحسب رأي فوزي أوصديق " لقد أخذ الأمير عبد القادر بعد تأسيسه للدولة وفق النظام الشوري الديمقراطي، بفكرة التعاون المتبادل بين كل سلطة من السلطات الثلاث مع تفوق السلطة التنفيذية على باقي السلطات الأخرى..."⁸

ثانيا: سلطات الحكم في دولة الأمير على ضوء الدستور الجزائري الحالي.

لقد أسس الأمير ثلاث سلطات على غرار ما هو موجود في الدول المعاصرة، واتبع في طريقة الاختيار والتسيير الكفاءة والشورى، وتمثلت هذه السلطات في: السلطة التنفيذية، التشريعية والقضائية.

01- السلطة التنفيذية:

- 1 - ينظر: علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 111، 112.
- 2 - دوحة عبد القادر، "طبيعة النظام السياسي للدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد العاشر، العدد: 2، جوان 2019، ص 65.
- 3 - شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية 2004، ص 195. نقلا عن: عبد القادر دوحة، المرجع السابق، ص 281.
- 4 - البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم.
- 5 - Mohammad Teisir Bin Shah Goolfee, " Abdelkader El-Djezairi and His Reforms in ALgeria", Insight Islamius, Vol.19,2019, p 78.
- 6 - ينظر: عبد القادر شرشار، " شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر. ترجمة كتاب عبد القادر لقوستاف دوقا أنموذجا"، مجلة إنسانيات، عددان 19-20، جوان 2013، ص 19 وما بعدها.
- 7- FRIMECHE Malika, "Al Amir Abdelkader: Man of State and Science", ALGERIAN JOURNAL OF HUMAN AND SOCIAL SCIENCES, AJHSS-N1-2017,p 5.
- 8 - دوحة عبد القادر، المرجع السابق، ص 275.

يعتبر الأمير أعلى مرتبة في السلطة التنفيذية، ثم يأتي بعده الوزراء، والولاة في مختلف الأقاليم المحلية، ومن خلال طريقة تعيين الأمير عبد القادر في منصب قيادة الإمارة، وما يتضح كذلك من خطبه، يتبين "...أن الأمير عبد القادر لم ينل هذا المنصب (الأمير) أي رئاسة الدولة الجزائرية عن طريق الوراثة أو التزكية أو القوة، ولكن تقلد المنصب على أساس شوري ديمقراطي لتوفره على العديد من الشروط...إن السلطة التي كان يتمتع بها الأمير، لم تكن مبنية على نفس المعايير التي تحكم تعيين الدايات تحت الحكم التركي، بل كانت نتيجة انتخاب حر من القبائل التي لم يفرض أبدا نفسه عليها بالقوة، بل لقد أصر على أن يكتب على بيان التعيين أنه لم يقبل إلا أمام قادة القبائل الحاضرين..."¹.

وكان اختيار الوزراء والقادة يتم وفق معايير وضوابط أساسها الكفاءة والحزم والقوة، حيث يقول ابنه: "...ولما كانت غاية قصد الأمير، ربط البلاد بالإدارة الشرعية، فلم يستخدم في جميع أعماله، إلا من اشتهر بمعرفة الأحكام، وعرف بالعفاف والإقدام، وأبعد غالب العمال أرباب التقدم والنفوذ في أيام الحكومة الجزائرية (يقصد حكومة الأتراك) واستخدم في إدارة الأمور من كان ذا حزم وقوة وشكيمة من ذوي البيوت المشهورة بالعلم والفضل وحسن السياسة وكان يحلفهم على صحيح البخاري، بأن لا يعدلوا عن الحق، وأن يكونوا صادقين في الخدمة مع الأمير والرعية."²

فتعيين الأمير عبد القادر كان بناء على رغبة الرعية، ولم يعرض نفسه أو يقترح عليهم توليته منصب الإمارة، ومنهجه كان واضحا في اختيار الوزراء والأعوان والقادة، حيث كان يستند على الكفاءة العلمية والقوة والإقدام، إضافة إلى القسم على صحيح البخاري بأن يتبعوا الحق ولا يحدوا عنه. لقد قسم الأمير دولته على غرار الديمقراطيات المعاصرة إلى سلطة مركزية في العاصمة، وهيئات لا مركزية في الولايات.

أ- التنظيم الإداري المركزي:

لقد قسم الأمير إدارته المركزية إلى ست وزارة أساسية وهي:³

- وزارة الداخلية:

تولى وزارة الداخلية محمد بن العربي، وساعده كاتبان، وكان ينوب عن الأمير في الكثير من المهام.

- وزارة الخارجية:

تولى وزارة الخارجية ميلود بن عراش.

1 - دوحة عبد القادر، المرجع نفسه، ص 275.

2 - دوحة عبد القادر، المرجع نفسه، ص 276، 277.

3 - ينظر، عبد الهادي حسين، المرجع السابق، ص 168؛ - ينظر أيضا: محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، المرجع نفسه، ص 103، 104.

- وزارة الحربية:

كان على رأسها محمد بن الجليلي، وكانت مهام هذه الوزارة ضرب النقود التي كانت تسمى "المحمدية"، وأنشأ معامل للأسلحة والذخيرة وملابس الجند.¹

- وزارة المالية العامة:

تولى قيادتها بن أبي عبد الله الجليلي بن فريجة.

- وزارة المالية الخاصة:

ولي عليها محمد بن فاخة، وكانت من بين مهامه الوساطة بين الأمير والموظفين والمواطنين والأجانب.

- وزارة الأوقاف:

كان على رأسها الطاهر بوزيد.

- وزارة العشور والزكاة:

تولاها الجليلي العلوي بن الهادية، وكانت الزكاة تجبى مرتين في العام، مرة في الربيع لجمع الزكاة، ومرة ثانية في الصيف لجمع العشور.

إضافة إلى كتابة الديوان الأميري، الذي يقابله حاليا الأمين العام للحكومة، وكتابة الديوان الخاص، الذي يقابله حاليا الأمين العام للرئاسة.²

ويمثل السلطة التنفيذية في الدستور الجزائري الحالي³ رئيس الجمهورية وكذلك الحكومة، حيث نصت الفقرة الأولى من المادة: 84 ((يجسد رئيس الجمهورية، رئيس الدولة، وحدة الأمة، ويسهر في كل الظروف على وحدة التراب الوطني والسيادة الوطنية.)) ونصت المادة: 85 ((ينتخب رئيس الجمهورية عن طريق الاقتراع العام المباشر والسري.

يتم الفوز في الانتخاب بالحصول على الأغلبية المطلقة من أصوات الناخبين المعبر عنها...)) وبالنسبة للجهاز الثاني من السلطة التنفيذية فتمثله الحكومة حسب نص المادة: 103 ((يقود الحكومة وزير أول في حال أسفرت الانتخابات التشريعية عن أغلبية رئاسية.

يقود الحكومة رئيس حكومة، في حال أسفرت الانتخابات التشريعية عن أغلبية برلمانية. تتكون الحكومة من الوزير الأول أو رئيس الحكومة، حسب الحالة، ومن الوزراء الذين يشكلونها.))

1 - ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ص 46.

2 - ينظر: دوحة عبد القادر، المرجع السابق، ص 278.

3 - دستور 2020 (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد: 82، مؤرخة في: 15 جمادى الأولى 1442هـ الموافق ل 30 ديسمبر 2020).

ونصت المادة: 104 ((يعين رئيس الجمهورية أعضاء الحكومة بناء على اقتراح من الوزير الأول أو رئيس الحكومة، حسب الحالة.))

ويعين الوزير الأول من الأغلبية الرئاسية حسب ما أشارت إليه المادة: 105 ((إذا أسفرت الانتخابات التشريعية عن أغلبية رئاسية، يعين رئيس الجمهورية وزيرا أول ويكلفه باقتراح تشكيل الحكومة وإعداد مخطط عمل لتطبيق البرنامج الرئاسي الذي يعرضه على مجلس الوزراء.)) وفي حالة وجود أغلبية برلمانية فإن المادة: 110 نصت : ((إذا أسفرت الانتخابات التشريعية عن أغلبية برلمانية غير الأغلبية الرئاسية، يعين رئيس الجمهورية رئيس الحكومة من الأغلبية البرلمانية، ويكلفه بتشكيل حكومته وإعداد برنامج الأغلبية البرلمانية.))

يتضح مما سبق أن النظام الدستوري حاليا في الجزائر مستمد من النظام الغربي، ولا يمت بأي صلة للمنهج المتبع في دولة الأمير عبد القادر.

ويمكن أن نستلهم من دولة الأمير عبد القادر - على سبيل المثال - استحداث بعض الوزارات المهمة لحل بعض المشاكل والصعوبات التي لا زالت لم تلق حولا ناجعة إلى اليوم، وهذه الوزارات الضروري استحداثها اليوم هي وزارة الأوقاف، ووزارة الزكاة. كما يمكن الفصل بين المال وزارتي المال العام والخاص كما فعل الأمير.

ب- التنظيم الإداري المحلي:

لقد اتبع الأمير نظام اللامركزية الإدارية في مجال التنظيم الإداري ، حيث قسم المناطق على المستوى المحلي إلى ثماني مقاطعات:¹

- **مقاطعة تلمسان:** كان مقرها في تلمسان، وترأسها محمد البوحميدي الولهاسي.
- **مقاطعة معسكر:** كانت عاصمتها معسكر، وكان على رأسها محمد بن أبي فريحة المهاجي، ثم تولاها بعد موته صهر الأمير عبد القادر مصطفى بن أحمد التهامي.
- **مقاطعة مليانة:** كان مقرها في مدينة مليانة، تولى رئاستها محي الدين بن علال القليعي، ثم تولاها من بعده محمد بن علال بن مبارك.
- **مقاطعة التيطري:** كانت عاصمتها مدينة المدية، وكان واليا عليها مصطفى بن محي الدين أخ الأمير، ثم ولي من بعده بعد عزله عليها محمد بن عيسى البركاني.
- **مقاطعة مجانة:** كانت عاصمتها مدينة سطيف، وولي عليها محمد طوبال بن عبد السلام المقراني، ثم تلاه محمد الخروبي القليعي، ثم محمد بن عمر العيساوي.

1 - ينظر: عبد الهادي حسين، " الإدارة في دولة الأمير عبد القادر، الإستراتيجية والإنجازات (1832-1847) "، مجلة القرطاس، العدد السابع، جانفي 2018، ص 165.

- **مقاطعة الزيبان والصحراء الشرقية:** كان مقرها مدينة بسكرة، وولي عليها فرحات بن سعيد ثم الحسن بن عزوز ثم محمد الصغير بن عبد الرحمن بن أحمد بن الحاج.
 - **مقاطعة برج حمزة:** كانت عاصمتها برج حمزة بالبويرة، كان واليا عليها أحمد بن سالم الدبيسي.
 - **مقاطعة الصحراء الغربية:** كانت عاصمتها مدينة الأغواط، وولي عليها قدور بن عبد الباقي.
- وهذه المقاطعات تم تقسيمها إلى دوائر، يتأسس كل واحد منها رئيس، يسمى الآغا، وكل دائرة تضم قبائل تنفرع إلى بطون وعشائر، ويحكم كل قبيلة قايد، ويحكم كل عشيرة شيخ.¹
- وصل عدد الولايات في الجزائر إلى خمسين (50) ولاية بعد التعديل الأخير. وكل ولاية لها شخصية معنوية مستقلة، يترأسها والي معين من طرف رئيس الجمهورية، كما يساعد والي مجلسا محليا منتخبا، وكل ولاية مقسمة إلى دوائر - كنوع من عدم التركيز الإداري - وهي لا تمثل شخصية معنوية مستقلة كالولاية والبلدية، وكل دائرة مقسمة إلى بلديات.

02- السلطة التشريعية.

لقد أنشأ الأمير مجلسين استشاريين، أحدهما على المستوى المركزي، والآخر على المستوى المحلي.²

أ- المجلس الاستشاري المركزي:

كانت السلطة التشريعية في دولة الأمير عبد القادر تتمثل في مجلس الشورى الأعلى المتكون من إحدى عشر عضوا من كبار العلماء والأعيان، وكان مستوحى من الشريعة الإسلامية. وكان ينعقد والأمير في وسطه، وكان يتولى النظر في الطعون المرفوعة ضد القضاة، وفي حالة القضايا المعقدة كان المجلس يستشير علماء القرويين وفاس والأزهر.³

وكان المجلس يصدر قراراته في القضايا العادية، خلافا للقضايا الهامة، حيث كان التصويت على أساس الإجماع، وكان المجلس يُشرع في عدة مجالات مثل إقرار الضرائب، مقاومة الاستعمار، المصادقة على المعاهدات، والنظر في القضايا المتعلقة بالسلم والحرب والهدنة كمعاهدة التافنة المتعلقة بالهدنة، وقرار الحرب على المستعمر بعد أن خرق ذات الهدنة.⁴

والشروط المقررة لعضوية هذا المجلس هو أن يكون الشخص عالما - وليس كل شخص - كما هو معمول به في الديمقراطيات المعاصرة في العالم بصفة عامة وفي الجزائر خاصة على عدم اشتراط

1 - ينظر، عبد الهادي حسين، المرجع السابق، ص 166.

2 - ينظر: دوحة عبد القادر، المرجع السابق، ص 279.

3 - ينظر، عبد الهادي حسين، المرجع نفسه، ص 166، 167.

4 - ينظر: دوحة عبد القادر، المرجع نفسه، ص 279.

الكفاءة كمؤهل للتمثيل النيابي على المستوى الوطني، على الرغم من أهمية ذلك، وهذا ما جعل دور السلطة التشريعية يضعف، تاركة المجال لتغلب السلطة التنفيذية.

ب- المجالس الاستشارية المحلية:

أنشأ الأمير على المستوى المحلي مجالس شورى محلية على مستوى المقاطعات.¹ كانت مهمتها النظر في " قضايا الدواوير والنوازل والأحداث المهمة التي تحدث بين أفراد الشعب أو حياة الأمة أو تتعلق بمصالح الأمة، وكان القاضي يتأصّل هذه اللجان التي كان أعضاؤها منتخبين وكان الانتخاب يتم من خلال اجتماع الأعيان الذين كانوا يختارون كل مرشح بالإجماع وكان المنتخب من تواضعه لا يقدم بنفسه ترشحه، وإنما كانت القبيلة هي التي تقترحه على اللجنة، وكانت قرارات اللجان تؤخذ بالاقتراع وكانت تدون في الدفاتر المتضمنة لمحاضر الجلسات بخطوط أيديهم، لكن تلك الأوامر لا تكون نافذة إلاّ بمعية المجلس العالي الأميري أو المجلس الاستشاري.²

يمثل السلطة التشريعية في الجزائر في الوقت الحالي غرفتين، المجلس الشعبي الوطني، المنتخب من قبل الشعب، ومجلس الأمة المنتخب ثلثاه (3/2) من قبل أعضاء المجالس المحلية - الولائية والبلدية - والثلث (3/1) معين من قبل رئيس الجمهورية، حيث نصت المادة: 114 من الدستور الجزائري على أن: ((يمارس السلطة التشريعية برلمان يتكون من غرفتين، وهما المجلس الشعبي الوطني ومجلس الأمة. كل غرفة من غرفتي البرلمان لها السيادة في إعداد القانون والتصويت عليه.)) كما بينت المادة: 121 منه على كيفية انتخاب الغرفتين بقولها: ((ينتخب أعضاء المجلس الشعبي الوطني عن طريق الاقتراع العام المباشر والسري.

ينتخب ثلثا (3/2) أعضاء مجلس الأمة عن طريق الاقتراع غير المباشر والسري، بمقعدين عن كل ولاية، من بين أعضاء المجالس الشعبية البلدية وأعضاء المجالس الشعبية الولائية. يعين رئيس الجمهورية الثلث (3/1) الآخر من أعضاء مجلس الأمة من بين الشخصيات والكفاءات الوطنية في المجالات العلمية والمهنية والاقتصادية والاجتماعية.)) وبخصوص العهدة الانتخابية فقد أشارت المادة: 122 منه على أنه: ((ينتخب المجلس الشعبي الوطني لعهدة مدتها خمس (5) سنوات.

تحدد عهدة مجلس الأمة بمدة ست (6) سنوات.

تجدد تشكيلة مجلس الأمة بالنصف كل ثلاث (3) سنوات.

لا يمكن تمديد عهدة البرلمان إلا في ظروف خطيرة جدا لا تسمح بإجراءات انتخابات عادية.

1 - ينظر، عبد الهادي حسين، المرجع السابق، ص 166، 167.

2 - ينظر: دوحة عبد القادر، المرجع السابق، ص 280.

ويثبت البرلمان المنعقد بغرفتيه المجتمعيتين معا هذه الحالة بقرار، بناء على اقتراح رئيس الجمهورية واستشارة المحكمة الدستورية.

لا يمكن لأحد ممارسة أكثر من عهدين برلمانيين منفصلتين أو متتاليتين.))

الفرق واسع بين السلطة التشريعية في دولة الأمير، ومثيلتها في الدستور الحالي، حيث يختلفان من حيث الشروط المتطلبة للترشح، ويختلفان كذلك من حيث عدد الغرف أو المجالس، ففي دولة الأمير عبد القادر توجد غرفة واحدة أو مجلسا واحدا، بينما في الدستور الحالي نجدها - السلطة التشريعية - تتكون من الغرفة السفلى وهي المجلس الشعبي الوطني، والغرفة العليا المتمثلة في مجلس الأمة، الذي تسميه بعض الدول الغربية "مجلس الشيوخ".

03- السلطة القضائية.

لقد كان التنظيم القضائي في عهد الأمير عبد القادر ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القضاء المدني، والقضاء العسكري إضافة إلى قضاء المظالم، وفي التنظيم القضائي الجزائري الحالي، نجد الجزائر قد تبنت الازدواجية القضائية؛ حيث تم الفصل بين القضاء العادي والقضاء الإداري إضافة إلى القضاء العسكري، ونجد أنّ الجزائر تبنت مؤخر القضاء التجاري، الذي يتولى الفصل في المنازعات التجارية.

أ - القضاء المدني:

وهي الجهة القضائية التي تنتظر في المنازعات التي تكون بين الرعية، دون أن تكون لأحد الطرفين صفة العسكرية أو المسؤولية. وكان القضاة يفصلون في القضايا على مذهب الإمام مالك.¹

ب- القضاء العسكري:

يختص هذا القسم من القضاء في القضايا التي يكون أحد طرفيها على الأقل عسكريا. وعين على رأسه ابن مصطفى المشرفي في معسكر، وكان في كل كتية يعين قاض يساعده مسؤولان في إصدار الأحكام وتنفيذها.²

ج- قضاء المظالم:

المراد بقضاء المظالم هو: "قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهبة"³، وعرفها ابن خلدون بأنها: "وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة، ونصف القضاء وتحتاج إلى علو يد، وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين، وتزجر المعتدي وكأنه يمضي ما عجز القضاة أو غيرهم عن

1 - ينظر، عبد الهادي حسين، المرجع السابق، ص 169.

2 - ينظر، عبد الهادي حسين، المرجع السابق، ص 169.

3 - الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: سمير مصطفى رباب، لبنان: المكتبة العصرية، 1422هـ/2001م، ص 94؛ أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، الأحكام السلطانية، تصحيح: محمود حسن، لبنان: دار الفكر، 1414هـ/1994م، ص 84.

إمضائه"¹، فقضاء المظالم يختص في القضايا التي يكون أحد طرفيها الأمير أو الوالي أي شخص من ذوي الهيئات أو النفوذ، بحيث يصعب على القاضي المدني إخضاعهم بنفسه، ولهذا نجد أنّ الأمير كان يتولى هذا القضاء بنفسه أو يعين من بين القضاة من هو أكثر خبرة وقوة على ردع المتظالمين. وكان الأمير عبد القادر يجلس بنفسه للنظر فيها، كما كان يرسل مناديا للأسواق يقول فيها: "أن من له شكوى على خليفة، أو قائد، أو شيخ، فليعرضه إلى الديوان الأميري من غير واسطة، فإن الأمير ينصفه من ظالمه، وإن ظلم أحد، ولم يرفع ظلامته إلى الأمير، فلا يلومن إلا نفسه."²

وينقسم القضاء حالياً إلى قضاء عادي يتولى النظر في المنازعات العادية، وقضاء إداري مقتبس من النظام القضائي الفرنسي، يتولى النظر في المنازعات الإدارية، حيث تنص الفقرة الأولى والثانية من المادة: 179 من الدستور الحالي على أنه: ((تمثل المحكمة العليا الهيئة المقومة لأعمال المجالس القضائية والمحاكم.

يمثل مجلس الدولة الهيئة المقومة لأعمال المحاكم الإدارية للاستئناف والمحاكم الإدارية والجهات الأخرى الفاصلة في المواد الإدارية.)).

ويُشَبَّه بعض الفقهاء قضاء المظالم بالقضاء الإداري في وقتنا الحالي، حيث يقول وهبة الزحيلي: "ولاية المظالم تشبه إلى حد كبير نظام القضاء الإداري ومجلس الدولة حديثاً، فهي أصلاً للنظر في أعمال الولاية والحكام، ورجال الدولة مما قد يعجز عنه القضاء العادي، وقد ينظر واليها في المنازعات التي عجز القضاء عن فصلها."³

تجدر الإشارة إلى أن التعديل الأخير لقانون الإجراءات المدنية والإدارية نص على إنشاء محكمة تجارية تتولى النظر في المنازعات التجارية، وهذا تماشياً مع الدول التي تخصص للمنازعات التجارية قضاءً مستقلاً.⁴

1 - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، بيروت: دار الجيل، ص 245.

2 - أحمد مطاطة، نظام الإدارة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر، الجزائر: وزارة العدل، 1971، ص 20، نقلاً عن: عمار عوابدي، نظرية العامة للمنازعات الإدارية في النظام القضائي الجزائري، ج1، (د.ط)، الجزائر: د.م. ج. المرجع السابق، ص 159.

3 - وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج8، ط8، دمشق: دار الفكر، 1425هـ/2005م، ص 52.

4 - قانون رقم: 22-13 مؤرخ في 13 ذي الحجة عام 1443هـ الموافق 12 يوليو سنة 2022، يعدل ويتم القانون رقم:

08-09 المؤرخ في 18 صفر عام 1429 الموافق 25 فبراير سنة 2028، والمتضمن قانون الإجراءات المدنية

والإدارية. (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد: 48، مؤرخة في: 18 ذي الحجة عام 1443هـ، 17 يوليو سنة

(2022 م)

الخاتمة:

- من خلال ما سبق تم التوصل إلى النتائج التالية:
- بالرغم من ظروف الحرب وعدم الاستقرار إلا أنّ الأمير عبد القادر استطاع أن يؤسس دولة عصرية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية.
 - لقد كان الشعب في دولة الأمير هو مصدر السلطات، وكانت الرقابة فعّالة، وهذا من خلال الاختيار النزيه للممثلين سواء في المجلس الاستشاري المركزي، أو المجالس الاستشارية المحلية.
 - أنشأ الأمير سلطة قضائية تقوم على مبدأ الازدواجية؛ حيث خصص قضاء المظالم للنظر في النزاعات التي يكون طرفا فيها أصحاب السلطة والنفوذ.
 - المبادئ التي قامت عليها دولة الأمير عبد القادر هي القيم والأخلاق النابعة من مرجعية المجتمع الجزائري المستمدة من الدين الإسلامي وخصوصية المجتمع الجزائري.
 - المعايير المتبع في اختيار المسؤولين والموظفين بدءا من الأمير إلى آخر موظف هي الكفاءة والإقدام والشجاعة.
 - ينبغي على الجزائريين الرجوع إلى تاريخهم والاستفادة منه بشكل صحيح، بدلا من الاقتباس من الأنظمة الغربية التي نشأت وتطورت في ظل ثقافة وخصوصية مجتمعية بعيدة كل البعد عن ما شهده وألفه الشعب الجزائري على امتداد تاريخه.
 - يبدو جليا من خلال الوزارات التي أنشأها الأمير مدى أهمية الجانب المالي للدولة، حيث خصص لكل من المالية العامة والمالية الخاصة وزارة خاصة قائمة بذاتها.
 - لقد أعطى الأمير أهمية كبيرة للجانب الاجتماعي، وهذا يظهر من خلال تخصيصه وزارة للعشور والزكاة، وأخرى خاصة بالأوقاف.
 - مرجعية الأمير عبد القادر في نظام الحكم تقوم على مبادئ الشريعة الإسلامية، في حين نجد أنّه تم اقتباس النظام السياسي المعاصر للدولة الجزائرية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا من النظام الغربي.

المصادر والمراجع:

- البخاري، صحيح البخاري.
- دوحة عبد القادر، "طباعة النظام السياسي للدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد العاشر، العدد: 2، جوان 2019.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، بيروت: دار الجيل.
- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج1، ط7، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 1986.
- محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر عبد القادر الجزائري، ج1، المطبعة التجارية- غرزوي وجاويش، الإسكندرية، 1903.
- نزار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر الفكر، دمشق، 1414هـ/1994م.
- علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر، دار المعرفة، بيروت: لبنان.
- قوراري سليمان، "شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات، مجلة الحقيقة، العدد 31.
- عبد القادر دوحه، "التأسيس الدستوري لدولة الأمير عبد القادر"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد رقم: 09، ديسمبر 2014.
- عبد القادر شرشار، "شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر. ترجمة كتاب عبد القادر لقوستاف دوقا أنموذجا"، مجلة إنسانيات، عددان 19-20، جوان 2013.
- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية 2004، ص 195. نقلا عن : عبد القادر دوحه، المرجع السابق.
- عبد الهادي حسين، "الإدارة في دولة الأمير عبد القادر، الإستراتيجية والإنجازات (1832-1847)"، مجلة القرطاس، العدد السابع، جانفي 2018.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: سمير مصطفى رباب، لبنان: المكتبة العصرية، 1422هـ/2001م.
- أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، الأحكام السلطانية، تصحيح: محمود حسن، لبنان: دار الفكر، 1414هـ/1994م.
- عمار عابدي، نظرية العامة للمنازعات الإدارية في النظام القضائي الجزائري، ج1، (د.ط)، الجزائر: د.م. ج .
- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج8، ط8، دمشق: دار الفكر، 1425هـ/2005م، ص 52.
- دستور 2020 (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد: 82، مؤرخة في: 15 جمادى الأولى 1442هـ الموافق ل 30 ديسمبر 2020).
- قانون رقم: 22-13 مؤرخ في 13 ذي الحجة عام 1443هـ الموافق 12 يوليو سنة 2022، يعدل ويتم القانون رقم: 08-09 المؤرخ في 18 صفر عام 1429 الموافق 25 فبراير سنة 2028، والمتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية. (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد: 48، مؤرخة في: 18 ذي الحجة عام 1443هـ، 17 يوليو سنة 2022م)

- Mohammad Teisir Bin Shah Goolfee, "Abdelkader El-Djezairi and His Reforms in ALgeria", Insight Islamius, Vol.19, 2019.

- FRIMECHE Malika, "Al Amir Abdelkhader: Man of State and Science", ALGERIAN JOURNAL OF HUMAN AND SOCIAL SCIENCES, AJHSS-N1-2017.

الجرائم العلمية في الحجاز (923-1218هـ/1517-1803م)

دراسة تاريخية

Scientific crimes in Hijaz (923-1218 AH/1517-1803 AD) Historical Study

الأستاذ الدكتور أحمد حامد إبراهيم القضاة

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بقسم التاريخ، كلية الآداب – جامعة عجلون الوطنية

Prof. Dr. Ahmad Hamed Ibraheem ALQudah

Professor of Modern and Contemporary History- Department of History-College
of Literature – Ajloun National University -Jordan

ahaq1974@yahoo.com

دكتورة نوير مبارك ناصر العميري، محاضر غير متفرغ سابقاً – بجامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل
المملكة العربية السعودية

Prepared by: Dr. Nweyer Mubarak Nasser AlOmairi

Former Part-Time lecturer - Imam Abdulrahman Bin Faisal University /
Kingdom of Saudi Arabia.

n.mobarrekk@gmail.com

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الجرائم العلمية في الحجاز خلال الفترة 923-1218هـ / 1517-1803م، وهي تمثل فترة العصر العثماني الأول، وقد خلصت الدراسة إلى تعدد دوافع الجرائم العلمية التي تمثلت بإهمال بعض النظار وسوء إدارتهم، سواء في المكتبات الوقفية في الأربطة، أو المكتبات الملحقة في المدارس؛ مما أدى إلى تعرض بعض الكتب والمكتبات الموقوفة على الحرمين الشريفين إلى الضياع والسرقا، كما تسببت بعض الخلافات والأحقاد الشخصية في ارتكاب بعض الجرائم العلمية كجرائم التعدي على الكتب والمكتبات الوقفية والشخصية، إلى جانب الجرائم المتعلقة بالمدارس سواء بإهمالها أو بالتلاعب بإيراداتها، على الرغم من أن السلطات العثمانية كانت تتدخل في منع استغلال المدارس خاصة في موسم الحج، من خلال ما تصدره من أوامر، غير أن ذلك لم يمنع وقوع بعض التجاوزات المخالفة لتلك الأوامر. مما تسبب في ضياع كثير من المؤلفات العلمية النفسية واندثارها.

الكلمات الدالة:

الحجاز، العصر العثماني، الجرائم العلمية، العلماء، الكتب، المكتبات.

Abstract

This study aims to shed light on scientific crimes in Hijaz during the period 923-1218 AH/1517-1803, which represents the first Ottoman Era. The study revealed that there were several motives behind committing these scientific crimes, such as the negligence and the bad administration in the public libraries, or in the school's libraries. This led to the loss and theft of some books and libraries especially in Mecca. In addition, some disagreements and personal hatred have caused certain scientific crimes such as infringement of books and libraries, as well as offences related to schools, whether by neglect or manipulation of their revenues. Despite the fact that the Ottoman authorities took actions to prevent the exploitation of schools especially during the pilgrimage season, through issuing laws, this has not prevented some irregularities from occurring. This caused the loss of many psychological and scientific works.

Keywords:

Hijaz, Ottoman era, scientific crimes, scientists, books, libraries.

مقدمة:

شهد الحجاز خلال فترة الدراسة أحداثاً كثيرة على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية؛ إذ مرَّ خلال تلك الفترة بعددٍ من التحوّلات السياسيّة، بدايةً منذ إعلان أمير مكة الشريف بركات (903هـ/1497م- 931هـ/1525م) الولاء والتبعية للسلطان العثماني سليم الأول (918هـ/1512م- 926هـ/1519م)، وبناءً على ذلك، أصبح الحجاز ولاية عثمانية تتمتع بامتيازاتٍ دون غيرها من الولايات العثمانية الأخرى، فأُعفي سكانه من الضرائب الشخصية والعقارية، ومن التجنيد والخدمة العسكرية، بالإضافة إلى ما يتلقاه الحجاز كلّ عامٍ من واردات الأوقاف التي تُرصد سنوياً من ميزانية مصر⁽¹⁾. وشهدت الحركة العلمية في الحجاز خلال فترة الدراسة انتعاشاً؛ بسبب ما أولاه أمراء مكة من الأشراف من عناية واهتمام بالعلماء؛ فكانوا يُقرّبونهم إلى مجالسهم، ويُعزّزونهم بالجوائز، ومن هؤلاء الشريف حسن بن أبي نُمَيّ (1003هـ/1594م- 1010هـ/1601م)، ففي عهده نشطت حركة التأليف والتدوين، فعمرت خزائن الكتب لتشجيعه العلماء وبذله الجوائز لهم، حتّى قيل: أنّه كان يُجزئ على المؤلف الواحد بألف دينار أو أكثر⁽²⁾، كما أولت الدولة العثمانية اهتماماً بالمكاتب العامة، وأوقفوا عليها الأوقاف⁽³⁾. وكان للحرمين الشريفين دورٌ كبيرٌ في النهضة العلمية في الحجاز؛ إذ كانت تُعقد فيهما الكثير من حلقات العلماء العلمية، ففي المسجد الحرام كانت تُعقد الحلقات العلمية عند المقامات الأربعة، وعند الكعبة ومقام إبراهيم، وفي صحن المسجد، وعند الأبواب الرئيسية للمسجد الحرام، أما المسجد النبويّ فقد كانت الحلقات تُعقد عند أبواب المسجد والروضة المطهرة، وداخل الأروقة، وعند الحجرة النبوية وعند المنبر⁽⁴⁾. وُجد في الحجاز عددٌ من المدارس التي أسهمت بدورٍ كبيرٍ في ازدهار الحركة العلمية ورَواجها؛ ففي مكة المكرمة أشار أوليا جلبي خلال رحلته إلى الحجاز في سنة 1081هـ/1670م إلى وجود مئة وست وسبعين

(1) الصواف، فائق، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين 1293-1334هـ/1876-1916م، (القاهرة، سجل العرب) 1398هـ/1978م، ص46؛ الشناوي، عبدالعزيز بن محمد، الدولة العثمانية دولة مُفَتّرى عليها، (القاهرة، مكتبة الأنجلو) ١٩٨٠م، ج ١، ص66؛ ششة، نوال سراج محمد، الحجاز تحت حُكم محمد علي 1226-1256هـ/1811-1840م، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1409هـ/1989م، ص40.

(2) العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، سِمْطُ التُّجُومِ العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية) الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، مج4، ص365.

(3) آل بوخف، هند محمد سعود، الحياة العلمية في الحجاز خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد، كلية العلوم الإنسانية، 1439هـ/2018م، ص11.

(4) بيومي، محمد علي فهم، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني 923-1220هـ/1517-1805م، (القاهرة، دار القاهرة)، الطبعة الأولى، 2006م، ص254.

مدرسة تُحيط بالمسجد الحرام من جميع جهاته الأربع⁽¹⁾، كما اهتم السلاطين والوزراء بإنشاء عددٍ من المدارس في الحجاز، ومن هذه المدارس المدرسة الداودية التي أنشأها داود باشا (945هـ/ 1538م)،⁽²⁾ والي مصر سنة 952هـ/ 1545م في الجانب الغربي من المسجد الحرام، وكان يُنفق على تشغيلها من أوقاف مصر ومكة⁽³⁾، ومنها المدارس السليمانية الأربع التي أمر ببنائها السلطان سليمان القانوني (926هـ/ 1520م- 974هـ/ 1566م) لتدريس الفقه على مذهب الفقهية الأربع⁽⁴⁾. أما في المدينة المنورة فقد أشار أوليا جلبي إلى وجود ست دور للقراء، وسبع دور للحديث، وعشرين مدرسة للصبيان⁽⁵⁾، وتعد المدرسة الرستمية من أوائل المدارس التي أنشأها العثمانيون في المدينة المنورة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وكانت تتكوّن من قسمين: قسم للدراسة، وآخر للإقامة⁽⁶⁾.

إلى جانب المدارس، فقد ساعد وجود الكتب والمكتبات العامة والخاصة في ازدهار الحركة العلمية في الحجاز؛ منها: المكتبات الملحقة بالمسجد الحرام والمسجد النبوي التي كانت تضم عددًا من الكتب التي تُعار بوساطة ناظر المكتبة، وهي حصيلة ما أوقفه الحكام والعلماء والأثرياء على طلبة العلم⁽⁷⁾، ومنها المكتبات الملحقة بالمدارس والأربطة والزوايا⁽⁸⁾، كما أسس بعض العلماء مكتبات خاصة بهم، وفتحوا بيوتهم ومكتباتهم لخدمة طلبة العلم، وسَمَحوا بنظام الإعارة مقابل تأمين مالي يُودعه المستعير لصاحب المكتبة إلى حين إعادة الكتاب⁽⁹⁾.

(1) جلبي، أوليا، الرحلة الحجازية، ترجمها عن التركية وقدم لها: الصفصافي أحمد المرسى، (القاهرة، دار الآفاق العربية)، د.ت. ص 264.

(2) داود باشا: داود باشا: تولى حكم مصر في سنة 945هـ/ 1538م، كان حاكماً مهذباً، له العديد من الأعمال الجليلة، منها: الجامع في سويقة. الشلبي، أحمد شلبي عبد الغني الحنفي، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر والقاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، (القاهرة، دار الكتاب الجامعي)، الطبعة الثانية، 1994م، ص 58.

(3) كشميري، ابتسام محمد، مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري 923هـ- 1000هـ/ 1517-1591م دراسة سياسية حضارية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1421هـ/ 2001م، ص 273.

(4) النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد المكي، تاريخ مكة المسمى بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام من تواريخ مكة المشرفة، (القاهرة، المكتبة الأزهرية) 1435هـ/ 2014م، ص 279.

(5) جلبي، الرحلة الحجازية، ص 135-136.

(6) الكباشي، أنعم محمد، المدينة المنورة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وفقاً للوثائق العثمانية، (المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة)، 1436هـ، ص 132.

(7) الحربي، تهاني جميل، الحياة العلمية في المدينة المنورة 1143هـ- 1337هـ/ 1730-1919م، (المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات أبحاث المدينة المنورة)، 1438هـ/ 2018م، مج 1، ص 248-347.

(8) كشميري، مكة من بداية الحكم العثماني، ص 191.

(9) بدر، عبدالباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، المدينة المنورة، المؤلف نفسه، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1991م، ج 3، ص 105.

وعلى الرغم من حرص القائمين على المكتبات على الحفاظ عليها، فقد أسهمت عوامل عدة في ضياع كثير من الكتب وسرقتها، كما تعرّض بعض العلماء لمحن عدة في مؤلفاتهم ومكتباتهم الشخصية التي تعرّض بعضها للسرقات أو الإهمال بعد وفاة أصحابها؛ مما تسبّب في ضياع كثير من نتاجهم العلمي، كذلك لم تسلم بعض المدارس الموقوفة في الحجاز من الاستغلال والتعدي عليها.

لذا تأتي هذه الدراسة للبحث في الجرائم العلمية في الحجاز 923-1218هـ / 1517-1803م، وذلك بتتبع دوافع الجرائم العلمية والجرائم التي وقعت في الحجاز خلال فترة الدراسة، ورصد الإجراءات التي اتخذتها الدولة العثمانية للحد من تلك الجرائم، والآثار التي ترتبت عليها، اعتماداً على الوثائق العثمانية غير المنشورة والمحفوظة في الأرشيف العثماني في إسطنبول، والوثائق المنشورة في كتاب البلاد العربية في الوثائق العثمانية، الذي ضمّ كثيراً من الفرمانات والأوامر السلطانية المتعلقة بأحوال الحرمين الشريفين، بالإضافة إلى المصادر المعاصرة لفترة الدراسة التي حوت معلومات قيمة أثرت الدراسة في كثير من الجوانب.

دوافع الجرائم العلمية في الحجاز:

تعددت دوافع الجرائم العلمية في الحجاز خلال الحقبة الزمنية الواقعة 923-1218هـ / 1517-1803م ومنها:

إهمال بعض النظار وسوء إدارتهم، سواء في المكتبات الوقفية في الأربطة، أو المكتبات الملحقة في المدارس الأمر الذي تسبّب في ضياع كثير من الكتب، ممّا جعلها عرضةً للخراب⁽¹⁾، لم يقتصر الأمر على النظار فحسب فقد تسبّب بعض الأهالي في ضياع كثير من الكتب العلمية بعد وفاة أصحابها؛ لعدم إدراك أبنائهم قيمة هذه المكتبات.

وكان تعدّد المذاهب الدينية في الحجاز دافعا للجرائم العلمية؛ إذ كان المذهب الشافعي هو الأكثر تأثيراً في أهالي مكة، وكان أكثر أهلها شافعيين⁽²⁾، في حين جاء المذهب الحنفي في الدرجة الثانية من الأهمية، خاصة أنه يُعدّ المذهب الرسمي للدولة العثمانية فكثُر أتباعه، وكان أكثر الموظفين الرسميين من الأحناف⁽³⁾، إضافةً إلى المذهبي المالكي والحنبلي، وهم أقل من أتباع المذهبيين السابقين⁽¹⁾، وكان هناك

(1) الصديقي، سحر عبد الرحمن، أثر الوقف في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ص98.

(2) الطبري، علي بن عبدالقادر، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق: أشرف أحمد الجمال، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م، ص190.

(3) الحزيمي، حمد بن عبدالله، المقامات في المسجد الحرام ودورها في الحياة العامة خلال الفترة (923-1343هـ/1517-1924م)، دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1437هـ/2016م، ص166.

وجوداً للمذهب الشيعي في الحجاز، خاصة في المدينة المنورة، وقد ترتب على الاختلاف المذهبي وقوع عددٍ من المشاكل بين العلماء وبين أصحاب المذاهب الأخرى السنية⁽²⁾، ومن ذلك ما تعرّض له الشيخ محمد بن عراق⁽³⁾، من شتم عندما أراد أن يُصلي على جنازة في المسجد الحرام، فأمر بأن يُنادى بالصلاة على الجنازة قبل صلاة الحنفي، وبادر بالدعاء للشافعية قبلهم، فتضايق أحد شيوخ الأتراك؛ فأخذ يسب الشيخ ابن عراق وتطاوّل عليه، وذكره بقبائح....، وقد تأثر الشيخ ابن عراق بسبب ذلك حتّى خرج إلى وادي منى للعزلة والعبادة، وذلك في سنة 926هـ/1520م⁽⁴⁾. وممن لحق به الأذى كذلك بسبب التعصّب المذهبي الشيخ مُلاً علي القاري (ت 1014هـ/1606م)⁽⁵⁾، فقد عُرف بميله إلى المذهب الحنفي وتقديم آرائه ورجاله، وبمُهاجمته لبعض من يتعصّبون لمذاهبهم وخاصة أصحاب المذهب الشافعي، وقد طأله

- (1) سنوك، هورخورنييه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، (مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة)، الطبعة الثانية، 1432هـ، مج 2، ص 536.
- (2) الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج 2، ص 118؛ سنوك، صفحات من تاريخ مكة، مج 1، ص 251.
- (3) محمد بن عراق: هو الشيخ محمد بن علي بن عبدالرحمن بن أحمد بن صالح بن يوسف بن عراق الموسويّ الدمشقيّ، ولد في دمشق في سنة 878هـ/1473م تلقى تعليمه على كبار العلماء في الشام، ثم توجه إلى بيروت فأقام فيها، ثم انتقل إلى الحرمين وجاور في المدينة المنورة، كان على درجة كبيرة من العلم والتدين والإصلاح، وخلال إقامته في مكة المكرمة قام بالعديد من الإصلاحات من ذلك قيامه بمشروع عين حنين لسقاية الحجاج، وكان له أدوار مشرفة في التوجيه والأمر بالمعروف وإزالة بعض المنكرات التي شاعت في المجتمع المكي آنذاك، تُوفي في مكة في سنة 933هـ/1527م متأثراً بمرض القولنج. ابن فهد، نيل المنى، ج 1، ص 127، 249، 287، 388؛ العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص 257؛ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، وضع حواشيه: خليل المنصور، (بيروت، دار الكتب العلمية) الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م، مج 1، الهيلة، محمد الحبيب، التاريخ والمؤرخون في مكة، مج 1، ص 236-237.
- (4) ابن فهد، نيل المنى، ج 1، ص 224.
- (5) الملا علي بن سلطان محمد الهرويّ القاريّ المكيّ، وُلد في هرة في خراسان في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ثم انتقل إلى مكة وقضى فيها بقية حياته، فقرأ على علمائها أمثال ابن حجر الهيتمي وقطب الدين النهروالي وغيرهم من العلماء، كان متعففاً زاهداً فيما عند الناس، وقد عُرف بجمال خطه، فكان يكتب في كل عام مصحفاً فيبيعه فيكفيه قوته لمدة عام، وهو يعتبر من كبار المصنفين، ترك العديد من المؤلفات في مختلف العلوم الشرعية والتاريخية واللغوية، تُوفي في سنة 1014هـ/1606م. المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مج 3، ص 177-178؛ مرداد، عبدالله، المختصر من كتاب نشر النور والزهرة في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب وتحقيق: محمد سعيد العامودي وأحمد علي، (جدة، عالم المعرفة)، الطبعة الثانية، 1406هـ/1986م، ص 365-366؛ الهيلة، محمد الحبيب، التاريخ والمؤرخون في مكة المكرمة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع عشر، (مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة)، 1438هـ، مج 1، ص 343-372.

الأذى منهم بسبب ذلك، حتى وصل الحال بهم إلى اتهامه كذباً بسبب الإمام الشافعي، من ذلك ما اتهم به المحبي (ت 1111هـ/1699م)⁽¹⁾ من أنه يعترض على الأئمة لا سيما الشافعي ومالك في بعض المسائل كإرسال اليمين في الصلاة عند مالك، مما حدا ببعض العلماء بالتحذير من مطالعة كتبه⁽²⁾، وممن انتهج هذا الأسلوب العصامي (ت 1037هـ/1628م)⁽³⁾ الذي قال عن مؤلفاته: "ولهذا تجد مؤلفاته ليس عليها نور العلم، ومن ثم نهى عن مطالعتها كثير من العلماء والأولياء"⁽⁴⁾.

وتمثل الغيرة والحسد أحد الدوافع النفسية للجرائم العلمية، ولهذا فقد تعرض بعض العلماء لسخط بعض المخالفين لهم في الآراء والأفكار، من ذلك ما تعرض له المؤرخ محمد بن عبد العزيز المكي

(1) محمد بن فضل بن محب الله المحبي الحموي الأصل، الدمشقي المولد، ولد في دمشق في سنة (1061هـ/1651م) ونشأ في ظل أسرة معروفة بالعلم والأدب، قرأ على مشايخ عصره كالشيخ العلامة إبراهيم الفثال، والشيخ رمضان العطيبي، والشيخ عبدالغني النابلسي، كما أخذ من علماء الحرمين الشريفين كالشيخ حسن العجيمي والشيخ أحمد النخلي، وإبراهيم الخياري المدني، ترك العديد من المؤلفات المفيدة منها الذيل على ربحانة الشيخ الخفاجي ورشحة طلاء الحانة، والتاريخ لأهل القرن الحادي عشر سماه "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" رحل إلى الروم والحجاز، وناب في قضاء مكة المكرمة، وفي قضاء مصر، وولي التدريس دمشق وبقي عليها حتى وفاته سنة (1111هـ/1699م). المرادي، محمد خليل: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تحقيق: أكرم حسن العلي، (بيروت، دار صادر) الطبعة الثالثة، 2012م، ج4، 102-108.

(2) المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مج3، ص178؛ الهيلة، الحبيب، التاريخ والمؤرخون في مكة، ج1، ص344.

(3) عبدالملك بن جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين الإسفرائيني، الشهير بالملاء عصام، ولد في مكة سنة 978هـ/1570م وفيها نشأ، تلقى تعليمه فأخذ عن والده وعمه الشيخ علي بن صدر الدين، والشيخ عبدالرؤوف المكي، والشيخ أحمد بن قاسم العبادي، والعلامة أحمد بن عواد المصري، وغيرهم، تولى الإمامة والإفتاء، واشتغل بالتأليف والتصنيف، وقد ترك جملة من المؤلفات النافعة بلغت الستين مؤلفاً في مختلف العلوم منها: شرح الشذور لابن هشام، وشرح الإرشاد في النحو، وشرح القطر، وله حاشية على شرح القطر، وحاشية على شرح القواعد، وشرح الخزرجية، وله كتاب في تاريخ حوادث مكة، توفي في المدينة المنورة في سنة 1037هـ/1628م، ودُفن في بقية الغرق. المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مج3، ص84-86؛ ميرداد، المختصر من نشر النور والزهر، ص325-326؛ العصامي: سبط النجوم العوالي، مج4، ص428-429؛ غازي: نظم الدرر، ص187.

(4) العصامي، سبط النجوم العوالي، مج4، ص402.

(ت954هـ/1547م)⁽¹⁾؛ من أدى من معاصريه بسبب أحد مؤلفاته حتى وصل بهم الحال إلى محو كتابه بالماء⁽²⁾، ولأجل الغزارة العلمية التي تمتع بها الشيخ ابن حَجَر الهيثمي (ت974هـ/1566م)⁽³⁾ فلم يكن غريباً أن يتعرض هو الآخر للأذى من سرقة حُصَّاده لكتبه⁽⁴⁾، ودفع الحسد إلى اتهام المؤرخ محمد بن كبريت الحسيني (ت1070هـ/1660م)⁽⁵⁾، الذي تبوأ من رئاسة العلم محلاً ومنزلاً بتهمة الإلحاد، وقد يكون ذلك الاتهام نتيجة قراءته لكتب الفلسفة التي لم تلقَ رواجاً في الحجاز⁽⁶⁾.

ولما كانت رحلة الحج إلى الأراضي المقدسة شاقة، بسبب ما يتعرض له الحجاج من مصاعب ومخاطر، من اعتداءات العربان عليهم؛ سواء في طريق ذهابهم إلى مكة أو في طريق عودتهم، إضافة إلى ما شهدهته مكة من فتن وقلاقل في موسم الحج، فقد تضرر فيها كثير من الحجاج، ومن بينهم العلماء الذين

(1) جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد المكي: مؤرخ مكة، عاش في أواخر العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني، ولد في مكة المكرمة سنة 891هـ/1486م، تلقى تعليمه على يد والده، قام بالعديد من الرحلات العلمية التقى خلالها بالعديد من العلماء، ترك العديد من المؤلفات في تاريخ مكة وجدة والطائف وغيرها من مدن وقرى الحجاز، منها "الإسعاف في حماية كتب الأوقاف"، و"تاريخ مدينة جدة وأحوالها"، و"الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان"، و"نشر اللطائف في قطر الطائف" وغيرها من المؤلفات، تُوفي في مكة سنة 954هـ/1547م. ميرداد، المختصر من نشر النور، 1986م، 152-153؛ الهيلة، التاريخ والمؤرخون، 1438هـ، ج1، 251-275.

(2) المكي، محمد بن عبد العزيز بن عمر الهاشمي، النكت الظراف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف، تقديم وتحقيق: لمياء أحمد شافعي، (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق) الطبعة الثانية، 1438هـ/2017م، ص16-24.

(3) شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي الأزهرى، ولد في مصر سنة 909هـ/1503م، ثم جاور مكة واستقر فيها، وصنف فيها الكتب العديدة منها "الإمداد" و"الصواعق المحرقة" و"شرح العباب" و"شرح الهمزية" وغيرها من المؤلفات، تُوفي في مكة المكرمة سنة 973هـ/1567م. الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري، (دمشق، دار الفكر)، الطبعة الأولى، 1998م، ص124.

(4) شافعي، ابن حجر وجهوده في التاريخ المكي، ص98، 121.

(5) محمد بن عبد الله بن محمد الحسيني الموسوي الشهير بكبريت: ولد في سنة 1012هـ/1603م ونشأ في المدينة المنورة وحفظ القرآن الكريم واشتغل بالعلوم النقلية والعقلية، وتلمذ على يد شيوخ عصر وعلمائه، وكان له العديد من الرحلات منها رحلاته إلى القاهرة ودمشق وإستانبول، من أشهر مؤلفاته "الجواهر الثمينة" ورحلة الشتاء والصيف "ونصر من الله وفتح قريب"، وغيرها من المؤلفات، وقد اتهمه معاصروه بالإلحاد لمخالفته أساليبهم في البحث تُوفي سنة 1070هـ/1660م. المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مج4، ص28-32؛ ابن معصوم، علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، (طهران، المكتبة المرتضوية)، ج2، ص256؛ الهيلة، محمد الحبيب، التاريخ والمؤرخون بالمدينة من العصر الأموي إلى القرن الرابع عشر الهجري، (المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات تاريخ المدينة المنورة) 1436هـ، ص153-157.

(6) المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مج4، ص29؛ الراددي، عائض بن بنية، الشعر الجازي في القرن الحادي عشر الهجري، (الرياض، مطابع الشريف)، الطبعة الثانية، 1413هـ/1992م، ج1، ص192-193.

حرصوا على تدوين رحلاتهم ومؤلفاتهم العلمية، وقد أثر ذلك فيهم من خلال ضياع بعضها وسرقتها⁽¹⁾.

الجرائم العلمية في الحجاز:

التعدي على الكتب والمكتبات الموقوفة:

حظي الحَرَمين الشريفين بكثير من الإهداءات، إذ دأب سلاطين الدولة العثمانية على إرسال كثير من المصاحف والكتب إلى المكتبات، وجعلوها وفقاً لطلبة العلم الوافدين إليها من شتى أقطار العالم الإسلامي⁽²⁾، غير أن ذلك لم يمنع وقوع بعض التجاوزات على هذه الكتب؛ إمّا بسرقتها أو التصرف فيها، وبعد تتبُّع المصادر المعاصرة لفترة الدراسة فقد تحدّثت عن بعض الحالات التي تُثبت تجاوز بعض المسؤولين ففي المدينة المنورة تعرّضت بعض المصاحف والكتب الموقوفة للتلف داخل المسجد النبوي، بسبب سوء حفظها وإهمال النظار في تدوين أسمائها في السجل؛ ممّا جعلها عرضةً للضياع والسرقات، وقد اهتمت السلطة العثمانية بذلك؛ ففي سنة 980هـ/1573م صدر أمرٌ سلطانيّ من السلطان سليم الثاني (974هـ/1567م-982هـ/1574م)، بأن يقوم قاضي المدينة وشيخ الحرم بالطلب من خزنة الكتب بحفظ المصاحف والكتب، وتسجيلها في الدفاتر، للحيلولة دون تعرّضها للضياع والتلف⁽³⁾.

كما تسبّب إهمال بعض النظار في ضياع كثير من الكتب، المحفوظة في المكتبات الوقفية في الأربطة، أو المكتبات الملحقة في المدارس⁽⁴⁾، وتعرضت بعض المكتبات الموقوفة داخل الأربطة للتلاعب، كما حدث في مكتبة رباط قره باش⁽⁵⁾، التي باع سگان الرباط بعض محتوياتها⁽⁶⁾، وتعرّضت

(1) الفاسي، أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي، الرحلة الحجازية، تحقيق: نور الدين شوبد، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات) الطبعة الأولى، 2014م، ص301.

(2) محبت، نهلة بنت شحات عمر، الحياة الاجتماعية في ولاية الحجاز زمن الحكم العثماني في الفترة ما بين 923-1157هـ/1744-1517م، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات بالمدينة المنورة، 1423هـ/2002م، ص483.

(3) مهمة دفترتي 231 ص74-75 حكم 180 بخصوص الإبلاغ بعدم العناية بالصحف والكتب الموقوفة في المدينة المنورة، نقلاً عن بيات، فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع، ص280.

(4) الصديقي، سحر عبد الرحمن، أثر الوقف في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص98.

(5) رباط قره باش: يقع الرباط في حارة ذروان في الجهة الجنوبية في نهاية زقاق غير نافذ، وقد أوقفه عبد الرحمن القاضي بمكة المكرمة المعروف بقرة باش في سنة 1031هـ/1622م يتألف من ثلاثة طوابق بما فيها الدور الأرضي تتوسطه

باحة الدار، وبه حوالي ثمانين عشرة غرفة، وقد احتوى الرباط على مكتبة أوقفها بعض الأشخاص عليه، وقد أزيل هذا

الرباط وملحقاته في توسعة الملك فهد للمسجد النبوي. الصديقي، أثر الوقف، ص 105، 109.

(6) الحربي، الحياة العلمية في المدينة المنورة، ص291.

بعض الكتب الموقوفة للسرقات والضياع في رباط الجبرت⁽¹⁾؛ إذ تناقص عدد الكتب الموقوفة بالرباط بسبب إهمال وتساهل النظار⁽²⁾.

ولم تسلم المكتبات الملحقة بالمدارس الوقفية هي الأخرى من السرقات، مثلما حدث لمكتبة مدرسة السلطان قايتباي⁽³⁾، التي أرسل إليها خزانة كتب أوقفها على طلبة العلم، إلا أن أيدي المستعيرين استولت على هذه الكتب؛ مما تسبب في ضياع بعض كتبها، وكان النهروالي مشرفاً على المكتبة عام 980هـ/1527م، ولم يبق منها سوى ثلاثمئة مجلد⁽⁴⁾، وفي سنة 1106هـ/1695م قام الشريف سعيد بن سعد (1099هـ/1688م / 1129هـ/1717م) بحاسبة حسين بن حبيب السندي بسبب تفریطه في كتب وقف قايتباي التي تحت يده بضياع سبعين كتاباً، فتم محاسبته وحبسه، وأمره بدفع ثمن ما فُقد من الكتب وقدره ستمئة قرش⁽⁵⁾.

(1) رباط الجبرت: لا يعرف تاريخ إنشاء هذا الرباط، ويعتقد أنه منحة من الدولة العثمانية للمهاجرين الأحباش الذين قدموا للمدينة المنورة، وكان يتألف من رباطين قسم خصص للرجال والآخر للنساء، وكان موقعهما في شارع الملك عبد العزيز الحالي وقد أزيلا، وقد أهدى لهذا الرباط مجموعة من الكتب لوقفها في المكتبة. (الصديقي، أثر الوقف، ص 120-122).

(2) الحربي، الحياة العلمية، ص 293.

(3) مدرسة قايتباي: أنشأها السلطان الأشرف قايتباي، وكانت البداية في إنشائها سنة 882هـ/1477م، وانتهى البناء منها في سنة 884هـ/1479م، وكانت عبارة عن مدرسة ورباط وميضأة وسبيل ومكتب للأيتام، وكانت تقع فيما بين باب السلام وباب منى، ويحدها من الناحية الشرقية المسعى. الحارثي، عدنان محمد فائز، عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي دراسة مقارنة، (مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث) جامعة أم القرى، 1418هـ/1997م، ج1، ص 227-270.

(4) النهروالي، الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص 243؛ الزهراني، عائض محمد عائض، التاريخ السياسي والحضاري لمكة المكرمة من خلال كتاب نيل المنى بذيول بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري لمؤلفه جار الله محمد بن فهد دراسة نقدية مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1419هـ/1999م. عائض، التاريخ السياسي والحضاري لمكة، ص 565.

(5) السنجاري، منائح الكرم، ج5، ص 206-207.

سرقة المكتبات الخاصة وضياعها:

تعرّض بعض أصحاب المكتبات الخاصة لنكباتٍ في مكتباتهم، من هؤلاء الذين تعرّضوا لذلك المؤرّخ قطب الدين النهرواليّ (ت 990هـ/1582م)⁽¹⁾ الذي جمع مكتبةً ضخمةً، فكان يشتري ما يجده من نفائس الكتب حتّى اجتمع عنده ما لم يجتمع لغيره⁽²⁾، فقد تعرّض لنكبتين في كتبه إحداها احتراقها سنة 959هـ/1552م، والثانية سرقتها سنة 975هـ/1568م، فقد أعانه ثراؤه الواسع على امتلاك كتبٍ من مختلف العلوم، حتّى شملت مكتبته ألف وخمسمئة مجلد من نفائس الكتب التي امتلكها وورثها عن أبيه، ومما ساعده على ذلك ما حظي به من مكانة لدى الدولة العثمانية؛ ممّا جعلهم يُعَدِّقون عليه من المال الذي مكّنه من شراء العديد من الكتب، وقد ضاعت هذه المكتبة الثرية، وتلفت أكثر كتبه مع سائر ما في داره بسبب حريق شبّ فيها سنة 959هـ/1552م وهو غائب عن مكة المكرمة، ثم عاد إلى إحياء مكتبته واقتناء نفائس الكتب، وترك مكتبةً مهمةً عامرةً بالكتب، ورثها عنه ابن أخيه عبد الكريم القطبي⁽³⁾. ثم تعرّض لنكبة ثانية عام 975هـ/1568م حين نُهبَت دار أخيه وسُرقت كتبه⁽⁴⁾.

(1) قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان: ولد في لاهور سنة 917هـ/1511م، رحل إلى مكة المكرمة ونال مكانة لدى أشرف مكة حتّى تولى رئاسة الكتّاب في إدارتهم، كما تولى منصب الإفتاء والتدريس في المدرسة السلিমانيّة، والإشراف على مكتبتي الأشرف قايتباي اللتين أنشأهما في مكة، وكان له مكانة لدى الدولة العثمانية، فلا يحج أحد من الأتراك إلا وهو الذي يطوف به، تُوفّي في مكة المكرمة سنة 990هـ/1582م الشلي، السنا الباهر، ص 570-576؛ مرداد، المختصر من نشر النور والزهر، ص 395-397؛ غازي، عبدالله بن محمد: نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل أهل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، دراسة وتحقيق وفهرسة: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، (مكة المكرمة، المكتبة الأسدية) الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م، ص 112؛ الهيلة، التاريخ والمؤرّخون في مكة المكرمة، ج 1، ص 309-321.

(2) الشوكاني، البدر الطالع، ص 576.

(3) عبد الكريم بن محب الدين بي أبي عيسى علاء الدين، الشهير بالقطبي: ولد في الهند في أحمد آباد سنة 961هـ/1554م، وقدم إلى مكة صغيراً فلزم عمه القطب النهروالي، وبعد وفاة عمه آلت إليه جميع أمواله وكتبه، تولى التدريس في المدرسة الحنفية والمدرسة المرادية، كما تولى الإفتاء والخطابة في المسجد الحرام، تُوفّي في سنة 1014هـ/1605م ودفن في المعلاة. المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج 3، ص 8-9؛ غازي، نظم الدرر، ص 180-182؛ الهيلة، التاريخ والمؤرّخون في مكة المكرمة، ج 1، ص 340.

(4) النهروالي، النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد، البرق اليماني في الفتح العثماني، (الرياض، منشورات دار اليمامة) الطبعة الأولى، 1387هـ/1967م، ص 28-30، 34.

وفي مكة المكرمة تعرّضت كُتُب الشيخ عبدالرحمن المرشدي⁽¹⁾، للنهب عندما كان مسجوناً⁽²⁾ قبل أميرها الشريف أحمد بن عبدالمطلب (1037هـ/1628م - 1039هـ/1629م)، وذلك سنة 1037هـ/1628م⁽³⁾، وقد تعرّض بيت المفتي تاج الدين إلياس⁽⁴⁾ في سنة 1194هـ/1780م للنهب عندما أذن الشريف سرور بن مساعد (1186هـ/1772م - 1202هـ/1788م)، لعساكره بمهاجمة القلعة، فتعرضت كُتُب المفتي للنهب، حتى قال ابن عبدالشكور: "وجدوا فيه من معتبرات الكتب ما يضيع فيه القياس"⁽⁵⁾. كما رصدت المصادر المعاصرة لهذه الدراسة عدداً من النصوص التاريخية التي أرشدتنا لبعض

(1) عبدالرحمن المرشدي: هو الشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد المرشدي، مفتي الحرم، وعالم الحجاز، وُلد في مكة سنة 975هـ/1568م وتلقى العلم صغيراً، فأخذ عن كثير من علماء مكة المكرمة والواردين إليها، وحفظ القرآن الكريم وكثيراً من المتون، ولي التدريس في مدرسة الوزير محمد باشا سنة 999هـ/1519م، وكان يدرس فيها صحيح البخاري وله عليه شرح، كما درس في المسجد الحرام في سنة 1005هـ/1597م، وتولى إفتاء الحنفية بمكة وعمره لم يتجاوز الثلاثين عاماً، وتولى إمامة المسجد الحرام وخطابته والإفتاء السلطاني سنة 1020هـ/1611م، قبض عليه الشريف أحمد بن عبدالمطلب في أواخر شهر رمضان من عام 1037هـ/1627م ونهب داره واستمر مسجوناً إلى يوم النحر، قتل خنقاً شهيداً في ليلة الجمعة الحادي عشر من ذي الحجة من العام المذكور. المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص358-359، غازي، نظم الدرر، ص173؛ مرداد، المختصر من نشر النور والزهر، ص250-255.

(2) يُضاف إلى جريمة نهب كتبه جريمة أخرى أشد منها وهو قتله، وقد رَوَت المصادر التاريخية أنَّ الشريف أحمد بن عبدالمطلب عندما تولى الإمارة كان في نفسه ضغْنٌ عليه، فأمر بنهب داره وكتبه، وسجنه مع أخيه وقتله، وقد تعددت الروايات في شأن انقلاب الشريف ضده، قيل: بسبب تعريض الشيخ المرشدي بالشريف أحمد حين أراد أن يتزوَّج بامرأة فرفض الأشراف والعامّة هذا الزواج، فسخر منه مما دفعه إلى قتله، وقيل: إنه جاء إلى الشريف بعد موت أخيه لابساً أبيض، وقد جرت العادة لبس السواد في العزاء، وقيل: بسبب وقوع الشريف أحمد على فتوى للشيخ المرشدي، يُحرّض فيها الشريف محسن على قتاله، ووصفهم بأنهم بُغاة ظالمون فلما قرأها عَرَفَ خطئه. الشلي، محمد بن أبي بكر، عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان المزيني وراشد القحطاني، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية)، الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م، ج1، ص502؛ العصامي، سمط النجوم العوالي، مج4، ص427-428.

(3) الشلي، عقد الجواهر والدرر، ج2، ص495

(4) تاج الدين بن جلال الدين إلياس زاده، ولد في عام 1144هـ/1731م، تلقى العلم على يد جماعة من العلماء منهم: شيخ بن إسماعيل الأريكي، وإسماعيل النقشبندي، وإبراهيم السندي، وعطا المصري، عمل إماماً وخطيباً ومدرساً في المسجد النبوي، وتولى إفتاء الحنفية مرتين في المدينة المنورة. مجهول، تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر، تحقيق: محمد التونجي، (جدة، دار الشروق) الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م، ص32؛ ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة، مج1، ص351؛ بدر، الشامل في تاريخ المدينة، ج2، ص403، 408، 410، 415.

(5) ابن عبدالشكور، تاريخ أشراف مكة، مج1، ص350-351.

الكتب المفقودة فقد ذكر المؤرخ السنجاري في كتابه منائح الكرام أن الإمام عبد القادر الطبري⁽¹⁾ ألف رسالة في السلطان العثماني عثمان بن أحمد (1013هـ/1604م / 1031هـ/1622م) حينما أراد الحج سَمَّاها "الأساطين في حج السلاطين"⁽²⁾. وتعدُّ هذه الرسالة شاهداً على ما تعرّضت له المؤلفات من ضياع، والتي تمّ التوصل إليها من خلال أخبارها المثبتة من بين ثنايا المصادر، وانتهى مصيرها إلى المجهول، دون أن تصرّح المصادر بسبب فقدانها.

تعرّضت بعض المكتبات الشخصية للضياع بعد وفاة أصحابها؛ لعدم إدراك أبنائهم قيمة هذه المكتبات وإهمالها؛ ممّا أثر سلباً في ضياع كثير من الكتب العلمية، ومن ذلك مكتبة الشيخ ابن علّان المكيّ (ت 1057هـ/1647م)⁽³⁾ الذي كان محبّاً لجمع الكتب، حيث ساعده نسخ الكتب وكثرة ما يهدى إليه منها في جمع مكتبة كبيرة⁽⁴⁾، ولمّا مات تفرّقت كتبه في كثير من البلدان حتى وصل أكثرها لليمن⁽⁵⁾، ومن ذلك أيضاً مكتبة الشيخ إبراهيم الزمزمي (ت 1195هـ/1780م)⁽⁶⁾ في مكة، كانت لديه مكتبة زاخرة

(1) الإمام عبد القادر الطبري: هو الشيخ عبد القادر بن محمد بن يحيى بن مكرم المكي الحسني، تعتبر أسرة الطبري من أعرق الأسر التي اشتهرت بالعلم، تقلد أفرادها العديد من الوظائف المرتبطة بالمسجد الحرام؛ منها منصب الخطابة الذي كان ينتقل بين ثلاثة بيوت: الطبريين والظهريين والنويريين، وكان صاحب الترجمة قد تقلد إمامة المقام الشافعي، كما تولى الافتاء والخطابة في المسجد الحرام، ولد في مكة المكرمة سنة 976هـ/1569م، تُوفي في سنة 1033هـ/1624م ودفن في المعلاة. المحبي، خلاصة الأثر، مج2، 443-447؛ الشلي، عقد الجواهر، ج1، 461.

(2) السنجاري، منائح الكرم، ج3، ص568-569.

(3) محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم بن محمد بن علان البكري الصديقي الشافعي المكي: ولد في مكة المكرمة سنة 996هـ/1588م، ونشأ فيها فقيراً ناسخاً للكتب، تصدّر الإفتاء وأخذ عن كثير من العلماء، وألّف كثيراً من المؤلفات حتى عدّ من أهم مؤرخي عصره في مكة، من جملة مؤلفاته: "ضياء السبيل إلى معالم التنزيل"، وله رسالة في ختم البخاري سماها: "الوجه الصبيح في ختم الصحيح"، و"حسن النبأ في فضل قُبا" وغيرها من المؤلفات، تُوفي سنة 1057هـ/1647م. المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مج4، ص183-188؛ مرداد، المختصر من نشر النور والزهر، ص464-471؛ الهيلة، التاريخ والمؤرخون في مكة، ج1، ص401.

(4) الأمير، إبراهيم بن منصور الهاشمي، العلامة ابن علان المكي (980-1057هـ) حياته وآثاره وجهوده في خدمة البلد الحرام، (طنجة، دار الحديث الكتانية) الطبعة الأولى، 1437هـ، ص96.

(5) الوزير، عبدالله، تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق: محمد عبدالرحيم حازم، (بيروت، دار المسيرة)، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985م، ج1، ص129.

(6) الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد اللطيف بن السلام الرئيس الزمزمي المكي الشافعي: ولد في مكة سنة 1110هـ/1699م تعلم على يد شيوخها، وضع رساله باسمه سماها: "البيان والتعليم لمتبع ملة إبراهيم"، كان محباً لجمع الكتب النادرة والنفيضة في شتى العلوم، غير أنه بددها أولاده من بعده وبيعت بأبخس الأثمان، تُوفي سنة 1195هـ/1780م. مرداد، المختصر من نشر النور والزهر، ص45؛ غازي، نظم الدرر، ص247-249.

بنفائس الكتب في مختلف العلوم، وكان مولعاً باقتناء الكتب النفيسة، وكان من جملة كتبه: "زيج الراصد الغيبك السمرقندي"، وكان قد اشتراه باثنى عشر ألف دينار، وبعد وفاته باع أولاده هذه النسخة وغيرها من الكتب بأبخس الأثمان⁽¹⁾.

ومن تلك المكتبات التي تعرّضت للضياع المكتبة الخاصة بأسرة ابن فهد المكي⁽²⁾، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها: اختفاء العلماء من هذه الأسرة وانقطاع نسلهم ممّن يعرفون قيمة الكتب، وربما بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي مرّت بهم فقاموا ببيع محتوياتها، خاصة أنّ كثيراً من البيوت العلمية المكية كانت تقوم ببيع كتبها على الموسرين من الحجاج، وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى انتشار مؤلفات آل ابن فهد في مكتبات العالم المشهورة في وقتنا الحاضر⁽³⁾، ومن تلك الأسر التي تعرّضت مؤلفاتها للضياع الأسرة الطبرية⁽⁴⁾، إذ من المؤسف أنّ كثيراً من مؤلفاتهم تعرضت للفقدان رغم شهرتها، وتناقل أخبارها

(1) الجبرتي، عبدالرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، (بيروت، دار الجيل)، د.ت. ج 1، ص 560-561؛ مرداد، المختصر من نشر النور والزهر، ص 45، بيومي، محمد علي فهم، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، ص 225.

(2) تأسست مكتبة آل ابن فهد في مكة المكرمة بين سنتي (736-995هـ/1335-1586م)، كانت تقع بالقرب من المسجد الحرام، ويعتبر هو الحافظ نقي الدين محمد بن فهد (ت 871هـ/1466م) المؤسس الحقيقي للمكتبة الذي أثرى المكتبة بكثير من مؤلفاته في شتى المعارف، ونسخ بيده كثيراً من الكتب، ثم أخذت المكتبة تزدهر وتكبر تحت رعاية أبنائه وأحفاده مع التأليف والنسخ والشراء، بعد وفاة مؤسسها جاء ابنه نجم الدين عمر بن فهد (ت 885هـ/1480م) ثم حفيده الحافظ عز الدين عبد العزيز بن عمر (ت 922هـ/1516م)، ثم حفيد حفيده الحافظ جبار الله محمد بن عبد العزيز (ت 954هـ/1547م)، بالرغم من كون المكتبة خاصة بالأسرة، إلا أنها أسهمت بدور كبير في الحركة العلمية استفاد منها كثير من العلماء في شتى الأمصار الإسلامية. آل كمال، سليمان بن صالح، مكتبة آل ابن فهد ودورها الحضاري في ازدهار الحركة العلمية المكية خلال الفترة من 736-995هـ/1335-1586م، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، العدد الأول، المجلد التاسع، 1423هـ/2003م، ص 7-10، 15-16.

(3) آل كمال، سليمان بن صالح، مكتبة آل ابن فهد ودورها الحضاري، ص 15-16.

(4) آل الطبري: من الأسر العريقة التي قَدِمَت إلى مكة المكرمة من الشام، وقد برز منهم عدد من العلماء والعلماء، فبلغوا مكانة عالية من العلم، وتقلدوا عدداً من الوظائف؛ مثل: الإمامة خاصة إمامة المقام الإبراهيمي، والخطابة والإفتاء إذ برزوا في الفقه الشافعي، وتقلدوا الإفتاء على هذا المذهب، إلى جانب التدريس في المسجد الحرام والقضاء، وكانت مساكنهم في الزقاق المعروف باسمهم، وقد استمرت هذه الأسرة تؤدي دورها العلمي لأكثر من ستة قرون حتى انقرضت في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. الدهلوي، عبد الستار الصديقي، موائد الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم، مخطوط محفوظ في مكتبة الحرم المكي، ميكروفيلم، برقم 829، برقم خاص 115، ورقة 35؛ اللبني، جعفر بن أبي بكر، الحديث شجون، تحقيق: سعيد بن مسفر المالكي، (جدة، مكتبة كنوز المعرفة) الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م، ص 94-95؛ الغازي، عبدالله، سكان مكة بعد انتشار الإسلام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، (القاهرة، دار القاهرة) الطبعة الأولى، 2006م، ص 19-21؛ الرادادي، عائض بن بنية، الأسرة الطبرية المكية، (الرياض، دار الرفاعي) الطبعة الأولى، 1416هـ/1995م، ص 36-42.

في المصادر المكيّة⁽¹⁾.

السّرقَات المتعلّقة بالكتب الخاصّة:

تعرّضت بعض كُتُب العلماء للإتلاف، وقد تعدّدت الأسباب إمّا بسبب السّرقَات، أو الضياع بسبب الإعارَة، ومن هؤلاء المؤرّخ محمد بن عبد العزيز المكيّ⁽²⁾؛ الذي تعرّض لمَحَنٍ عدّة في مؤلفاته، ومن هذه المحن محو كتابه "النكت الظراف في الموعظة في ذوي العاهات من الأشراف" في عام 948هـ/1541م؛ وهو كتاب قصد فيه المؤلف جمع أخبار من أصيب بعاهة جسدية من أهل الدين والسياسة والعلم، غير أنه أثار ظهور هذا الكتاب خلافاً بين المؤلف وبين علماء عصره، وتعرّض لعدّة اتّهامات من الغيبة والتعرّض لأعراض الناس رغم أنه قصد منه موعظة وتسلية لمن أصيب بمثل هذه العاهات، ممّا حدا بهم إلى إزالة الكتاب ومحو نسخته بالماء وتمزيقه، ممّا دفعه لأن يضع كتاباً للردّ عليهم سمّاه "النصرة والإسعاف، على المنتقدين لمؤلفي النكت الظراف"، وعاد إلى مؤلفه ونسخه من جديد بعد تعرّضه للتلف، وأضاف عليه زيادات في عام 950هـ/1543م فعمد للردّ على المنكرين لكتابه إلى الاتّصال بالعلماء من خارج مكّة، ليأخذ آراءهم في مؤلفه نصره لكتابه وردّاً للهاقين عليه⁽³⁾.

وقد تعرّض ابنُ حَجَر الهيثميّ لمحنةٍ بعد أن سُرقَت بعض كتبه، وذلك عندما خرّج إلى مكّة المكرمة للمجاورة بها، فاستغلّ بعضُ حُسادِه في مصر فترة غيابه فُسرق كتابه "اختصار روض المتن"، الذي أعجب به بعضُ علماء الأعاجم أثناء وجوده في مكّة سنة 938هـ/1531م، وبعد رجوعه إلى مصر أرادوا استنساخه فترصد له بعضُ حاسديه إلى أن أخرج الكتاب فسرّقه منه وأتلفوه، فلم يظهر له خبرٌ، وقد

(1) الراجحي، محمد بن خضر، الأسرة الطبرية في مكة المكرمة ودورها العلمي خلال العصر العثماني (923-1218هـ/1517-1803م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1443هـ/2022م، ص264.

(2) جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد المكي: مؤرخ مكة، عاش في أواخر العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني، ولد في مكة المكرمة سنة 891هـ/1486م، تلقى تعليمه على يد والده، قام بالعديد من الرحلات العلمية التقى خلالها بالعديد من العلماء، ترك العديد من المؤلفات في تاريخ مكة وجدة والطائف وغيرها من مدن وقرى الحجاز، منها "الإسعاف في حماية كتب الأوقاف"، و"تاريخ مدينة جدة وأحوالها"، وغيرها من المؤلفات، تُوفّي في مكة سنة 954هـ/1547م. العيدروسي، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، 323-324؛ مرداد، المختصر من نشر النور والزهر، ص152-153؛ الهيلة، التاريخ والمؤرّخون في مكة المكرمة، ج1، ص251-275.

(3) المكي، محمد بن عبد العزيز بن عمر الهاشمي، النكت الظراف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف، تقديم وتحقيق: لمياء أحمد شافعي، (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق) الطبعة الثانية، 1438هـ/2017م، ص16-24.

تأثر ابن حجر لسرقة كتابه⁽¹⁾.

ومن الكتب التي سُرقَتْ لأبن حجر كتابُ ألفه في أحكام الحيض سُرق في عام 953هـ/1546م، وسُرق له كتاب آخر ألفه في مكة في سنة 955هـ/1548م وَضَعَهُ في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان، ثم أعاد تأليفه في كتاب ثانٍ وسماه: "الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان"⁽²⁾.

وتعرّضت بعض مؤلفات العلماء للضياع بسبب إعارتها لغير الأمناء؛ ممّا أدّى إلى ضياعها كما حدث للمؤرخ محمد بن علي بن الطبري⁽³⁾؛ حين أَلَفَ إحدى رسائله، فاستعارها إبراهيم القيصري ولم يرجعها ثم تُوِّفِيَ وبيعت مع تركته، وقد تأسَّف الطبري على ضياعها⁽⁴⁾.

ويُعتبر موسم الحج والرحلة إلى البيت الحرام فرصةً الالتقاء والتعرّف على العلماء؛ لذا فقد حرص كثير من الرّحالة على تدوين رحلاتهم خلال الحج، وجلب الكتب النفيسة واقتناء الكتب النادرة، إلا أنّ ذلك لم يمنع وقوع بعض السرقات؛ فقد تعرّضت بعض كتب العلماء القادمين للحج للسرقات، ومن هؤلاء أوقاي الأندلسي⁽⁵⁾ الذي أشار إلى ضياع كتبه في طريق الحج في سنة 1046هـ/1636م⁽⁶⁾، كما سُرقَتْ

(1) ابن حجر، أحمد بن محمد بن علي، الفتاوى الفقهية الكبرى على مذهب الإمام الشافعي، ضبطه وصححه: عبداللطيف عبدالرحمن، (بيروت، دار الكتب العلمية)، الطبعة الثانية، 2008م، ص10، السيفي، أبو بكر بن محمد بن عبد الله باعمرو، نفائس الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: أمجد رشيد، عمان، دار الفتح للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1437هـ/2016م، ص44، المدني، محمد بن سليمان الكردي، الفوائد المدنية فيمن يفتي بقوله من أئمة الشافعية، تحقيق: بسام الجابي، بيروت، دار نور الصباح، الطبعة الأولى، 1433هـ/2011م، ص30، شافعي، لمياء أحمد عبدالله: ابن حجر الهيتمي وجهوده في الكتابة التاريخية 909هـ/1503م-974هـ/1566م، (الجيزة، مكتبة ومطبعة الغد) الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، ص58.

(2) شافعي، ابن حجر الهيتمي، ص98، 121.

(3) محمد بن علي بن فضل الحسيني المكي: ولد بمكة المكرمة سنة 1100هـ/1689م، تولى إمامة المقام الإبراهيمي، ودّرس بالحرم الشريف، ألف العديد من المؤلفات منها: الحجة الناهضة في إبطال مذهب الرافضة، وعقود الجمان في سلطنة آل عثمان، تُوِّفِيَ في مكة سنة 1173هـ/1760م. . مرداد، المختصر من نشر النور والزهر، ص458؛ الهيلة، التاريخ والمؤرخون في مكة، ج1، ص508.

(4) الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج2، ص298.

(5) أبو العباس أحمد بن قاسم بن أحمد ابن الفقيه قاسم ابن الشيخ الحجري الأندلسي الشهير بأوقاي: ولد سنة 978هـ/1570م في غرناطة، قام برحلة إلى الحج في سنة 1046هـ/1636م. التازي، عبدالهادي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، (مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي) 1416هـ/2005م، ج1، ص197-198.

(6) التازي، رحلة الرحلات، ج1، ص199.

رسالة للرحالة ابن الطيّب الشرقي (ت1170هـ/1757م)⁽¹⁾ سمّاها: "الاستمساك بأوثق عروة في الأحكام المتعلقة بالقهوة" أثناء عودته من الحجّ خارجاً من المدينة المنورة في رحلته للحجّ سنة 1139هـ/1727م (الفاسي، 2014م، 301)، وسُرقت له أيضاً رحلته التي سجّلها في الحجّ مع عددٍ من الكتب والمتاع في مغاير شعيب⁽²⁾ عندما تعرّض ركب الحجّ للسلب والنهب، ثمّ طلب منه وهو في مصر في طريق عودته من الحجاز أن يعيد صياغة ما ضاع في الرحلة، وقد تألم على ضياع ما فيها من قصائد، وقد ذكر قصّة ضياع رحلته في كتابه بقوله: "حصل لنا أسفّ شديد على تلك الرحلة التي ليس لها في صنعها قديد، مع اشتغالها على تلك القصائد التي أنشدتها في الكعبة المنورة والروضة المشرفة الرائعة:

فيا لَيْتَهُ رَدَّ مِنْهَا قَصِيدَةً وسامَحْتُهُ في المالِ أَجْمَعَ والكُتُبَ⁽³⁾

السّرقَات المتعلّقة بالمدارس:

بسبب أنّ المدارس مؤسّسات وقفيّة، فقد تعرّض بعضها للاستغلال وتخصيص مَبْنَاهَا لغير الغرض الذي

(1) محمد بن محمد بن محمد بن موسى الشرفي الفاسي المالكي الشهير بابن الطيب، إمام أهل اللغة والعربية، نزيل المدينة المنورة، ولد في فاس في سنة 1110هـ/1698م، ونشأ فيها من بيت علم وفضل، وأخذ عن جملة من علمائها أمثال الشيخ محمد بن محمد المسناوي، ومحمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد بن عبد الرحمن الفاسي، وغيرهم من العلماء، تقلد عدد من الوظائف تولى منصب القضاء في فاس، ثم تولى التدريس في المسجد النبوي، رحل إلى مصر والشام والروم، وانتفع بعمله خلق كثير، ترك جملة من المؤلفات منها: حاشية على القاموس، شرح نظم فصيح ثلث في مجلدين، وشرح على كفاية المتحف، وحاشية على الاقتراح، وحاشية على المطول، له شعر لطيف ورحلة، توفي في المدينة المنورة في سنة 1170هـ/1756م. المرادي، محمد خليل، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج4، ص108-112؛ الكتاني، الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة الكتاني ومحمد الكتاني، (الدار البيضاء، دار الثقافة) ج3، ص67.

(2) مغاير شعيب: من منازل الحاج المصري، وتقع في وادي عفال في شمال الحجاز الذي يبدأ من الشرفة ويصب في البحر الأحمر، وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى نبي الله شعيب عليه السلام، إذ يقال: إنه كان يتعبد في تلك المغاير، وهو وادٍ ذو مياه دافقة عذبة به أعراب مدين العميرات، وتميزت بخصوبة أراضيها، تعرف حالياً بالبدع في منطقة تبوك. الموسوي، محمد بن عبد الله الحسيني، رحلة الشتاء والصيف، تحقيق: محمد سعيد الطنطاوي، (بيروت، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر)، الطبعة الثانية، 1385م، ج2، ص19؛ النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم: أحمد عبدالمجيد هريدي، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب) 1407هـ/1986م، ص305-306؛ بكر، سيد عبدالمجيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، (جدة، مكتبة تهامة)، الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م، ص125.

(3) الفاسي، الرحلة الحجازية، ص76-77.

أسست له، فحدثت عدة تجاوزات، ومن نماذج ذلك: استغلال أمراء الحج الشامي والمصري بعض المدارس الوقفية في مكة عند إقامتهم لتأدية فريضة الحج، الأمر الذي أثار حفيظة أمير مكة الشريف أبو نمي، فرفع شكوى إلى الديوان الهمايوني⁽¹⁾ طالباً منعهم من النزول بها، وبناءً على ذلك صدر أمر سلطاني سنة 978هـ/1570م إلى قاضي مكة وشيخ الحرم بمنع إقامة أي أحد بها من غير الطلاب، وتحذير الأمراء والمدرسين بعدم التجاوز على هذه المدارس، كما أرسل خطاباً لسلطاناً لأمير مكة بعدم التجاوز عليها والإبلاغ عن المخالفين للأمر السلطاني⁽²⁾، وتعرضت أيضاً المدرسة السلিমانيّة للإهمال للسبب نفسه حيث أقام بالمدرسة أمير الحج الشامي وبعض القضاة المعزولين وبعض المتفرقة⁽³⁾، وأدخلوا حيواناتهم في المدرسة مما تسبب في تلويثها، فصدر أمر سلطاني إلى قاضي مكة وشيخ حرماها في سنة 992هـ/1584م بعدم السماح لأمراء الحج والقضاة المعزولين بالإقامة فيها⁽⁴⁾، وعلى الرغم من ذلك المنع فقد كانت تحدث أحياناً بعض التجاوزات والمخالفات القانونية لا سيما في موسم الحج فقد أشار أوليا جليبي خلال رحلته إلى الحجاز سنة 1081هـ/1670م إلى وجود العديد من المدارس التي يتم تأجيرها إلى الحجاج⁽⁵⁾.

وفي المدينة المنورة تعرضت بعض المدارس للإهمال بسبب تهاون العاملين بها، فقد أهمل المدرسون الذين يشتغلون في مدارس المدينة، بالرغم من أنهم يتقاضون رواتبهم المخصصة لهم من الأوقاف، فصدر أمر سلطاني للتحقيق في الأمر في سنة 980هـ/1572م، وطلب إقالة من يقصر في عمله وجلب مدرسين جدد يليقون بمهنة التدريس⁽⁶⁾، وتعرضت أيضاً مدرسة الوزير محمد باشا⁽¹⁾

(1) الديوان الهمايوني: هي دائرة حكومية مرموقة في الدولة العثمانية، وظيفتها مناقشة القضايا السياسية والإدارية والعسكرية والشرعية والمالية وغيرها، وإصدار القرارات بشأنها، وكانت مفتوحة للجميع في الاستماع للشكاوى المقدمة وهي تشبه إلى حد كبير مجلس الوزراء في الوقت الراهن. صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/2000م، ص120.

(2) مهمة دفتری 14 ص 412 حكم 579 بخصوص الإبلاغ عن نزول أمراء الحج في المدارس المقامة في مكة خلال موسم الحج والأمر بمنعهم، نقلاً عن بيات، فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، مج4، ص171.

(3) المتفرقة: هو إحدى فرق الأوجاقات العسكرية السبعة التي كانت موجودة في مصر، وكانت ترسل إلى الحجاز. سليمان، أحمد السعيد، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي، (القاهرة، دار المعارف)، 1979م، ص195.

(4) الأرشيف العثماني BOA., A.{DVNSMHM.d... 53/502, 992 N 26, 1 بخصوص منع أمراء الحج من النزول في المدرسة السلیمانيّة. انظر ملحق رقم (2).

(5) جليبي، أوليا، الرحلة الحجازية، ص264.

(6) كورلار، مصطفى، أوقاف الحرمين في الدولة العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، ترجمة: محمد حرب، (اسطنبول، مركز التاريخ العربي)، الطبعة الأولى، 1440هـ/2019م، ص91-92.

للإهمال بسبب تهاون المدرسين العاملين فيها؛ لذلك أصدر الديوان الهمايوني سنة 980هـ/1572م أمراً إلى قاضي المدينة وشيخ الحرم المدني بقطع المنح المالية الممنوحة لهم، وبعدم إسناد الوظائف إلا بمعرفة الناظر⁽²⁾، كما تعرضت مدرسة السلطنة خرم⁽³⁾ للإهمال؛ مما أدى إلى خرابها وتدهور مبانيها، ونتيجة لهذا الوضع السيئ صدر سنة 984هـ/1576م أمر سلطاني إلى والي مصر من أجل ترميمها⁽⁴⁾.

ومن الجرائم التي طالت المدارس التعدي عليها بغير وجه حق، فقد حدثت عدة مخالفات في مدارس المدينة المنورة، كما حدث في مدرسة رستم باشا⁽⁵⁾ التي استولى بعض الأهالي على عدد من حجراتها، وأخرجوا عدداً من طلابها، فصدر أمر سلطاني سنة 968هـ/1560م إلى قاضي المدينة بعدم دخول أحد إلى المدرسة سوى الطلاب، وعدم السماح لغيرهم بدخول المدرسة⁽⁶⁾، ومن ذلك أيضاً

(1) مدرسة الوزير محمد باشا: أنشأ هذه المدرسة الصدر الأعظم محمد باشا بعد مرور أربع عشرة سنة من تأسيس مدرسة الصدر الأعظم رستم باشا، وخصص لها أموالاً نقدية تصرف كل عام. الكباشي، المدينة المنورة، ص133؛ بيومي، دور مصر في الحياة العلمية، ص221.

(2) مهمة دفتري 19 ص70 حكم 157 بخصوص الإبلاغ عن إهمال وتكاسل متلقي المنح المالية من أوقاف الوزير محمد باشا والأمر بقطع هذه المنح، نقلاً عن بيات، فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، مج4، ص177.

(3) مدرسة السلطنة خرم: أنشأت هذه المدرسة السلطنة حرم زوجة السلطان سليمان القانوني في القرن العاشر، وهي تعتبر ثالث المدارس العثمانية التي أنشأها العثمانيون في المدينة بعد مدرسة الصدر الأعظم رستم باشا ومدرسة الصدر الأعظم محمد باشا، وقد تعرضت هذه المدرسة للإهمال حتى صدر أمر بتعميرها. الكباشي، المدينة المنورة وفقاً للوثائق العثمانية، ص132-133.

(4) الكباشي، المدينة المنورة، ص133.

(5) مدرسة رستم باشا: أول مدرسة أنشأها العثمانيون في المدينة المنورة أنشأها الصدر الأعظم رستم باشا خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وكانت تنقسم إلى قسمين قسم للدراسة وآخر للإقامة. الكباشي، المدينة المنورة، ص132.

(6) الأرشيف العثماني BOA.A.DVNS.MHM.d3-11.36 حكم إلى قاضي المدينة المنورة حول إسكان الطلاب في مدرسة رستم باشا 968هـ/1560م، نقلاً عن: مدونة الأستاذ الدكتور هشام عجيبي؛ الكباشي، المدينة المنورة، ص132-133.

ما تعرّضت له بعض المدارس من الخراب، مثل ما فعله الجند في مدرسة قايتباي⁽¹⁾ من التدمير والخراب بعد أن نزلت فيها العساكر بقيادة حسن باشا⁽²⁾ (1078-1082هـ/1667-1671م)، عام 1079هـ/1668م، وذلك عندما قدم إلى المدينة للنظر في الشكاية المرفوعة ضد الشريف سعد بن زيد (1077هـ/1666م-1082هـ/1671م)، وأتباعه⁽³⁾، ومن ذلك ما تعرّضت له المدرسة السليمانية سنة 1101هـ/1690م من تخريب من قبل المعارضين، إذ تضررت عندما ثارت العامة في مكة على قاضي الشرع لإصدار فتوى من أجل عزل أحد الأشراف، فهجموا على القاضي في المدرسة السليمانية وأطلقوا البنادق على المدرسة⁽⁴⁾.

ومن هذه الجرائم العلمية التلاعب بالرواتب المخصصة للمدرسين وقطعها، ففي سنة 982هـ/1574م تأخر متولي أوقاف السلطان سليمان في الشام في إرسال مرتبات المعيين والطلاب والبوابين والكناسين في المدرسة الحنفية والمالكية التابعين للمدرسة السليمانية، متعللاً بأن شروط الوقف لم تحقق في المدارس، وبناء على ذلك رفع القاضي حسين المالكي شكوى إلى السلطان العثماني بشأن ذلك، وبناءً على تلك الشكوى صدر أمر سلطاني بصرف مرتبات جميع المدرسين في المدارس السليمانية دون تقصير⁽⁵⁾، وفي سنة 1187هـ/1773م قام عدد من المدرسين وعلماء مكة وقضاتها برفع شكوى لدى

(1) مدرسة قايتباي: من المدارس التي أنشئت في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي، أمر بإنشائها السلطان المملوكي الأشرف قايتباي ضمن مشروع عمارة المسجد النبوي بعد الحريق الذي أصابه سنة 886هـ/1481م، تقع بين بابي السلام والرحمة، وأرسل إليها خزانة كبيرة وكتباً، وألحق بها بعض المرافق والمؤسسات التعليمية؛ منها: مكتب للأيتام وسبيل، وقد استمرت حتى العهد العثماني وقد أصبحت في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي مقراً للمحكمة ومجلساً لقاضي المدينة. المدير، عبد الرحمن مديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م) دراسة تاريخية (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م، ص 253-254، بيومي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، ص 217.

(2) حسن باشا: أمير الجوقدار بالدائرة السنية، أصبح وزيراً عام 1072هـ/1661م، ثم والياً لدير بكر، وفي عام 1074هـ/1663م تم عزله، وبعدها تولى ولاية المورة، ثم ولاية جدة 1078هـ/1667م، وضُمَّت إليه مشيخة الحرم المكي، وكان له دور كبير في مجزئات الأحداث في الحجاز ما بين سنتي 1080-1982هـ/1669-1671م، عزل من منصبه سنة 1082هـ/1671م. ددع، سحر بنت علي محمد، ولاية الحجاز في العصر العثماني في الفترة 923-1287هـ/1517-1870م دراسة تاريخية حضارية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1433هـ/2012م، ص 185، ص 153.

(3) العصامي، سمط النجوم العوالي، ج 4، ص 506، آل بو خف، هند محمد، الحياة العلمية في الحجاز خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر السابع عشر الميلادي، ص 49-50.

(4) السنجاري، منائح الكرم، ج 5، ص 105؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص 138.

(5) مهمة دفترتي 26 ص 217 حكم 616 بخصوص الإبلاغ عن تغل العماراة العامة في دمشق بمنح مرتبات العاملين في المدرسة الشافعية والأمر بصرفها، نقلاً عن بيات، فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، مج 4، ص 169.

السُّلطان العثمانيّ عبد الحميد الأوّل (1137هـ/1725م/1204هـ/1789م) وعليها توقيع جميع المتظلمين على والي جدّة عمر باشا لقطعه عنهم الرواتب والمؤن⁽¹⁾.

وفي بعض الأحيان قد يلجأ بعض الموظفين في الأوقاف المُخصّصة للتعليم إلى التلاعب في إيراداتها وحرمان الموظفين من رواتبهم، كما حدث سنة 1207هـ/1618م عندما قام عبد الله آغا المسؤول عن الأوقاف المُخصّصة للتعليم في مكّة والمدينة بقبض الرواتب الموجودة في مكّة المُخصّصة للأسبلة⁽²⁾ والمدارس ورواتب الحفاظ الذين يقرؤون جزءاً من القرآن في الأماكن المقدّسة، واستولى على مُخصّصات الطلاب الذين يدرسون في هذه المدارس، فأمر السُّلطان العثمانيّ بإرسال الأموال المُخصّصة من أوقافه لتفادي القصور في الحرّمين⁽³⁾.

فيما يتعلّق بمقدار الكتب التي تعرضت للنهب، أو محاولة معرفة مصير الكتب المنهوبة، في الحقيقة وللأسف لن يكون من الممكن الإجابة على هذه الأسئلة على الإطلاق، فالمصادر في كثير من الأحيان لا تُسَعِّفنا في وضع تقدير لعدد الكتب التي تعرّضت للسرقة، إذ جاءت العبارات فيها مبهمّة وغير محدّدة، فنقرأ مثلاً ما ذكره المؤرّخ ابن عبد الشكور بعد تعرّض مكتبة مفتي المدينة تاج الدين إلياس: "ووجدوا فيه من معتبرات الكتب ما يضيع فيه القياس" فمثل هذه النصوص لا تعطي تصوّراً دقيقاً عن حجم الكتب التي طالتها الأيدي، في حين يورد مؤرّخ آخر مقدار الكتب التي تعرضت للضياع في وقف قايتباي وهو سبعين كتاباً وقد انتهت الحادثة بمعاينة المقصّر وتغريمه، دون أن يفصل في ماهية الكتب المفقودة، وفي تصوّراتنا إنّ مسألة معرفة حجم الكتب المسروقة أو التي تعرضت للضياع من المسائل الشائكة، ولعلّ كثرة الكتب المفقودة وتفرّقها بين البلدان خير دليل يمكن من خلاله أن نرسم صورة واضحة لما تعرّضت له الكتب والتراث العلمي من سرقة وضياع.

(1) الأرشيف العثماني تصنيف 1 22 Z 1187 4680 2 94 C..DH.. بخصوص تظلم مدرسين مكّة وعلمائها

وقضاتها من والي جدّة عمر باشا لقطع مرتباتهم ومخصصاتهم المالية في سنة 1187هـ/1773م.

(2) الأسبلة: جمع سبيل، واللفظ مشتق من التسييل أي جعل الشيء مباحاً لوجه الله، لفظ السبيل اصطلاحاً مرتبط بالعدد من الأبنية التي وقفت سبباً لله تعالى، وذلك رغبة في التقرب إليه عز وجل، وأملاً في ثواب الآخرة، ومن هذه الأبنية ما خصص لتوفير المياه كل يوم، وعلى مدار العام كله للإنسان والحيوان كالسقايات، ومنها ما خصص لتعليم الأيتام والفقراء وغيرهم كمكاتب السبيل، ومنها ما خصص لإقامة الغرباء والفقراء كخانات السبيل، وقد ارتبط بالعديد من أوجه الأنشطة الخيرية الأخرى كالمصاحف المسبلة، والتوابيت المسبلة، ولفظ السبيل عرف بها الماء، فقيل: الماء المسبل أي: المجمعول في سبيل الله، كذلك هناك المال المسبل أي: الوقوف في سبيل الله تعالى. الحداد، محمد حمزة إسماعيل، كتب التاريخ المحلي والزخالة مصدر لدراسة عمارة الأسبلة الحجازية في مكّة المكرمة والمدينة المنورة، (الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية)، 2006م، ص 13-14.

(3) كورلار، مصطفى، أوقاف الحرمين الشريفين في الدولة العثمانية، ص 92.

الإجراءات المتبعة للحد من الجرائم العلمية:

يُقصد بذلك الإجراءات التي اتخذتها السلطة في الحجاز لمنع وقوع الجرائم العلمية، وقد شملت هذه الإجراءات جوانب عدة منها؛ حرصت السلطة العثمانية على حفظ مقتنيات الحرمين، واتخذت عدة إجراءات لحفظها من السرقات، ومن هذه الإجراءات التي اتخذتها للمحافظة على نفائس الكتب في الحرمين الشريفين بسبب كثرة السرقات التي تعرضت لها؛ أنه تم نقل عدد من خزائن الكتب المنتشرة في أنحاء متفرقة من الحرم المكي، الشريف إلى خزائن مخصصة مثل القبة؛ كقبة الفراشين⁽¹⁾ التي أُعدت لحفظ الشمع والشمعدانات والمصاحف التي أوقفت على المسجد الحرام، وتم تعيين خازن على الكتب بمرتبة ثابتة، مهمته الإشراف على الناحية العلمية والإدارية في المكتبة، وملاحظة دقة الفهارس وتصنيفها وتيسير القراءة للقراء، والمحافظة على الكتب من الضياع، وترقيمها وتنظيم إعارتها⁽²⁾، وكنوع من الإجراء الاحترازي في مكتبة الحرم النبوي فقد جرت العادة عند أهل المدينة أنه في اليوم السابع عشر من شهر ذي القعدة والذي يُسمونه: يوم الكنيس⁽³⁾ تُجمع بُسُط الحرم وتدخل المصاحف والسباحات إلى الروضة، بما في ذلك الكتب، ويرد كل من استعار كتاباً إلى صاحبه، فإذا انتهى موسم الزيارة فُرش الحرم الشريف بفرشه، وأُخرجت الربائع التي فيها المصاحف، وفتحت خزائن الكتب العلمية الموقوفة بالحرم الشريف،

(1) قبة الفراشين: كان بداخل المسجد الحرام قبتان خلف بئر زمزم، إحداهما سقاية العباس بن عبد المطلب، والأخرى تدعى: قبة الفراشين، وهي تقع بالقرب من زمزم لمصالح المسجد الحرام ولحفظ الأشياء الموقوفة على المسجد الحرام، كالشمع وفرش المنبر والشماعدين، وفيها المصاحف الموقوفة على المسجد الحرام، ولم تذكر المصادر ابتداء عمارة القبة، إلا أنها كانت موجودة في القرن الرابع الهجري، وقد جددتها الناصر العباسي، كما اهتم سلاطين المماليك بعمارة هذه القبة، ثم أعيد بناؤها في العصر العثماني سنة 1063-1065هـ / 1652-1654م، وقد أزيلت هذه القبة سنة 1301هـ / 1884م في عهد الشريف عون الرفيق بسبب السيل الذي أتلّف كثيراً من الكتب، فتم نقلها إلى دار الكتب الواقعة في المدرسة الدرية وهدم هذه القبة. الطبري، الأرج المسكي في التاريخ المكي، ص177؛ باسلامة، حسين عبد الله، عمارة المسجد الحرام، ص193-198.

(2) الزهراني، عائض، التاريخ السياسي والحضاري لمكة من خلال كتاب نيل المنى، ص562-563.

(3) وصف محمد كبريت يوم الكنيس بقوله: "وفي اليوم السابع عشر منه -يقصد شهر ذي القعدة- يكون كنيس الحرم النبوي، وهو يوم شريف يجتمع فيه الناس في المسجد النبوي، ثم يصعد القاضي وشيخ الحرم مع الخدام والفراشين إلى سطح المسجد الشريف فيكنسونه، ويرمون من دائرة صحن المسجد للفقراء والأطفال التمر والفتوت، وهم ينادون: العادة يا سادة، ثم إنهم ينزلون إلى الروضة المطهرة فيرفعون ما فيها من المصاحف والأجزاء إلى داخل الحجرة المطهرة المعطرة خوفاً عليها من همج الحجاج، ثم يرفعون البسط إلى الحواصل التي بالمسجد الشريف، ثم يذهبون إلى البساتين، وهو يوم معدود من الأعياد، وعادات السادات، وربما أنكر ذلك بعض الواردين إلى المدينة الشريفة من أصحاب الأغراض، بل الأمراض الباطنية بشهادة أفعالهم الدنية، وكيف يجوز الطعن على جيران سلطان الأنبياء في سنة مشى عليها الأولون...". الحسيني، محمد كبريت عبد الله، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق: عائض بن بنية سالم الراددي، (الرياض، النادي الأدبي بالرياض) الطبعة الثانية، 1435هـ/2013م، ص576.

ليستعير منها القراء، حفاظاً على نفائس الكتب من السرقات⁽¹⁾، وقد أشار النابلسي حين حجّ عام 1105هـ/ 1694م إلى ذلك حيث يقوم خُدام الحرم الشريف بإدخال المصاحف وصناديق الأجزاء القرآنية الموقوفة في الروضة الشريفة إلى داخل الحجرة النبوية لقرب مجيء الحجاج خوفاً عليها من السرقة⁽²⁾. من جانب آخر، فقد حرصت السُلطة العثمانية على إرسال المبالغ المالية في كلّ عام لأهالي الحرمين لكي يُصرف منها على المؤسسات التعليمية، وكانت تلك المساهمات النقدية من ريع الأوقاف التي حُبِسَتْ لصالح الأماكن المقدسة⁽³⁾، ولارتباط مالية الحرمين الشريفين بمصر خلال العصر العثماني، فقد قامت مصر بإرسال الرواتب لأصحاب الوظائف العامة في الحجاز، ومن بينها الوظائف التعليمية وقد رصدت سجلات دفاتر الصّرة الرومية () ، ما كان يرسل من مخصصات للمؤسسات العلمية ففي منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي أرسل منها مئة وستون كيساً⁽⁴⁾، وقد زادت عن (3690018) بارة⁽⁵⁾، سنة 1087هـ/ 1676م إلى (5070237) بارة سنة 1118هـ/ 1706م وقد استمرت في الزيادة حتّى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي⁽⁶⁾.

كما حرصت الدولة العثمانية على متابعة صرف المخصصات، وإرسال مرتبات المدرسين ومعاينة كلّ مقصّر في خدمة واجبه، ومن الأمثلة ما وقّع من بعض الولاة من تقصير في حقّ أهالي الحرمين الشريفين، ومن ذلك ما قام به والي جدة عمر باشا من قُطْع الرواتب المخصصة لأهالي مكة من مصر، وقد استاء الأهالي من هذه الفعلة؛ ممّا حدّا بهم لرفع معروضاً إلى السلطان العثماني وطلبوا من أمير مكة الشريف سرور بن مساعد (1186هـ/ 1772م - 1202هـ/ 1788م)، أن يساعدهم في استرجاع مرتباتهم المخصصة لهم من مصر، والتي كانت تأتي إلى ميناء جدة كلّ عام،

(1) العياشي، الرحلة العياشية، ج1، ص344.

(2) النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص428.

(3) الماوردي، فؤاد محمد، العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز من الفتح العثماني حتى الاحتلال الفرنسي

1517-1798م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد الثاني، 1980م، ص73.

(4) الكيس: ويعني لغوياً الكيس الخاص بحمل النقود فيه، واصطلاحاً يستخدم لملء هذا الكيس بالنقود، سواء كانت ذهباً أو فضة، وقد اختلف مقدار الكيس باختلاف الأحوال المالية للدولة، فهو ثلاثون ألف قطعة وعشرة آلاف قطعة ذهبية في عهد محمد الفاتح وبايزيد الثاني، وأصبح مقدار الكيس مؤخراً خمسمائة قرش، وهناك ثلاثة أنواع من الأكياس في الدولة العثمانية الكيسة الرومية التي تعادل 500 قرش، والكيسة الديوانية التي تساوي 416 قرشاً، والكيسة المصرية التي تساوي 600 قرش. صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص194.

(5) البارة: هي أصغر عملة فضية في مصر وتساوي نصف فضة وربع قرش، وتعرف باسم ميدي. آل زيد، الشريف مسعود محمد، تاريخ مكة في عهد الأشراف آل زيد 1041-1299هـ/ 1631-1881م، (القاهرة، دار القاهرة)، الطبعة الأولى، 2005م، ص177.

(6) بيومي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، ص180.

وبالفعل فقد استجاب السلطان العثماني لهذه الشكوى التي تقدّم بها أهالي الحرّمين الشّريفيّن المتضرّرين فصَدَرَ أمرٌ سلطانيّ سنة 1190هـ/1776م بمصادرة أملاكه، بسبب امتناعه عن صَرْف الرواتب المُستحقّة لأهالي الحرّمين الشّريفيّن؛ ممّا تسبّب في تضرّر أهالي الحرّمين، وسحب رتبة الوزارة منه، وسجنه في قلعة الشام بناءً على الأمر السلطانيّ الصّادر ضده، كما صدر أمرٌ إلى أمير مَكّة وشيخ الحرم عثمان باشا⁽¹⁾ بالتأكيد على صَرْف الرواتب المقرّرة والمخصّصة لأهالي الحرّمين الشّريفيّن في وقتها المحدّد⁽²⁾. فهذه الوثيقة تكشف التلاعب الذي طال رواتب المدرسين في الحرّمين، والظلم الذي طالهم ممّا دفعهم إلى الشكوى للسلطان العثمانيّ، كما عكست استجابة السّلطة العثمانيّة من خلال تكليف والي جَدّة بمتابعة الموضوع، والحرص الشّديد على عدم تضرّره.

وكان من ضمن الإجراءات للحدّ من الجرائم العلميّة معاقبة المقصّرين المتسبّبين في ضياع الكتب الموقوفة، وفرض غرامات ماليّة فقد ألزم أمير مَكّة الشّريف سعيد بن سعد حسين بن حبيب السنديّ بعد حبسه ومحاسبته، بدفع مبلغ كبيرٍ من المال سنة 1106هـ/1695م لتفريطه في كتب مكتبة وقف قايتبای، ودفع غرامةً ماليّة كبيرةً بلغ مقدارها ستمئة قرش⁽³⁾.

الآثار التي ترتّبت على الجرائم العلميّة في الحجاز

تأثّرت الحياة العلميّة في الحجاز على إثر تلك الجرائم، فقد كان لجرائم سرقات الكتب وضياع بعضها وإحراقها وإهمال بعض المكتبات أثرٌ في ضياع كثير من المؤلفات النفسيّة واندثارها، كما ترتّب على إهمال بعض الورثة في حفظ المكتبات الخاصّة في ضياع كثير من المؤلفات القيّمة، كما حدث لمكتبة الشيخ ابن علّان التي تفرقت كتبه، حتى وصل أكثرها إلى اليمن⁽⁴⁾.

وممّا لا شك فيه أنه كان لسرقات بعض الكتب وضياع المكتبات وقّعها المؤلم على نفوس أصحابها، وقد تأثّر ابن حجر لسرقة كتبه حتى أصابه بسبب ذلك علة خطيرة لازمته مدّة ثم تعافى منها،

(1) عثمان باشا: تقلد عدة مناصب كان كاتب الديوان ثم جاء إلى إسطنبول، وفي سنة 1173هـ/1759م صار كاتباً سلحدار، وفي سنة 1187هـ/1773م عُيّن دفتردار الركاب الهمايوني، وفي سنة 1188هـ/1774م منح درجة وزير، وفي سنة 1189هـ/1175م عين والياً إلى جدّة وأُضيف إلى منصب شيخ الحرم، استمرت ولايته فيها لمدة سنة، توفي في العام نفسه. ددع، ولاية الحجاز، ص185.

(2) وثيقة محفوظة في معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة، جامعة أم القرى، جودت داخلية، وثيقة رقم 4322، 110/1 و ج ج.

(3) السنجاري، منائح الكرم، ج5، ص206-207.

(4) الوزير، تاريخ طبّق الحلوى وصحاف المن والسلوى، ج1، ص129.

وهو يقول عن سارقه: "حلّله الله وعفا عنه"⁽¹⁾، وقد صبر واحتسب حتى قال تلميذه السيوفي⁽²⁾: "عَوَّضَهُ اللهُ بتلك المصيبة كتبًا تُغني رؤيتها عن الإطناب في وصفها"⁽³⁾، كما تأثر المؤرخ قطب الدين النهروالي لضياع مكتبته فخرج إلى المدينة المنورة لِيُسَلِّي عنه نفسه، ثم عاد إلى إحياء مكتبته واقتناء نفائس الكتب، وترك مكتبة مهمة عامرة بالكتب، ورثها عنه ابن أخيه عبد الكريم القطبي⁽⁴⁾، وتأثر المؤرخ محمد الطبري لضياع أحد مؤلفاته التي أعارها لأحد الأشخاص التي بيعت مع تركته، وقد نقل جزء من نصوص مؤلفه في كتابه "إتحاف فضلاء الزمن" مع تألمه لفقدانها⁽⁵⁾.

كما كشفت الجرائم العلمية عقلية المجتمع في تلك الفترة، فقد سبب ظهور كتاب النكت الظرف لابن فهد قلقًا كبيرًا لدى فقهاء عصره؛ إذ لم تكن مثل تلك المؤلفات متداولة، ممّا دفعهم إلى محاربته حتى أثّرت حوله الشائعات لمنعه، فقد بلغ بالمنكرين لكتابه أنه بعد عشرين يومًا من محو كتابه بالماء، صادف وقوع سيل في الحرم المكي، فاعتبروا هذا السيل عقوبة من الظلم الذي سلط عليهم إزاء ذلك المؤلف⁽⁶⁾، ويبدو أنه شغل هذا الكتاب مثقفَي عصره حتى سألوا أهل العلم في حكمه، وممن تعرّض لهذا الكتاب ابن حَجَر الهيثمي (ت 974هـ/1566م) في الفتاوى الفقهية، عندما سُئِلَ عنه، وكان من أشدّ المعارضين له واعتبره من الغيبة المحرّمة، وقد أشار بمحوه وإزالته، وفي هذا الشأن يقول: "والحاصل أنّ هذا المؤلف إن تاب وأعدم ذلك المصنف فلا كلام لأحد عليه بعد الآن، وقبله الأمر في تعزيره للحاكم، وإن أبرم وصمّم وعاند ولم يمتثل لأئمة الشرع وحكامه، فعليهم وعلى ولي الأمر، أيد الله سبحانه وتعالى به الدين، وقصم بسيف عدله الطغاة والمتمردين، زجره عن ذلك بما يروونه مما يليق إلى أن يظهر لهم توبته،

(1) ابن حجر، مقدمة الفتاوى الكبرى الفقهية، ص 10، السيوفي، نفائس الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، ص 44، شافعي، لمياء أحمد، ابن حجر الهيثمي وجهوده في الكتابة التاريخية، ص 58.

(2) أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن علي باعمرو السيوفي، من تلاميذ ابن حجر الهيثمي، من مؤلفاته: نفائس الدرر في ترجمة ابن حجر، وفتاوى، لم تذكر المصادر سنة وفاته، شافعي، ابن حجر الهيثمي وجهوده في الكتابة التاريخية، ص 75، السيوفي، مقدمة المحقق نفائس الدرر، ص 8-10.

(3) السيوفي، نفائس الدرر، ص 45.

(4) هو عبد الكريم بن محب الدين بي أبي عيسى علاء الدين، الشهير بالقطبي: ولد في الهند في أحمد آباد سنة 961هـ/1554م، وقدم إلى مكة صغيرًا فلزم عمه القطب النهروالي، وبعد وفاة عمه آلت إليه جميع أمواله وكتبه، تولى التدريس في المدرسة الحنفية والمدرسة المرادية، كما تولى الإفتاء والخطابة في المسجد الحرام، من مؤلفاته في الحديث: "النهر الجاري على صحيح البخاري"، وفي التاريخ "أعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام"، تُؤفّي في سنة 1014هـ/1605م ودفن في المعلاة، المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج 3، ص 8-9؛ غازي، نظم الدرر، ص 180-182؛ الهيلة، التاريخ والمؤرخون في مكة المكرمة، ج 1، ص 340.

(5) الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج 2، ص 298.

(6) ابن فهد، جار الله محمد بن العز، النكت الظرف في الموعظة بذوي العاهات، ص 23.

وعليهم أيضًا إفساد تلك القبائح التي اشتمل عليها ذلك المؤلف بمحوها منه، بل ولهم تقطيعه..⁽¹⁾.
 لم يقتصر الأمر على ذلك فقد حاول بعض الفقهاء فرض نوع من الهيمنة الفكرية والدينية يحدد إطارها المتعصبون لبعض المذاهب للوقوف في وجه المخالفين لهم والتضييق عليهم، ومثال ذلك ما جرى مع كل من الشيخ مُلاً علي القاري من أذى وصل إلى التحذير من مُطالعة كتبه⁽²⁾، وما تعرض له ابن كبريت من اتهام باطل بالإلحاد⁽³⁾.

خاتمة:

- توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج تتعلق بالجرائم العلمية منها:
- أسهمت العديد من العوامل في وقوع الجرائم العلمية في الحجاز، فقد تسبب إهمال بعض النظار في تعرض بعض الكتب والمكتبات الموقوفة على الحرمين الشريفين للإهمال والنهب والسراقات، وفي بعض الأحيان كان يُسيء بعض القائمين على المكتبات الشخصية التصرف فيها، فيؤزعون جزءاً منها والباقي يتصرفون به مما جعلها عرضة للضياع، كما تسببت بعض الخلافات والأحقاد الشخصية في ارتكاب بعض الجرائم العلمية من سرقات الكتب أو محاولة طمسها، كما تسببت كثير من الفتن والمحن في بروز الجريمة العلمية بين فترة وأخرى، وقد برز ذلك واضحاً في ما تعرضت له مكتبتي الشيخ عبدالرحمن المرشدي والشيخ تاج الدين إلياس من نهب ومصادرة.
 - تعددت الجرائم العلمية في الحجاز، كجرائم التعدي على الكتب والمكتبات الوقفية، والجرائم المتعلقة بالمكتبات الشخصية، وسراقات الكتب الشخصية، إلى جانب الجرائم المتعلقة بالمدارس سواء بإهمالها أو بالتلاعب في إيراداتها، ورغم أن السلطات العثمانية كانت تتدخل في منع استغلال المدارس في موسم الحج، من خلال ما تُصدره من أوامر، غير أن ذلك لم يمنع وقوع بعض التجاوزات المخالفة لتلك للأوامر.
 - كان للسلطة الداخلية في الحجاز دور كبير في الحد من وقوع بعض الجرائم العلمية؛ إذ اتخذت عدداً من الإجراءات التي من شأنها أن تُسهم في الحد من وقوعها، من خلال اتخاذ بعض الإجراءات الأمنية للمحافظة على نفائس الكتب في الحرمين الشريفين من السرقات، إضافة إلى متابعة السلطة العثمانية شؤون البلاد من خلال ما تُصدره من أوامر سلطانية بين فترة وأخرى.

(1) ابن حجر، الفتاوى الكبرى الفقهية، ج4، ص3-5.

(2) المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مج3، ص178؛ الهيلة، الحبيب، التاريخ والمؤرخون في مكة، ج1، ص344.

(3) المحبي، خلاصة الأثر، مج4، ص29.

- ترتبّت على الجرائم العلميّة العديد من الآثار السلبية، تمثّلت في ضياع كثيرٍ من المؤلّفات العلميّة النفيسة واندثارها، وما تعرّض له بعض العلماء من أذى سواء في مؤلّفاتهم أو في مكتباتهم الشخصيّة، إلى جانب الآثار النفسيّة على من وقعت عليهم السرقات، كما تطالعنا بعض النصوص على المواقف المتشدّدة التي تبّناها بعض العلماء تجاه من يخالفهم في الآراء، إذ تعرّضت بعض المؤلّفات العلميّة، لمعارضة كبيرة وصلت إلى حدّ اتهام مؤلفيها بالغيبة والإلحاد.

قائمة المصادر والمراجع:

الوثائق:

- 1- الأرشيف العثماني 1 26, 992 N 53/502, BOA., A.{DVNSMHM.d... 53/502, 992 N 26, 1 بأمر الحج من النزول في المدرسة السلمانية.
- 2- الأرشيف العثماني تصنيف 1 22 Z 4680 1187 2 94 C..DH.. بخصوص تظلم مدرسين مكة وعلمائها وقضاتها من والي جدة عمر باشا لقطع مرتباتهم ومخصصاتهم المالية في سنة 1187هـ/1773م.
- 3- الأرشيف العثماني BOA.A.DVNS.MHM.d3-11.36 حكم إلى قاضي المدينة المنورة حول إسكان الطلاب في مدرسة رستم باشا 968هـ/1560م، نقلاً عن: مدونة الأستاذ الدكتور هشام عجيبي.
- 4- وثيقة محفوظة في معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة، جامعة أم القرى، جودت داخلية، وثيقة رقم 4322، 110/1 وح ج.
- 5- مهمة دفتر 231 ص 74-75 حكم 180 بخصوص الإبلاغ بعدم العناية بالصحف والكتب الموقوفة في المدينة المنورة، نقلاً عن بيات، فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المجلد الرابع.
- 6- مهمة دفتر 19 ص 70 حكم 157 بخصوص الإبلاغ عن إهمال وتكاسل متلقي المنح المالية من أوقاف الوزير محمد باشا والأمر بقطع هذه المنح، نقلاً عن بيات، فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، مج 4.
- 7- مهمة دفتر 26 ص 217 حكم 616 بخصوص الإبلاغ عن تغل العماراة العامرة في دمشق بمنح مرتبات العاملين في المدرسة الشافعية والأمر بصرفها، نقلاً عن بيات، فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، مج 4.
- 8- مهمة دفتر 14 ص 412 حكم 579 بخصوص الإبلاغ عن نزول أمراء الحج في المدارس المقامة في مكة خلال موسم الحج والأمر بمنعهم، نقلاً عن بيات، فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، مج 4.

المخطوطات:

- ابن فهد، جار الله محمد عبدالعزيز، النكت الظراف في الموعظة بذوي العاهات، مكتبة شستريتي، رقم المجموع (3838)
- الدهلوي، عبد الستار الصديقي، موائد الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم، مخطوط محفوظ في مكتبة الحرم المكي، ميكروفيلم، برقم 829، برقم خاص 115.

المصادر والمراجع:

- الحارثي، عدنان محمد فائز (1997م)، عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي دراسة مقارنة، (مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث) جامعة أم القرى.
- ابن حجر، أحمد بن محمد بن علي، (2008م) الفتاوى الفقهية الكبرى على مذهب الإمام الشافعي، ضبطه وصححه: عبداللطيف عبدالرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن عبدالشكور، عبدالله بن محمد (2020م)، تاريخ أشراف وأمراء مكة، دراسة وتحقيق: محمد عبدالعال محمد علي، حقوق الطبع محفوظة للمحقق.
- ابن معصوم، علي صدر الدين المدني (1906م)، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، طهران، المكتبة المرتضوية.
- أصاف، يوسف بك، (1995م) تاريخ سلاطين بني عثمان، تقديم: محمد زينهم محمد عرب، القاهرة، مكتبة مدبولي.
- آل بوخف، هند محمد سعود (2018م)، الحياة العلمية في الحجاز خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد، كلية العلوم الإنسانية، 1439هـ/2018م.
- آل زيد، الشريف مسعود محمد (2005م)، تاريخ مكة في عهد الأشراف آل زيد 1041-1299هـ/1631-1881م، القاهرة، دار القاهرة.
- الأمير، إبراهيم بن منصور الهاشمي (2016م)، العلامة ابن علان المكي (980-1057هـ) حياته وآثاره وجهوده في خدمة البلد الحرام، طنجة، دار الحديث الكتانية..
- الأنصاري، عبدالرحمن بن عبدالكريم (1970م)، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق: محمد العرويسي المطوي، تونس، المكتبة العتيقة.
- بإسلامة، حسين عبد الله (1964م)، تاريخ عمارة المسجد الحرام، تحقيق: عمر عبد الجبار، القاهرة، دار مصر للطباعة.
- بدر، عبدالباسط (1991م)، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، المدينة المنورة، المؤلف نفسه، الطبعة الأولى، 1414هـ/1991م.
- بيات، فاضل (2015م)، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، إسطنبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية.
- بيومي، محمد علي فهم (2007م)، الحركة العلمية في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، القاهرة، دار القاهرة.
- بيومي، محمد علي فهم (2006م)، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني 923-1220هـ/1517-1805م، القاهرة، دار القاهرة.
- التازي، عبدالهادي (2005م)، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.
- جارشلي، إسماعيل حقي (2003م)، أشراف مكة المكرمة وأمرؤها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، بيروت، الدار العربية للموسوعات.

- الجبرتي، عبدالرحمن (د.ت)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت، دار الجيل.
- جلبي، أوليا (د.ت)، الرحلة الحجازية، ترجمها عن التركية وقدم لها: الصفصافي أحمد المرسى، القاهرة، دار الآفاق العربية.
- الحداد، محمد حمزة إسماعيل (2006م)، كتب التاريخ المحلي والرَّحالة مصدر لدراسة عمارة الأسبلة الحجازية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية.
- الحربي، تهاني جميل (2018م)، الحياة العلمية في المدينة المنورة 1143هـ - 1337هـ / 1730-1919م، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات أبحاث المدينة المنورة.
- الحزيمي، حمد بن عبدالله (2016م)، المقامات في المسجد الحرام ودورها في الحياة العامة خلال الفترة (923-1343هـ/1517-1924م)، دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
- الحسيني، محمد كبريت عبدالله (2013م)، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق: عائض بن بنية سالم الرادادي، الرياض، النادي الأدبي بالرياض.
- دحلان، أحمد زيني (2015م)، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث.
- ددع، سحر بنت علي محمد (2012م)، ولاية الحجاز في العصر العثماني في الفترة 923-1287هـ/1517-1870م دراسة تاريخية حضارية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
- الراجحي، محمد بن خضر (2022م)، الأسرة الطبرية في مكة المكرمة ودورها العلمي خلال العصر العثماني (923-1218هـ/1517-1803م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى.
- الرادادي، عائض بن بنية (1995م)، الأسرة الطبرية المكية، الرياض، دار الرفاعي.
- الزهراني، عائض محمد عائض (1999م)، التاريخ السياسي والحضاري لمكة المكرمة من خلال كتاب نيل المنى بذيبل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري لمؤلفه جار الله محمد بن فهد دراسة نقدية مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
- سليمان، أحمد السعيد (1979م)، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي، القاهرة، دار المعارف.
- السنجاري، علي بن تاج الدين بن تقي الدين (1998م)، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاية الحرم، تحقيق: ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث.
- سنوك، هورخورنييه (1432هـ)، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة.
- السيفي، أبو بكر بن محمد بن عبد الله باعمرو (2016م)، نفائس الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: أمجد رشيد، عمان، دار الفتح للدراسات والنشر.
- شافعي، لمياء أحمد عبدالله (1998م): ابن حجر الهيتمي وجهوده في الكتابة التاريخية 909هـ/1503م - 974هـ/1566م، الجيزة، مكتبة ومطبعة الغد.

- ششة، نوال سراج محمد (1989م)، الحجاز تحت حُكم محمد علي 1226-1256هـ/1811-1840م، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
- الشلبي، أحمد شلبي عبد الغني الحنفي (1994م)، 9، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر والقاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة، دار الكتاب الجامعي.
- الشلي، محمد الشلي اليمني (2004م)، السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق: إبراهيم المقحفي، صنعاء، مكتبة الإرشاد.
- الشلي، محمد بن ابي بكر (2014م)، عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان المزيني وراشد القحطاني، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- الشناوي، عبدالعزيز بن محمد (1998م)، الدولة العثمانية دولة مُقْتَرَى عليها، القاهرة، مكتبة الأنجلو.
- الشوكاني، محمد بن علي (1998م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، دمشق، دار الفكر.
- صابان، سهيل (2000م)، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الصديقي، سحر عبد الرحمن (2003م)، أثر الوقف في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.
- الصواف، فائق (1978م)، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين 1293-1334هـ/1876-1916م، القاهرة، سجل العرب.
- الطبري، علي بن عبد القادر (1996م)، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق: أشرف أحمد الجمال، مكة المكرمة، المكتبة التجارية.
- الطبري، محمد علي بن فضل (1993م)، إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق: محسن محمد حسن سليم، القاهرة، دار الكتاب الجامعي.
- العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (1998م)، سِمْط النُجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية.
- العنقاوي، أحمد ضياء بن محمد قللي، (2016م) موسوعة أعلام الأشراف في بلاد الحرمين منذ عهد النبوة حتى وفيات القرن الخامس عشر الهجري، القاهرة، دار القاهرة.
- العياشي، عبدالله بن محمد (2001م)، الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الموائد، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- غازي، عبدالله بن محمد (2014م): نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل أهل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، دراسة وتحقيق وفهرسة: عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، مكة المكرمة، المكتبة الأسدية.
- الغازي، عبدالله (2006م)، سكان مكة بعد انتشار الإسلام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، القاهرة، دار القاهرة.
- الغزّي، نجم الدين محمد بن محمد (1997م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية.

- غوري، جيرالد دي (2010م)، حكام مكة، ترجمة: رزق الله بطرس، مراجعة وتعليق: صباح جمال الدين، بيروت، دار الوراق.
- الفاسي، أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي (2014م)، الرحلة الحجازية، تحقيق: نور الدين شوبد، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات.
- الكباشي، أنعم محمد (1436هـ)، المدينة المنورة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وفقاً للوثائق العثمانية، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.
- كبريت، محمد بن عبد الله الحسيني (2016م)، رحلة كبريت من المدينة المنورة إلى القاهرة والقسطنطينية المسماة رحلة الشتاء والصيف، تقديم وتعليق: أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، عمان، أمواج للنشر والتوزيع.
- الكتاني، الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس (2004م)، سلوة الأنفاس ومحادثاة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة الكتاني ومحمد الكتاني، الدار البيضاء، دار الثقافة.
- كشميري، ابتسام محمد (2001م)، مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري 923هـ-1000هـ/1517-1591م دراسة سياسية حضارية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
- كورلار، مصطفى (2019م)، أوقاف الحرمين في الدولة العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، ترجمة: محمد حرب، اسطنبول، مركز التاريخ العربي.
- اللبني، جعفر بن أبي بكر (2014م)، الحديث شجون، تحقيق: سعيد بن مسفر المالكي، جدة، مكتبة كنوز المعرفة.
- الماوردي، فؤاد محمد (1980م)، العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز من الفتح العثماني حتى الاحتلال الفرنسي 1517-1798م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد الثاني.
- مجهول (1984م)، تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر، تحقيق: محمد التونجي، جدة، دار الشروق.
- محبت، نهلة بنت شحات عمر (2002م)، الحياة الاجتماعية في ولاية الحجاز زمن الحكم العثماني في الفترة ما بين 923-1157هـ/1517-1744م، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات بالمدينة المنورة.
- المحبي، محمد أمين بن فضل الله (2006م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية.
- المديرس، عبد الرحمن مديرس (2001م)، المدينة المنورة في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م) دراسة تاريخية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- المرادي، محمد خليل (2012م)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تحقيق: أكرم حسن العلبي، بيروت، دار صادر.
- مرداد، عبد الله (1986م)، المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب وتحقيق: محمد سعيد العامودي وأحمد علي، جدة، عالم المعرفة.

- النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (1986م)، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم: أحمد عبدالمجيد هريدي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد المكي، تاريخ مكة المسمى بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام من تواريخ مكة المشرفة، (القاهرة، المكتبة الأزهرية) 1435هـ/2014م.
- النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد، (1967م) البرق اليماني في الفتح العثماني، الرياض، منشورات دار اليمامة.
- الهيلة، محمد الحبيب، (1438هـ) التاريخ والمؤرخون في مكة المكرمة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع عشر، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة.
- الهيلة، محمد الحبيب، (1436هـ) التاريخ والمؤرخون بالمدينة المنورة من العصر الأموي إلى القرن الرابع عشر الهجري، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.
- الوزير، عبدالله، (1985م) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق: محمد عبدالرحيم حازم، بيروت، دار المسيرة.

أنواع النباتات في العصر الراشدي بالشرق العربي Types of plants in the Rashidi era in the Arab East

السيدة: كوثر عنتر فتحي

Mes. Kawthar Antar Fathi

أ.د. نضال مؤيد مال الله
قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الانسانية
جامعة الموصل/ العراق

Prof. Dr. Nidhal Muayad Mal Allah.

Teaching/ Department of History/ College of Education for Humanities/
University of Mosul
nidhal2017@uomosul.edu.iq

ملخص

تناول هذا البحث أنواع النباتات الزراعية والطبيعية المنتشرة في أقاليم المشرق العربي في عصر الخلافة الراشدة وما خص الله تعالى كل إقليم من هذه الأقاليم بأنواع مختلفة من النباتات بحسب اختلاف التضاريس والمناخ والتربة في كل إقليم، فعدت هذه النباتات من الثروات الاقتصادية للبلاد، ومن المهم أن نبين جهود الدولة الراشدة في السعي إلى الزيادة في إنتاج هذه النباتات والاهتمام في شؤون الزراعة، لاسيما في البلاد التي تحتم جغرافيتها أن تكون حرفتها الأولى الزراعة، لأن ذلك في مصلحة الدولة والمسلمين كافة.

إن الاهتمام بالزراعة في العصر الراشدي والجهود التي بذلت ووجهت لرفع المستوى الزراعي أدت إلى زيادة المحاصيل وتنوعها بتنوع أقاليم المشرق العربي، إذ كانت الحبوب والفواكه والخضروات والتمور من أهم أنواع المحاصيل الزراعية وتنتشر زراعة المحاصيل الغذائية في معظم مناطق المشرق العربي وقد أشارت المصادر الجغرافية إلى ذلك مما يلحظ تنوع هذه النباتات بين زراعية وطبيعية ووفرتها وقد حظيت بأهتمام كبير منذ القدم نظراً لأهميتها الغذائية للسكان وزيادتها عن الحاجة أحياناً.

الكلمات المفتاحية: النباتات، العصر الراشدي، المشرق العربي.

Abstract:

This research dealt with the types of agricultural and natural plants spread in the regions of the Arab Mashreq in the era of the Rashidun Caliphate, and what God Almighty singled out each of these regions with different types of plants according to the different terrain, climate and soil in each region. The efforts of the rational state in seeking to increase the production of these plants and attention to the affairs of agriculture, especially in countries whose geography necessitates that its first craft be agriculture, because this is in the interest of the state and all Muslims.

The interest in agriculture in the Rashidi era and the efforts made and directed to raise the agricultural level led to an increase in crops and their diversity in the diversity of the regions of the Arab Mashreq, where grains, fruits, vegetables and dates were among the most important types of agricultural crops and the cultivation of food crops spread in most regions of the Arab Mashreq. The diversity of these plants between agricultural and natural and their abundance has received great attention since ancient times due to their nutritional importance to the population and their excess sometimes.

Keywords: Plants, ALRashidy era, Arab East.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

تتنوع النباتات (الزراعية والطبيعية) في أقاليم المشرق العربي تبعا للاختلاف في التضاريس والمناخ وكمية الأمطار الساقطة، وقد كان لهذا التنوع الأثر الكبير في ازدهار الحياة الاقتصادية واستقرارها في عصر الخلافة الراشدة، وجاء اختيار الموضوع الموسوم "أنواع النباتات في العصر الراشدي بالمشرق العربي" الذي كان الهدف منه إبراز أهمية النباتات وتنوعها ووفرته بتنوع أقاليم المشرق العربي إذ كانت الحبوب والفواكه والخضراوات والتمور من أهم أنواع المحاصيل النباتية التي تنتشر في معظم مناطق المشرق العربي، وقد حظيت باهتمام كبير منذ القدم ولاسيما في العصر الراشدي، فبذلت الجهود ووجهت لرفع مستوى الانتاج الزراعي نظراً لأهميتها الغذائية للسكان.

قسم البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، جاء المبحث الأول بعنوان (النباتات الزراعية في المشرق العربي) ويشمل الحبوب، والفواكه، والخضراوات والبقول، والنخيل، والزيتون. أما المبحث الثاني فكان بعنوان (النباتات الطبيعية في المشرق العربي) ومن خلاله تم توضيح أهم النباتات الطبيعية التي تنبت من تلقاء نفسها في أقاليم المشرق العربي.

اعتمد البحث على العديد من المصادر والمراجع التي أغنت البحث في الكثير من المعلومات التاريخية والعلمية ومن أهم هذه الكتب كتاب "الخراج" ليعقوب بن إبراهيم أبي يوسف القاضي (ت: 182هـ/798م) الذي استعان فيه الباحث بشكل كبير في الأمور المتعلقة بأهم النباتات الزراعية لكل إقليم من الأقاليم الإسلامية في العصر الراشدي، وكتاب "فتوح البلدان" لأحمد ابن يحيى بن جابر البلاذري (ت: 279هـ/892م) الذي أفاد في معلومات مهمة عن تنوع النباتات لكل إقليم يتم فتحه، والكتاب الجغرافي المهم "معجم البلدان" لشهاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموي (ت: 626هـ/1228م) الذي أفاد في وصف الأماكن الجغرافية وتنوع محاصيلها لمختلف أقاليم المشرق العربي.

وقد تم تقسيم البحث على محورين رئيسيين تناول الأول النباتات الزراعية بأصنافها المختلفة من حبوب، وفواكه، وخضراوات وبقول وغيرها، فيما تناول المحور الثاني النباتات الطبيعية في المشرق العربي بكل أصنافها.

أولاً: النباتات الزراعية:

1_ الحبوب:

ورد ذكر الحبوب في القرآن الكريم في قوله تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَأَنْتَا صَبَّأُ الْمَاءِ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا)⁽¹⁾، تعد الحبوب من أهم المحاصيل الزراعية التي انتشرت زراعتها في مناطق مختلفة من المشرق العربي، ويأتي في مقدمتها القمح، إذ تحتل مصر المركز الأول بين محاصيل الحبوب وهو من أقدم المحاصيل التي زرعت في وادي النيل ويُعد من المحاصيل الرئيسة⁽²⁾ التي استعملها الإنسان بوصفها غذاءً له لتفوقه في القيمة الغذائية⁽³⁾، وكانت زراعتها تشكل مساحة كبيرة من الأراضي الخصبة الصالحة وتنتشر زراعتها في معظم مدن مصر سوى الإسكندرية وأسوان، إذ تكون أراضيها سبخة⁽⁴⁾. وكانت زراعتها تكثر في الصعيد والفيوم والفرما⁽⁵⁾، وقد ازدادت أهميتها في مصر بالاعتماد عليها في أداء ضريبة الخراج إما عيناً⁽⁶⁾ أو نقداً⁽⁷⁾، التي كان يطلق عليها ضريبة الغلات⁽⁸⁾، وامتازت مصر بزراعة أنواع جيدة من القمح ومنها القمح اليوسفي وهو أعظم القمح حباً وأطولاه شكلاً وشقاراً⁽⁹⁾، وعرفت الفيوم بقمحها الموصوف⁽¹⁰⁾ وكان قمح مصر يحمل للحجاز في العصر الراشدي

(1) سورة عبس: الآيات 25-27.

(2) سيد مرعي، الزراعة المصرية، (القاهرة، وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي، 1970م)، 50.

(3) هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة، محمد صقر خفاجة وأحمد العدوي، (القاهرة، دار القلم، 1966م)،

113؛ وليم نظير، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970م)، 73.

(4) عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبو الفداء، تقويم البلدان، (بيروت، دار صادر، د. ت)، 113.

(5) أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، البلدان، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م)، 331؛

الحسن بن إبراهيم بن الحسين الليثي ابن زولاق، فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق، علي محمد عمر، (القاهرة،

الهيئة المصرية للكتاب، 1999م)، 6؛ أبو عبد الله محمد أحمد البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ط1،

بيروت، دار صادر، د. ت)، 195.

(6) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها (ط21، مصر، وكالة الصحافة العربية، د. ت)،

152؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار

المعروف بالخطط المقرئية، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م)، 1/ 75.

(7) ابن زولاق، فضائل مصر، 4؛ أسعد بن المهذب بن أبي مليح ابن مماتي، قوانين الدواوين تحقيق، عزيز سوريال عطية،

(القاهرة، د. ن، 1943م)، 259.

(8) محمد ضياء الدين الرئيسي، الخراج، النظم المالية للدولة الإسلامية، (ط3، القاهرة، دار المعارف، 1969م)، 50.

(9) ابن زولاق، فضائل مصر، 7؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والإشراف تحقيق، عبد الله

إسماعيل الصاوي، (القاهرة، دار الصاوي، د. ت)، 20.

(10) اليعقوبي، البلدان، 170.

ولاسيما في عام الرمادة عام (18هـ/ 639م)⁽¹⁾ لمساعدة أهلها، ولم تكتفِ مصر بإرسال القمح إنما كانت ترسل الدقيق والكعك بكميات كبيرة⁽²⁾، ويأتي الشعير في المرتبة الثانية الذي يزرع في مصر وزراعته منتشرة في سائر البلاد من اسوان جنوباً إلى ساحل البحر المتوسط شمالاً⁽³⁾، وهو يستعمل بوصفها مادة غذائية للإنسان وعلفاً للحيوانات⁽⁴⁾، فضلاً عن استعماله في صناعة الجعة⁽⁵⁾ وتتركز صناعته في الصعيد⁽⁶⁾ والفيوم⁽⁷⁾ والواحات⁽⁸⁾، وتشتهر مصر بأنواع أخرى من الحبوب كالذرة والرز⁽⁹⁾ والقرط والبرسيم والنوعان الأخيران يزرعان علفاً للماشية⁽¹⁰⁾.

أما في بلاد الشام، فقد كانت ولا زالت تنتج أنواعاً من الحبوب وهي القمح والشعير والشوفان والفل والحمص والعدس والذرة والسمسم والأرز والبسلة⁽¹¹⁾، وقد صالح خالد بن الوليد "أهل بصرى الشام على أن يؤديوا عن كل حالم (بالغ) ديناراً وجريب حنطة"⁽¹²⁾. كما صالح أهل دمشق على "أن يؤدي كل رجل منهم ديناراً وجريب حنطة وخلاً وزيتاً لقوت المسلمين"⁽¹³⁾.

- 1) عام الرمادة: هو العام الذي حدث فيه قحط وجوع أصاب الناس في المدينة المنورة في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وسمي ذلك العام بعام الرمادة، لأن الأرض كلها صارت سوداء فشبهت بالرماد، وكانت تسعة أشهر. أبو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م)، 310 / 3.
- 2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، 195.
- 3) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، (ط2، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م)، 445.
- 4) نظير، الثروة النباتية، 78.
- 5) الجعة: هو نوع من المشروب والنبيذ (البيرة). ينظر: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الانصاري الرويفعي الأفريقي بن منظور، لسان العرب الحواشي، اليازجي ومجموعة من اللغويين، (ط1، بيروت، دار صادر، 1993م)، 380 / 8.
- 6) ابن ممتي، قوانين الدواوين، 261.
- 7) المقرئ، الخطط، 1 / 101.
- 8) أبو القاسم محمد البغدادي الموصلية بن حوقل، صورة الأرض، (بيروت، دار صادر، 1938م)، 144.
- 9) المقدسي، أحسن التقاسيم، 208.
- 10) أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، فضائل مصر المحروسة، تحقيق، إبراهيم أحمد العدوي، علي محمد عمر، (القاهرة، د. ن، 1971م)، 58؛ أحمد بن علي بن أحمد الغزالي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت)، 3 / 343 - 344.
- 11) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط4، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1964م)، 2 / 272.
- 12) أبو إسماعيل محمد بن عبد الله البصري الأزدي، فتوح الشام تحقيق، عبد المنعم عامر، (القاهرة، مؤسسة سجل العرب، 1970م)، 822؛ أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة، (ط1، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1981م)، 388؛ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، فتوح البلدان، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988م)، 134.
- 13) البلاذري، فتوح البلدان، 148.

وكانت تزرع انواع الحبوب في بلاد الشام منذ أقدم العصور وتنتشر زراعتها في معظم أنحاء بلاد الشام كعمان⁽¹⁾ وحوارن وشيزر وحماة⁽²⁾ وسهل البقاع وسهول حلب⁽³⁾، وكانت أكثر زراعة معرة النعمان القمح⁽⁴⁾ فيذكر ناصر خسرو⁽⁵⁾ ذلك فيقول: "إن زراعة السكان في معرة النعمان كلها قمح وهو كثير". اما الشعير فقد زادت مساحات زراعته كونه يختلف عن زراعة القمح فهو يتحمل العطش، وقلة المياه، وهو يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية باستعماله علفاً للحيوانات وكان في بعض الأحيان يزرع الشعير كعلف أخضر ترعاه الماشية قبل أن يجف ويشد سلقه⁽⁶⁾، وانتشرت زراعته مع القمح على الساحل⁽⁷⁾، وفي الجبال والشرية والبلقاء والقدس⁽⁸⁾، أما زراعة الأرز التي تحتاج إلى مياه وفيرة وتربة خصبة ودرجات حرارة مرتفعة خلال فترة الإنبات، وتتركز زراعته في بيسان⁽⁹⁾ وصفد وصور⁽¹⁰⁾.

اما في العراق فتوجد أنواع مختلفة من الحبوب في العراق ومنها الحنطة والشعير⁽¹¹⁾ والرز القشري (حول ضفاف نهري دجلة والفرات)، والذرة والسمسم والحمص والماش والعدس والدخن والهرطمان والباقلان الكبيرة⁽¹²⁾. وكانت الحنطة والشعير تزرع في انحاء العراق كافة باستثناء منطقة البطيحة⁽¹³⁾، وإن خراج

(1) اليعقوبي، البلدان، 324، 452.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، 140.

(3) ابن حوقل، صورة الأرض، 163؛ أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان (ط2، بيروت، دار صادر، 1995م)، 1/ 266.

(4) ابن حوقل، نفسه، 165.

(5) أبو معين الدين ناصر الحكيم خسرو القبادياني المروزي، سفر نامه تحقيق، يحيى الخشاب، (ط3، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1983م)، 11.

(6) طه ثلجي الطراونة، مملكة صفد في عهد المماليك، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1981م)، 164.

(7) ابن حوقل، صورة الأرض، 165.

(8) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق، محمد صالحة وإحسان العمدة، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، 1984م)، 6.

(9) المقدسي، أحسن التقاسيم، 128؛ مصطفى الشهابي، الزراعة العلمية الحديثة، (ط2، دمشق، مطبعة الاعتدال، 1935م)، 317.

(10) مجهول، مفتاح الراحة، 6.

(11) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبه الأنصاري أبو يوسف القاضي، الخراج تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، (القاهرة، مكتبة الأزهرية للتراث، د. ت)، 61؛ أبو عبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي بن سلام، الأموال تحقيق، خليل محمد هراس، (بيروت، دار الفكر، د. ت)، 88.

(12) عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، (ط1، بغداد، مطبعة المعارف، 1948م)، 79-80.

(13) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة، المسالك والممالك (د. ط، بيروت، دار صادر، 1889م)، 8-14.

العراق كان يدفع على الأغلب حنطة وشعيراً⁽¹⁾، فقد وضع الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "على جريب البر أربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين"⁽²⁾.

وتعد الأنبار من أهم مراكز زراعتها حتى قيل أن سبب تسميتها بالأنبار يرجع إلى أنابيب الحنطة والشعير التي كانت تجمع فيها⁽³⁾، وكانت الموصل تزرع الحنطة والشعير بكثرة⁽⁴⁾، ومن الحبوب الأخرى التي اشتهرت بها العراق هي الرز، فقد اشتهرت زراعته في الأرض السهلية والأهوار قرب الكوفة وعلى قنوات الفرات الاسفل وهي منطقة البطائح⁽⁵⁾، ويرجع ذلك لطبيعة تكوين أراضيها التي تتوافر بها المياه⁽⁶⁾، إذ يحتاج الأرز في زراعته إلى وفرة المياه بقدر كبير طوال مدة نموه بل إنه لا يجوز أن يفارقه الماء أبداً في منبته⁽⁷⁾، أما الاشارات إلى الحبوب الأخرى فضئيلة ومنها السمسم ويذكر المقدسي⁽⁸⁾ قائلاً: "إن تكريت كانت مركز زراعته".

في شبه الجزيرة العربية انتشرت زراعة الحبوب وأهمها القمح والشعير والذرة والحمص والسمسم والأرز والعلس⁽⁹⁾، إذ أن القمح والشعير هما عماد الخبز في شبه الجزيرة العربية منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا، فقد كان القمح يزرع في الطائف⁽¹⁰⁾، واشتهرت المدينة أيضاً بزراعة الحنطة والشعير⁽¹⁾، واشتهرت كلاً من البحرين ومنطقة العروض بزراعة الحنطة والشعير⁽²⁾.

(1) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، 239.

(2) أبو عبيد بن سلام، الأموال، 86؛ أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخراساني المعروف بابن زنجويه، الأموال، تحقيق، شاعر ذيب فياض، (ط1، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، 1986م)، 1 / 207؛ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (القاهرة، دار الحديث، د. ت)، 175.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1 / 257؛ عبد المؤمن بن شمائل القطيعي الحنبلي بن عبد الحق البغدادي، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، (ط1، بيروت، دار الجيل، 1991م)، 1 / 120.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، 145؛ ابن حوقل، صورة الأرض، 266.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، 69.

(6) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصبخري، المسالك والممالك (بيروت، دار صادر، 2004م)، 57 - 58.

(7) أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني المعروف بابن وحشية، الفلاحة النبطية، تحقيق، توفيق فهد، (دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1993م)، 1 / 478.

(8) أحسن التقاسيم، 123.

(9) أبو علي أحمد بن عمر بن رسته، الأعلاق النفيسة (لیدن، مطبعة بريل، 1891م)، 7 / 111؛ زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، د. ت)، 1 / 68؛ العلس: نوع من البر يشبه الحنطة أدق من الحنطة في سنابل وعليها قشرتان ويطحن ويخبز ويكون طعمه أطيب من خبز الحنطة. ابن رسته، الأعلاق النفيسة، 109 / 7.

(10) جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب ابن المجاور الشيباني، تاريخ المستبصر، (د. م، د. ن، د. ت)، 36.

أما في اليمن التي اشتهرت أيضاً بزراعة الحنطة، وقد كان الرسول (ﷺ)، يأخذ من صدقات أهل اليمن من "النخيل والحنطة والشعير والعنب أو قال الزبيب"⁽³⁾، وقد كانت الزراعة عندهم تعتمد على الأمطار ولاسيما الأمطار الموسمية التي كانت توفر للفلاحين المياه الكافية لسقي البساتين⁽⁴⁾. أما الشعير الذي هو أرخص ثمناً وأقل قيمة من الحنطة ومن ثم فقد كثر استعماله في الطعام وخصوصاً عند العوام من الشعب، كما كان يوصفه علفاً للماشية⁽⁵⁾، وقد احتكرت تجارته يهود يثرب ولاسيما في سوق بني قينقاع⁽⁶⁾، أما الذرة فهي من أهم الحبوب المعروفة في شبه الجزيرة العربية وهي عدة أنواع منها الأبيض وهو الأشهر وكذلك الأصفر والأحمر، وكانت تطحن حبوبها وتعمل في الخبز وكذلك تستعمل علفاً للماشية أحياناً، وكذلك أغصانه وأوراقه كانت تستعمل علفاً أيضاً للماشية⁽⁷⁾، وكان يستخرج منه شراب يسمى (المزر)⁽⁸⁾، وقد نهى النبي (ﷺ) عن شرب ذلك المشروب⁽⁹⁾، فقد روي أنه قدم رجل من اليمن فسأل النبي (ﷺ) عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له: المزر فقال النبي (ﷺ): "أهو مسكر هو؟"، قال: نعم، قال رسول الله (ﷺ) كل مسكر حرام⁽¹⁰⁾، وقد كثرت زراعة الذرة في اليمن⁽¹¹⁾.

وبهذا يمكن القول إن انتاج الحبوب في أقاليم البلاد الإسلامية وخلال فترة العصر الراشدي كان كافياً لسد احتياجاتها فقد تنوعت الحبوب ما بين القمح والشعير والرز والذرة، وكما هو معلوم أن القمح

- (1) أبو زكريا يحيى بن سليمان القريشي ابن آدم، الخراج (ط2، القاهرة، المطبعة السلفية، 1964م)، 132؛ أحمد إبراهيم الشريف، مكة المكرمة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول (ﷺ)، (الإسكندرية، دار الفكر العربي، د. ت)، 38.
- (2) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، تحقيق، يوسف الهادي، (ط1، د. م. د. ن، 1996م)، 1 / 87؛ ابن حوقل، صورة الأرض، 33.
- (3) البلاذري، فتوح البلدان، 77.
- (4) علي محمد معطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، (بيروت، دار المنهل اللبناني، د. ت)، 117.
- (5) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط2، الاسكندرية، د. ن، 1993م)، 7 / 58.
- (6) عرفات محمد حمود، أسواق العرب في الجاهلية، (بيروت، دار الجيل، 1979م)، 56.
- (7) ابن الحائك أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، (لیدن، مطبعة بريل، 1884م)، 260.
- (8) محمد بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989م)، 265.
- (9) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزرارة البخاري، صحيح البخاري، تحقيق، جماعة من العلماء، (ط1، القاهرة، مطبعة بولاق السلطانية الكبرى، 2001م)، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، الرقم (4344)، 5 / 162؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري مسلم، المسند الصحيح المختصر من السنن ينقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م)، باب بيان أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام، 3 / 1586.
- (10) مسلم، صحيح مسلم، باب بيان أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام، رقم الحديث (2002)، 3 / 1587.
- (11) محمد بن علي الأكوخ الحوالي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، (بيروت، مكتبة الجيل الجديد، 1982م)، 167.

كان غذاء وطعاماً لميسوري الحال من العوام من الناس، فضلاً عن كونه علفاً للماشية، إلى جانب قيمته في الأحكام الشرعية كتقديمه في الصدقات والزكاة وبعض الكفارات.

2_ الفواكه:

ورد ذكر الفواكه في القرآن الكريم في قوله تعالى: (فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)⁽¹⁾، وتنتشر زراعة الفواكه في أقاليم المشرق العربي بشكل كبير، فقد شاعت زراعتها في أقاليم المشرق العربي نظراً لتنوع التربة وأنماط الأسلوب الزراعي، فضلاً عن توفر الخبرة واليد العاملة. ففي إقليم مصر انتشرت زراعة أشجار العنب في الإسكندرية⁽²⁾ والواحات والفرما⁽³⁾، إذ كان المصريون فضلاً عن الاستفادة من قيمته الغذائية يصنعون منه الخمر⁽⁴⁾، ووصفت الفيوم بأنها تزرع أنواعاً من الفواكه "والفيوم فيها الأترج الأحمر الجافي من الفواكه والأعنان ما ليس في غيرها"⁽⁵⁾، واشتهرت الواحات بزراعة أنواع ممتازة من الفواكه كالعنب والنقاح والكمثرى والرمان الكثير⁽⁶⁾. وقد استفاد المصريون من الرمان بوصفه مادةً غذائية ولعلاج بعض الأمراض، وقشره كان يستعمل في الأصباغ⁽⁷⁾ التي اشتهرت في زراعته العريش⁽⁸⁾، فضلاً عن التين والخوخ والمشمش الذي كان يزرع في مصر السفلى والرطب الذي اشتهرت به مدن مصر السفلى⁽⁹⁾، وأيضاً الموز الذي كان يزرع في دمياط ومسروق⁽¹⁰⁾. أما بلاد الشام، فقد اشتهرت بكثرة الأعنان والزبيب⁽¹¹⁾، ومن الشواهد على انتشار زراعة العنب والكرم في بلاد الشام "كان المسلمون بالجابية"⁽¹²⁾ وفيهم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فأتاه رجل من أهل الذمة يخبره: إن الناس قد أسرعوا في عنبه فخرج عمر حتى لقي رجلاً من أصحابه

(1) سورة المؤمنون، الآية 19.

(2) اليعقوبي، البلدان، 177؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، 197؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، 271.

(3) ابن حوقل، صورة الأرض، 144.

(4) هيرودوت، هيرودوت وهو يتحدث عن مصر، 125.

(5) ابن زولاق، فضائل مصر، 18.

(6) اليعقوبي، البلدان، 177؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، 201.

(7) نظير، الثروة النباتية، 134.

(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 113.

(9) الكندي، فضائل مصر، 47.

(10) ابن رسته، الأعلام النفيسة، 116.

(11) ابن حوقل، صورة الأرض، 166.

(12) الجابية: وهي قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان وفي هذا الموضع خطب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خطبته المشهورة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 91.

يحمل ترساً عليه عنب، فقال له عمر: وأنت أيضاً؟، فقال: يا أمير المؤمنين أصابتنا مجاعة فانصرف عمر فأمر لصاحب الكرم بقيمة عنبه⁽¹⁾.

وقد كان يُزرع الأعناب والكروم في غوطة دمشق وفي جبال فلسطين وكذلك في حمص وعسقلان⁽²⁾، ومن أهم الفواكه في بلاد الشام الرمان وهو أصناف عديدة⁽³⁾، واشتهرت بلاد الشام بأن رمانها عظيم الحب للغاية⁽⁴⁾. أما التفاح فقد اشتهرت بلاد الشام به ولاسيما التفاح اللبناني الموصوف بلونه وطيب رائحته، واشتهرت الخليل في فلسطين بالتفاح⁽⁵⁾، وكان يزرع أيضاً في دمشق وسهل البقاع والزبداني⁽⁶⁾، ولكون شجرة الموز تحتاج الى مناخ دافئ⁽⁷⁾، فقد كان يزرع في المناطق الساحلية الدافئة والأغوار⁽⁸⁾، وكان المشمش أيضاً يزرع في منطقة حلب⁽⁹⁾، واشتهرت بلاد الشام بزراعة أشجار الحمضيات بأنواعها كالبرتقال والليمون والنارنج والأترج⁽¹⁰⁾، وهناك اشارات إلى وجود السفرجل والسماق ولاسيما في الغوطة والقدس والخليل والمناطق الجبلية⁽¹¹⁾، ووجدت أيضاً في بلاد الشام زراعة التوت وأكثر ما اشتهرت به منطقة منبج⁽¹²⁾، وكانت منتشرة في مختلف الجهات، فقد ذكر أبو يوسف⁽¹³⁾ "إنه كانت ينتج فيها العنب والرطوبة".

أما في العراق فيظهر أن العنب كان يزرع في العراق بكثرة حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رأى من الضروري تخصيص الخراج الذي يؤخذ من الأعناب لوفرتها⁽¹⁴⁾، فقد وضع الخليفة عمر

- (1) أبو عبيد بن سلام، الأموال، 199؛ ابن زنجويه، الأموال، 379.
- (2) المقدسي، أحسن التقاسيم، 161؛ محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، (ط1، بيروت، عالم الكتب، 1989م)، 15.
- (3) أبو البقاء عبد الله البدر، نزهة الأنام في محاسن الشام، (ط1، بيروت، دار الرائد العربي، 1980م)، 133.
- (4) نوفل أفندي بن نعمة الله بن جرجس بن نوفل الطرابلسي، صناعة الطرب في تقدمات العرب (ط2، بيروت، دار الراشد العربي، 1982م)، 11.
- (5) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، (القاهرة، دار المعارف، د.ت)، 172.
- (6) نزال الديري، بساتين الفاكهة، (حلب، منشورات جامعة حلب، 2002م)، 228.
- (7) الديري، بساتين الفاكهة، 111.
- (8) المقدسي، أحسن التقاسيم، 179.
- (9) المقدسي، نفسه، 181.
- (10) ابن عبد الحق البغدادي، مرصد الاطلاع، 3/ 1288.
- (11) ابن حوقل، صورة الأرض، 1/ 166؛ أبو البقاء، نزهة الانام، 198.
- (12) المقدسي، أحسن التقاسيم، 181.
- (13) الخراج، 60.
- (14) الماوري، الأحكام السلطانية، 198.

بن الخطاب (رضي الله عنه) جباية الأموال على الأراضي في العراق عام (22هـ / 642م)⁽¹⁾، فوضع على "جريب الكرم عشرة دراهم"⁽²⁾، ولما كان زمان الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أمر عامله على "بعض الرساتيق والقرى التي يسقيها الفرات وجعل جريب الكرم إذا أتت عليه ثلاث سنين ودخل في الرابعة وأطعم عشرة دراهم"⁽³⁾.

وكانت تُزرع أنواع متعددة من العنب⁽⁴⁾ ومنها الرزاق الذي دخله العرب إلى العراق من الطائف⁽⁵⁾، وهناك أنواع مشهورة تنبت في محلات معروفة في العراق مثل أعناب (عكبرا) و(دير العاقول) ، وسروج وحلوان⁽⁶⁾. وكانت تزرع في العراق أيضاً فواكه أخرى في جهات مختلفة من العراق ومنها الرمان الذي اشتهرت به سنجار⁽⁷⁾ والتين، وقد كان تين حلوان مضرب بالمثل ويذكر الدينوري⁽⁸⁾ عشرة أنواع منه. هذا وكان الرقي والبطيخ من الفواكه المحبوبة وكان سوق الفواكه يسمى عادة (دار البطيخ)⁽⁹⁾، وكان يزرع في العراق الأجاص والمشمش والسفرجل والتفاح واللوز والبلوط والسماق⁽¹⁰⁾، ولقت الذي كان يزرع بصورة خاصة في القادسية ويستفاد منه لإطعام جمال ورواحل الحجاج⁽¹¹⁾.

وانتشرت زراعة الفواكه في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية، فقد اشتهرت المدينة بزراعة العنب والتين والرمان والسفرجل⁽¹²⁾، واشتهرت الطائف بزراعة الفواكه وتحديداً العنب فذكر البلاذري⁽¹³⁾ "أنه كان للعباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) مزارع كروم ويحمل الزبيب منها ويوضع فيه الماء لغرض سقاية الحجاج".

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 152.

(2) أبو يوسف، الخراج، 46؛ أبو عبيد بن سلام، الأموال، 86؛ ابن زنجويه، الأموال، 1 / 207.

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 152؛ البلاذري، فتوح البلدان، 332.

(4) ابن الفقيه، البلدان، 120.

(5) أبو حنيفة بن داود الدينوري، النبات، تحقيق، برنهارد لفين، (خيسبادن، فرانز شتاينر، 1974م)، 5 / 207.

(6) المقدسي، أحسن التقاسيم، 122-123، 125؛ ابن حوقل، صورة الأرض، 230.

(7) الثعالبي، لطائف المعارف فيما لمواسم العالم من الوظائف، تحقيق، عامر بن علي ياسين، (ط1، الرياض، دار ابن خزيمة، للنشر والتوزيع، 2007م)، 133.

(8) النبات، 61-71.

(9) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، 82.

(10) أبو يوسف، الخراج، 51، 56، 70؛ البلاذري، فتوح البلدان، 1 / 159.

(11) ابن حوقل، صورة الأرض، 233.

(12) مالك بن أنس، الموطأ، صححه ورقمه واخرج أحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار احياء التراث العربي، 1985م)، باب ما جاء في المساقاة، الرقم (2)، 2 / 703؛ القلقشندي، صبح الاعشى، 4 / 254.

(13) فتوح البلدان، 1 / 64.

ومما يدل على وجود زراعة الفواكه في الطائف خلال العصر الراشدي "أن سفيان بن عبد الله الثقفي كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكان عاملاً له على الطائف يذكر أن قبله حيطاناً فيها كروم وفيها من الفرسك⁽¹⁾ والرمان وما هو أكثر غلة من الكروم أضعافاً واستأمره في المعشر، فكتب إليه عمر: ليس عليها عُشر وذكر هي من العضاة⁽²⁾ وليس عليها صدقة⁽³⁾. وكذلك اشتهرت اليمن بزراعة أنواع كثيرة من الأعناب⁽⁴⁾ الذي كان يجفف ثم يصدر إلى خارج البلاد⁽⁵⁾، وتنتشر زراعة الرمان في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية، فقد انتشرت زراعته في المدينة⁽⁶⁾ واليمن⁽⁷⁾ وعُمان⁽⁸⁾ وزرع الموز في صنعاء في اليمن⁽⁹⁾ وكان يزرع في شبه الجزيرة العربية التفاح والبرقوق وهو المشمش وأنواع الأجاص والتين⁽¹⁰⁾.

3_ الخضراوات والبقول:

وتعد الخضراوات والبقول من أهم المنتجات التي انتشرت زراعتها في أقاليم المشرق العربي، وقد حرص العرب المسلمون على زراعتها في بلادهم بشكل كبير خاصة في المناطق الخصبة التي تتوفر فيها المياه والمناخ الملائم، وهي تضم أنواعاً عديدة كالبطيخ والشمام والرشاد واللفت والكرفس والقثاء والباذنجان والقرع والفجل والكراث والبصل والثوم والفاصوليا والسهم والحمص والخيار وما أشبه ذلك⁽¹¹⁾ التي كانت تزرع في العراق وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، وكانت تتفاوت فيما بينها في المقادير والأنواع⁽¹²⁾.

(1) الفرسك: الخوخ. ابن منظور، لسان العرب، 10 / 475.

(2) العضاة: شبهه بشجر الشوك الذي ان ييس تلف ثمره. ابن منظور، لسان العرب، 7 / 190.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، 65؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، (ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م)، باب ما يؤخذ صدقة من الشجر غير العنب والنخل، 4 / 210.

(4) محمد سهيل طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والانجازات السياسية، (ط2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر، 2011م)، 49.

(5) ابن رسته، الأعلام النفسية، 7 / 111.

(6) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي البكري، معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع، (ط3، بيروت، عالم الكتب، 1982م)، 1 / 100.

(7) ابن رسته، الأعلام النفسية، 7 / 111.

(8) الأصبخري، المسالك والممالك، 27.

(9) القزويني، آثار البلاد، 1 / 68.

(10) القلقشندي، صبح الاعشى، 4 / 245.

(11) أبو يوسف، الخراج، 51 - 56؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، 165؛ أبو عبيد بن سلام، الأموال، 637 - 667، 673، 712.

(12) أبو يوسف، الخراج، 69 - 71؛ البلاذري، فتوح البلدان، 2 / 159.

وقد اشتهرت مصر منذ القدم بزراعة الخضراوات والبقول، فقد وجد المسلمون عند دخولهم الاسكندرية أعداد كثيرة ممن يبيعون البقول والخضر⁽¹⁾ وكذلك اشتهرت مصر بزراعة البقول، وكانت بعض أنواعه ولاسيما الفول والعدس والحمص تدخل ضمن طعام الفلاحين⁽²⁾، ويزرع البصل والثوم في معظم أراضي مصر⁽³⁾، وقد كان يستعمل للأكل والعلاج⁽⁴⁾ واستعمال المصريون الكرافس للأكل ولأغراض طبية⁽⁵⁾ والفجل الذي كان ينتفع منه بوصفه مادة غذائية وللحصول منه على زيت الفجل الذي يستعمل للأغراض الطبية⁽⁶⁾، والخس الذي فضلاً عن كونه مادة غذائية فقد استعمل المصريون من بذوره زيتاً استعملوه في الطعام والتدليك وعرف خواصه في تقوية الأجسام⁽⁷⁾ وتتركز زراعته في أقاليم مصر العليا⁽⁸⁾. وقد أعفى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الصدقة عن الخضراوات، فقال: "ليس في الخضراوات صدقة"⁽⁹⁾. ولما كان زمان الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أعفى الخضر من الزكاة، فقال "ليس في الخضر زكاة: البقل والقثاء والخيار والبطيخ"⁽¹⁰⁾.

وانتشرت في بلاد الشام زراعة أنواع كثيرة من الخضراوات والبقول كالبطيخ واللفت والسلق والفجل والخس والقرع والبادنجان والخيار⁽¹¹⁾، ويرى فيليب: "أن العدس والقرع والفاصوليا دخلت سوريا من عصر ما قبل الميلاد".

أما في العراق، فقد اشتهرت بإنتاج الخضراوات والبقول المختلفة والكثيرة ومنها القرع والقثاء والفاصوليا والقرطم والبادنجان والجزر والفجل والثوم والبصل وما أشبه ذلك⁽¹²⁾، كما اشتهرت بإنتاجها للبقول ومنها العدس والحمص والماش والسمسم⁽¹³⁾.

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، 166.

(2) ابن زولاق، فضائل مصر، 260؛ ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (ط1، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 2002م)، 82.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، 1/ 234.

(4) المقرئ، الخطط، 1/ 102.

(5) نظير، الثروة النباتية، 94.

(6) ابن حوقل، صورة الأرض، 131.

(7) نظير، الثروة النباتية، 94.

(8) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، 61.

(9) أبو عبيد بن سلام، الأموال، 602.

(10) أبو يوسف، الخراج، 66؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (النجف، مطبعة العربي، 1939م)، 2/ 152.

(11) المقدسي، أحسن التقاسيم، 181؛ أبو البقاء، نزهة الانام، 173-177.

(12) فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة، جورج حداد، عبد الكريم رأفت، (بيروت، دار الثقافة، د. ت)، 1/ 302.

(13) أبو يوسف، الخراج، 56، 70-71، 77-89.

وفي شبه الجزيرة العربية زرعت انواعاً من الخضراوات والبقول فوصف القلقشندي⁽¹⁾ زراعة الخضراوات والبقول في الحجاز بقوله: "... ويزرع على العيون البطيخ والقثاء والبادنجان والقرع والفجل والكراث والبصل والثوم والهندباء". ومن أهم الشواهد على وجود زراعة الخضراوات والبقول في شبه الجزيرة العربية بالعصر الراشدي أنه: "نظر الخليفة عمر (رضي الله عنه) عام الرمادة إلى بطيخة في يد بعض ولده فقال: بخ بخ يابن أمير المؤمنين تأكل الفاكهة وأمة محمد هزلى! فقالوا اشتراها بكف نوى"⁽²⁾.

ومن الشواهد الأخرى عن زراعة البقول في شبه الجزيرة العربية أن مولى عثمان بن مظعون⁽³⁾، "كان يلي أرضاً لعثمان فيها بقل وقثاء، قال: فربما أتاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نصف النهار واضعاً ثوبه على رأسه يتعاهد الحمى أن لا يعضد شجرة ولا يخطب، قال: فيجلس إلي فيحدثني فأطعمه من القثاء والبقول، قال: فقال يوماً إني استعملك على ما ها هنا فمن رأيته يعضد شجراً ويخطب فخذ فأسه أو حبله"⁽⁴⁾. وتدل هذه النصوص على انتشار زراعة الخضراوات والبقول في إقليم شبه الجزيرة العربية في عصر الخلافة الراشدة والاعتناء بإنتاجها على الرغم من عدم وجود نهر هناك فضلاً عن قلة الأمطار، مقتصرين على مياه الآبار في زراعتها.

واشتهرت اليمن بزراعة الحمص والبقول⁽⁵⁾ والسهم، فقد كان السهم في اليمن يعرف باسم الجبلا أو الجليل⁽⁶⁾، كما اشتهرت اليمن بزراعة العدس الذي كانوا يطلقون عليه اسم العلس، وهو طعام معروف عند أهل صنعاء⁽⁷⁾.

(1) صبح الأعشى، 4/ 254.

(2) ابن سعد، الطبقات، 3/ 240؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993م)، 4/ 140؛ علاء الدين علي بن بسام بن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري الشهير بالهندي، كنز العمال، تحقيق، بكري حياني، صنفوة السقا، (ط5، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م)، 12/ 612.

(3) عثمان بن مظعون: ويكنى أبو السائب وهو من سادة المهاجرين، كان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وهو ممن فاز بوفاة النبي (ﷺ)، وصلى عليه رسول الله (ﷺ)، ووضع عند رأسه الحجر فكان أول من دفن ببقيع الغرق. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء تحقيق، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، (ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985م)، 1/ 155.

(4) علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي، مسند ابن الجعد، تحقيق، عامر أحمد حيدر، (ط1، بيروت، مؤسسة نادر، 1990م)، 486؛ ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، (ط1، القاهرة، مطبعة السعادة، 1924م)، 71.

(5) معطي، تاريخ العرب الاقتصادي، 118.

(6) عبد الواحد الشجاع، اليمن في عيون الرحالة، (دمشق، دار الفكر، 1993م)، 167.

(7) الحوالي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، 167.

4_ النخيل:

وتعد من اهم نباتات المشرق العربي، فهي تتمتع بمكانة كبيرة بين الحاصلات الزراعية في بلاد العرب حتى قيل بأنها "سيد الشجر وملك الرياض وأمير الحقول وعروس البساتين والحدائق"⁽¹⁾. وهو ينتشر في أرجاء عديدة من أقاليم المشرق العربي ومنذ زمن بعيد⁽²⁾ ويذكر أن اول من عنى بالنخلة النبي شيت بن آدم (عليه السلام)⁽³⁾، والنخلة شجرة مباركة ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ⁽⁴⁾، وذكر رسول الله (ﷺ) هذه الشجرة الكريمة وأثنى عليها وأمتدح ثمارها وقال: "لا يجوع أهل بيت التمر عندهم"⁽⁵⁾.

ويكثر انتشاره بالقرب من الواحات والعيون وضفاف الأنهار⁽⁶⁾، وقد استعمل المسلمون التمر للأكل وانتفعوا بنواه علفاً لبعض الحيوانات، فقد كانوا يطعمون الجمال نوى التمر فتقوى على حمل الأثقال إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، ويطعمونه الصفايا من الغنم فيكثر لبنها ويغزر⁽⁷⁾، واستملوا جذوعه وسعفه في البناء ولاسيما في بناء المساجد، فقد بني سقف المسجد النبوي بجذوع النخيل المغطاة بالسعف والجريد⁽⁸⁾، وتستعمل أوراقها في صناعة السلال والحصير، فضلاً عن أنه كان يضاء المسجد في الليل بسعف النخيل في وقت لم تكن قد عرفت فيه المصابيح والزيت بعد⁽⁹⁾، ويعد شجر النخل أطيب الطعام وأصحه وأجوده يُذهب الداء ولا داء فيه فهو فاكهة وغذاء وشراب وحلوى ودواء، كما أنه مادة الحياة وخبز العباد وعماد التجارة والاقتصاد⁽¹⁰⁾، أما عن أماكن انتشار النخيل في أقاليم المشرق العربي، فقد قدره الله (عز وجل) للعرب في جزيرة العرب وفي المشرق⁽¹¹⁾.

(1) أبو حاتم سهيل بن محمد بن عثمان السجستاني، كتاب النخلة، تحقيق، حاتم صالح الضامن، (ط1، بيروت، دار البشائر الاسلامية، 2002م)، 5.

(2) محمد بن إبراهيم بن بصال، الفلاحة، تحقيق، غوسي ماري ومحمد عزيان، (تطوان، مطبعة كريما وايس، 1955م)، 61.

(3) ابن وحشية النبطي، كتاب النخلة، 70.

(4) سورة الرحمن، الآيات 10 - 11.

(5) مسلم، صحيح مسلم، باب في إدخال التمر ونحوه من الأقوات للعيال، الرقم (2046)، 3 / 1618.

(6) الدينوري، كتاب النبات، 5 / 202.

(7) السجستاني، النخلة، 8.

(8) نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله السهمودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت)، 274 - 275.

(9) علي حسين الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، (ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1960م)، 296.

(10) السجستاني، النخلة، 5.

(11) السجستاني، نفسه، 39.

وعرفت أقاليم المشرق العربي بزراعة النخيل ومنها مصر ولاسيما في منطقة الواحات⁽¹⁾، ويزرع النخيل في أسوان ويتميز بغزارة الانتاج من التمور⁽²⁾ وأجود أنواع التمور والنخل يوجد في الفرما، فالنخيل كان يتمر حيث ينقطع البسرو الرطب ويكاد التمر لا ينقطع فيها⁽³⁾، وكذلك يزرع في الصعيد والفيوم ولا ينعدم التمر والرطب في الفيوم، شتاءً ولا صيفاً، ويوصف نخلها بأنه غزير الإنتاج⁽⁴⁾. وانتشرت زراعة النخيل في مناطق متعددة من بلاد الشام، منها قيسارية وحيفا⁽⁵⁾، وبادية تدمر وطرابلس⁽⁶⁾، وقد وصف ابن حوقل كثرة النخيل في الغور⁽⁷⁾، وكانت في بيت لحم زراعة للنخيل أيضاً ويقال أن فيها النخلة التي أكلت منها مريم⁽⁸⁾، وجاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَهَؤُلاءِ إِلَيْكَ يَجْمَعُ النَّخْلَةُ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا)⁽⁹⁾، وكانت أشجار النخيل منتشرة في جنوب بلاد الشام وشرقه⁽¹⁰⁾. كان العراق من أكثر أقاليم المشرق العربي زراعة للنخيل، وكانت البصرة من أهم المراكز التي يزرع فيها النخيل، فقد فازت البصرة بالسهم الاوفر والحظ الأكبر فنخيلها لا يقدر بثمن⁽¹¹⁾، ومن الأدلة على كثرة محصول التمر في العراق في العصر الراشدي أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) جعل على "جريب النخل ثمانية دراهم"⁽¹²⁾، ولهذا فقد انتجت البصرة أنواعاً مختلفة من التمور التي لاتحصى⁽¹³⁾، ولم تكن تقتصر زراعة النخيل في البصرة وحسب، بل كانت تزرع في كافة أراضي العراق، إذ امتدت زراعتها غرباً حتى القادسية⁽¹⁴⁾، وشمالاً حتى الأنبار وهيت⁽¹⁵⁾، وكان التمر العراقي يتمتع بشهرته الواسعة⁽¹⁾. وكانت توجد بعض بساتين النخيل بالقرب من سنجار⁽²⁾.

(1) أبو الفداء، تقويم البلدان، 105.

(2) اليعقوبي، البلدان، 172؛ ابن حوقل، صورة الأرض، 148.

(3) الكندي، فضائل مصر، 53-54؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، 271.

(4) الكندي، نفسه، 47.

(5) خسرو، سفر نامه، 53.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 153.

(7) ابن حوقل، صورة الأرض، 160؛ الحميري، الروض المعطار، 70.

(8) القزويني، آثار البلاد، 159.

(9) سورة مريم، الآية 25.

(10) محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي، خطط الشام، (ط3، دمشق، مكتبة النوري، 1983م)، 4/ 151.

(11) السجستاني، النخلة، 5.

(12) أبو يوسف، الخراج، 47؛ أبو عبيد، الأموال، 88؛ ابن زنجويه، الأموال، 1/ 207.

(13) ابن وحشية النبطي، النخل، 45.

(14) الأصبخري، المسالك والممالك، 83؛ مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن الاسلمية،

(بغداد، دار الرشيد، 1982م)، 322.

(15) الأصبخري، نفسه، 83.

أما في شبه الجزيرة العربية، فقد انتشرت أشجار النخيل وكانت كثافتها وجودة ثمرتها تختلف من منطقة إلى أخرى، فقد استفاد العرب منها كثيراً، يعده غذاءً رئيسياً لسكان شبه الجزيرة العربية مع ألبان الناقة والماعز⁽³⁾، "وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير"⁽⁴⁾، ولكثرة وجود التمر وتوفره في شبه الجزيرة العربية كانت تخرج منه زكاة الفطر، فقد روى أبو سعيد الخدري قال: "كنا نخرج زكاة الفطر إذ كان فينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صاعاً من طعام أو صاعاً من أقط أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر أو صاعاً من زبيب فلم نزل نخرجه حتى قدم معاوية بن أبي سفيان"⁽⁵⁾. وهذا يدل على وفرة هذه المحاصيل في عصر الرسالة وخلال العصر الراشدي.

ويضم نخيل شبه الجزيرة العربية أنواعاً منه "الصيحاني في خيبر، والعجوة في المدينة"⁽⁶⁾، وأيضاً الجنيب الذي يعد من أجود التمور، والبرحي وهو أجود التمور في المدينة المنورة، فضلاً عن اللوز وهو نوع فاخر من التمور ويكون أصفر شديد الصفرة يرى نواه من خارج ثمر النخلة وهو ليهود بني النظير⁽⁷⁾، وكانت مدينة خيبر تزرع أجود أنواع التمور⁽⁸⁾، واشتهرت الطائف بزراعة النخيل وكان للتمر عندهم شهرة واسعة⁽⁹⁾، ولم تقتصر زراعة النخيل في مناطق الحجاز حسب بل شملت أيضاً اليمن⁽¹⁰⁾ والبحرين⁽¹¹⁾ وعُمان⁽¹²⁾، وكان لا يزال يتخذ ثمر النخلة خير غذاء وهو التمر ومنه يصنع الخل والخمر والنبيذ والمنفعة فضلاً عن التمتع بالنخل يوصفه منظراً وزينة، وحداثته وبساتينه هي من اجمل البساتين⁽¹³⁾.

- (1) المقدسي، أحسن التقاسيم، 118.
- (2) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، 88.
- (3) معطي، تاريخ العرب الاقتصادي، 109-110.
- (4) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، (ط1، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م)، باب ومن سورة النساء، الرقم (3036)، 5/ 244، أخرجه الألباني وهو حديث حسن.
- (5) مسلم، صحيح مسلم، باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير، الرقم (985)، 2/ 678.
- (6) السهودي، وفاء الوفاء، 3/ 159.
- (7) يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرزي، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمايل، (بيروت دار صادر، د. ت)، 1/ 215؛ الشريف، مكة والمدينة، 293.
- (8) السهودي، وفاء الوفاء، 4/ 116.
- (9) عبد الجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف، (ط1، الرياض، دار الرفاعي، 1982م)، 51.
- (10) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، 7/ 177.
- (11) ابن الفقيه، البلدان، 1/ 87.
- (12) السجستاني، النخلة، 40.
- (13) عباس العزاوي، النخل في تاريخ العراق، (بغداد، مطبعة الصلاح، 1962م)، 104-105.

وبهذا فقد كان النخيل في مقدمة المحاصيل الزراعية الشائعة في ربوع الدولة الراشدة والتي اهتمت بزراعته، إذ توفر المناخ الملائم فضلاً عن أنه مصدر تجاري وكسب القوت، فاستعملت جذوعه دعامات لأسقف المنازل والمباني وصنعوا من سعفه الأرائك والكراسي وصنعوا من أليافه الحبال واستعمل نواه كعلف للحيوانات.

5_ الزيتون.

شجرة مباركة ورد ذكرها في القرآن الكريم مع شجرة التين، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: (وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ⁽¹⁾)، فالزيتون من أقدم وأوسع النباتات انتشاراً في المشرق العربي⁽²⁾، ومما يؤكد انتشار زراعته في العصر الراشدي أن الخليفة "عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)" قد أخذ من الزيتون الصدقة من كل خمسة أوسق⁽³⁾ من زنته من عشرة أمداد⁽⁴⁾ مدياً⁽⁵⁾. ففي مصر كان قليل وأكثر مناطق زراعته في مدن مصر السفلى⁽⁶⁾.

أما في الأقاليم الأخرى فقد عُد إقليم بلاد الشام أكثر البلاد زيتوناً⁽⁷⁾، إذ إن زراعته في بلاد الشام كانت قديمة تعود إلى العهد الفينيقي، فهم أول من أدخل زراعته إلى منطقة البحر المتوسط⁽⁸⁾، وكان الزيتون وزيته يدفع للضريبة والصدقات عيناً في بلاد الشام في العصر الراشدي⁽⁹⁾، ومن الشواهد على ذلك ما فرضه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من الزكاة على الزيتون وذلك "إن عمر لما قدم الجابية وجد أصحاب الرسول (ﷺ) قد اختلفوا في الزيتون، فقال عمر: منه العُشر"⁽¹⁰⁾، "وعن رجاء بن سلمة قال: سألت يزيد بن جابر عن الزيتون فقال: عِشره عمر بن الخطاب في الشام"⁽¹¹⁾، ومن أشهر أنواع الزيتون

(1) سورة التين، الآيات 1 - 2.

(2) الثعالبي، لطائف المعارف، 157.

(3) الوسق: في صدر الإسلام كان حمل بغير ويساوي 60 صاعاً أي 3/ 194 كيلو غرام من القمح، ينظر: فالتر هانتس، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة، كامل العسلي، (عمان، منشورات الجامعة الاردنية، د. ت)، 79.

(4) المُد: من المكايل الشائعة في المدينة المنورة قبل الإسلام وبعده وأصله أن يمد الرجل يديه فيملاً كفيه طعاماً ويشكل ربع الصاع، وهو في صدر الإسلام يساوي 812.5 غرام من القمح. ينظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، (ط2، عمان، دار السلام، 1989م)، 3/ 1498.

(5) أبو عبيد، الأموال، 499.

(6) الكندي، فضائل مصر، 47.

(7) الثعالبي، ثمار القلوب، 422.

(8) الديري، بساتين الفاكهة، 51.

(9) أبو عبيد، الأموال، 446 - 495.

(10) البيهقي، السنن الكبرى، باب ما ورد في الزيتون، 4/ 211.

(11) المصدر نفسه، باب ما ورد في الزيتون، 4/ 212.

في بلاد الشام الزيت الركابي⁽¹⁾، واشتهرت فلسطين بزراعة الزيتون بجلالها ولاسيما جبل الزيتون في القدس⁽²⁾، وكذلك يزرع في البلقاء وحلب وقنسرين والمعرّة⁽³⁾.

أما في العراق، فقد اشتهرت مدنه بزراعة الزيتون فاشتهرت الرحبة وسنجار بزيتونها⁽⁴⁾، وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "قد فرض على جريب الزيتون اثني عشر درهماً"⁽⁵⁾.

ولشجرة الزيتون فوائد واستعمالات عديدة وواسعة في العديد من المجالات، فضلاً عن أنه مادة غذائية فقد أُفيد من أخشابها⁽⁶⁾، كما يستفاد من الزيتون الزيت الذي يستعمل في الطعام وفي مجالات عديدة⁽⁷⁾، فضلاً عن استعماله في تدليك الجسم وتقويته وفي الإضاءة⁽⁸⁾. أن العرب قد حرصوا على زراعته بشكل كبير في بلادهم ومما ساعد على ذلك توفر المناخ الملائم لزراعة شجرة الزيتون المباركة.

ثانياً: النباتات الطبيعية في المشرق العربي:

تنتبت النباتات الطبيعية في المشرق العربي ويكون إنباتها من تلقاء نفسها، أي دون تدخل الإنسان في إنباتها، ففي مصر تتواجد كثير من النباتات ومنها البنفسج والورد والسوسن والمنثور والنجرس وشقائق النعمان والبهار والياسمين والآس والنيلوفر والريحان⁽⁹⁾، ويذكر ناصر خسرو⁽¹⁰⁾ النباتات في مصر فيقول: "ويجتمع في مصر من الرياحين الشتوي والربيعي والصيفي في آن واحد من ذلك الورد الأبيض والورد الأحمر والشتوي والنجرس والياسمين"، فضلاً عن الورد والنصبي والبان والمرسين⁽¹¹⁾، فضلاً إلى نبات

(1) ابن بطوطة، الرحلة، 56.

(2) ابن حوقل، صورة الأرض، 159؛ خسرو، سفر نامه، 55.

(3) خسرو، سفر نامه، 11؛ محمد بن أحمد الكناني الأندلسي ابن جببر، الرحلة، (ط2، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، د. ت)، 242.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، 141؛ ابن حوقل، صورة الأرض، 220 - 221.

(5) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 252؛ البلاذري، فتوح البلدان، 333.

(6) أبو وحشية، الفلاحة النبطية، 1/ 37.

(7) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (بيروت، دار إحياء التراث، 1989م)، 199 - 200.

(8) نظير، الثروة النباتية، 136.

(9) ابن زولاق، فضائل مصر، 31؛ خسرو، سفر نامه، 131.

(10) سفر نامه، 131.

(11) ابن مماتي، قوانين الدواوين، 272.

المنثور الذي تكثر زراعته في الإسكندرية⁽¹⁾. وفي دمياط كثر الياسمين الذي يدوم مع السنة ومنه أبيض وأصفر وأعطر ومنه يتخذ دهن الزنبق⁽²⁾.

وتتركز الغابات الطبيعية في مصر في بلاد الصعيد التي يغلب على أشجارها السنط والطلع واللبخ والأراك⁽³⁾، ويعد السنط من أهم نباتات مصر وينبت كثيراً على هيئة أخراج⁽⁴⁾، وهو شجر عظيم له شوك كثير وله ثمر يسمى خروب القرظ مدور مسطوح يشبه حب الترمس تسمن عليه الإبل وإذا رعته أحمرت أفواهها⁽⁵⁾، وينتج منه خشب السنط الذي ينقل من بلاد الصعيد وهو يدخل في بناء المراكب والآلات الخشبية ويستعمل أيضاً بوصف وقوداً في فصل الشتاء لأمتيازه بسرعة اشتعاله وبطء احتراقه وقلة رماده⁽⁶⁾، ويكثر شجر اللبخ في اهناس⁽⁷⁾ وانصنا⁽⁸⁾ وشجرة اللبخ عظيمة مثل الأثل وورقها ناعم كورق الجوز وثمرتها تشبه في لونها وشكلها وطعمها⁽⁹⁾ ويستعمل في بناء السفن⁽¹⁰⁾.

واشتهرت بلاد الشام بالنباتات الكثيرة التي تتواجد فيها، ومنها الأزهار والورد الأحمر والأبيض⁽¹¹⁾، لاسيما في مدينة دمشق وكذلك اشتهرت طرابلس بالورد الاصفر واشتهرت مدينة نصيبين بالورد أيضاً، إذ ينسب إليها الورد النصيبي⁽¹²⁾، وينبت في بلاد الشام السوسن وهو نبت له ساق وهو أربعة أنواع الأبيض

(1) الفلقشندي، صبح الاعشى، 1/ 344.

(2) عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، الإفادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، (ط1، القاهرة، مطبعة وادي النيل، 1878م)، 93.

(3) ابن الفقيه، البلدان، 96؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، 204.

(4) أبو اسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن عطية بن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق، مصطفى السقا، كامل المهندس، (القاهرة، دار الكندي، 1969م)، 135.

(5) البغدادي، الإفادة، 135.

(6) ابن الفقيه، البلدان، 66؛ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط1، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1967م)، 2/ 280.

(7) اليعقوبي، البلدان، 170.

(8) ابن زولاق، فضائل مصر، 18؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 266.

(9) السيوطي، حسن المحاضرة، 2/ 277.

(10) المقرئ، الخطط، 1/ 752.

(11) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (ط1، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2002م)، 11/ 185.

(12) سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر البكري القرشي، ابن الورد، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق، أنور محمود زناتي، (ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الاسلامية، 2008م)، 43.

والأسود والأصفر والأزرق⁽¹⁾، واشتهرت في بلاد الشام من الازهار الياسمين في دمشق⁽²⁾ وجبال لبنان وطبرية⁽³⁾، وهناك الريحان وهو أنواع كثيرة⁽⁴⁾.

ومن النباتات الأخرى التي تنبت في بلاد الشام شقائق النعمان⁽⁵⁾، وله فوائد طبية كثيرة⁽⁶⁾، وينبت في بلاد الشام سيد الرياحين الآس⁽⁷⁾، وينبت زهر المنثور والنجرس في مدينة صيدا وحمص وبلعلبك⁽⁸⁾، أما النيلوفر⁽⁹⁾ فكان ينبت في سائر مدينة حلب⁽¹⁰⁾، ومن أهم النباتات والأعشاب الطبية التي تنمو في بلاد الشام الحماض⁽¹¹⁾ والخبازي والخيري والأشنان⁽¹²⁾ واللوف⁽¹³⁾ والخرذل⁽¹⁴⁾. واشتهرت بيرة حلب وبعض جبالها بنباتات الحرمل والبابونج⁽¹⁵⁾، والشبه وهو نبات أجوف العود ويستعمل لقتل الديدان وينفع للدغ العقارب⁽¹⁶⁾. كما كانت تنتشر الغابات في بلاد الشام منها أشجار الصنوبر والبلوط⁽¹⁷⁾، والصنوبر

- (1) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، الملاحه في علم الفلاحه، (د. م، د. ن، د. ت)، 158.
- (2) أبو البقاء، نزهة الانام، 171.
- (3) خسرو، سفر نامه، 49.
- (4) النابلسي، علم الملاحه، 154.
- (5) ضياء الدين بن محمد بن عبد الله بن أحمد الاندلسي المعروف بابن البيطار، الجامع لمفردات الادوية والأغذية، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م)، 3/ 65.
- (6) أبو البقاء، نزهة الانام، 161-162.
- (7) ابن وحشية، الفلاحه، 1/ 123.
- (8) العمري، مسالك الإبصار، 125.
- (9) النيلوفر: هو نبات ينبت في الآجام والمياه القائمة، له ورق كثير وزهر أبيض وهو يشبه بالسوس. ابن البيطار، الجامع لمفردات الادوية، 4/ 486.
- (10) أبو الفضل محب الدين محمد بن محمد بن محمود المشهور بابن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ حلب، تقديم، عبد الله محمد الدرويش، (دمشق، عالم التراث، 1984م)، 252.
- (11) الحماض: هو نبت جبلي، ذو ورق عظام ضخمة وهو شديد الحمض يأكله الناس وله زهرة حمراء. الدينوري، النبات، 3/ 24.
- (12) الأشنان: هو نبات يقال له الحرض وهو من الحمض ومنه يسوى القلي الذي تغسل به الثياب. ابن منظور، لسان العرب، 7/ 135.
- (13) اللوف: ويسمى أذن الفيل وله ساق يشبه سلخ الحية في رفته وله في أطراف ساقه ما يشبه بعنقود اول ما يظهر لونه إلى البياض. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 4/ 390.
- (14) شيخ الربوة، نخبة الدهر، 257.
- (15) كامل بن حسين بن مصطفى الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، (حلب، المطبعة المارونية، 1929م)، 1/ 135-136.
- (16) القزويني، آثار البلاد، 225.
- (17) الحميري، الروض المعطار، 122.

كان منتشراً في جبل اللكام⁽¹⁾، وفي جبال لبنان أنواع من الأشجار كالبوط والسنديان والخروب والسرور⁽²⁾، كما كانت تنبت في بلاد الشام أشجار الزيزفون والزعرور وأشجار الشعور والعليق واللباب، كانت تزرع في المناطق الجبلية في بلاد الشام، وكذلك العوسج والفرقد والقيقب والخور والصفصاف⁽³⁾.

وامتازت أراض السواد (العراق) بنمو أنواع من الأزهار والرياحين مثل الياسمين والنجس والورد الجوري والأقحوان (البابونج) والخزامي⁽⁴⁾، وقد عرفت منطقة ظهر الحيرة والكوفة بشقائق النعمان ونبات الأقحوان والشيخ⁽⁵⁾ والقيصوم وغيرها من النباتات الطبيعية البرية⁽⁶⁾، وهناك نباتات طبية تزرع أو تنمو في العراق مثل البابونج والحرمل والأنسون والخشخاش والخروع وورد الجمار⁽⁷⁾.

ولابد من الإشارة الى دور النباتات في معارك الفتوح وساحات القتال في العصر الراشدي، فقد كان المقاتلين يسهمون في تجهيز أنفسهم من المؤونة اللازمة عن طريق ما يتوفر لديهم من أموال أو عن طريق الزراعة والتجارة وغيرها، وقد كانت تمر بالجيوش العربية الإسلامية خلال عمليات الفتح ظروف صعبة نتيجة لنفاد الطعام الذي معهم، فقد ذكر سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) بعد الانتهاء من معركة القادسية سنة (16هـ / 637م) "سار سعد والمسلمون ... واجتمعوا بمدينة بهرسير وهي المدينة التي في شق الكوفة، فأقاموا بها تسعة أشهر ويقال ثمانية عشر شهراً حتى أكلوا الرطب مرتين"⁽⁸⁾.

ولا ريب في أن الغنيمة⁽⁹⁾ شكلت مصدراً أساسياً للتموين سواء أكان ذلك طعاماً أم شراباً أم سلاحاً، ذلك لأن غذاء الجند واطعامهم من العوامل المهمة في انتصارهم، وذكر أبو يوسف القاضي⁽¹⁰⁾ ذلك

(1) ابن حوقل، صورة الأرض، 167.

(2) محمد كرد علي، خطط الشام، 4/ 157، 190.

(3) أبو عبيد، الأموال، 21؛ أبو البقاء، نزهة الأنام، 183.

(4) البلاذري، أبو فتوح البلدان، 269. والخزامي: نبات ذو أوراق قليلة يحمل زهر متفرق الورق لونه بنفسجي ذو رائحة طيبة. أبو سعيد عبد الملك بن قريش الأصمعي، النبات والشجر جمع ونشر، أوغست هفير، (ط2، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1908م)، 33.

(5) الشيخ: ويسمى أيضاً البعيثران نبات له أوراق متعاقبة وأزهاره دقيقة الثمر وهو نبات طبي، ومن أنواعه القيصوم. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، 3/ 100.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، 273؛ ينظر: زينب إبراهيم حسن الشبلي، أرض السواد دراسة في أحوالها الاجتماعية والاقتصادية حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير منشورة، (جامعة الكوفة، كلية الآداب، 1998م)، 109.

(7) ابن وحشية، الفلاحة، 2/ 60، 66.

(8) البلاذري، فتوح البلدان، 258؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، 360.

(9) الغنيمة: وهي ما كان يحصل عليها المسلمون في الحروب. هاشم يحيى الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، الموصل، (دار ابن الأثير للطباعة والنشر، 2005م)، 379.

(10) الخراج، 215.

بقوله: "ولا بأس بأن يأكل المسلمون مما يصيبون من المغنم من الطعام ويعلفون دوابهم مما يصيبون من العلف والشعير، وإن احتاجوا أن يذبحوا من الغنم والبقر ذبحوا وأكلوا".

وقد كان مركز الخلافة يسهم في إمداد المقاتلين بالمؤونة والطعام ففي فتوح العراق كان المسلمون إذا احتاجوا إلى العلف والطعام أمدتهم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بما يحتاجونه من طعام، فروي أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "كان يبعث إليهم من المدينة الغنم والجزر"⁽¹⁾.

وفي حالة نفاذ المؤونة ربما كان الجيش الإسلامي يلجأ إلى شراء ما يحتاجه من الطعام كالتمر والسويق، أو قد تضطره الظروف الصعبة إلى أكل بعض نباتات الأرض، ولهذا يلزم أن الخلفاء الراشدين كانوا حريصين على اختيار المكان المناسب لنزول الجيش بأن يكون قريباً من المياه والآبار والمراعي إن وجدت، ليتمكن المقاتلون من التزود بالطعام والسقيا لهم ولدوابهم في حال نفدت المؤونة لديهم.

أما في شبه الجزيرة العربية، فتتبت هناك الشوحط والقرظ⁽²⁾ والرنف⁽³⁾ والعرعر والظيان⁽⁴⁾ والسدر⁽⁵⁾. ومن أهم النباتات والأشجار التي كانت تنمو في شبه الجزيرة العربية والكندر ولاسيما في اليمن⁽⁶⁾، فضلاً عن المر والورس⁽⁷⁾ والأراك⁽⁸⁾ وأشجار القنة التي تنمو في جنوب شبه الجزيرة العربية في مرتفعات ظفار وحضرموت وعمان⁽⁹⁾ والآس الذي ينبت في اليمن⁽¹⁰⁾، ومن النباتات التي تتبت في الحجاز شجر العلك والغرق⁽¹¹⁾، فضلاً عن السوسن والياسمين والنجس والورود التي تتبت في الحجاز⁽¹²⁾ واليمن⁽¹³⁾. ومن النباتات الأخرى التي تتبت في شبه الجزيرة العربية هي الحناء⁽¹⁾ والنبق⁽²⁾ والحنظل⁽³⁾ والحلبة⁽⁴⁾.

1) البلاذري، فتوح البلدان، 252.

2) القرظ: هو شجر لها سوق عظام أمثال شجر الجوز، وورقه أصغر من ورق التفاح، وله حب وهو شجر يدبغ به. ابن منظور، لسان العرب، 7/ 454.

3) الرنف: وهو من شجر الجبال ينضم ورقه إلى قضبانته إذا جاء الليل وينتشر بالنهار. الأصمعي، النبات والشجر، 51.

4) الظيان: من أشجار الجبال وهو نبت يشبه ورد النسرين. ابن منظور، لسان العرب، 15/ 26.

5) علي، المفصل، 7/ 75، 79-80.

6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 448.

7) البكري، المسالك والممالك، 1/ 362.

8) البكري، نفسه، 1/ 367.

9) مهران، تاريخ العرب القديم، 134؛ عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في العصر الجاهلي، (بيروت، دار النهضة العربية، د. ت)، 89.

10) ابن رسته، الأعلام النفيسة، 7/ 111.

11) الأصمعي، كتاب النبات والشجر، 44، 95.

12) العبيدي، الطائف ودور ودور قبيلة ثقيف، 51.

13) ابن رسته، الأعلام النفيسة، 7/ 111.

خاتمة:

بعد أن اتمنا هذا البحث يتبين لنا ما يأتي :

1. انتشار النباتات (الزراعية والطبيعية) في مختلف أقاليم المشرق العربي في العصر الراشدي وتنوعها والتباين في توزيعها .
2. يتضح من الدراسة أن كل إقليم من أقاليم المشرق العربي وخلال العصر الراشدي اشتهر بإنتاج أنواع خاصة من النباتات الزراعية والطبيعية، فاتسم إقليم مصر بإنتاجه للقمح بالدرجة الاولى للقمح وكذلك اشتهر بأنواع مختلفة من الحبوب والفواكه والخضراوات والبقول، وانتجت بلاد الشام مختلف النباتات كأنواع الحبوب والفواكه والأعشاب والكروم وعرفت بلاد الشام بأنها أكثر البلاد زيتونا، وأنتج إقليم العراق مختلف أنواع التمور التي كانت تصدره إلى كافة البلدان، وفي شبه الجزيرة العربية انتشرت زراعة الحبوب والتمور والفواكه والخضراوات والبقول.
3. لقد شكلت النباتات باختلاف أنواعها (الزراعية والطبيعية) الغذاء الرئيس للسكان وكذلك شكلت علفاً للماشية في كافة أقاليم المشرق العربي خلال عصر الخلافة الراشدة.
4. إن انتاج النباتات (الزراعية والطبيعية) في أقاليم المشرق العربي كان كافياً لسد احتياجاتها فقد تنوعت ما بين حبوب وفواكه وخضراوات وبقول وتمور وزيتون.
5. تبين أن النباتات كان لها دور في تموين الجيوش العربية الإسلامية خلال عمليات الفتوحات الكبرى فقد كان المقاتلون يعتمدون على النباتات في تجهيز أنفسهم للقتال بما يحتاجونه من طعام وغذاء .

(1) البكري، المسالك والممالك، 1/ 371.

(2) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، جماعة من المختصين، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، د. ت)، 11/ 526.

(3) ابن البيطار، الجامع، 1/ 38.

(4) الزبيدي، تاج العروس، 2/ 313.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر الأولية:

- 1- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، (ط1، بيروت، عالم الكتب، 1989م).
- 2- ابن آدم، أبو زكريا يحيى بن سليمان القرشي، الخراج (ط2، القاهرة، المطبعة السلفية، 1964م).
- 3- الأزدي، أبو اسماعيل محمد بن عبد الله، فتوح الشام تحقيق، عبد المنعم عامر، (القاهرة، مؤسسة سجل العرب، 1970م).
- 4- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك (بيروت، دار صادر، 2004م).
- 5- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب، النبات والشجر جمع ونشر، أوغست هفير، (ط2، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1908م).
- 6- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، صحيح البخاري، تحقيق، جماعة من العلماء، (ط1، القاهرة، مطبعة بولاق السلطانية الكبرى، 2001م).
- 7- ابن بصال، محمد بن إبراهيم، الفلاحة، تحقيق، غوسي ماري ومحمد عزيمن، (تطوان، مطبعة كريما وايس، 1955م).
- 8- أبو البقاء البديري، عبد الله، نزهة الأنام في محاسن الشام، (ط1، بيروت، دار الرائد العربي، 1980م).
- 9- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع، (ط3، بيروت، عالم الكتب، 1982م).
- 10- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، فتوح البلدان، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988م).
- 11- ابن البيطار، ضياء الدين بن محمد بن عبد الله بن أحمد، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م).
- 12- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، (ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م).
- 13- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، (ط1، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م).
- 14- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، (القاهرة، دار المعارف، د. ت).
- 15- _____، لطائف المعارف فيما لمواسم العالم من الوظائف، تحقيق، عامر ابن علي ياسين، (ط1، الرياض، دار ابن خزيمة، للنشر والتوزيع، 2007م).
- 16- ابن جبير، محمد بن أحمد، الرحلة، (ط2، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، د. ت).
- 17- ابن الجعد، علي بن عبيد الجوهري البغدادي، مسند ابن الجعد، تحقيق، عامر أحمد حيدر، (ط1، بيروت، مؤسسة نادر، 1990م).
- 18- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تاريخ عمر بن الخطاب، (ط1، القاهرة، مطبعة السعادة، 1924م).

- 19- _____, المنتظم في تاريخ الأمم والملوك, تحقيق, محمد عبد القادر عطا, مصطفى عبد القادر عطا, (ط1, بيروت, دار الكتب العلمية, 1993م).
- 20- الحرصي, يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى, بهجة المحافل وبغية الأمائل في تلخيص المعجزات والسير والشمال, (بيروت دار صادر, د. ت).
- 21- الحميري, أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم, الروض المعطار في خبر الأقطار, (ط2, بيروت, مؤسسة ناصر للثقافة, 1980م).
- 22- ابن حوقل, أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي, صورة الأرض, (بيروت, دار صادر, 1938م).
- 23- ابن خرداذبة, أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله, المسالك والممالك (د. ط, بيروت, دار صادر, 1889م).
- 24- خسرو, أبو معين الدين ناصر الحكيم القبادياني المروزي, سفر نامه تحقيق, يحيى الخشاب, (ط3, بيروت, دار الكتاب الجديد, 1983م).
- 25- الدينوري, أبو حنيفة بن داود, النبات, تحقيق, برنهارد لفين, (خيسبادن, فرانز شتاينر, 1974م).
- 26- الذهبي, شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان, سير أعلام النبلاء تحقيق, مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط, (ط3, بيروت, مؤسسة الرسالة, 1985م).
- 27- ابن رسته, أبو علي أحمد بن عمر, الأعلام النفيسة (اليدن, مطبعة بريل, 1891م).
- 28- الزبيدي, محمد مرتضى الحسيني, تاج العروس من جواهر القاموس, تحقيق, جماعة من المختصين, (الكويت, المجلس الوطني للثقافة والفنون, د. ت).
- 29- ابن زنجويه, أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله, الأموال, تحقيق, شاكِر ذيب فياض, (ط1, الرياض, مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات, 1986م).
- 30- ابن زولاق, الحسن بن إبراهيم بن الحسين, فضائل مصر وأخبارها وخواصها, تحقيق, علي محمد عمر, (القاهرة, الهيئة المصرية للكتاب, 1999م).
- 31- السجستاني, أبو حاتم سهيل بن محمد بن عثمان, كتاب النخلة, تحقيق, حاتم صالح الضامن, (ط1, بيروت, دار البشائر الإسلامية, 2002م).
- 32- ابن سعد, أبو عبد الله محمد, الطبقات الكبرى, تحقيق, محمد عبد القادر عطا, (ط1, بيروت, دار الكتب العلمية, 1990م).
- 33- ابن سلام, أبو عبيد القاسم بن عبد الله, الأموال تحقيق, خليل محمد هراس, (بيروت, دار الفكر, د. ت).
- 34- السهودي, نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله, وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى, (ط1, بيروت, دار الكتب العلمية, د. ت).
- 35- السيوطي, عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين, حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة, تحقيق, محمد أبو الفضل إبراهيم, (ط1, القاهرة, دار إحياء الكتب العربية, 1967م).
- 36- ابن الشحنة, أبو الفضل محب الدين محمد بن محمد بن محمود, الدر المنتخب في تاريخ حلب, تقديم, عبد الله محمد الدرويش, (دمشق, عالم التراث, 1984م).
- 37- شيخ الربوة, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب, نخبة الدهر في عجائب البر والبحر, (بيروت, دار إحياء التراث, 1989م).

- 38- الطرابلسي، نوفل أفندي بن نعمة الله بن جرجس بن نوفل، صناعة الطرب في تقدمات العرب (ط2، بيروت، دار الراشد العربي، 1982م).
- 39- ابن ظهيرة، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق، مصطفى السقا، كامل المهندس، (القاهرة، دار الكندي، 1969م).
- 40- ابن عبد الحق البغدادي، عبد المؤمن بن شمائل، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، (ط1، بيروت، دار الجيل، 1991م).
- 41- ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها (ط21، مصر، وكالة الصحافة العربية، د. ت).
- 42- عبد اللطيف البغدادي، بن يوسف بن محمد بن علي، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر، (ط1، القاهرة، مطبعة وادي النيل، 1878م).
- 43- أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، (بيروت، دار صادر، د. ت).
- 44- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (ط1، ابو ظبي، المجمع الثقافي، 2002م).
- 45- ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق، مختصر كتاب البلدان، تحقيق، يوسف الهادي، (ط1، د. م. د. ن، 1996م).
- 46- قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن قدامة بن زياد البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة، (ط1، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1981م).
- 47- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، د. ت).
- 48- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الغزاري، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت).
- 49- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، فضائل مصر المحروسة، تحقيق، إبراهيم أحمد العدوي، علي محمد عمر، (القاهرة، د. ن، 1971م).
- 50- مالك بن أنس، الموطأ، صححه ورقمه وأخرج أحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار غحياء التراث العربي، 1985م).
- 51- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (القاهرة، دار الحديث، د. ت).
- 52- ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب، تاريخ المستبصر، (د. م. د. ن، د. ت).
- 53- مجهول، مؤلف، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق، محمد صالحية وإحسان العمدة، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، 1984م).
- 54- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والإشراف تحقيق، عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة، دار الصاوي، د. ت).
- 55- _____، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط4، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1964م).
- 56- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م).
- 57- المقدسي، أبو عبد الله محمد أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ط1، بيروت، دار صادر، د. ت).

- 58- المقرئ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م).
- 59- ابن مماتي، أسعد بن المهذب بن أبي مليح، قوانين الدواوين تحقيق، عزيز سوريال عطية، (القاهرة، د. ن، 1943م).
- 60- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب الحواشي، اليازجي ومجموعة من اللغويين، (ط1، بيروت، دار صادر، 1993م).
- 61- النابلسي، عبد الغني بن اسماعيل، الملاحه في علم الفلاحه، (د. م، د. ن، د. ت).
- 62- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم، نهاية الأرب في فنون الأدب، (ط1، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2002م).
- 63- الهمداني، ابن الحائك أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، (لیدن، مطبعة بريل، 1884م).
- 64- الهندي، علاء الدين علي بن بسام بن قاضي خان القادري، كنز العمال، تحقيق، بكرى حياني، صنفوة السقا، (ط5، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م).
- 65- ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي بن قيس، الفلاحه النبطية، تحقيق، توفيق فهد، (دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1993م).
- 66- ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق، أنور محمود زناتي، (ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية، 2008م).
- 67- ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان (ط2، بيروت، دار صادر، 1995م).
- 68- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب، البلدان، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م).
- 69- _____، تاريخ اليعقوبي (النجف، مطبعة العربي، 1939م).
- 70- أبو يوسف القاضي، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبه الأنصاري، الخراج تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، (القاهرة، مكتبة الأزهرية للتراث، د. ت).

ثانياً: المراجع الثانوية:

- 1- حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة، جورج حداد، عبد الكريم رأفت، (بيروت، دار الثقافة، د. ت).
- 2- حمود، عرفات محمد، أسواق العرب في الجاهلية، (بيروت، دار الجيل، 1979م).
- 3- الحوالي، محمد بن علي الأكوخ، اليمن الخضراء مهد الحضارة، (بيروت، مكتبة الجيل الجديد، 1982م).
- 4- حوى، سعيد، الأساس في التفسير، (ط2، عمان، دار السلام، 1989م).
- 5- الخربوطلي، علي حسين، الحضارة العربية الإسلامية، (ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1960م).
- 6- الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، (ط1، بغداد، مطبعة المعارف، 1948م).
- 7- الديري، نزال، بساتين الفاكهة، (حلب، منشورات جامعة حلب، 2002م).
- 8- الرئيسي، محمد ضياء الدين، الخراج، النظم المالية للدولة الإسلامية، (ط3، القاهرة، دار المعارف، 1969م).
- 9- سالم، عبد العزيز، تاريخ العرب في العصر الجاهلي، (بيروت، دار النهضة العربية، د. ت).
- 10- الشجاع، عبد الواحد، اليمن في عيون الرحالة، (دمشق، دار الفكر، 1993م).
- 11- الشريف، أحمد إبراهيم، مكة المكرمة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول (ﷺ)، (الإسكندرية، دار الفكر العربي، د. ت).
- 12- الشهابي، مصطفى، الزراعة العلمية الحديثة، (ط2، دمشق، مطبعة الاعتدال، 1935م).

- 13- الطراونة، طه ثلجي، مملكة صفد في عهد المماليك، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1981م).
 - 14- طقوش، محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والانجازات السياسية، (ط2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر، 2011م).
 - 15- العبيدي، عبد الجبار منسي، الطائف ودور قبيلة ثقيف، (ط1، الرياض، دار الرفاعي، 1982م).
 - 16- العزاوي، عباس، النخل في تاريخ العراق، (بغداد، مطبعة الصلاح، 1962م).
 - 17- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط2، الإسكندرية، د. ن، 1993م).
 - 18- الغزي، كامل بن حسين بن مصطفى، نهر الذهب في تاريخ حلب، (حلب، المطبعة المارونية، 1929م).
 - 19- كرد علي، محمد بن عبد الرزاق بن محمد، خطط الشام، (ط3، دمشق، مكتبة النوري، 1983م).
 - 20- مرعي، سيد، الزراعة المصرية، (القاهرة، وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي، 1970م).
 - 21- معطي، علي محمد، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، (بيروت، دار المنهل اللبناني، د. ت).
 - 22- الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، الموصل، (دار ابن الأثير للطباعة والنشر، 2005م).
 - 23- الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن الإسلامية، (بغداد، دار الرشيد، 1982م).
 - 24- نظير، وليم، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970م).
 - 25- مهران، محمد بيومي، تاريخ العرب القديم، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989م).
 - 26- هانتس، فالتر، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة، كامل العسلي، (عمان، منشورات الجامعة الاردنية، د. ت).
 - 27- هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة، محمد صقر خفاجة وأحمد العدوي، (القاهرة، دار القلم، 1966م).
- ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية:**
- 1- زينب إبراهيم حسن الشبلي، أرض السواد دراسة في أحوالها الاجتماعية والاقتصادية حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير منشورة، (جامعة الكوفة، كلية الآداب، 1998م).

مدى إمكانية توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية من قبل أعضاء هيئة التدريس في قسم الجغرافيا لإيصال المادة العلمية من وجهة نظر طلبتهم

The extent to which electronic educational platforms can be employed by faculty members in the department Geography to deliver the scientific material from the point of view of their students

م.م خوشي زبير محمد امين

جامعة دهوك/كلية التربية الأساسية

Eng. Khushi Zubair Muhammad Amin
University of Duhok/College of Basic Education

khushhe.ameen@uod.ac

ملخص

يهدف البحث الحالي الى معرفة إمكانية توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية من قبل أعضاء هيئة التدريس في قسم الجغرافيا لإيصال المادة العلمية من وجهة نظر طلبتهم وفق متغيري الجنس والمرحلة. حيث تكونت عينة البحث من (80) طالب وطالبة من قسم الجغرافية بواقع (40) طالب وطالبة من المرحلة الثانية و (40) طالب وطالبة من المرحلة الرابعة، واشتملت فقرات المقياس على (38) فقرة امام كل فقرة (5) بدائل، وبعد تطبيق الأداة وجمع البيانات وتحليلها إحصائياً باستخدام **t. test** لعينة واحدة، ولعينتين مستقلتين توصل البحث الى النتائج الآتية:

- 1- تتمتع عينة البحث بشكل عام بإمكانية جيدة في توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية وباختلاف انواعها.
 - 2- لا توجد فرق ذو دلالة إحصائية لدى عينة البحث وفق متغير الجنس.
 - 3- لا توجد فرق ذو دلالة إحصائية لدى عينة البحث وفق متغير المرحلة الدراسية.
- وقد خرجت الباحثة بمجموعة من التوصيات والمقترحات.

الكلمات الافتتاحية: إمكانية، هيئة أعضاء التدريس، المنصات التعليمية الإلكترونية، قسم الجغرافيا.

Abstract:

The current research aims to know the possibility of employing electronic educational platforms by faculty members in the Department of Geography to deliver the scientific material from the point of view of their students according to the variables of gender and stage.

Where the research sample consisted of (80) male and female students from the Geography Department, with (40) male and female students from the second stage and (40) male and female students from the fourth stage, and the scale items included (38) paragraphs in front of each paragraph (5) alternatives, and after applying the tool collected data and analyzed it statistically using t. Test for one sample, and for two independent samples, the research reached the following results

- 1- The research sample generally has a good potential in employing electronic educational platforms of all kinds
- 2- There is no statistically significant difference in the research sample according to the gender variable
- 3- There is no statistically significant difference in the research sample according to the variable of the study stage

.The researcher came up with a set of recommendations and suggestions

Key words: possibility, faculty members, electronic educational platforms,
.geography department

مشكلة البحث

زادت الثورة التكنولوجية وزادت معها التحديات في عصر المعلوماتية وبات من الصعب وبالأخص في العراق والإقليم على وجه التحديد مواكبة التطور وتطبيق نظم ومعايير الجودة لتحسين العملية التعليمية وذلك لوجود عدة مشكلات وعوائق تحد من عملية الجودة، ونذكر هنا بعضاً من أهم المشكلات التي حالت دون تطبيق الجودة في المنظومات التعليمية في معظم الدول العربية والنامية ما يلي:

1. سوء المناخ التعليمي (القاعات الدراسية والمعامل المحدودة، أو التجهيزات والمرافق الغير كافية، الموارد المالية المحدودة، الاكتفاء بمصادر التعلم التقليدية، وقلة أعداد أعضاء هيئة التدريس والقائمين على العملية التعليمية مع التزايد الهائل في عدد الطلاب ومتلقي العلم، مع ضعف سبل التواصل بين الطالب وكل مقدمي الخدمات التعليمية سواء شئون الطلبة أو أعضاء هيئة التدريس أو أصحاب القرار).

2. عدم توافر البيئات الإلكترونية أو رداءة المتوافر منها داخل المنظومات التعليمية مع قلة وجود تدريب كافي لأعضاء هيئة التدريس وبالتالي للطلاب في المجال الإلكتروني وبالتالي ضعف التواصل عن طريق المنصات التعليمية الإلكترونية.

3. وجود قصور ما في أسلوب ضخ المعلومات للطلبة مما لا يحقق الإلمام الجوهري بمضمون المعلومة والتي فقد بسهولة نتاجاً لذلك وربما للاعتماد على الاحتفاظ بدور المعلم كملقن و مسئول وحيد عن المعلومة والطالب بمجرد متلقي.

4. عدم إدراك الطلبة المعارف ونواتج التعلم في مجال الدراسة والتي من المفترض أن يدركها الطالب قبل دخوله مجال الدراسة ليحدد إن كان متوافقة مع ميوله أم لا.

5. ضعف المهارات الذهنية والإدراكية والابتكارية لدى الطلبة والخريجين لضعف الإمكانيات التعليمية والتكنولوجية وخامات وأساليب التدريب، ويعود ذلك لضعف الميزانيات في أغلب الأحوال ومحدودية مصادر التعلم المتاحة.

6. عدم مواكبة التطور الهائل في العلوم وضعف المقررات سواء علمياً أو ما قد يشوبها من الملل في أسلوب العرض بالإضافة إلى عدم وجود آليات للتحديث المستمر.

7. انغلاق الطلاب وعدم انفتاحهم علمياً وعملياً على المجتمع الإقليمي والدولي وربما أيضاً على الحيز المحيط بهم محلياً من الزملاء والأصدقاء.

ومن هذه المنطلق وجدت الباحثة ضرورة اجراء دراسة علمية لمعرفة إمكانية أعضاء هيئة التدريس في قسم الجغرافية من توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية لإيصال المادة العلمية من وجهة نظر طلبتهم وبحسب متغيري الجنس والمرحلة.

ويمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال الآتي: ما مدى إمكانية أعضاء هيئة التدريس في قسم الجغرافية من توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية لإيصال المادة العلمية.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في كونه يتطرق لموضوع قائم شديد الوطأة على حياة الناس كافة، ويصف طبيعة استخدام المنصات التعليمية الإلكترونية وتوظيفها من قبل الأكاديميين في التعلم والتعليم. وللوقوف على أبرز الموضوعات التي لاقت اهتمام كل من المرسل والمتلقي معلما او متعلما، فالتعليم بصورة عامة وفي منطقتنا تحديدا قلة الربط والعلاقة بالبيئة الرقمية، في الازمات بالإضافة الى كون البحث يستشرف من خلال رؤية الأكاديميين أساتذة او طلبة مستقبل التعليم الالكتروني. كما تظهر أهمية البحث في كونه يقدم وصف عملي لآليات الاستخدام والتوظيف والتي يمكن أن تستند إليها الجامعات والمدارس في إثراء عمليتي التعلم والتعليم عن بعد، والتركيز على مواطن القوة فيه. (1)

ومن هذا التوجه العالمي كان لزاما أن تسعى الدول النامية عامة ودول الوطن العربي خاصة إلى تحقيق معايير الجودة في العملية التعليمية من خلال طرق هذه المجالات المستحدثة وبقوة ولهذا جاء دور هذا البحث والتي تتطرق فيها الباحثة لفكرة المنصات التعليمية الإلكترونية حيث يمكن الاعتماد عليها في خدمة نظام التعليم عن بعد ، خاصة بوجود تفشي جائحة كورونا كان لابد ان نجد بديلا لهذه الازمة التي تمر بها جميع دول العالم، ولهذا قد اعتمدت معظم الدول على التعليم الالكتروني او التعليم عن بعد وتنمية مهارة التعلم الذاتي عند الطالب حيث يعمل على تطوير القدرات الفكرية والخيالية عند الطلبة، وتحسين مستوى الفهم والاستيعاب لديهم، وتنمية مهاراتهم في حل المشكلات والقضايا، ومنحهم القدرة على تكوين نظرة في الأمور من خلال ما تعلموه في الماضي وما يدرسونه حاليا مع تقديمه للآليات والوسائل المحققة لذلك بالصوت والصورة مع تبني المناهج الدراسية في شكل إلكتروني يعتمد على تحريض إمكانيات الإبداع والاستفسار والتحليل عند الطلبة وحثهم على الاستقلالية في اختيارهم وطرحهم للآراء والأفكار والنقد الذاتي في عملية التعلم ، كما يمكن الاستفادة من الموقع أيضا كمكمل للتعليم التقليدي بوجود إشراف أكاديمي من أعضاء هيئة التدريس لتوجيه الطالب ومساعدته على الاستكشاف داخل هذا النظام

(1) العيسوي، نجم عبد خلف (2020): وقائع المؤتمر الدولي-التعليم الرقمي في ظل جائحة كورونا، توظيف المنصات الرقمية في التعلم والتعليم بزمز كورونا، ملحق مجلة جامعة العراقية-العدد 2/15(86).

الإلكتروني والتشبع بما فيه من علوم والتدرب الكافي على ما يحويه من تدريبات تطبيقية على المناهج في مجال تخصصه مع أخذ الاستشارات الأكاديمية والدعم وفي هذا تحقيق المزيد من النفع المأمول.

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي الى التعرف على:

- 1- مدى إمكانية أعضاء هيئة التدريس في قسم الجغرافية من توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية لإيصال المادة العلمية من وجهة نظر طلبتهم.
- 2- مدى إمكانية أعضاء هيئة التدريس قسم الجغرافية من توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية لإيصال المادة العلمية من وجهة نظر طلبتهم تبعاً لمتغير الجنس.
- 3- مدى إمكانية أعضاء هيئة التدريس قسم الجغرافية من توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية لإيصال المادة العلمية من وجهة نظر طلبتهم تبعاً لمتغير المرحلة الدراسية.

حدود البحث:

يختص البحث الحالي بالحدود:

- 1- الزمانية: السنة الدراسية (2021 – 2022).
- 2- المكانية: جامعة دهوك، كلية التربية الأساسية.
- 3- البشرية: طلبة قسم الجغرافية المرحلة الثانية والمرحلة الرابعة، الدراسة المسائية.

تحديد مصطلحات البحث:

1-المنصات الإلكترونية:

وعرفه كاتس (2010، Kats) أنها مجموعة متكاملة من الخدمات التفاعلية عبر الانترنت التي توفر للمعلمين والمتعلمين وأولياء الأمور وغيرهم من المعنيين بالتعليم المعلومات والادوات والموارد التي تعمل على دعم وتعزيز وتقديم الخدمات التعليمية وإدارتها، وهدى نظام شامل يتيح التدريب الامن والتعلم عبر الانترنت والتعليم الالكتروني باستخدام واجهة مستخدم بسيطة.⁽¹⁾

وعرفه fee2009: هو أسلوب للتعلم، ومنهج لتطوير مجموعة من الأساليب المختلفة للتعلم باستخدام التكنولوجيا الرقمية التي تفتح المجال للنشر التعلم وتتيح الفرصة لتعزيز التعلم.⁽²⁾

(1) Kats (2010). Learning management system echnologies and software solutions for online teaching: tool and applications. Pennsylvania: IGI global.

(2) Fee Kenneth (2009). Delivering E – Learning. A complete strategy for design application and assessment. London. Kogan Page.

تعريف الباحثة اجرائياً: هو أسلوب من أساليب التعليم ومنظومه تعليمية يعتمد في تقديم المحتوى التعليمي وإيصال المهارات والمفاهيم للطلاب باستخدام تقنية المعلومات والاتصالات التفاعلية بشكل يتيح للطلاب التفاعل مع المحتوى المقدم له.

2- أعضاء هيئة التدريس:

عرفهم (عابدين، 2003). "المدرسون الذين يقومون بالتدريس والبحث في الجامعة وفي مراكزها وبرامجها المختلفة، وهم متفرغون للعمل في الجامعة ويحملون إحدى الرتب العلمية من مرتبة المحاضر فأعلى. (1)

- ويوضع كل من (العريشي والعروان، 2004) " هو الشخص الذي يقوم بالتدريس بالتعليم والذي يحمل رتبة وأكاديمية في الجامعة ويطلق عليه عضو هيئة تدريس. (العريشي والعروان، 2004) (2)

- وعرفه سعيد (2015): هو العنصر الأساسي والجوهري في العملية التعليمية لأنه يقود العمل التربوي والتعليمي ويتعامل مع الطلاب مباشرة فيؤثر في تكوينهم العلمي والاجتماعي ويعمل على تقدم المؤسسات وتطويرها وحمل أعباء رسالتها العلمية والعملية في خدمة المجتمع وتحقيق أهدافه (3) - كما يشير مرسى (2011): هذا المصطلح الي كل من يباشر التدريس والبحث العلمي بالجامعات بدءاً من درجة مدرس وحتى أستاذ (مرسى: 2011) (4)

- وتعرف الباحثة: وهو الحاصل على درجة علمية عليا ويعمل في مجال من مجالات المعرفة في إحدى الجامعات ويعين بصفة أكاديمية وعالية مهام يجب القيام بها كالتدريس وممارسة النشاطات العلمية والبحث العلمي.

الإطار النظري:

لم يعد التعلم التقليدي هي وحدها مصدر تقديم الخبرات التعليمية اللازمة لإعداد الطلاب، مما دعا كثيراً من التربويين لتصميم بيئات للتعلم التشاركي عبر الإنترنت؛ لجذب اهتمام الطلاب وحثهم على تبادل الآراء والخبرات، وإعطائهم الفرص المناسبة للتفاعل والتشارك الاجتماعي؛ بهدف بناء البنية المعرفية

(1) عابدين، محمد عبد القادر، (٢٠٠٣) (تقييم أعضاء هيئة التدريس لبرامج الدراسات العليا في جامعة القدس، مجلة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية)، المجلد السابع، العدد الاول.

(2) - العريشي، جبريل حسن، وهند العروان، (٢٠٠٤) الدور المعلوماتي لعضو هيئة التدريس في البيئة الأكاديمية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(3) سعيد، فيصل محمد عبد الوهاب (2015): دور عضو هيئة التدريس الجامعي في تعزيز القيم الخلقية لدى طلبة مؤسسات التعليم العالي، بحث منشور في الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، العدد ٢.

(4) مرسى، وفاء حسن (2011): العدالة الأكاديمية لعضو هيئة التدريس: مدخل لتحقيق جودة الاداء الأكاديمي الواقع وسبل التعديل، بحث منشور في مجلة رابطة التربية الحديثة، مصر، المجلد ٤، ٢١٨ ص ٢٠١١، ٩ العدد.

الجديدة متخطين حدود الزمان والمكان. وخاصة بعد انتشار وباء كورونا في انحاء العالم مما دعى الى غلق ابواب مؤسسات التعليمية، ويركز التعلم التشاركي على الإسهام النشط الفعال أثناء عملية التعلم من خلال التفاعلات الاجتماعية التشاركية المباشرة بين المتعلمين المشاركين ، مما يساعد على بناء المعارف الجديدة، وطرح استفساراتهم وأسئلتهم، وتصحيح افكارهم، والتعلم من بعضهم البعض بإتاحة ما تعلموه تشاركيا. كما توفر البيئات الإلكترونية وسائل وأدوات تحقق المشاركة والتعاون والتفاعل لأداء المهام التعليمية، وتتيح للطلاب التشارك في انتاج محتوى تعليمي من خلال العمل الجماعي المشترك، وتنمية معارفهم ومهاراتهم واتجاهاتهم الإيجابية معا عبر قناة تواصل اجتماعية. (1)

وقد شهدت السنوات الماضية تطوراً كبيراً في تكنولوجيا المعلومات الرقمية على مختلف أنواعها وأشكالها ومن المتوقع أن يزداد هذا النمو بشكل كبير جداً مما يصعب على المهتمين بالتعليم مجاراته إلا إذا تمت الاستجابة لهذا التطور والتكيف معه من أجل إصلاح وتطوير التعليم وتحقيق الاستثمار الأمثل، والاستفادة القصوى من الإمكانيات والموارد والأدوات التي توفرها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتطبيقاتها العملية في عمليتي التعلم والتعليم، (2) وفرض علينا العصر الحديث مجموعة من الحاجات والمتطلبات التي تجعل التعلم الإلكتروني خياراً نموذجياً لا بديل عنه ، ومن أهم هذه الحاجات : الحاجة الكبيرة إلى التعلم المستمر، وإلى جعل التعلم غير مرتبط بالمكان والزمان، وجعله تعلم مدى الحياة، والتوجه نحو اكساب المتعلم مهارات التعلم الذاتي المستمر. (3)

دور الشبكات الاجتماعية في العملية التعليمية:

لقد كان ظهور وانتشار وتأثير الشبكات الاجتماعية networks social في المجتمع المعاصر، والحاجة لنوعية من الأفراد القادرين على التفاعل والتكيف مع الثورة التكنولوجية الحديثة؛ من المبررات التي أدت للاستفادة منها في شتى المجالات، وكان لعمليتي التعلم والتعليم نصيب من ذلك التأثير، فضلاً عن كثير من الدراسات التربوية أهمية تطوير منظومة التعليم بما يمكنها من استيعاب هذه التقنيات التفاعلية، امانات وحاجة المناهج الدراسية للاستجابة للثورة المعلوماتية وأن معظم مؤسسات التعليم العالي والجامعي اعتمدت على الشبكات الاجتماعية في نشر اخبارها، والتواصل بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس وتبادل الآراء والإجابة على الاستفسارات كقناة مستمرة بين جميع العناصر التعليمية، وتعزيز التفاعل من خلال مهام لمجموعات عمل افتراضية تجمعها اهتمامات متقاربة، كما تتيح التعليق على

(1) السنوسي، هالة عبد القادر سعيد (2019): " أدوار المنصات الإلكترونية E – platforms والشبكات الاجتماعية social networks كبيئات تعلم تواصلية تشاركية في التعليم الإلكتروني في ضوء خبرة الطالبة، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد: (١٨١، الجزء الثالث) يناير لسنة ٢٠١٩ م.

(2) عبد العزيز، حمدي احمد (2008): التعليم الإلكتروني، عمان، دار الفكر، ط1.

(3) فريجات، غالب عبد المعطي. (2010):مدخل الى التكنولوجيا التعليم، عمان، دار الكنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

المادة المكتوبة وإبداء الرأي، وكذلك التغير في محتوى الموقع، وإتاحة أنشطة البحث والاستكشاف والتجريب لتحقيق متعة للطلاب، وتشجيعهم على الأداء المتميز، وتوجيه لمناقشة وتحليل النتائج الفردية والتوصل إلى نتيجة موحدة. (1)

دور المنصات الإلكترونية في العملية التعليمية:

وتعد المنصات الإلكترونية E – platform بمثابة بيئات تعليمية وطريقة آمنة وسهلة تستخدم لتبادل الأفكار ، والمشاركة في المحتوى التعليمي ، كما تتيح الوصول للواجبات والأنشطة ومشاهدة مشاركات مجموعات الطلاب ، س إمكانية اتصال المعلم بطلبته المسجلين بالمقرر ، أو المسجلين بمقررات أخرى ، ويمكن للمعلم تقييم أعمال الطلاب والاطلاع على واجباتهم ودرجاتهم ، وكذا إمكانية دخول أولياء الأمور بالحسابات الخاصة لهم لمتابعة درجات وواجبات أبنائهم ، وتواصل المعلم معهم لإشعارهم بالواجبات المتأخرة كما ترى طريقة التدريس ، وتجعلها أكثر فاعلية باستخدام تطبيقات وبرامج تعليمية ومواقع مختلفة ، المقررات الرقمية اعتمادها على التفاعلية ، والتواصل الاجتماعي باستخدام الأجهزة الذكية ، وزيادة التفاعل والاتصال بين الطلاب ببعض لحل المشكلات ، بالإضافة إلى توسيع مداركهم بالاطلاع على أحدث المستجدات في مجال الدراسة. (2)

الأدوار الجديدة لكل من المعلم والمتعلم في ظل التعلم الإلكتروني:

للمعلم مكانة خاصة ومهمة في العملية التعليمية ، بل إن نجاحها لا يتم الا بمساعدة المعلم ، وذلك لما يتمتع به من كفاءات وقدرات ، وما يتمتع به من رغبة وميل للتعليم ، والذي يساعد المتعلم على التعلم ويجهز لاكتساب المهارات والخبرات التربوية ، وقد تغير دور المعلم من الوقت الذي يعتمد على الورقة والقلم خريطة السياسية للتعليم والتعلم إلى الوقت الذي يعتمد فيه على الكمبيوتر والانترنت ، وتحول الاهتمام من المعلم الذي كان يعتبر محور العملية التعليمية إلى الطالب أن هذا التغير والتطور في ادوار كل من المعلم والمتعلم لم يحدث فجأة وإنما تدريجيا وعلى مراحل متعددة ومتداخلة. (3)

دراسات سابقة:

قامت الباحثة وبعد الاطلاع على العديد من الدراسات ذات العلاقة بالمنصات التعليمية الإلكترونية إثراء الجانب النظري لدراساتها، وفيما يأتي استعراض للدراسات السابقة من الاقدم إلى الاحدث:

(1) الكندري، وليد (٢٠٠١): فاعلية استخدام إستراتيجية التعلم التعاوني في تنمية التذوق الأدبي لدى طلاب المرحلة الثانوية العامة في دولة الكويت، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة، مصر.

(2) مهوس، محمد مهوس (٢٠١٥): تصورات أعضاء هيئة التدريس حول فاعلية المنصات التعليمية الإلكترونية في رفع مستوى التفاعل الصفّي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك.

(3) حنتولي، تغريد محمد تيسر كامل (2016): واقع التعلم الإلكتروني في جامعة النجاح الوطنية ودوره في تحقيق التفاعل بين المتعلمين من وجهة نظر طلبة كلية الدراسات العليا برامج كلية التربية وأعضاء الهيئة التدريسية، أطروحة غير منشورة، نابلس، فلسطين.

1-دراسة الجراح (2011): (1)

اجريت هذه الدراسة في دولة الاردن، و هدفت إلى التعرف على اتجاهات طلبة الجامعة الأردنية الملتحقين في برنامج الدبلوم العالي في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التربية، نحو استخدام برمجية بلاك بورد (Blackboard) في تعلمهم، و استخدم الباحث المنهج الوصفي و الاستبانة أداة للدراسة وتم توزيعها على جميع الطلبة الملتحقين في البرنامج خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (2008-2009) وقد طالبا، وقد أظهرت النتائج على وجود اتجاهات إيجابية لدى أفراد الدراسة نحو بلغ عددهم (536) وطالبة استخدام برمجية بلاك بدور فدي تعلمهم، و أشار أفراد الدراسة إلى أن برمجية بلاك بدور تسهل عملية التعلم وتساعد على توفير فرص تعليمية عن بعد للراغبين كما ساعدتهم في تسهيل عملية التعلم لديهم، وزيادة مشاركتهم الصفية و زيادة تحصيلهم.

2- دراسة حنتولي (2016): (2)

هدفت الدراسة التعرف إلى واقع التعلم الإلكتروني في جامعة النجاح الوطنية ودوره في تحقيق التفاعل بين المتعلمين من وجهة نظر طلبة كلية الدراسات العليا برامج كلية التربية وأعضاء الهيئة التدريسية، وبيان أثر متغيرات الدراسة على ذلك. وتكون مجتمع الدراسة من أعضاء الهيئة التدريسية من تسعة أعضاء هيئة تدريس في كلية الدراسات العليا في برامج كلية التربية، والطلبة من (428) طالباً وطالبة من طلبة كلية الدراسات العليا في برامج كلية التربية. ولتحقيق أهداف الدراسة ، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي من خلال استخدام عدد الأدوات الكمية والنوعية وهي : الاستبانة ، حيث وزعت على طلبة كلية الدراسات برامج كلية التربية ، والمقابلة ، حيث تم مقابلة أعضاء الهيئة التدريسية في كلية الدراسات العلي في برامج كلية التربية في جامعة النجاح الوطنية ، وتسجيل المقابلات وتحليلها واستخراج النتائج ، كما تم تحليل الوثائق الصادرة عن مركز التعلم الإلكتروني وتشمل خطة المركز وصفحة المركز الرسمية على شبكة الإنترنت ، بالإضافة إلى عدد من المنشورات الصادرة عن المركز . . وبعد أن تم تجميع البيانات وتحليلها توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

أظهرت النتائج أن الدرجة الكلية لمجالات واقع التعلم الإلكتروني في جامعة النجاح الوطنية من وجهة نظر طلبة كلية الدراسات العليا في برامج كلية التربية قد أتت بمتوسط (3.73)، ونسبة مئوية (74.6 %) ، وهذا يدل على درجة مرتفعة لاستجابات أفراد عينة الدراسة ، وقد توافقت هذه النتيجة مع نتائج المقابلات مع أعضاء الهيئة التدريسية في كفاية البنية التحتية في الجامعة وتلبيتها إلى حد كبير لمتطلبات التعلم الإلكتروني ، والدور الذي تلعبه الجامعة في مساعدتهم للتعامل مع التعلم الإلكتروني

(1) الجراح، عبد المهدي علي (2011) اتجاهات طلبة الجامعة الاردنية نحو استخدام برمجية بلاك بورد فيتعلمهم مجلة

دراسات العلوم التربوية 38، (4)، 1923-1304

(2)المصدر السابق.

وخدمات التدريب والدعم الفني ، وهذا ما أكدته نتائج تحليل الوثائق الصادرة عن مركز التعلم الإلكتروني . أما من حيث دور التعلم الإلكتروني في تحقيق التفاعل بين المتعلمين جاء بأعلى درجة (78.2 %)، وهذا يتوافق بشكل كبير مع وجهة أعضاء الهيئة التدريسية حول دور التعلم الإلكتروني في تحقيق التفاعل بين المتعلمين؛ فقد اتفق معظمهم على أن التعلم الإلكتروني يزيد من التفاعل بين المتعلمين أنفسهم وبين المتعلمين والمدرس، لتنوع أدوات التفاعل والتواصل التي يوفرها.

3- دراسة سيراك (Siirak, 2012):⁽¹⁾

هدفت إلى معرفة تقدير الطلبة للتعليم المقدم لهم في بيئة التعليم الإلكتروني (Moodle) وقدم الباحث باستخدام المنهج الوصفي المسحي وتكون مجتمع الدراسة من الطلبة الذين يتراوح أعمارهم بين تسعة عشر وثمانية وخمسين عاماً، وشكلت عينة الدراسة أكثر من (1000) طالب وطالبة في جامعة تالين للتكنولوجيا. وتكونت أداة الدراسة من الاستبانة التي صممت لجمع البيانات في نهاية الدورات المقدمة عبر بيئة التعليم الإلكتروني (Moodle). وأجاء 96% من أفراد العينة أن بيئة التعليم جداً، و أن هذه البيئة تشجعهم وتحفزهم على المزيد من التعلم كما أشار (80%) إلى أن البيئة الإلكترونية هي أداة فاعلة من أفراد العينة أن قيامهم بالمشاركة في الأنشطة المقامة عبر بيئة التعليم الإلكتروني (Moodle) تزيد من اهتمامهم في الأنشطة الصفية، و أظهرت النتائج أن التعليم في بيئة التعليم الإلكتروني (موودل) مفيد جداً لتطوير ثقافة التعليم في مؤسسات التعليم العالي.

4- دراسة البحيري (2017):⁽²⁾

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو تطبيق المنصات الإلكترونية في العملية التعليمية في مرحلة الـ تعليم الجامعي. وكذا التعرف على العوائق التي تقف مانعا أمام تطبيق تلك المنصات في العملية التعليمية وقد تم اختيار عينة الدراسة بالطريقة العمدية واقتصرت على طائفة من أعضاء هيئة التدريس من جامعات متنوعة (جامعة المنوفية، جامعة المنصورة، جامعة بنها، جامعة طنطا) وقد اعتمدت الباحثة في دراستها على منهج المسح بالعينة، وقامت الباحثة بتصميم أداة الدراسة وهي عبارة عن استمارة استبيان لجمع البيانات واشتملت هذه الاستمارة على محورين أساسيين للدراسة أحدهما يمثل مقياس اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو اتجاهات المنصات التعليمية الإلكترونية في العملية التعليمية لمرحلة التعليم الجامعي والمحور الثاني يمثل مقياس الصعوبات التي تواجه اتجاهات

V. (2012). "Moodle E – Learning Environment as an Effective Tool in University ، Siirak(1) ، 1، Education." On Line Journal of 13. Information Technology and Application in Education 94-96، 2)

(2) البحري، شيرين عبد الحافظ (2017): اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو تطبيق المنصات التعليمية الإلكترونية في التدريس (منصة ادمودو نموذجاً)، كلية النوعية، جامعة المنوفية، مصر، العدد (51) 261.

المنصات التعليمية الإلكترونية في العملية التعليمية لمرحلة التعليم الجامعي. وقد طبقت الدراسة على عينة بلغ قوامها (40) مفردة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات (المنوفية، المنصورة، بنها، طنطا)، وتوصلت الدراسة إلى إن اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو تطبيق المنصات الإلكترونية في العملية التعليمية في مرحلة التعليم الجامعي كانت بدرجة مرتفعة وقد بلغ الوزن المرجح على مقياس لكرت الخماسي لمحور مقياس اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو تطبيق المنصات التعليمية الإلكترونية في العملية التعليمية لمرحلة التعليم الجامعي (3.503) كما بلغ الانحراف المعياري (1.236) كما توصلت نتائج الدراسة إلى إن العوائق التي تمنع تطبيق اتجاهات المنصات الإلكترونية في العملية التعليمية في مرحلة التعليم الجامعي كانت بدرجة مرتفعة أيضا. وأوصت الدراسة بتعميم تطبيق المنصات التعليمية في العملية التعليمية والقيام بتذليل كافة العقبات التي تقف حائل أمام تطبيق المنصات الإلكترونية في العملية التعليمية في مرحلة التعليم الجامعي

جوانب الاستفادة من الدراسات السابقة:

صياغة الإطار العام للجانب النظري سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، تم الاستفادة من الدراسات السابقة في تحديد مشكلة البحث، بيان أهمية البحث، الاستفادة منها كمصادر، الاستفادة من توصيات الدراسات السابقة، والاستفادة من نتائج الدراسات السابقة في مقارنتها مع نتائج البحث الحالي.

منهجية البحث وإجراءاته:

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي وذلك لقدرته على تزويد البحث بالمعلومات الضرورية، ولتقرير وضع الظاهرة المدروسة تقريراً موضوعياً، ومن ثم تحليل هذه المعلومات وتفسيرها.

إجراءات البحث:

تضمنت إجراءات البحث الحالي تحديداً لمجتمع البحث وعينته وطريقة اختيارها والاداة التي استخدمت فيها وكيفية اعدادها وتطبيقها والوسائل الاحصائية المعتمدة وعلى النحو الاتي:

أولاً-تحديد مجتمع البحث:

مجتمع البحث: هو جميع الافراد او الاشياء او الاشخاص الذين يشكلون موضوع مشكلة البحث.⁽¹⁾ يتألف مجتمع البحث الحالي من طلبة قسم الجغرافية - كلية التربية الاساسية - جامعة دهوك - الدراسة المسائية للعام الدراسي (2021 - 2022)، وقد بلغ عددهم (80) طالب وطالبة، بواقع (40) طالب و(40) طالبة.

ثانياً - عينة البحث:

اعتمدت الباحثة أسلوب القصدي الطبقي في اختيار عينة البحث، وقد تم اختيار قسم (الجغرافية) المرحلة الثانية والمرحلة الرابعة عينة للبحث حيث بلغ عددهم (80) طالب وطالبة، بواقع (40) طالبا و(40) طالبة في الدراسة. التي سيتم تطبيق المقياس عليها. حسب موضح في الجدول (1).

الجدول (1)

توزيع عينة البحث بحسب المرحلة والجنس

المجموع	المرحلة الثانية	المرحلة الرابعة	قسم الجغرافية	
40	20	20	ذكور	
40	20	20	إناث	
80	40	40	المجموع	

ثالثا - أداة البحث:

لتحقيق أهداف البحث، لوحظ أن الاستبانة تعد من أكثر الأدوات مناسبة، وقد أعدت الباحثة استبانة تكونت من (38) فقرة وتقابل كل فقرة خمس بدائل وذلك لتحقيق أهداف البحث وقد مرت مرحلة إعداد الاستبانة بالإجراءات الآتية:

1- صدق الأداة:

ويقصد بالاختبار الصادق هو ذلك الاختبار القادر على قياس الظاهرة التي وضع لأجلها. (1) تحققت الباحثة من الصدق الظاهري وذلك بعرض الاستبانة الى عدد من المحكمين في مجال العلوم التربوية والنفسية، لإبداء آرائهم في صلاحية وملائمة الفقرات للمجالات ووضوحها ومطابقتها لموضوع البحث، وفي ضوء مقترحات المحكمين، وفي ضوء ذلك ابقت على جميع الفقرات وبذلك حصلت على نسبة اتفاق (83 %) فأكثر وأجريت التعديلات اللازمة للفقرات.

2- ثبات الأداة:

يعد المقياس ثابتا إذا أعطى النتائج نفسها تقريبا إذا أعيد تطبيقه على الافراد أنفسهم في مرتين. (2)

(1) الكبيسي، وهيب مجيد والدهري، صالح حسن احمد (1991)، علم النفس العام، الطبعة الاولى، دار الكندي، اردن - الاردن.

(2) بو حطب، فؤاد واخرون، (١٩٨٧)، (التقويم النفسي، ط١، مكتبة الانجلو المصرية.

وقد استخرجت الباحثة الثبات بطريقة إعادة الاختبار، وتتلخص هذه الطريقة في تطبيق الاختبار على مجموعة من أفراد، ثم يعاد التطبيق مرة أخرى على نفس المجموعة بعد مرور اسبوعين على التطبيق الأول⁽¹⁾

ولغرض استخراج معامل الثبات بهذه الطريقة، تم تطبيق المقياس على (30) طالباً وطالبة من المرحلة الثالثة من قسم الجغرافية، في تاريخ (2021/10/5) يوم الثلاثاء اعيد تطبيقه مرة اخرى بتاريخ (2021/10/20) يوم الاربعاء بعد مرور اسبوعين من التطبيق الأول، ومن ثم يحسب معامل ارتباط (بيرسون) بين درجات الأفراد في التطبيق الاول والتطبيق الثاني، اذ بلغ معامل الارتباط (0,82)

رابعا- تكميم الاداة:

أعطيت الباحثة درجات (1، 2، 3، 4، 5) لبدائل محققة بدرجة (كبيرة جداً، وكبيرة، ومتوسطة، وقليلة، قليلة جداً) على التوالي وبذلك أصبحت درجاتها تتراوح ما بين (38-190) درجة.

خامسا- التطبيق النهائي:

بعد الانتهاء من إجراءات الصدق والثبات للمقياس، تم تطبيقه على عينة البحث في كلية التربية الاساسية قسم الجغرافية وكان معدل الوقت المستغرق للإجابة حوالي (20) دقيقة. وقد جرت عمليات التطبيق بشكل طبيعي ولم تحدث أية صعوبات تستحق الذكر في تطبيق المقياس.

سادسا - الوسائل الاحصائية:

اعتمدت الباحثة في تحليل البيانات على الوسائل الاحصائية الاتية:

1- Pearson (معامل الارتباط بيرسون).⁽²⁾

2- T. test (لعينة واحدة)

3- T. test (لعينتين مستقلتين).

عرض نتائج البحث ومناقشتها:

بعد جمع البيانات من أفراد عينة البحث وتحليلها إحصائياً وفقاً للأسئلة البحث، ستعرض الباحثة نتائج البحث وعلى النحو الاتي:

أولاً- النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

"ما مدى إمكانية أعضاء هيئة التدريس في قسم الجغرافية من توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية لإيصال المادة العلمية من وجهة نظر طلبتهم"

(1) عبد الرحمن، سعد (1998)، القياس النفسي (النظرية والتطبيق)، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة.

(2) البياتي، عبد الجبار توفيق (2008): الاحصاء وتطبيقاته في العلوم التربوية والنفسية، ط1، اثناء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

لتحقيق هذا الهدف تم استخراج المتوسط الحسابي لدرجات افراد العينة البالغ عددهم (80) طالب وطالبة، وقد وجد ان المتوسط الحسابي بلغ (111.0750) بانحراف المعياري بلغ (18.79117) وعند مقارنته بالوسط الفرضي البالغ (95) درجة باستخدام الاختبار التائي لعينة واحدة تبين ان القيمة التائية المحسوبة بلغت (7.651) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية والبالغة (1.292) عند مستوى دلالة (0.05). وبدرجة حرية 79 0 والجدول (2) يوضح ذلك.

الجدول (2)

نتائج اختبار التائي للفروق بين المتوسط درجات العينة والمتوسط الفرضي لمقياس المنصات الإلكترونية.

عدد افراد العينة	متوسط الحسابي	الانحراف المعياري	وسط الفرضي	القيمة المحسوبة	درجة الحرية	القيمة التائية الجدولية	مستوى دلالة
80	111.0750	18.79117	76	7.651	79	1.292	0.05

ونستنتج من ذلك ان عينة البحث تتمتع باستخدام المنصات التعليمية الإلكترونية بشكل جيد ويستفيدون من هذا المنصات بأنواعه، والتواصل الالكتروني بين المعلم والطالب يكسبها مهارات جيدة، وتساعد في تطوير المناهج وأساليب التعليم. وتفسر الباحثة النتيجة اعلاه الى الوضع العام الذي مرت به العالم كله من تفشي جائحة كورونا مما دفع الكل الى التعامل مع تلك المنصات لغرض استدامة العمل التعليمي التعليمي والاستمرار فيه ملغين بذلك عدم ضياع سنة دراسية عليهم وهذا ما دفعهم الى ذلك.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:

"مدى إمكانية أعضاء هيئة التدريس قسم الجغرافية من توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية لإيصال المادة العلمية من وجهة نظر طلبتهم تبعاً لمتغير الجنس.

لتحقيق هذا الهدف تم استخراج المتوسط الحسابي لدرجات الافراد العينة تبعاً لمتغير لجنس وقد وجد ان المتوسط الحسابي للذكور بلغ (108.9750) وبانحراف معياري بلغ (15.84134). والمتوسط الحسابي للإناث قد بلغ (122.1250) وبانحراف المعياري بلغ (21.33396) واستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين البالغ تبين ان القيمة التائية المحسوبة بلغت (0.750) وهي اقل من والقيمة التائية الجدولية البالغة (1.990) عند مستوى دلالة (0.05). وبدرجة حرية (78). الجدول (3) يوضح ذلك.

الجدول (3)

نتائج اختبار التائي لعينتين مستقلتين تبعا لمتغير الجنس (ذكور-إناث) على مقياس المنصات الإلكترونية.

عدد افراد العينة	متوسط الحسابي	الانحراف المعياري	رجة الحرية	التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى دلالة
40 ذكور	108.9750	15.84134	78	0.750	1.990	0.05
40 إناث	122.1250	21.33396				

من خلال ما ظهرت في الجدول اعلاه من النتائج التي توصلت اليها الباحثة، لا توجد فروق ذو دلالة إحصائية وانه غير دالة وتعزي الباحثة النتيجة الى البيئة الواحدة التي تحتوي عينة البحث وما لها من تأثيرات متعددة على طبيعة التفكير والتعامل مع المنصات التعليمية وايضا انشغالهم الاكثر بمنصات التواصل الاجتماعي على حساب منصات التعليم الأكاديمي.

ثالثا: النتائج بالسؤال الثالث والذي نصه:

مدى إمكانية أعضاء هيئة التدريس قسم الجغرافية من توظيف المنصات التعليمية الإلكترونية لإيصال المادة العلمية من وجهة نظر طلبتهم تبعا لمتغير المرحلة الدراسية. للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسط الحسابي لدرجات أفراد العينة تبعا لمتغير المرحلة وقد وجد ان المتوسط الحسابي للمرحلة الرابعة البالغ (112.6000) وبانحراف معياري بلغ (22.31109). اما المتوسط الحسابي للمرحلة الثانية فقد بلغ (108.5000) وبانحراف معياري (14.30976)

وباستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين البالغ تبين أن القيمة التائية المحسوبة بلغت (0.978) وهي اقل من والقيمة التائية الجدولية البالغة (1.990) عند مستوى دلالة (0.05). وبدرجة حرية (78). الجدول (4) يوضح ذلك.

الجدول (4)

نتائج اختبار التائي للعينتين مستقلتين تبعا لمتغير لمرحلة (لثاني-الرابع) على مقياس المنصات الإلكترونية.

عدد افراد العينة	متوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى دلالة
(40) مرحلة 4	112.6000	(22.31109)	78	0.978	1.990	0.05
(40) مرحلة 2	108.5000	14.30976				

من خلال ما ظهرت في الجدول اعلاه من النتائج التي توصلت اليها الباحثة، لا توجد فروق ذو دلالة إحصائية وانه غير دالة وتعزو الباحثة هذه النتيجة الى البيئة التعليمية التي لم تتمكن من توفير الوسائل والاساليب الممكنة للاستفادة من اقصى حد من منصات التعليم الالكتروني وايضا تعاملها مع كل المراحل بنمطية وعدم الاستفادة من التطور التكنولوجي في التعليم.

التوصيات والمقترحات

اعتمادا على نتائج الدراسة، وفي ضوء ما تم التوصل إليه توصي الباحثة بالآتي:

1- استثمار المنصات التعليمية الإلكترونية من قبل أعضاء الهيئة التدريسية والاستفادة من أدواتها التعليمية المتنوعة في تطوير عملية التعليم والتعلم.

2- تفعيل دور المنصات التعليمية الإلكترونية والتشجيع على استخدامها من قبل مؤسسات التعليم

العالى

3- العمل على تطوير المناهج التعليمية الرقمية وطرحها كاملة عبر المنصات التعليمية

الإلكترونية لتتسع دائرة الفائدة العلمية وتوفيرها بشكل دائم

4- إجراء المزيد من الدراسات التي تبحث بشكل محدد في أنواع المنصات التعليمية الإلكترونية

وفاعليتها في العملية التعليمية في المراحل الدراسية المختلفة.

5- عقد دورات تعريفية وعمل أدلة خاصة ونشرات إرشادية لزيادة الوعي بأهمية وفاعلية المنصات

التعليمية الإلكترونية.

المصادر

- 1- الجراح، عبد المهدي علي (2011) اتجاهات طلبة الجامعة الاردنية نحو استخدام برمجية بلاك بورد فيتعلمهم مجلة دراسات العلوم التربوية 38، (4)، 1304-1923
- 2- عبد الرحمن، سعد (1998)، القياس النفسي (النظرية والتطبيق)، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 3- الكبيسي، وهيب مجيد والدهرى، صالح حسن احمد (1991)، علم النفس العام، الطبعة الاولى، دار الكندي، اربد - الاردن.
- 4- العيساوي، نجم عبد خلف (2020): وقائع المؤتمر الدولي-التعليم الرقمي في ظل جائحة كورونا، توظيف المنصات الرقمية في التعلم والتعليم بزمان كورونا، ملحق مجلة جامعة العراقية-العدد 2/15(86).
- 5- البحري، شيرين عبد الحافظ (2017): اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو تطبيق المنصات التعليمية الإلكترونية في التدريس (منصة ادمودو نموذجاً)، كلية النوعية، جامعة المنوفية، مصر، العدد (51) 261.
- 6- البياتي، عبد الجبار توفيق (2008): الاحصاء وتطبيقاته في العلوم التربوية والنفسية، ط1، اثراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 7- سعيد، فيصل محمد عبد الوهاب (2015): دور عضو هيئة التدريس الجامعي في تعزيز القيم الخلقية لدى طلبة مؤسسات التعليم العالي، بحث منشور في الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، العدد 2.
- 8- مرسى، وفاء حسن (2011): العدالة الأكاديمية لعضو هيئة التدريس: مدخل لتحقيق جودة الاداء الأكاديمي الواقع وسبل تفعيل، بحث منشور في مجلة رابطة التربية الحديثة، مصر، المجلد 4، 218 ص 2011، العدد 9.
- 9- عابدين، محمد عبد القادر، (2003) (تقييم أعضاء هيئة التدريس لبرامج الدراسات العليا في جامعة القدس، مجلة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية)، المجلد السابع، العدد الاول.
- 10 - العريشي، جبريل حسن، وهند العروان، (2004) الدور المعلوماتي لعضو هيئة التدريس في البيئة الأكاديمية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- 11- بو حطب، فؤاد واخرون، (1987): التقويم النفسي، ط1، مكتبة الانجلو المصرية.
- 12- الكندري، وليد (2001): فاعلية استخدام إستراتيجية التعلم التعاوني في تنمية التذوق الأدبي لدى طلاب المرحلة الثانوية العامة في دولة الكويت، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة، مصر.
- 13- مهوس، محمد مهوس (2015): تصورات أعضاء هيئة التدريس حول فاعلية المنصات التعليمية الإلكترونية في رفع مستوى التفاعل الصفّي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك.
- 14- عبد العزيز، حمدي احمد (2008): التعليم الالكتروني، عمان، دار الفكر، ط1.
- 15- فريجات، غالب عبد المعطي (2010): مدخل الى التكنولوجيا التعليم، عمان، دار الكنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- 16- حنتولي، تغريد محمد تيسر كامل (2016): واقع التعلم الإلكتروني في جامعة النجاح الوطنية ودوره في تحقيق التفاعل بين المتعلمين من وجهة نظر طلبة كلية الدراسات العليا برامج كلية التربية وأعضاء الهيئة التدريسية، اطروحة غير منشورة، نابلس، فلسطين.
- الشبكات الاجتماعية E - platforms " أدوار المنصات الإلكترونية 17- السنوسي، هالة عبد القادر سعيد (2019): كبيئات تعلم تواصلية تشاركية في التعليم الإلكتروني في ضوء خبرة الطالبة، مجلة كلية التربية، جامعة social networks الأزهري، العدد: (181، الجزء الثالث) يناير لسنة 2019 م.

- 18-Siirak, V. (2012). "Moodle E - Learning Environment as an Effective Tool in University Education." On Line Journal of 13. Information Technology and Application in Education, 1, 2, 94-96
- 19-Kats, Y (2010). Learning management system echnologies and software solutions for online teaching: tool and applications. Pennsylvania: IGI global.
- 20-Fee Kenneth (2009). Delivering E - Learning. A complete strategy for design application and assessment. London. Kogan Page.
- 21-https://uomustansiriyah.edu.iq/media/lectures/9/9_2020_01_29!12_30_25_AM.pdf

الهجرة الأوروبية غير الفرنسية إلى الجزائر المحتلة: هجرة مهجورة

Non-French European Emigration to Occupied Algeria: A neglected Emigration

أ.د. فضيل دليو

كلية علوم الإعلام والاتصال والسمعي البصري

جامعة قسنطينة 3 – الجزائر

Delliou Foudil

Faculty of Information, Communication and Audiovisual Sciences

University of constantine3

fdeliou@yahoo.fr

الملخص

يعتبر موضوع الهجرة بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط مهما جدا بسبب تداعياته على دول المصدر والمصب على حد سواء، ولذلك نال اهتمام الدارسين منذ القرون الوسطى. ومع ذلك، تأخر الاهتمام الأوروبي بتاريخ المهاجرين الأوروبيين غير الفرنسيين إلى الجزائر حتى عشرينيات 1980. ولقد تم التركيز في هذه المحاولة المتواضعة على الهجرة الإسبانية إلى الجزائر المحتلة، باعتبارها أهم تيار استيطاني أوروبي غير فرنسي عرفته الجزائر المحتلة من حيث أهميته الديمغرافية واستمراريته الزمنية.

الكلمات المفتاحية:

الهجرة الأوروبية غير الفرنسية؛ الهجرة الإسبانية؛ أنشطة المهاجرين؛ الجزائر المحتلة.

Abstract

The issue of migration between the two shores of the Mediterranean Sea is very important because of its repercussions for both the source and the receiving countries, and for this reason it has received the attention of scholars since the Middle Ages. However, European interest in the history of European non-French emigrants to Algeria was delayed until the 1980s. The focus of this modest attempt was on Spanish emigration to colonized Algeria, as it is the most important European non-French settler movement that occupied Algeria has known as being the most important demographic and time-consuming.

Key Words:

European non-French immigration; Spanish immigration; immigrant activities; occupied Algeria.

1. مقدمة

من المعروف أن الحديث عن المهاجرين غير الفرنسيين وعن أنشطتهم في الجزائر المحتلة (1830-1962) نادر. ولذلك، فالناس لم يتعودوا على الحديث عن الهجرة غير الفرنسية إلى الجزائر المحتلة، لأن الذاكرة الجماعية الخاصة بهذه الفترة وكذا الأدبيات الفكرية في الضفتين لم تحتفظا تقريبا سوى بالاستيطان الفرنسي الديمغرافي، بينما يشير الواقع إلى وجود علاقات تاريخية مستمرة ومكتفة مع هجرات لشعوب أوروبية أخرى: إسبانية، إيطالية، مالطية، صقلية، ألمانية، سويسرية، بلجيكية، بولندية...

ويرجع ذلك حسب البعض، مثل "نواريل" (G. Noiriel)، إلى كون الدراسات "المتوسطة" أهملت بعض المكونات الأساسية لماضي الهجرة في غرب البحر الأبيض المتوسط، بسبب كون جزء كبير منه كان تحت سطوة الفرنسيين، وحبس العقليّة الفرنسيّة التي كان شعارها "الجزائر هي فرنسا" ومنطقها السياسي-الاقتصادي "الحدّ أو التقليل من النفوذ غير الفرنسي (الإسباني، الإيطالي...) في الضفة الجنوبية للمتوسط"¹، وتفضيل الهجرة من وسط وشمال أوروبا خصوصاً والعمل على تحويل تيار هذه الهجرة نحو العالم الجديد (أمريكا) إلى الجزائر². فسياسة الهجرة الفرنسية في الجزائر المحتلة تميزت عموماً باتجاهين، حسب تعبير "تميم"³: هجرة "منظمة" ومرغوبة ودائمة من فرنسا ووسط أوروبا وأخرى "موسمية" ثم "مسموح بها" وأقل رغبة من دول جنوب أوروبا.

قد يكون ذلك هو السبب الرئيس في تأخير الاهتمام الأوروبي بتاريخ المهاجرين الأوروبيين غير الفرنسيين إلى الجزائر حتى عشرينات 1980، انطلاقاً من بعض جامعات الجنوب الفرنسي والإسباني (مرسيليا، مورثيا...)، حيث وجدنا أن عدداً من الجامعيين يهتمون بهؤلاء المهاجرين: ففي عامي 1984 و1985 أنجزت ثلاث مذكرات جامعية في مرسيليا حول "الإسبان في وهران، والمالطيين والألمان في الجزائر"، كما نشرت عدة دراسات للإسباني "خوان باوتستا فيلار" (Juan Bautista VILAR) من جامعة مورثيا أعوام 1985، 1989، 2002... حول الهجرة الإسبانية إلى شمال أفريقيا، بالإضافة طبعا إلى ما قدّمه "كرسبو وجوردي" (Crespo & Jordi)⁴ منذ عام 1986 من تغطية جزئية للهجرة الإسبانية إلى مدينتي وهران والجزائر العاصمة (1830-1889-1914).

ولقد تم التركيز في هذه المحاولة المتواضعة على الهجرة الإسبانية إلى الجزائر، باعتبارها أهم تيار استيطاني أوروبي غير فرنسي عرفته الجزائر المحتلة لكونه الأهم ديمغرافيا والأكثر استمرارية زمنياً. كما تم التركيز عليها بسبب قلة الاهتمام بها في البحوث التاريخية التي عادة ما كانت تركز على الهجرة الفرنسية، بسبب تشتت الأرشيفات الحافظة للوثائق المتعلقة بالتواجد الإسباني في الجزائر بين الجزائر

1 Crespo Gérard, Les Italiens en Algérie, Histoire et Sociologie d'une migration, 1830-1960, Presses Universitaires du Septentrion, 1999, p. 65.

2 بلعزوز العربي، "السياسة الاستعمارية في الجزائر وأثرها على تطور الهجرة الأوروبية بها (1830-1900)"، مجلة عصور الجديدة (جامعة وهران 1)، المجلد 3، ع. 8، 2013/1/22، ص. 290.

3 Temime Émile, "La migration européenne en Algérie au XIXe siècle : migration organisée ou migration tolérée". In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée : Monde arabe, migrations et identités, vol. 43. 1987.

4 Crespo Gérard & Jordi J.J., Les Espagnols en Algérois, 1830- 1914, histoire d'une migration, l'Atlantique, Versailles, 1991.

وفرنسا وإسبانيا....، بالإضافة إلى ظاهرة التجنيس الجماعي -الفرنسي- للمهاجرين الإسبان التي تُعقد عملية البحث وصدقية البيانات¹.

2. الهجرة الإسبانية وأخواتها الأوروبية غير الفرنسية إلى الجزائر المحتلة

قبل أن تصبح الجزائر مَصْدَر هجرة أو منطقة عبور للهجرة الأفريقية نحو أوروبا، كانت قبل ذلك مقصدا للهجرة بدوافعها المختلفة. لكن أهم تيارات الهجرة الوافدة -لأسباب استيطانية أوروبية- تمثلت في التي رافقت الاحتلال الفرنسي للجزائر بين عامي 1830 و1962.

عرفت الجزائر المحتلة أول موجة "معتبرة" منظمة للمهاجرين إليها عام 1848، الذي اشتهر بأزمة اقتصادية حادة في فرنسا²، وبإصدار الجمعية الوطنية الفرنسية إعلانين في سبتمبر يدعوان للهجرة إلى الجزائر ويرغبان فيها بمنح قطعة أرض زراعية -من هكتارين إلى عشرة هكتارات- مع قرض مالي يسمح ببناء منزل وشراء أدوات فلاحية³. سبقت هذه الموجة محاولة أولى لتحويل 400 مهاجر ألماني وسويسري عبر فرنسا منذ نهاية سنة 1830⁴ ثم موجات ظرفية محدودة من ألمانيا منذ سنة 1832 (Di Costanzo, 1992)⁵ وقبلها مرافقة مجموعة من سكان جزيرة "ماهون" (Mahón) الإسبانية حملة الجيش الفرنسي على الجزائر سنة 1830 أثناء توقفها بميناء جزيرتهم⁶، لتليها موجات أخرى "تلقائية" أو "منظمة" ارتبطت بالظروف الاقتصادية والسياسية الطارئة لدول المصدر (مالطا، إسبانيا، إيطاليا، بلجيكا، النمسا، إنجلترا...)، وبالسياسات الترغيبية المتتالية لسلطات الاحتلال الفرنسي، وبوضع المقاومة المسلحة للجزائريين في عدة مناطق.

وفيما يلي تعريف عام بالهجرة الأوروبية غير الفرنسية (الإسبانية، الإيطالية، المالطية، الألمانية...) إلى الجزائر المحتلة مع التركيز على الهجرة الإسبانية بسبب أهميتها.

1 Bouzekri Nadia, Derrotados, deterrados e internados : Españoles y catalanes en la Argelia colonial ¿La memoria olvidada o el miedo a la memoria? (1936-1962). Tesis doctoral (Universitat Autònoma de Barcelona), 2012. P. 23.

2 Laborde G. S. des, Essai chronologique des principaux événements architecturaux et historiques de la ville d'Alger, 2012.

3 بن داهة عدة، "الهجرة الألمانية إلى الجزائر خلال القرن 19 (1830-1900)", مجلة المواقف، المجلد 4، ع. 01، 01 ديسمبر 2009، ص. 9.

4 بلعزوز العربي، مرجع سابق، ص. 290.

5 Di Costanzo J-M., "L'émigration allemande en Algérie de 1830 à 1890", Revue « L'Algérieniste », N° 54, mars 1992.

6 Vilar Juan-Bautista, España en Argelia, Túnez, Ifni y Sahara durante el siglo XIX., IDES, CSDIC. Madrid, 1970, pp. 12-29; Fuster, Joan Olivier, Un informe sobre la emigración de menorquines a tierras de Argelia en el siglo XIX. 1979, p. 134.

1.2. الهجرة الإسبانية إلى الجزائر المحتلة وسوابقها التاريخية

تعتبر الهجرة الإسبانية -كما ورد أعلاه- أهم هجرة عددية غير فرنسية إلى الجزائر المحتلة. مع الإشارة إلى أن لهذه الهجرة سوابق تاريخية قديمة تمثلت أبرز محطاتها في تبعات فتح الأندلس (القرن الثامن م.: 711 م) وبداية تراجع تواجد المسلمين هناك منذ القرن الثالث عشر -نتيجة الصراعات الداخلية- مما تسبب في لجوء أعداد كبيرة جدا (حوالي مليون شخص) من الموريسكيين (الجيل الثالث من الأندلسيين) إلى شمال الدول المغاربية عقب محاكم التفتيش الإجماعية (بين القرنين 15 و17)، بالإضافة إلى حوالي 60 ألف موريسكي¹ شملهم مرسوم الطرد "الثالث" الصادر في العاشر من جويلية 1610²، ومرورا بالعلاقات التجارية التقليدية قبل ذلك بين شرق إسبانيا وشمال أفريقيا والعلاقات المتوترة والصعبة بين الشاطئين في عهد الدايات (بين القرنين 16 و18)، والتي ختمت بمعاهدة السلم والتجارة عام 1786، ثم باستمرار التواجد الإسباني في الجزائر حتى بعد خريف عام 1791، تاريخ مغادرة إسبانيا لجيوبها التاريخية (مركز ميناء "مرسى الكبير" ومركز مدينة وهران...) التي تواجدت فيها منذ عامي 1504 و1509³، وذلك في شكل مهاجرين اقتصاديين ومنفيين سياسيين منذ العشرية الثانية من القرن التاسع عشر⁴. لنصل أخيرا إلى التواجد الاستيطاني الإسباني المستمر والمكثف طيلة الاحتلال الفرنسي للجزائر انطلاقا من إسبانيا ومن شمال المغرب ومن فرنسا طوعا أو كرها (1830-1962). ويعود هذا التواجد -بخلاف سوابقه- لأسباب مهنية أساسا ثم سياسية -نتيجة الحرب الأهلية في إسبانيا- بل وحتى دينية (التخلي عن قيود السيطرة الكاثوليكية) على حد تعبير (De Grammont Henri Delmas, 1887, p. 2)⁵. كما يمكن الإشارة إلى عوامل جذب أخرى للهجرة الإسبانية إلى الجزائر المحتلة تتمثل في القرب الجغرافي -مع تجنب التواجد الإسباني الرسمي في شمال أفريقيا: المغرب- وفي التحويل القسري لبعضهم من فرنسا -المحطة الأولى لهجرة بعضهم نتيجة الحرب الأهلية الإسبانية-، وفي اقتصار الإجراءات القانونية الإسبانية المشددة -خاصة سنة 1850- تجاه المواطنين المهاجرين نحو أمريكا والدعاية المنفردة منها دون

1 هذا العدد يخص فقط من شملهم مرسوم منطقتي "قشتالة" و"استرمادورا"، أما العدد الإجمالي الذي شملته مراسيم الطرد المتتالية بين 1609 و1613 وفي كل المناطق فهو أكثر من 300 ألف، حيث تم تقديره بحوالي 300 ألف حتى 1611 فقط (Domínguez & Vincent, 1993, p. 200; Kamen, 2011, p.220). لمعرفة المزيد من معاناة الموريسكيين، انظر المرجعين الأسبانيين السابقين، وبالعربية: "حميش"، 2020 و"دوبالي"، 2016.

2 Chitour Chems Eddine, L'Éducation et la culture en Algérie. Des origines à nos jours, ENAG, Alger, 1999, p. 141.

3 Vilar Juan Bautista, "Immigration et présence espagnoles en Afrique du Nord (XIXe et XXe Siècles)". In: MIGRANCE 21, deuxième trimestre 2002. Espagne, Pays de Migrations, pp. 11-12.

4 Bouzekri Nadia, Op.Cit., pp. 18, 22.

5 شامي عبد الكريم، "الغزوات والهجرات الإسبانية للسواحل الجزائرية"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، م. 16، ع. 2، جوان 2020، ص. 236.

بقية الوجهات، ومنها الجزائر التي كانت الإجراءات المتخذة بشأن الهجرة إليها متذبذبة ومتناقضة أحيانا ومحتشمة عموماً¹.

ولقد اعتبر البعض² هذا التواجد فاتحة دورة هجرات اليد العاملة الإسبانية المعاصرة، لكونها تأتي قبل نصف قرن من تيار الهجرة الهائل نحو أمريكا اللاتينية، والذي بلغ ذروته في ثمانينيات القرن التاسع عشر. كما خضعت الهجرة الإسبانية إلى الجزائر المحتلة من جهة أخرى لطبيعة معاملة المحتل الفرنسي لها تبعاً لمصالحه الاستيطانية السياسية والاقتصادية، والتي يمكن تقسيمها تاريخياً إلى مرحلتين كبيرتين: مرحلة 1833-1885 التي تميزت بحسن الاستقبال، ومرحلة ما بعد 1885 التي تميزت بمراقبة دخول الإسبان وتفضيل هجرتهم الموسمية -استغلها بعضهم لتحويلها إلى دائمة- وإصدار قوانين تجنيسهم الآلي والجماعي والعمل على "فرنستهم" ثقافياً ولغوياً³ لتفكيك جاليتهم. وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى تصنيف تاريخي ثانٍ -بغض النظر عن موقف المحتل الفرنسي- يقسم الهجرة إلى مرحلتين: مرحلة تميزت بغلبة الدوافع المهنية ومرحلة ثانية تميزت بغلبة الدوافع السياسية، والفواصل التاريخية الحديثة بينهما الحرب الأهلية الإسبانية (1936-1939). وهناك تقسيم زمني ثالث تم اعتماده في فهرس كتاب "جوردي" (Jordi, 1986)⁴: العصر الأول (1830-1856) والعصر الثاني (1857-1900) والعصر الثالث (1900-1920)، ولقد تم تخصيصه من طرف كل من "جوردي" و"بن علو" (Jordi & Benallou, 2010)⁵ كالآتي: عصر المغامرين (1830-1856) وعصر المزارعين (1856-1906) وعصر المجنّسين (1906-1920). وبناءً على ما سبق، يمكن تطوير تصنيف تاريخي عام يقسم الهجرة الإسبانية إلى الجزائر المحتلة إلى المراحل الأربع الآتية: المرحلة الأولى (عصر المغامرين: 1830-1856) والمرحلة الثانية (عصر المستصلحين الزراعيين: 1857-1905) والمرحلة الثالثة (عصر المجنسين: 1906-1936)⁶.

1 قنون حياة، اللاجئين السياسيون الإسبان في الغرب الجزائري (1936-1962). رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010-2011، ص ص. 60-67.

2 Aziza Mimoun, "La emigración española hacia Argelia colonial". Publicación digital del Periódico melillense, N° 11, p. 22. 16/12/2007.

3 Bouzekri Nadia, Op. Cit., pp. 25-29, 38.

4 Jordi Jean Jacques, Les Espagnols en Oranie, 1830-1914, histoire d'une migration, Africa Nostra, Montpellier. 1986.

5 شامي عبد الكريم، مرجع سابق، ص. 250. عن: Jordi, Jean Jacques & Benallou, Lamine,

Migration des espagnols en oranie (1830-1962). Quoted in Zimmermann Bernard. 2010.

6 لقد تم في هذه الفترة تجنيس أكبر عدد من المستوطنين الأجانب لهدف سياسي أساسي: تفكيك الجاليات الأجنبية - المتعاظمة العدد- في الجزائر تدعيماً للسيادة الفرنسية. لكن عملية التجنيس بدأت في الواقع منذ عام 1865، تاريخ صدور قرار "مجلس الشيوخ" (Sénatus-consulte) المرخص لذلك في الجزائر. ونظراً لكون هذا القرار غير فعال وغير كاف لتحقيق الأهداف المحددة له، تم تدعيمه بتطبيق قانون التجنس المعتمد في باريس على أرض الجزائر اعتباراً من عام

والمرحلة الرابعة (عصر اللاجئين والمنفيين: 1936-1962). مع الإشارة إلى أن هذا التصنيف المقترح لا تعتبر حدوده الزمنية مطلقة وأن تسمية كل مرحلة من مراحله تدل على تميزها بغلبة ممارسة نشاط معين دون نفي تواجد بقية الأنشطة التي تتميز بها المراحل الأخرى، نظرا لتداخل نوعية أنشطتها أحيانا شكلا ومضمونا.

ولقد تم رصد تكميم التواجد الإسباني في الجزائر المحتلة حتى استقلالها عام 1962 من طرف عدة كتاب إسبان وفرنسيين (Corrales, 2001 ; Kateb, 1991 ; Crespo, 1986 ; Jordi, 1974 ; Rubio, 2012 ...)، وفي مقدمتهم "خوان باوتيستا فيلار" (Vilar, 1985, 1989, 2002...).

يرى هذا الأخير في بعض مؤلفاته (باللغتين الفرنسية والإسبانية) أن عدد المهاجرين الإسبان كان يزداد بوتيرة سريعة منذ عام 1838، أي قبل أول موجة منظمة للمهاجرين عام 1848. مع الإشارة إلى كونه رافق الاحتلال الفرنسي منذ بدايته، حيث كان ميناء "ماهون" (Mahón) محطة مرور الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 بقيادة "دي بورمونت" ومنها رافق المهاجرون الإسبان الجيش الفرنسي المحتل¹.

وفي عام 1836 مثلا، بلغ أربعة آلاف و592 مهاجرا ثم ارتفع عددهم عام 1841 إلى 9 آلاف و478 مهاجرا، وعام 1881 إلى 114 ألف و320 وحوالي 155 ألف عام 1886. مع الإشارة إلى أن هذا النمو كان بنمطية دورية تحكمها الأزمات الاقتصادية التي مست خاصة الجنوب الإسباني سنوات 1847-48، 1856-57، 1868-69. لقد كان الإسبان الموسميون مثلا، يوفرون في غضون شهرين، مبلغا ماليا تتراوح قيمته ما بين 100 و130 فرنكا فرنسيا، وهو المبلغ الذي تزيد نسبته ما بين 30 و50 في المائة بعد تحويله إلى العملة الإسبانية، أي يصبح يساوي حوالي نصف راتبهم السنوي في إسبانيا، مخصصا منه أشهر البطالة الموسمية²، مما جعلهم في الوقت نفسه مهاجري لقمة العيش وضحايا الاحتلال الفرنسي ووسيلته "الاستغلالية". ثم ازداد عددهم في السنوات الخمس الموالية لمطلع الثمانينات بحوالي 30 ألف، ثم بلغ عام 1889، 157 ألف و560 مهاجرا... و160 ألف مع نهاية القرن، مقابل أقل من 40 ألف في جارتها الأقرب جغرافيا: المغرب. ففي مقاطعة وهران وحدها تم في تعداد عام 1896 إحصاء ما يقرب من 300 ألف أوروبي، منهم حوالي مائتا ألف من الإسبان تم تجنيس نصفهم مؤخرا. ومن بين المستوطنين

1889. وكان تطبيقه ذا طابع جماعي وتلقائي، أصبح بموجبه أطفال الآباء الأجانب الذين ولدوا في الجزائر فرنسيين (أضيف حق الأرض إلى حق الدم) كما أضيف اكتساب الجنسية بالزواج في الفترة نفسها (Kateb, 1998, p. 94-95).

1 Vilar Juan-Bautista, Op. Cit., pp. 12-29. And Vilar, Juan-Bautista, Op. Cit., p. 134.

2 Kateb Kamel, Européens, "indigènes" et juifs en Algérie (1830-1962): représentations et réalités des populations, PUF. Paris, 2001. p. 29 ; Aziza Mimoun, Op. Cit.

المولودين في أوروبا كان هناك قرابة 140 ألف إسباني مقابل حوالي 133 ألف فرنسي. أما بالنسبة لقرابة 250 ألف أوروبي مولود في الجزائر، فقد قُدِّر أن حوالي 40٪ منهم من أصل إسباني¹.

لكن مطلع القرن الموالي شهد تطور عمليتي التجنيس والإدماج الفرنسيين للإسبان وتراجع الهجرة نسبيا بفعل تأزم أوضاع الجزائر السياسية والاقتصادية ما بين عامي 1901 و1906²، مما قلص جذريا عدد المهاجرين الإسبان (Vilar, 1975, 1989, 2002). وهكذا تلاشى ما كان يسمى في بعض أوساط المعمّرين الفرنسيين بـ"الخطر الإسباني" على "المستقبل الفرنسي للجزائر".

وتجدر الإشارة لاحقا إلى عامل اندلاع الحرب العالمية الأولى الذي عمق هذا التراجع حيث أدى إلى عودة الآلاف من الإسبان إلى "شبه الجزيرة الأيبيرية" (إسبانيا والبرتغال) بين عامي 1914 و1919. مما خفف من نسبة الانتعاش النسبي في الهجرة الإسبانية نحو الجزائر الذي حدث ما بين عامي 1906 و1921³.

وبحدود عام 1921، كان تراجع عدد الإسبان ملحوظا، حيث انخفض بحوالي 15 ألف مستوطن عن عددهم عام 1889 (الذي بلغ حوالي 115 ألف)، بسبب استمرار تجنيسهم⁴، وتحسن الظروف المعيشية والمهنية في بلادهم الأصلي، وتفضيل بعضهم الهجرة إلى فرنسا والمنافسة المتزايدة في الجزائر (إدماج الأهالي في سوق العمل، والهجرتين المغربية والتونسية...) والأزمات الفلاحية الدورية في الجزائر، لكن عددهم بقي مهما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن عدد بقية المستوطنين فاق بقليل 200 ألف، وبأنه من أصل 524 ألف و248 مستوطنا من أصل أوروبي حوالي 40 بالمائة كانوا كليا أو جزئيا من أصل إسباني⁵.

واستمر هذا التراجع -الذي اعتبره "فيلار" نهائيا⁶- ما بين 1926 و1931، حيث بلغ نسبة 18.67%، ثم بلغ هذا التراجع أوجه في مقاطعة وهران (20.16%) وحدّه الأدنى في الجزائر العاصمة (16.05%). بينما عرفت مقاطعة قسنطينة زيادة بنسبة 17.02% من مستوطنيها الإسبان، بالرغم من أن

1 Aziza Mimoun, Op. Cit.

2 Jordi Jean Jacques, Op. Cit. p. 111.

3 قنون حياة، مرجع سابق، ص ص. 56-57.

4 يكفي القول أنه من أصل 549 ألف و146 مقيما فرنسا في الجزائر عام 1926، 108 آلاف و495 منهم كانوا مجنسين (60% من أصل إسباني و40% من أصل إيطالي، مالطي، الخ). مع ملاحظة زيادة عدد المجنسين في السنوات الموالية ولكنها كانت بوتيرة أكبر بالنسبة للإيطاليين والمالطيين (Vilar, 2002, p. 14).

5 Corrales Eloy Martín, "La emigración española en Argelia", Awraq (Madrid), N° 5-6, 2012, p. 53.

6 وذلك بالرغم من تداعيات الحرب الأهلية في أسبانيا (1936-1939)، التي أدت مؤقتا -كما هو معروف- إلى ازدياد وتيرة الهجرة إلى الجزائر -بالآلاف من المعارضين للجنرال "فرانكو" عقب انتصاره- لأسباب أمنية وسياسية.

ذلك كان في حدود رقمية مطلقة غير معتبرة (232 مهاجرا إضافيا) بحكم قلة عددهم الأصلي في مقاطعة قسنطينة.

ولذلك، كان العنصر الإسباني سنة 1931 مهيمنا ضمن مجموعة المستوطنين الأوروبيين في الجزائر بسبب الصعوبات الاقتصادية التي عرفت إسبانيا في العشرية الأخيرة. فمن بين المقيمين في الجزائر من أصول أوروبية، نجد 137 ألف و759 إسبانيا مقابل 133 ألف و128 فرنسيا، 53 ألف و608 إيطاليين و14 ألف و393 مالطيا¹.

إن هذه الأرقام مدعمة بهجرة سياسية مكثفة، أثناء -وخاصة- بعد الحرب الأهلية الإسبانية لسنوات 1936-1939، حيث استقبلت الجزائر في الأسابيع الأخيرة للحرب 25 ألف إسباني (Rubio, 1974, 1977) (20 ألف حسب مصادر أخرى)² تعطي فكرة جيدة عن وزن الجالية الإسبانية في الجزائر، وهو الوزن الذي اقتسمته تقريبا حتى تاريخ استقلال الجزائر مع المستوطنين الفرنسيين ذوي الأصول الأوروبية.

وبعد فترة تذبذب مؤشرات الهجرة بين الزيادة والنقصان ما بين سنتي 1932 و1936³، يمكن اعتبار كارثة الحرب الأهلية الإسبانية عاملا قويا أنعش من جديد تيار الهجرة -في شكلها السياسي: ما بين 12 ألف و20 ألف لاجئ ما بين 1939 و1941⁴- إلى الجزائر المحتلة، حيث تذكر معظم المراجع أن عدد المهاجرين الإسبان المتواجدين في الجزائر تزايد تدريجيا بفعل هجرة مزدوجة (سياسية واقتصادية)، ليصل عشية اندلاع الثورة التحريرية (1954) إلى حوالي 42 ألف نسمة، من بينهم 18 ألف إسباني في وهران (منهم خمسة آلاف لاجئ سياسي)⁵. وهي في الحقيقة أرقام لا تعبر عن حقيقة حجم التواجد الفعلي للمهاجرين الإسبان خصوصا والأوروبيين عموما -من غير الفرنسيين- لأن الإحصاءات الرسمية عادة ما كانت تغفل عدد تواجد المجنسين والأجيال المتعاقبة من المهاجرين المولودين في الجزائر، وهو الأمر الذي انكشف نسبيا مع استقلال الجزائر (1962) حيث تم رصد مئات الآلاف من العسكريين ومن المستوطنين الداعمين للاحتلال والذين اضطروا إلى مغادرة الجزائر، ولقد قدر عددهم "جوردي" (Jordi, 1991, p. 117)⁶ بحوالي 400 ألف إسباني من أصل مليون ومائتي ألف أوروبي.

1 - Vilar Juan Bautista, Los españoles en la Argelia francesa (1830-1914), Centro de estudios históricos, Universidad de Murcia. 1989, p. 100.

2 Bouzekri, Nadia, Op. Cit. p. 133; Rubio J., Emigración española a Francia, Ariel. Barcelona, 1974.

3 قنون حياة، مرجع سابق، ص ص. 58-59.

4 - Belazzouz Larbi, "Les républicains espagnols en Algérie de 1939 à 1962: Vicissitudes d'une communauté dans la colonie". 'Oussour Al jadida, Vol.7 (26), 2017, p. 106.

5 Bouzekri Nadia, Op. Cit. pp. 133, 253.

6 Ibid., p. 288.

أما بالنسبة لنقاط انطلاق المهاجرين الإسبان نحو الجزائر، فكان معظمها يتمثل في أقرب نقاط جغرافية إسبانية إلى الجزائر، أي من "جزر الباليار" (وخاصة منها جزيرة "منورقة" -Menorca- التي هاجر منها ثلثا سكانها -ما بين 16 و 17 ألف نسمة- في ثمانينيات القرن 19¹، وجنوب شرق إسبانيا (أليكانت، ألمريا، مورثيا، مالغا، فالنسيا، قرطجنة...) بحكم القرب الجغرافي والدوافع الاقتصادية والأمنية أثناء وبعد الحرب الأهلية الإسبانية (1936-1939) وحتى قبلها: سنة 1923 نتيجة الانقلاب العسكري للجنرال "بريمو دي ريفيرا" (Primo de Rivera) وسنة 1934 نتيجة القمع الوحشي الذي تلا انتفاضة "أستورياس" في الشمال². ويمكن الاطلاع على تصنيف المهاجرين الإسبان حسب مناطق الانطلاق في بعض الفترات التاريخية في بعض أعمال "فيلار" (Vilar Juan Bautista) المعتمدة في هذا العمل.

وأما بالنسبة لأماكن توجه المهاجرين الإسبان ثم استقرارهم في الجزائر، فإنها تتفاوت عددا وبصورة كبيرة بين المقاطعات الإدارية الثلاث التي كانت مقسمة إليها الجزائر حينها: قسنطينة، والعاصمة، ووهران. حيث أن غالبيتهم استقرت بمقاطعة وهران (مدينة وهران -خاصة-، سيدي بلعباس، معسكر، مستغانم، تلمسان...)، إلى درجة أن بعض المسافرين والملاحظين اعتبروها مقاطعة احتلتها إسبانيا وليست فرنسا. تليها من حيث العدد العاصمة، بينما لجأت أقلية عديدة صغيرة جدا إلى مقاطعة قسنطينة، كما سافر عدد آخر إلى خارج الجزائر (فرنسا، الاتحاد السوفييتي، أمريكا اللاتينية...) ³.

وبالرغم من محاولة سلطات الاحتلال "فرنستهم" -من خلال مؤسسات التعليم ووسائل الإعلام- بعد تجنيسهم الآلي والجماعي الذي تقرر مع نهاية القرن التاسع عشر وتهديد من يرفض ذلك بالطرد، فقد حافظ الكثير منهم على لغته الأصلية (القشتالية والكتالانية بلهجاتها الفرعية) وأدخلها إلى الأوساط الفرنسية مما أنتج تنوعا لغويا وأحيانا خليطا لغويا مثل لغة الـ(Patuet)⁴: خليط لغوي "كتالاني-عربي-فرنسي"⁵. كما واجه بعض الإسبان "عملية الفرنسة" وتجنيس بعض الإعلاميين الإسبان وفرض الرقابة على الصحافة الإسبانية الوافدة من إسبانيا ومن مليلية والريف المغربي بإنشاء نوادي ومراكز وصحف إسبانية محلية، ولكن الرقابة شملتتها هي أيضا، حيث قامت الشرطة مثلا بمصادرة العدد الأول من جريدة:

1 Fuster Joan Olivier, Op. Cit., p. 117.

2 Dreyfus-Armand Geneviève, "L'émigration espagnole durant la période franquiste". In : MIGRANCE 21, deuxième trimestre 2002. ESPAGNE, PAYS DE MIGRATIONS. p. 61.

3 Corrales Eloy Martín, Op. Cit., p. 58.

4 "الباتوات" (El Patuet): أصل الكلمة عبارة عن انحراف لغوي عن اسم حي "باب الواد" العاصمي (paplouette) الذي كان أغلب سكانه إسبانيا. صدرت بهذا الاسم صحيفة في الجزائر العاصمة، سنتي 1882-1883. وكانت تعتبر لسان حال "جمعية الصداقة الإسبانية"، وقد خلفت صحيفة "Le Journal de Cagoyous" الهزلية التي كانت تحرر معظمها بالكتالانية (ويعتقد أن اسمها ناتج عن دمج كلمتي "الغائط/caga/ وقرافوز") (دليو فضيل، تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص. 50).

5 Bouzekri Nadia, Op. Cit. p. 39.

Flechas (السهام: أكتوبر 1940) للأب (Manresa) قبل توزيعه بحجة تنديده بظلم السلطات الفرنسية للجزائريين مع تمجيده للجنرال فرانكو...¹.

2.2. هجرة باقي الأوروبيين إلى الجزائر المحتلة

لقد تم عرض واقع المهاجرين الإسبان إلى الجزائر المحتلة في العنصر السابق بشيء من التفصيل، بسبب أهمية حركتهم العددية والتاريخية، وهو الأمر الذي قد يتضح أكثر بمقارنة عدد تواجدهم بعدد تواجد باقي المستوطنين الأوروبيين.

يمكن القول -على العموم- أن عدد الجالية الإسبانية كان معتبرا وخاصة في مقاطعة وهران، التي كان تواجدها فيها يعود إلى أزيد من قرنين من قبل، حيث فاق عددها أحيانا عدد المستوطنين الفرنسيين (1830-1931)... بل إنه كان يفوقهم على المستوى الوطني مع نهاية القرن التاسع عشر. ففي عام 1841، مثلا، بلغ عددهم -كما مر معنا- 9 آلاف و478 إسبانيا مقابل مثلا 11 ألف و322 فرنسا ومن أصل حوالي 35 ألف أوروبي، الذين بلغ عددهم عام 1851 حوالي 131 ألف، غالبيتهم غير فرنسيين (بلغوا حوالي النصف بعد الستينيات) والذين كان من بينهم حوالي عشرة آلاف ألماني² كانت هجرتهم "منظمة" (من طرف الدولة الفرنسية) بخلاف "تلقائية" هجرة باقي الجاليات³. وفي عام 1858 بلغت نسبة المستوطنين الإسبان في العاصمة 28%⁴، وفي عام 1881، بلغ عدد المقيمين الإسبان 114 ألف و320 إسبانيا مقابل أكثر من 40 ألف إيطالي، وحوالي 15 ألف مالطي، وثلاثة آلاف و949 ألمانيا ومئات السويسريين... ومن بين 181 ألف أوروبي، أي أن قرابة ثلثي المستوطنين كانوا إسبانيا. مما جعل الأوساط المستوطنة الفرنسية تتكلم عن "الخطر الإسباني"... قبل أن يتراجع عددهم بحدة، نتيجة التجنيس الإجباري لعام 1889، ليصبح مساويا تقريبا لعدد المستوطنين الفرنسيين في الثلاثينيات (129 ألف و900 إسباني عام 1939) وأقل من 55 ألف -مقابل أقل من 10 آلاف إيطالي ومن أصل أزيد من مليون أوروبي- عشية اندلاع الثورة التحريرية عام 1954⁵ وقرابة مليون ونصف المليون عام 1960⁶ والذين انحاز معظمهم ضد الثورة بانخراطه في الجيش الفرنسي أو في منظمة الجيش السري (OAS) الإجرامية. مع الإشارة إلى أن حوالي 90% منهم كانت جنسيتهم فرنسية⁷. ولذلك أدى استقلال الجزائر إلى هجرتهم الجماعية

1 Ibid., p. 76.

2 KatebKamel, Op. Cit., p. 29.

3 Di Costanzo, J-M., Op. Cit.

4 Crespo Gérard, Les Européens voyageurs; de l'Europe du Sud vers le Maghreb puis vers la France, 1830-1962 Journée d'études à l'initiative de French Lines Montpellier, 14 novembre 2008, p. 2.

5 Vilar Juan Bautista, Op. Cit., pp. 13-14.

6 Aziza Mimoun, Op. Cit.

7 Crespo Gérard, Op. Cit. p. 6.

"الدرامية" -بالتعبير الأوروبي- كبقية "الأقدام السوداء"، والذين لم يبقى منهم سوى حوالي 50 ألف (من أصل مليون ومائتي ألف مستوطن) من الذين دعموا الثورة الجزائرية والقليل منهم كانوا إسبانيا¹. وفيما يلي جدول مقارنة يوضح التطور الديمغرافي للمهاجرين الفرنسيين والإسبان وباقي الأوروبيين إلى الجزائر بين عامي 1833 و1931، وجدول آخر يوضح نسبة المستوطنين الأوروبيين من غير الفرنسيين في الجزائر المحتلة بين عامي 1830 (بداية الاحتلال) و1954 (انطلاق الثورة التحريرية).

جدول (1): التطور الديمغرافي للمستوطنين الفرنسيين والإسبان بين عامي 1833 و1931

السنة	مجموع المقاطعات الثلاث		قسنطينة		وهران		العاصمة	
	إسبان	فرنسيون	إسبان	فرنسيون	إسبان	فرنسيون	إسبان	فرنسيون
1833	7.812	3.483	44	412	266	340	981	2.731
1834	9.750	4.349	190	687	455	477	1.164	3.185
1835	11.221	4.888	233	954	743	729	1.418	3.205
1836	14.561	5.485	189	880	1.148	980	3.255	3.625
1837	16.770	6.592	241	1.119	1.602	1.211	3.346	4.262
1838	20.078	8.034	244	1.246	2.139	1.396	4.311	5.392
1839	25.000	9.526	212	1.238	2.446	1.432	4.735	6.861
1840	27.865	12.193	373	3.043	2.316	1.602	5.076	7.548
1841	37.374	15.597	422	3.669	3.347	1.865	7.027	9.963
1842	8.845	12.287
1843	59.186	28.163	8.164	13.260
1844	75.420	37.701	11.004	20.676
1845	96.119	46.339	488	6.091	7.795	5.695	17.052	34.553
1846	109.400	47.274	385	4.690	10.218	8.260	20.930	34.234
1847	103.863	53.696	611	9.413	11.737	11.297	16.702	32.986
1848	115.101	54.006	613	13.196	13.585	16.974	16.826	33.846
1849	112.607	58.005	641	11.149	15.562	15.959	17.456	30.897
1850	125.963	62.044	1.366	14.407	20.164	19.757	19.995	27.880
1851	131.283	66.050	1.522	20.967	20.412	21.535	19.816	28.548
1852
1853	136.194	77.558
1854	151.172	79.577	1.695	18.137	17.802	22.894	19.842	38.546
1855	163.950	86.969	1.671	19.375	20.346	26.150	20.552	41.444
1856	159.282	92.738	1.461	20.641	19.841	26.821	20.916	45.228
1857	180.472	106.930	1.558	26.422	21.342	29.277	23.365	51.231

...
1866	251.942	58.510	122.119	2.850	34.582	28.455	35.697	27.205	51.840
...
1872	279.691	71.366	129.601	3.103	36.659	37.658	37.111	30.605	55.831
...
1876	344.749	92.510	156.365	3.501	59.333	55.877	56.486	34.660	82.973
...
1882	412.435	114.320	195.418	3.894	64.555	68.383	70.575	42.043	98.807
...
1886	487.715	144.530	219.071	93.262	64.715
...
1891	548.300	151.859	267.672

1 Corrales Eloy Martín, Op. Cit. p. 59.

	
						318.137	157.560	595.929	1896
.....
152.568	50.017	131.343	102.689	90.346	2.559	364.257	155.265	667.242	1901
.....									...
.....						449.420	117.475	710.902	1906
									...
						492.660	135.150	781.293	1911
									...
	36.294		96.869		1.363	657.641	135.032	870.370	1926
	30.710		77.333		1.595	733.242	109.821	920.788	1931

المصدر: Vilar Juan Bautista, 2002, Op. Cit., pp. 25-26.

الجدول (2) يبين نسبة المستوطنين الأوروبيين من غير الفرنسيين في الجزائر المحتلة: 1830-1954

السنة	فرنسيون أصليون	فرنسيون مجنسون	مجموع الفرنسيين	مستوطنون أجانب	مجموع الأجانب	نسبة الأجانب (%)
1833	3 478	-	3 478	4 334	7 812	55,5
1836	5 485	-	5 485	9 076	14 561	62,3
1839	11 000	-	11 000	14 000	25 000	56,0
1841	15 497	-	15 497	20 230	35 527	56,9
1846	46 339	-	46 339	49 780	96 119	51,8
1847	42 274	-	42 274	67 126	109 400	61,4
1851	66 050	-	66 050	65 233	131 283	49,7
1856	92 738	-	92 738	66 544	159 282	41,8
1866	122 119	-	122 219	95 871	218 090	43,9
1876	156 365	-	156 367	155 072	311 439	49,8
1886	219 627	-	219 627	203 169	422 796	48,1
1891	244 000	27 000	271 000	226 000	496 000	45,6
1896	268 000	50 000	318 137	212 000	530 137	40,0
1901	292 464	71 793	364 257	219 380	583 637	37,6
1906	300 672	148 748	449 420	166 198	615 618	27,0
1911	304 592	188 068	492 660	189 112	681 772	27,7
1921	405 208	123 484	528 392	188 774	717 186	26,3
1926	549 146	70 993	620 139	175 718	795 857	22,1
1931	-	-	733 242	148 342	881 584	16,8
1936	-	-	819 450	126 563	946 013	13,4
1948	-	-	876 686	45 586	922 272	4,9
1954	-	-	934 069	49 979	984 048	5,1

المرجع: Kateb Kamel, "La gestion statistique des populations dans l'empire colonial français [Le cas de l'Algérie, 1830-1960]". In: Histoire & Mesure, volume 13 - n°1-2. pp. 77-111. 1998. p. 92.

مع الإشارة إلى أن نتائج الإحصاءات تختلف نسبياً حسب المراجع، مع كونها على العموم مشكوكاً في صحتها وخاصة التي تتعلق بالمستوطنين غير الفرنسيين الذين تم تخفيض عددهم لأسباب سياسية¹، فمثلاً لا يأخذ بعين الاعتبار عدد المجنسين قبل 1891 وبعد 1931 ولا عدد أولاد المجنسين

1 ذات علاقة بالسيادة الفرنسية على الجزائر المحتلة والتي اعتمدت في سبيل تحقيقها عدة مفاهيم: مفهوم المستوطنين ذوي "القفازات الصفراء"، أو مفهوم "الجندي الحراث" لـ"بوغو" (Bugeaud)، أو مفهوم "كلوزل" (Clauzel) الذي يتمثل في جعل الجزائر مكاناً لتجمع "البائسين والمتسولين والمزعجين". كل هذه المفاهيم لم تتجس لمواجهتها واقعاً مزدوجاً: وجود مواطن جزائري متمسك بأرضه والميل المنخفض للشعب الفرنسي للهجرة إلى الجزائر مع تواجد عددي لمستوطنين غير فرنسيين (Kateb, 1998, p. 79).

وأولاد الزواج المختلط بين الفرنسيين وغير الفرنسيين والذين يأخذون الجنسية الفرنسية تلقائياً وعددهم معتبر وذلك طيلة فترة الاحتلال. كما أن نتائج تعدادي 1931 و 1936 مشكوك فيهما أيضاً فيما يتعلق بالأوروبيين الذين تم تضخيم أرقامهم لأسباب مالية، فـ"رسوم البحر" الخاصة بالضرائب على البضائع المستوردة والعبارة للموانئ، يخصص جزء منها للبلديات حسب عدد السكان. ولقد أدت التعدادات السكانية¹ حتى 1954 إلى استغلال منهجي في هذا المجال².

ولتفصيل أعداد جنسية باقي الأوروبيين (من غير الفرنسيين والإسبان) المهاجرين إلى الجزائر، يذكر "ديمونتس" (Demontès, 1906)³ أن عددهم لم يكن يتجاوز في أحسن الحالات 11 ألف مهاجر عام 1896 (أنظر تفصيل ذلك في الجدول 3). مع الإشارة إلى أن ندرة الدراسات التي شملتهم.

جدول (3): عدد بعض الأوروبيين في الجزائر حسب إحصاء 1896

الجنسية	العدد
ألمانية	3319
سويسرية	3200
بلجيكية	1369
إنجليزية	1171
نمساوية	313
رومانية، صربية، بلغارية	589
روسية	277
هولندية	250

المرجع: بلعزوز، مرجع سابق، ص. 300. نقلاً عن: Demontès Victor, Le peuple algérien, essais de démographie algérienne, Alger, Imprimerie algérienne. 1906, p. 27

1 أجرت إدارة الاحتلال تسعة عشر تعداداً (خماسيا منذ عام 1836) للسكان في الجزائر بين عامي 1830 و 1962 بهدف أساسي يتمثل في توطين الجزائريين من قبل سكان جدد. كان من المفترض أن تقيس هذه التعدادات التقدم المحرز في السياسة المعتمدة في هذا المجال. فمعرفة مدى انتظام الاستيطان ودورته يسمح بقياس مدى التقدم المحرز والصعوبات التي يجب التغلب عليها. وقد ساعدت هذه الإجراءات، على الرغم من كونها غير كاملة ولا دقيقة، على إدارة السكان على أساسين عرقي وديني. وينعكس هذا تماماً في الفئات الإحصائية المستخدمة (Kateb, 1998, pp. 78,85). وكانت هذه الإدارة تخفي صراعا بين أولئك الذين كانوا يؤيدون إدماج الجزائر في فرنسا وأولئك الذين يريدون مراعاة الخصوصيات الجزائرية (عرق أوروبي-جزائري) مع دعوتهم إلى الاستقلال الذاتي للجزائر أو إلى انفصالها في شكل جمهورية من مستوطنين أوروبيين ضمن حدود الجزائر (Kateb, 1998, pp. 92).

2 Kateb Kamel, 1998, Op. Cit. p. 86.

3 بلعزوز العربي، مرجع سابق، ص. 300.

3. أنشطة المهاجرين الأوروبيين غير الفرنسيين

إن أنشطة هؤلاء المهاجرين الأوروبيين ارتبطت بنوعية هجرتهم وأهدافها، وبالطبع كانت في مقدمتها الهجرة الاقتصادية بغالبية كبيرة مقابل أقلية من الهجرتين السياسية -القسرية والطوعية- والدينية -الشعائرية "الذاتية" والتنصيرية "الغيرية" -.

ففي الحالة الإسبانية، يمكن تقسيم المهاجرين الإسبان إلى الجزائر المحتلة إلى مجموعتين كبيرتين: المهاجرين الاقتصاديين (للاستزاق وخاصة في المجال الفلاحي) والمهاجرين السياسيين وخاصة المنفيين (اللاجئين) من المعارضين لحكم الجنرال "فرانكو" بعد انتصاره في الحرب الأهلية (1939)، بالإضافة إلى بعض "الوطنيين" المؤيدين له والعاملين من وهران -بدعم قنصلي وديني وإعلامي- على استرجاع سيادة إسبانيا، روحاً ودماً ولغة، على هذه المقاطعة الجزائرية -المسماة "الجزائر الإسبانية" حسب وسائل إعلامها المطبوعة والسمعية- التي غادرتها إسبانيا عسكرياً قبل نهاية القرن الثامن عشر بعد تسليمها لباي معكسر¹.

أما بالنسبة للممارسات المهنية لهؤلاء المهاجرين فالأغلبية منهم امتهنت الفلاحة، كما كانت هجرتهم في البداية مؤقتة أو موسمية، ولكنهم مع مرور الوقت استوطنوا في الجزائر بعد تملكهم الأراضي²، كما تنوعت أنشطتهم الاقتصادية والمهنية:

"بعد الانتهاء من عملية البذر الخريفية كان المياومون الإسبان يهرعون إلى البلاد الأفريقية المجاورة هرباً من البطالة الموسمية، ثم يعودون إلى موطنهم في موسم الحصاد (يونيو). أما في سنوات الجفاف والأوبئة والفيضانات وشلل العمل الزراعي فتحدث موجة نزوح جنوبية ضخمة عبر المتوسط. إن قرب الجزائر وطبيعتها ومناخها المتشابهين مع مناطق الهجرة، وسرعة السفر وسعره المنخفض وسهولة العودة وضمان لقاء مواطنين وأصدقاء وعمل، وذاكرة التجارب الإيجابية السابقة... تشكل كلها عوامل جذب لا تقاوم بالنسبة للعمال المعوزين... وبعد الانتهاء من العمل في الحقول، فإن الذين تمكنوا من تأمين فرص عمل مستدامة يبقون في البلاد. وبعد ذلك يجلبون أسرهم لتتحول الهجرة الموسمية إلى هجرة مؤقتة كخطوة أولى نحو الإقامة الدائمة (الاستيطان)"³. لقد أصبح اتجاه هذا النوع من الهجرة الآن معكوساً!، وهذا موضوع آخر.

1 Bouzekri Nadia, Op. Cit., pp. 63-68.

2 مع الإشارة إلى تمييز تقصيلي واضح في ذلك لصالح المستوطنين الفرنسيين، ف"ديمونتاس" (Demontés, 1906) أكد من خلال بعض الإحصاءات وبعض الأمثلة أن الفرنسيين كانوا يمتلكون ثلاثة أرباع الأراضي التي هي في أيدي الأوروبيين ويشكلون ما يقرب من نصف المزارعين من الأصل الأوروبي، وكانوا يشكلون في المدن الكبرى غالبية الطبقة الثرية أو الصناعية أو التجارية (Levasseur E., "Le peuple algérien . Essais de démographie (algérienne)", Journal de la société statistique de Paris, tome 48, 1907, p.109).

3 Vilar Juan Bautista, 2002, Op. Cit., p. 13.

بالإضافة إلى هذا النشاط الفلاحي الموسمي والدائم، امتهن المهاجرون الإسبان مهن أخرى في البناء وسكك الحديد والتجارة والمسرح والصحافة... وفي هذا المجال المهني الأخير المرافق عادة للاستيطان والإقامة الدائمين، برز النشاط الإعلامي الإسباني والذي يتم عادة تجاهله في التأريخ للصحافة في الجزائر المحتلة لصالح الممارسة الإعلامية الفرنسية. بلغ النشاط الصحافي للمهاجرين الإسبان، في فترة (1880-1931) حوالي ثلاثين عنواناً¹. وكان ذلك نتيجة تواجد نخبة إسبانية متفرنسة وجمالية إسبانية معتبرة وخاصة في مقاطعة وهران أين فاق عددها أحيانا عدد المستوطنين الفرنسيين، فكانت اللغة القشتالية بمعية لهجات كتالانية هي السائدة في مقاطعة وهران، والتي كانت محط رحال بعض الأنشطة الثقافية الإسبانية². وبالطبع أدى هذا الرصيد البشري واللغوي المعتبر إلى وجود عدد مهم من الجمهور المحتمل والمتطلع بشغف إلى أخبار وثقافة بلاده. ولتلبية هذا الطلب زارت فرق مسرحية إسبانية الجزائر وظهرت الصحافة باللغة الإسبانية (القشتالية) وأحيانا باللغة الفالانسيانية أو الكاتالانية³.

ولمواجهة "عملية الفرنسة" وتجنيس بعض الإعلاميين الإسبان وفرض الرقابة على الصحافة الإسبانية الوافدة من إسبانيا ومن مليلية ومن الريف المغربي قام بعض الإسبان بإنشاء نوادي ومراكز وصحف إسبانية محلية، ولكن الرقابة شملتها هي أيضا، حيث قامت الشرطة مثلا بمصادرة العدد الأول من جريدة: Flechas (السهم: أكتوبر 1940) للأب (Manresa) قبل توزيعه بحجة تنديده بظلم السلطات الفرنسية للجزائريين مع تمجيده للجنرال فرانكو...⁴.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن النشاط الصحافي للمهاجرين الإسبان في الجزائر المحتلة بعد الحرب الأهلية الإسبانية (1936-1939) قد غلب عليه الطابع السياسي وبلغت مفرداته قرابة عشرين عنواناً⁵ مقابل حوالي ثلاثين عنواناً كما سبق ذكره في فترة 1880-1931.

وعلى مستوى أعم، فإن الأدبيات العلمية المتوافرة حول هذا التواجد الأوروبي غير الفرنسي في الجزائر المحتلة شملت دراسات حول أهم أنشطة هؤلاء المهاجرين: الفلاحة الموسمية، المزارع، البناء، المناجم، صيد السمك، الحرف التقليدية، التجنيد (في الفيلق الأجنبي الفرنسي)، التجارة البيئية، العلاقات بين مختلف المجموعات المهاجرة، المسرح، الصحافة...

1 Vilar Juan Bautista, La presse Espagnole en Algérie (1880-1931)", in J. Déjeux et D. Pegeaux (sous la dir.), L'Espagne et l'Algérie au XXe siècle. Contacts culturels et création littéraire, Ed. L'Harmattan. Paris. 1985, pp. 53-65.

2 Aziza Mimoun, Op. Cit.

3 دليو فضيل، 2014، مرجع سابق، ص ص. 65-69

4 Bouzekri Nadia, Op. Cit., p. 76.

5 Ibid., pp. 243-254.

مع الإشارة -كما سبق ذكره- إلى قلة الدراسات الأكاديمية التي اهتمت بالهجرة غير الفرنسية إلى الجزائر المحتلة. ولذلك سيقصر العرض الموالي على الحالات الأكثر شيوعاً بعد الحالة الإسبانية: المالطية والألمانية والسويسرية والإيطالية...

بالنسبة للمالطيين، الذين قيل عنهم بأنهم "جاءوا في حقائب الفرنسيين" لكونهم أول من التحق بالجزائر¹ بمعية الإسبان، تذكر بعض المراجع أنهم تخلوا جماعياً عن جنسيتهم البريطانية غير المجدية اقتصادياً (كانت مالطا آنذاك تابعة لبريطانيا: 1800/1814-1964) ليتبنوا الجنسية الفرنسية، وأنهم تميزوا بكثرة ترحالهم وبالمضاربة بأموال الجزائريين، مع تركيز نشاطهم في النقل البحري وفي موانئ وبساتين مدن عنابة وسكيكدة والقل والقالبة والعاصمة...²، أي في الشريط الساحلي، وسط وشرق الجزائر. مع الإشارة إلى أن سلطات الاحتلال الفرنسي -وكذا المستوطنين الفرنسيين- لم تحسن معاملتهم -على غرار الإسبان- بسبب ظروفهم الاقتصادية ومظهرهم الشبيه بالجزائريين وطابعهم المشرقي وكانت تفضل تواجد باقي المهاجرين الأوروبيين... ولم تتغاضى عن تواجدهم إلا لأسباب سياسية ودينية -ك"كاثوليكين" يساعدون في المهام التنصيرية- وخاصة في السنوات الأولى من الاحتلال. كان بعضهم يمتن الترخمة -بحكم معرفته لغة الجزائريين- أما غالبيتهم فكانت تمتن الشحن والصيد البحري وتجارة الخضر والفواكه ولحم الماعز وجبن حليبه... بالإضافة طبعاً إلى الالتحاق بجيش المحتل³.

بلغ عددهم في السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي (حتى 1836) حوالي ألف و800 مهاجر من مجموع حوالي تسعة آلاف مهاجر غير فرنسي (معظمهم إسبان) مقابل أقل من خمسة آلاف وخمسمائة فرنسي. وبعد حوالي عشرية من الزمن بلغ عددهم حوالي ثمانية آلاف و800 مهاجر من أصل مالطي وقراية 12 ألف في إحصاء 1861 وحوالي 14 ألف في عام 1876 وأكثر من 15 ألف وخمسمائة عام 1886 كأعلى مجموع لهم... والذي عادة ما كان يضعهم في المرتبة الثالثة بعد الإسبان -دائماً- والitalian -أحياناً- في الجزائر وفي المرتبة الأولى في الشرق الجزائري، وذلك قبل أن يتم تجنيسهم جماعياً بموجب قانون التجنيس الآلي لعام 1896، مما جعل مالطا تفقد نسبة مرتفعة (حوالي 12%) من سكانها⁴.

وأما بالنسبة للمهاجرين الطليان والذين كان عددهم يأتي أحياناً في المرتبة الثانية بعد الإسبان، فكانت تغلب على نشاطات جاليتهم مهنة صيد السمك تليها مهن: البناء والمناجم في كبرى المدن الجزائرية الشاطئية، والتي بلغ فيها عددهم 21 ألف وتسعة إيطاليين عام 1936، لينخفض تدريجياً، ليصل

1 بلعزوز العربي، مرجع سابق، ص. 298.

2 Vanhove Martine, "La langue maltaise : un carrefour linguistique", Revue du monde musulman et de la méditerranée, vol. 71, N°71, 1994. pp.166-167.

3 Latroch djamel, "Malteses en Algérie (1833-1900): entre el rechazo y la aceptación". Revista Argelina 7: 49-72. Oct. 2018. pp. 63-70.

4 Ibid., pp. 54-58, 67.

في بداية الخمسينيات إلى أقل من عشرة آلاف في أهم مدن تواجدهم: عنابة والجزائر العاصمة وسكيكدة ووهران¹. وبالطبع، لا تعبّر هذه الأرقام عن العدد الحقيقي للمهاجرين من أصول إيطالية الذي انكمش تدريجيا بسبب قانون التجنيس الآلي والجماعي لعام 1889، حيث كان حينها عدد الإيطاليين يقدر بـ 50 ألف شخص أي حوالي 10% من المستوطنين الأوروبيين ليرتفع عددهم عام 1930 إلى 53 ألف مستوطن، تجنّس حوالي نصفهم واستقر في الجزائر لأسباب اقتصادية، كما عانت الهجرة الإيطالية من تراجع واضح بين 1920 و 1930 بسبب وجود بدائل اقتصادية أفضل في فرنسا وليبيا التي وقعت حينها تحت وطأة إمبراطورية موسوليني².

وبالطبع، كانت للطلّيان أيضا بعض المحاولات الصحافية ولكنها كانت محدودة جدا وفي مقاطعة قسنطينة أساسا... بعضها لم يتجاوز العدد الأول: "الأخوة الفرنسية-الإيطالية" (La Fraternité- Fratellanza : Juin 1906)³، و"الرابطّة الفرنسية-الإيطالية" (La Lega franco-italiana)، التي كانت تعتبر لسان حال جمعيات المستوطنين الإيطاليين، وهي جريدة متعاطفة مع اليسار الليبرالي الملكي⁴. كما ظهرت ما بين 1928 و 1939 وبتشجيع من "موسوليني" والقسم الخارجي للفاشيّين الطليان، جريدة "رسالة الجزائر" (Messagero D'Algeri) بدايةً باللغتين الفرنسية والإيطالية ثم بالإيطالية فقط في الثلاثينيات، حيث بلغ جمهور قرائها المحتملين 21009 إيطاليا عام 1936، لينخفض في بداية الخمسينيات إلى أقل من عشرة آلاف في أهم مدن تواجدهم: عنابة والعاصمة وسكيكدة ووهران⁵.

وأما الألمان، فاستيطانهم كان محدودا جدا ومؤقتا (1832-1890) وتميز بتراجع متزايد بعد عام 1855 (500 عام 1832، 10000 عام 1855، 5722 عام 1876 و 3949 مهاجرا عام 1881) إلى حد الانقراض، رغم تركيز الدعاية الفرنسية الترغيبية عليهم وعلى السويسريين (لأسباب اقتصادية: اشتهروا بأنهم "خدّامين" و"مهاجرين")، فلقد صادفت فترة الثمانينات تقلص عددهم إلى أقل من أربعة آلاف مهاجر. ثم إن العدد المرتفع للوفيات والعودة إلى أوروبا والتجنيس جعل هذه الجنسية من المستوطنين تتقرض وخاصة بعد ذوبان ما تبقى منها في الفرنسيين⁶.

تتمثل أهم خصائص الجالية الألمانية (مناطقهم الأصلية، مناطق استيطانهم، تطور أعدادهم، نشاطاتهم...) فيما يأتي: كان معظمهم (75%) قادما من جنوب ألمانيا وغربها ("رينانيا" خاصة)، ومنتشرا تدريجيا وبالتساوي تقريبا بين مقاطعات العاصمة ووهران وقسنطينة. وكان عددهم حتى 1846 يمثل إحدى

1 Crespo Gérard, 1999, Op. Cit. pp. 65-72.

2 Ibid., pp. 65-67.

3 Montoy Louis Pierre, La presse dans le Département de Constantine (1870-1918), Thèse de doctorat d'État, Université de Provence, Institut d'Histoire des Pays d'Outre-Mer, Volume I. 1982.

4 Vilar Juan Bautista, 1989, p. 322.

5 Crespo Gérard, 1999, pp. 65-72.

6 Kateb Kamel, 2001, Op. Cit., p. 29; Di Costanzo J-M., Op. Cit., 1992.

أكبر الجاليات الأوروبية في الجزائر. لكنه انخفض في فترة 1856-1872، حيث بلغ تمثيله حوالي 03-05% من المستوطنين الأوروبيين (المرتبة 5)، لينتقل لاحقا إلى حدوده الدنيا. ومن العوامل التي ساهمت في ذلك: الظروف البيئية (الحرارة وقصر النهار وقلة المياه) وسوء الاستقبال والأوبئة واللغة وقلة مردودية نشاطاتهم الزراعية والثورات الشعبية وكره المستوطنين الفرنسيين لهم والتجنيس خاصة بعد 1889: بلغ مجموع المتجنسين منهم ستة آلاف و950 نسمة سنة 1904¹. أما أهم نشاطاتهم فتمثلت في زراعة البطاطس والكروم وتربية الخنازير والتجارة والفندقة والحرف (النجارة والحدادة والخياطة وصناعة الأحذية والجمعة...) والتجنيد... (70% منهم بصفة مياومين، مستوطنين مملكين ومجندين)². وبالطبع، نتج عن هجرة الألمان إلى الجزائر تواجد المذهب البروتستانتي المسيحي بين غالبية كاثوليكية من المستوطنين. بقي في الأخير أن نشير إلى العدد المحدود من السويسريين (388 سويسريا عام 1854 في بعض قرى سطيف -عين أرنات خاصة-) والبلجيكيين، وإلى أن كونهم "فرانكوفونيين" (معظمهم من جنيف) جعل عملهم الزراعي والإعلامي يختلط بنشاط الفرنسيين³. كما تواجد حينها مهاجرون من الريف المغربي في مقاطعة وهران، ونمساويون، وبولنديون، وإنجليز وروس (أصلهم جنود دعموا فرنسا في الحرب العالمية الأولى)...

4. خاتمة

إن ما تم ذكره من معطيات تاريخية يؤكد، أولا، الأهمية التاريخية لمتغيرات ديمغرافية غير فرنسية عامة وإسبانية خاصة تم تجاهلها سياسيا وأكاديميا بصفة كلية أو جزئية في الأدبيات المتخصصة الفرنسية والجزائرية، وذلك بالرغم من تأثيراتها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الفضاء "الجغرافي-التاريخي" المتوسطي.

كما تجدر الإشارة ثانيا، إلى الحاجة إلى المزيد من البحث الأكاديمي الكمي والكيفي لإثراء ما تم ذكره، وخاصة حول دوافع وأنشطة المستوطنين الأوروبيين غير الفرنسيين في الجزائر المحتلة، وعلى وجه أخص بعد ثلاثينيات القرن الماضي -بفعل عوامل الحرب الأهلية الإسبانية والحرب العالمية الثانية...- وحتى استقلال الجزائر عن فرنسا عام 1962.

1 Demontes Victor, Op. Cit., p. 340.

2 Di Costanzo J-M., Op. Cit.

3 Kateb Kamel, 2001, Op. Cit., p. 29; Di Costanzo J-M., Op. Cit.

قائمة المراجع

أولاً) قائمة المراجع باللغة العربية

- 1- بلعزوز العربي، "السياسة الاستعمارية في الجزائر وأثرها على تطور الهجرة الأوروبية بها (1830-1900)", مجلة عصور الجديدة (جامعة وهران 1)، المجلد 3، ع. 8، 2013/1/22، ص ص. 289-301. متوافر عبر الرابط: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/47181>
- 2- بن داهة عدة، "الهجرة الألمانية إلى الجزائر خلال القرن 19 (1830-1900)", مجلة المواقف، المجلد 4، ع. 01، 01 ديسمبر 2009، ص ص. 09-18. متوافر عبر الرابط: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/6823> أو <https://archive.alsharekh.org/Articles/49/18238/409550>
- 3- دليو فضيل، تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014. ISBN : 978-9961-65-840-6
<https://www.editionshouma.com/product/communication>
- 4- دوالي خديجة، "مأساة طرد مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة"، مجلة عصور الجديدة (جامعة وهران 1)، المجلد 6، ع. 23، 2016، ص ص. 105-125. متوافر عبر الرابط: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/16402>
- 5- حميش فاطمة الزهراء، "مأساة الموريسكيين بين اجتهاد الفتوى وغياب القوة العسكرية"، مجلة عصور الجديدة (جامعة وهران 1)، المجلد 10، ع. 2، 2020، ص ص. 211-228. متوافر عبر الرابط: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/114838>
- 6- شامي عبد الكريم، "الغزوات والهجرات الإسبانية للسواحل الجزائرية"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، م. 16، ع. 2، جوان 2020، ص ص. 234-272.
- 7- قنون حياة، اللاجئون السياسيون الإسبان في الغرب الجزائري (1936-1962). رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران (الجزائر). 2010-2011.

ثانياً) قائمة المراجع باللغات الأجنبية

- 8- Aziza Mimoun, "La emigración española hacia Argelia colonial". Publicación digital del Periódico melillense, N° 11, p. 22. 16/12/2007. In: <http://melillense.info/spip.php?article113> /o/ <https://web.archive.org/web/20090208023526/http://melillense.info/spip.php?article113>.
- 9- Belazzouz Larbi, "Les républicains espagnols en Algérie de 1939 à 1962: Vicissitudes d'une communauté dans la colonie". 'Oussour Al jadida, Vol.7 (26), Pp.102-114, 2017. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/18975>.
- 10- Bouzekri, Nadia, Derrotados, deterrados e internados : Españoles y catalanes en la Argelia colonial ¿La memoria olvidada o el miedo a la memoria? (1936-1962). Tesis doctoral (Universitat Autònoma de Barcelona), 2012. In: <https://www.tdx.cat/handle/10803/123296#page=1>
- 11- Chitour Chems Eddine, L'Éducation et la culture en Algérie. Des origines à nos jours, ENAG, Alger, 1999.

- 12- Corrales, Eloy Martín, "La emigración española en Argelia", Awraq (Madrid), N° 5-6, 2012, <http://www.awraq.es/blob.aspx?idx=5&nId=75&hash=bed5ab3f0af1161ce2bc9636a6b12e41>
- 13- Crespo, Gérard, "Les Italiens en Algérie, 1830-1960, Histoire et sociologie d'une migration", Nice, 1994. In : Revue Ensemble, N° 217, Avril 1999, Pages 65 à 72. In : http://bone.piednoir.net/titre_rubrique/histoire_de_bone/italiens.html. 10/11/2013.
- 14- Crespo, Gérard, Les Italiens en Algérie, Histoire et Sociologie d'une migration, 1830-1960, Presses Universitaires du Septentrion, 1999.
- 15- Crespo, Gérard, Les Européens voyageurs; de l'Europe du Sud vers le Maghreb puis vers la France, 1830-1962 Journée d'études à l'initiative de French Lines Montpellier, 14 novembre pages in : www.frenchlines.com/.../gerard_crespo_les_europeens_voyageurs.pdf 2008. 7
- 16- Crespo Gérard & Jordi J.J., Les Espagnols en Algérois, 1830– 1914, histoire d'une migration, l'Atlantique, Versailles, 1991.
- 17- Demontès, Victor, Le peuple algérien, essais de démographie algérienne, Alger, Imprimerie algérienne. 1906, 619 p.
- 18- Di Costanzo, J-M., "L'émigration allemande en Algérie de 1830 à 1890", Revue « L'Algérieniste », N° 54, mars 1992. In : http://www.alger-roi.fr/Alger/colonisation/textes/2_emigration_allemande_algerianiste57.htm. 14/10/2006.
- 19- Domínguez Ortiz, Antonio; Vincent Bernard, Historia de los moriscos. Vida y tragedia de una minoría, Alianza Editorial. Madrid, 1993. ISBN 84-206-2415-2.
- 20- Dreyfus-Armand Geneviève, "L'émigration espagnole durant la période franquiste". In : MIGRANCE 21, deuxième trimestre 2002. ESPAGNE, PAYS DE MIGRATIONS. In : www.generiques.org/images/pdf/Migrance_21fra.pdf
- 21- Fuster, Joan Olivier, Un informe sobre la emigración de menorquines a tierras de Argelia en el siglo XIX. 1979. Retrieved 5/3/2022 from: http://ibdigital.uib.es/greenstone/sites/localsite/collect/treballsGeografia/index/assoc/Treballs_de_Geografia_19/78v35p13.dir/Treballs_de_Geografia_1978v35p133.pdf
- 22- Jordi, Jean Jacques, Les Espagnols en Oranie, 1830-1914, histoire d'une migration, Africa Nostra, Montpellier. 1986.
- 23- Jordi, Jean Jacques & Benallou, Lamine, Migration des espagnols en oranie (1830-1962). Quoted in Zimmermann Bernard. 2010. Retrieved from: https://jeanyvesthorignac.fr/wa_files/MIGRATION_20D_ES_20ESPAGNOLS_20EN_20ORANIE.pdf
- 24- Kamen, Henry, La Inquisición Española. Una revisión histórica (3ª edición), Crítica. Barcelona, 2011. ISBN 978-84-9892-198-4.
- 25- Kateb, Kamel, Européens, "indigènes" et juifs en Algérie (1830-1962): représentations et réalités Paris, 2001. PUF. des populations,
- 26- Kateb, Kamel, "La gestion statistique des populations dans l'empire colonial français [Le cas de l'Algérie, 1830-1960] ". In: Histoire & Mesure, volume 13 - n°1-2. pp. 77-111. 1998. doi : <https://doi.org/10.3406/hism.1998.892>. https://www.persee.fr/doc/hism_0982-1783_1998_num_13_1_892.
- 27- Laborde, G. S. des, Essai chronologique des principaux événements architecturaux et historiques de la ville d'Alger, 2012. In : http://alger-roi.fr/Alger/urbanisme/textes/24_dates_immeubles_laborde.htm, 10/2012.
- 28- Latroch djamel, "Malteses en Argelia (1833-1900): entre el rechazo y la aceptación". Revista Argelina 7: 49-72. Oct. 2018. doi:10.14198/RevArgel2018.7.04. <http://rua.ua.es/dspace/handle/10045/86209>. Fecha de acceso: 11 Feb. 2022.
- 29- Levasseur, E., "Le peuple algérien . Essais de démographie algérienne". Journal de la société statistique de Paris, tome 48, p. 105-109. 1907. http://www.numdam.org/article/JSFS_1907_48_105_0.pdf
- 30- Montoy, Louis Pierre, La presse dans le Département de Constantine (1870-1918), Thèse de doctorat d'État, Université de Provence, Institut d'Histoire des Pays d'Outre-Mer, Volume I. 1982.
- 31- Rubio, J., Emigración española a Francia, Ariel. Barcelona, 1974.

- 32- Temime, Émile, “La migration européenne en Algérie au XIXe siècle : migration organisée ou migration tolérée”. In : *Revue de l’Occident musulman et de la Méditerranée : Monde arabe, migrations et identités*, vol. 43. Pp. 31-45. 1987. doi : <https://doi.org/10.3406/remmm.1987.2130>. https://www.persee.fr/doc/remmm_0035-1474_1987_num_43_1_2130
- 33- Vanhove Martine, “La langue maltaise : un carrefour linguistique”, *Revue du monde musulman et de la méditerranée*, vol. 71, N°71, 1994. pp.166-183.
- 34- Vilar, Juan-Bautista, *España en Argelia, Túnez, Ifni y Sahara durante el siglo XIX*. Madrid: IDES,CSDIC. 173 p. 1970. In: <https://books.google.hn/books?hl=fr&id=ipsJAQAAIAAJ&focus=searchwithinvolume&q=Mahoneses>.
- 35- Vilar, Juan Bautista, *La presse Espagnole en Algérie (1880-1931)*”, in J. Déjeux et D. Pegeaux (sous la dir.), *L’Espagne et l’Algérie au XXe siècle. Contacts culturels et création littéraire*, Ed. L’Harmattan. Paris. 1985, pp. 53-65.
- 36- Vilar, Juan Bautista, *Los españoles en la Argelia francesa (1830-1914)*, Centro de estudios históricos, Universidad de Murcia. 1989.
- 37- Vilar, Juan Bautista, “Immigration et présence espagnoles en Afrique du Nord (XIXe et XXe Siècles)”. In: *MIGRANCE 21*, deuxième trimestre 2002. Espagne, Pays de Migrations. in: www.generiques.org/images/pdf/Migrance_21fra.pdf.

الآثار الإيجابية المترتبة على قيام سد النهضة الاثيوبي على القطاع الزراعي بالسودان

Positive Impact of the Construction of Ethiopian Renaissance Dam on the Agricultural Sector in Sudan

د. النور أحمد محمد نور البلك

DR. ELNOUR AHMED MOHAMMEDNOUR ELBOOK

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم – كلية التربية

University of the Holy Quran – College of Education

جامعة حائل المملكة العربية السعودية – كلية الآداب والفنون – قسم العلوم الاجتماعية

University of Hail – kingdom of Saudi Arabia- College of Arts and and Science-

Department of Social science

elnoorelbook@gmail.com

المخلص

هذه الورقة العلمية تهدف إلى توضيح الفوائد المتوقعة من قيام سد النهضة على القطاع الزراعي بالسودان وذلك بتوفير البيانات الأساسية للقطاع الزراعي وعكس المشاكل المتعلقة بنقص المياه وانعكاس ذلك على نقص المساحات الزراعي والإنتاج الزراعي. واعتمد الباحث على المنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج الإحصائي الكمي لتحقيق النتائج المرجوة من البحث. ومن خلال الدراسة اتضح أن السودان سيستفيد من السد في المجال الزراعي بعد التنسيق مع الجانب الأثيوبي في تشغيل السد. ومن أبرز النتائج إمكانية زراعة ثلاث دورات زراعية في المشاريع الزراعية المروية بدلاً من دورة واحدة وكذلك السد يعمل على توفير المياه طوال العام في تنظيم جريان النهر ويمنع الفيضانات وكذلك إنشاء السدود على مجرى النهر من دون أي مشاكل مع المواطنين أو غمر الأراضي الزراعية بمياه السدود. وإنتاج السدود السودانية لطاقة كهربائية إضافية بنسبة 30%. وزيادة الإنتاج الزراعي مما يحقق استقرار للمزارعين وعدم ترك حرفة الزراعة وكذلك تقليل الطمي الذي يكلف المشاريع الزراعية في بعض الأحيان 50% من ميزانية المشروع كما في مشروع الجزيرة. ومن أبرز التوصيات، التوصل لاتفاق ملزم مع إثيوبيا لإدارة السد، وتهيئة المشاريع الزراعية المروية للعمل بنظام ثلاث دورات زراعية في العام وتشجيع الاستثمار الداخلي والخارجي في العمل على تنمية القطاع الزراعي بالسودان والاستفادة من مياه السد في إدخال أراضي زراعية جديدة للقطاع المروي في السودان.

الكلمات المفتاحية: سد النهضة – الزراعة – السودان – الإنتاج.

Abstract: -

This scientific paper aims to explicate the expected benefits of the construction of the Renaissance Dam on the agricultural sector in Sudan. This is by providing basic data for the agricultural sector and reversing problems related to water shortage and its reflection on the lack of agricultural areas and production. The researcher relied on descriptive, historical, and quantitative approaches to achieve the desired results of the research. Through the study it became clear that Sudan will be benefited agriculturally after useful coordination with the Ethiopian Side in operating the Dam. Among the prominent results is the possibility of three cycles cultivation instead of one cycle, in terms irrigated agricultural projects. As well as the dam works to provide water throughout the year in regulating the flow of the river and preventing floods. In addition, construction of dams on the river could be possible without causing any problem for citizens or flooding agricultural lands with dam water. So the production of electricity would increase by 30% which helps in increasing agricultural productions and stability for farmers to implement agricultural craft and reduce slit that

sometimes costs 50% of the project budget, as in Gezira project. Betwixt the most prominent recommendations is to research a binding agreement with Ethiopia to manage the dam and prepare for irrigated agricultural projects to work in a system of three agricultural cycles per year and to encourage internal and external investment to develop the agricultural sector in Sudan. Thus Sudan would be benefited from the dam's water in introducing new agricultural lands to the irrigated sector in Sudan.

Keywords:- Renaissance Dam- Agriculture- Sudan- Production

المبحث الأول

خطة البحث 1-

مقدمة: 1-1

لقد حبا الله السودان بأراضي زراعية خصبة أضحت تمثل أهم الجوانب الاقتصادية التي يعتمد عليها السودان منذ قديم الزمان فقد مارس الزراعة 62 % من سكانه مهنة الزراعة. وأول اشكالات الزراعة ظهرت في أقاليم يتراوح مناخها بين الجاف وشبه الجافة (1).

مارس السودانيون الزراعة منذ القدم. وكانت مشكلة المياه تطل برأسها منذ قيام الزراعة المروية 1925 بمشروع الجزيرة والرهدة وغيرها من المشاريع الزراعية. أدت دراسة منابع النيل ومجاريه وأراضي السودان دراسة علمية إلى الاتجاه في الاعتماد على تخزين الماء في خزانات وتوزيعه في الترع للتوسع الزراعي، وكان للأمال الكبيرة التي عقدت على إمكان التوسع ما يترتب على ذلك من اهتمام الإنجليز بالسودان واتجاههم إلى استعمارهم (2).

يهدف البحث على توضيح الفوائد المتوقعة من قيام سد النهضة للقطاع الزراعي بالسودان معتمداً على المنهج الوصفي والتاريخي والكمي لإظهار تلك الفوائد. واضفت وسائل الاعلام الكثير من المخاطر من قيام السد على شعبي وادي النيل ولذلك كان الخطاب الإعلامي يبرز المخاطر ولا يبرز إيجابيات السد.

سد النهضة الاثيوبي سوف يمثل مخزون استراتيجي للزراعة بالسودان وسوف يوفر المياه طيلة الموسم الزراعي وبالتالي يضمن المزارع زراعة أراضيهِ صيفاً وشتاءً من دون ان تكون هنالك مشكلة في المياه التي كانت تمثل هاجسه الأول في نجاح الموسم الزراعي. إضافة الى ذلك سوف يضمن مزارعو المشاريع الزراعية والجنائن والبساتين توفر الكهرباء التي سوف توفرها السدود السودانية التي سوف تعمل بكامل طاقتها طول السنة بعد التنسيق مع إدارة سد النهضة.

مشكلة البحث: 1-2

1 الزوكة، محمد خميس، 2000، الجغرافية الزراعية، دار المعرفة الجامعية الطبعة الثالثة، ص22

2 عبدالله حسين السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية الجزء الثاني مؤسسة هنداوي 2013، ص447 -

السودان يمتلك أراضي زراعية كبيرة تقدر بـ 200 مليون فدان⁽¹⁾ تمكنه من سد الفجوة الغذائية في السودان والعالم ولذلك سمي بسلة غذاء العالم. ولكنه لم يستفد من زراعة تلك الأراضي لأسباب عديدة أهمها عدم توفر الماء الكافي خاصة للمشاريع الزراعية المروية وذلك بسبب ان موسم الامطار وفيضان النيل يأتي في فترة قصيرة من السنة وليس لديه السدود التي تستطيع أن توفر المياه للزراعة بسبب قلة سعتها التخزينية. ويمكن صياغة المشكلة في الأسئلة التالية:

- 1/ ما الفائدة المرجوة من تشغيل سد النهضة الاثيوبي بالنسبة للسودان؟
 - 2/ إلى أي مدى يمكن الاستفادة من ثبات المنسوب طول العام
 - 4/ عند التحكم في مياه السد. هل يساعد ذلك السدود السودانية على إنتاج الكهرباء؟
 - 5/ هل سيستفيد قطاع الزراعة في السودان من قيام السد؟
- 3-1 أهداف الدراسة:

- 1/ توضيح الفوائد المرجوة من قيام السد.
- 2/ تبين المساهمة المتوقعة لسد النهضة في إضافة محاصيل جديدة في الدورة الزراعية.
- 3/ معرفة الفائدة التي سوف يجنيها القطاع الزراعي بالسودان من قيام السد الاثيوبي.
- 4/ معرفة كمية الطاقة الكهربائية المتوقعة إنتاجها من السدود السودانية ومدى مساهمتها في القطاع الزراعي.

منهجية الدراسة المتبعة: 4-1

يتمثل المنهج في مجموعة من الخطوات المنظمة والطرق العلمية التي يستخدمها الباحث في جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها، ويوضح ما يُبنى عليه من مسلمات نظرية وأسئلة محورية لدراسة ظاهرة معينة أو مشكلة محدودة، أو إنها: (مجموعة من القواعد العامة التي يستخدمها الباحث للوصول إلى الحقيقة، وقد تكون هذه الحقيقة جديدة، أو إن الباحث يرغب في إيصالها للآخرين بغية تعريفهم بها، فالهدف من المنهج هو الكشف عن الحقيقة العلمية²

تم استخدام المنهج التاريخي والتاريخ بالمعنى العام هو دراسة الماضي بمختلف ظواهره، أو دراسة الاختلافات والعلاقات عبر الزمان⁽³⁾. وتمت الاستفادة منه في معرفة تاريخ الزراعة المروية في السودان وتطور الزراعة خاصة في القطاع المروي.

كما استخدم المنهج الوصفي، وهو ملاحظة أو وصف الظاهرة بهدف الوصول إلى تصور دقيق عن المشكلة موضوع الدراسة وعلاقاتها بالظواهر المرتبطة بها والتوصل إلى قوانين للعلاقات الارتباطية بين

1 <https://moaf.gov.sd/#gsc.tab>

2 رفاعي، أحمد حسين (1999م): مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية، دار البارودي العلمية ص23

3 خير، محمد صفوح (2000م): الجغرافيا: موضوعها ومناهجها وأهدافها، دمشق: سوريا. الطبعة الأولى. ص22

الظاهرة وقريناتها، وكذلك التنبؤ بهذه الظاهرة بالاعتماد على القوانين التي تم اكتشافها. وتلك طرق أساسية بل قد تكون كافية للتعامل مع الظواهر التي لا يمكن التحكم فيها ⁽¹⁾. وهو يعنى بوصف الظواهر الزراعية في القطاع المروي كالقنوات المائية وتفرعاتها المختلفة (مواجر - ترع رئيسة - ترع فرعية - أبوعشرين - أبوستة) . وتم كذلك استخدام المنهج الكمي يعتبر الإحصاء أداة للقياس ومنهجاً للبحث يقدم للباحثين المادة الخام التي تساعد على إقامة النظريات. ويقوم المنهج الإحصائي على تجميع المادة العلمية تجميعاً كمياً ⁽²⁾. وهو يركز على الإحصاءات المتعلقة بالمساحات الزراعية والإنتاجية والتكلفة للعمليات الزراعية وهذا المنهج يساهم في تعزيز مصداقية الدراسة.

مصادر جمع المعلومات: 1-5

تبدأ مهمة جمع المعلومات بعد تحديد مشكلة البحث ووضع تصميم او خطة للبحث ⁽³⁾. وتنقسم مصادر جمع المعلومات إلى مصادر أولية ومصادر ثانوية وتمثل الأولى الملاحظة والمقابلة والدراسة الميدانية وتمثل الثانية الكتب والمراجع والتقارير والمنشورات والرسائل الجامعية... ودوائر المعارف والبلبليوغرافية والمطبوعات الحكومية ⁽⁴⁾ واستعان الباحث بأراء الخبراء في المواقع الالكترونية المختلفة لحدثا الموضوع وقلة المراجع ذات الصلة.

المبحث الثاني

الإطار النظري 2-

الزراعة في السودان: 1-2

تعد الزراعة في السودان من أهم الحرف التي يمارسها السكان في السودان ولقد حبا الله السودان بمساحات واسعة تقدر 16900000 مليون هكتار ⁽⁵⁾ صالحة للزراعة. هذه المساحة والمستفاد منها للقطاع المروي 1.9 مليون هكتار. ومن أشهر المحاصيل الزراعية على سبيل المثال لا الحصر (القطن - الفول - الذرة والسمسم) نصيب الزراعة المروية ما يعادل 25% من جملة الأراضي الزراعية. وهي تمثل ما يعادل نسبته 60% من جملة الأراضي المروية بالسودان وهي نسبة كبيرة كما موضح بالجدول. أدناه والذي يبين المساحات الكبيرة التي يملكها السودان لمشاريعه المروية.

1ص76 إبراهيم، عبد الحميد صفوت(2012م): البحث العلمي دار الزهراء للنشر والتوزيع.

2 البلك، النور أحمد تدهور مشروع الجزيرة: الأسباب والنتائج والرؤية المستقبلية 2017 ص6

3 صوان، فرج محمد، 2018: طرائق البحث مقدمة لطرائق البحث وكيفية إعداد البحوث، الطبعة الأولى، بيروت، ص179

4 ص86 سيف محمود محمد (1998): أسس البحث الجغرافي دار المعرفة الجامعية

<https://ar.wikipedia.org/wiki/5>

جدول رقم (1) المشاريع المروية بالسودان

الرقم	اسم المشروع	المساحة بالفدان
1	الجزيرة	2.12 مليون
2	حلفا الجديدة	500 ألف
3	السوكي	115 ألف
4	الرهدة	300 ألف

1

لعل من أكبر المشاكل التي حالت دون التوسع والاستفادة من الأراضي الزراعية في السودان في المشاريع الزراعية بالسودان هي قلة الماء وذلك لأسباب متعلقة بالتخزين في السدود السودانية وعدم انتظام الماء طوال العام.

متطلبات التنمية الزراعية: 2-2

لا شك من أهم أهداف التنمية الزراعية العمل على توفير الغلات الزراعية للاستهلاك المحلي وتصدير الفائض من الزراعة. تحتاج الزراعة لعناصر أهمها الماء لري المحاصيل الزراعية والذي أصبح من أكبر المشاكل التي تواجه العملية الزراعية في الآونة الأخيرة وبالتالي تعمل الدول على توفيره بعدة طرق. من أهم هذه الطرق هي السدود المائية وذلك لأنها توفر الماء طوال العام وبالتالي تسمح بتنوع المحاصيل الزراعية مع توفر الظروف المناخية المناسبة وكذلك إنتاج الكهرباء والذي من شأنه أن يوفر مساحات زراعية إضافية خاصة البساتين والجنائن.

السدود المائية: 2-3

حاجة الانسان للسد المائي قديمة منذ أكثر من 4000 ق.م في سوريا. ويعد سد العاصي أقدمها ارتفاعه 6 أمتار⁽²⁾.

يبنى السد في المجرى المائي من أجل حبس المياه للاستفادة منها في ري الأراضي الزراعية أو إنتاج الكهرباء وكذلك تقليل مشاكل الفيضانات. وللسدود أنواع كثيرة أهمها السدود الخرسانية والترابية.

خلفية عن سد النهضة الاثيوبي: 2-3-1

بدأت الدراسة الامريكية لإنشاء سد كهرومائي في أثيوبيا منذ 1958م لمكتب الاستصلاح الأمريكي الذي اقترح 26 موقعاً لإنشاء السد واكتملت الدراسة في العام 1964⁽³⁾.

1 <https://ar.wikipedia.org/wiki/=2&veswitched=1>

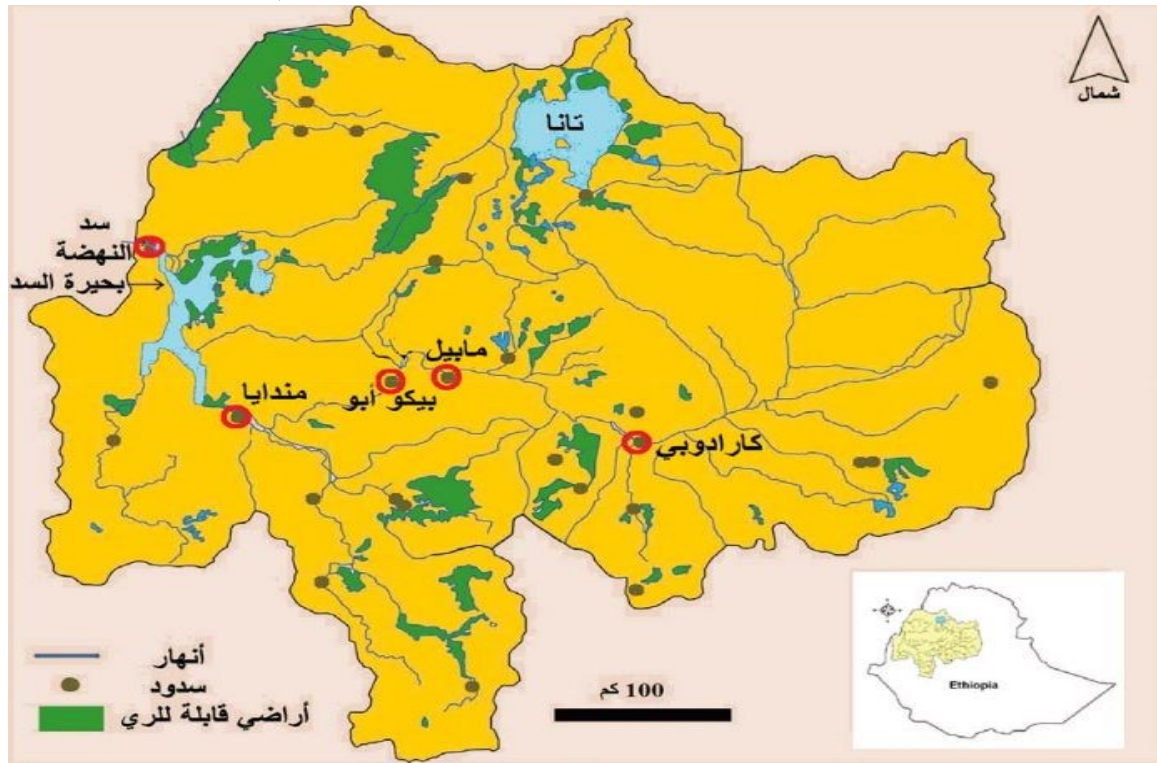
2 Dam موقعه: www.britannica.com ، اطلع عليه بتاريخ March/24/2022 | 04:36 PM

3 ^ "Ethiopia - United State Cooperative Program for the study of water resources" (PDF). مكتب استصلاح الأراضي الأمريكي.

يقع سد النهضة الاثيوبي بين خطي طول (35°05'35") شرق ودائرتي عرض (11°12'55"). وهي منطقة ذات معدلات تساقطيه عالية⁽¹⁾.

يعتبر سد النهضة من أكبر السدود المقترحة لإنتاج الكهرباء بالقارة الافريقية تقدر بستة ألف ميغاواط، ويعمل السد على تخزين 74 مليار متر مكعب من المياه ويقع السد في الجزء الجنوبي الشرقي لدولة السودان ويبعد حوالي 20 كيلومتر من الحدود السودانية نشأ في العام 2011م بارتفاع 145 متر وطول 1780 متر².

خريطة رقم (1) توضح موقع سد النهضة الاثيوبي



3

من الجدول رقم (2) نجد أن السودان يتمتع بمساحات كبيرة صالحة للزراعة ينقصها الماء لري المحاصيل الزراعية. وقيام سد النهضة الاثيوبي سوف يستفيد السودان كثيرا من قيام السد بعد الاتفاق مع الجانب الاثيوبي فيما يتعلق بالتشغيل لسد النهضة الاثيوبي في الاستفادة حصة السودان المائية كاملة واستقرار تدفقات المياه طوال العام للمشاريع الزراعية. وسوف نقف على الفوائد المباشرة ونعدها في هذا

1 أبريل ، News One17 ، "Ethiopia's biggest dam to help neighbours solve power problem" في 22 مارس 2012، اطلع عليه بتاريخ 17 أبريل 2011، مؤرشف من الأصل

2 أبريل ، News One17 ، "Ethiopia's biggest dam to help neighbours solve power problem" في 22 مارس 2011، مؤرشف من الأصل

3 شرقي، عباس محمد ، 2018 (تداعيات سد النهضة الأثيوبي على الأمن المائي المصري) ص3 المؤتمر الدولي الخامس عشر لعلوم المحاصيل: 1 أكتوبر

البحث. ويرى ما نسبته 74% من السودانيين أن السد سوف يفيد السودان وهم من المؤيدين لقيامه على حسب الدراسة التي قامت بهذا الشأن⁽¹⁾

جدول رقم (2) الأراضي الصالحة للزراعة بالسودان

الرقم	الأراضي	المساحة بالألف كلم متر مربع
1	الأراضي الصحراوية	668
2	الأراضي شبه الصحراوية	289
3	الأراضي الساحلية	68
4	أراضي القوز	240
5	السهول الطينية الوسطى	119.500
6	السهول الطينية الجنوبية	247
7	الأراضي الجنوبية الشرقية	104.500
8	الأراضي الجبلية	94

المصدر: 2

الدراسات السابقة: 2-4

لا زالت الدراسات عن مشكلة السد شحيحة نسبة لان سد النهضة في مراحله الإنشائية الأولى فالسد يحتاج لرؤية من زوايا مختلفة خاصة في ظل الهجمات الإعلامية التي تركز على سلبيات السد ومخاطره على دول المصب.

إبتهاال جمال الدين (سد النهضة صراع مستدام أم تنمية مستدامة) عكفت في الورقة التي قدمتها بالتعاون مع وكالة سونا للأنباء على تقديم أسئلة محورية فائدة السودان من قيام السد وبينت النتائج في توفير المياه وحماية بحيرة الرصيرص وإنتاج الكهرباء، وأوصت بضرورة الاتفاق بين الدول الثلاث في إدارة المياه³. عباس محمد شراقي، (جيولوجية سد النهضة الاثيوبي وأثرها على امان السد) هدفت الدراسة الى تقييم الوضع الطبيعي والجيولوجي وكذلك تقييم سد النهضة الاثيوبي وتأثيره سلبا وإيجابا على مصر والسودان ومن أبرز الفوائد لأثيوبيا انتاج الكهرباء وزيادة الثروة السمكية ومن السلبيات حجز كميات كبيرة من الطمي تقلل من العمر الافتراضي للسد⁴

1 إبتهاال جمال الدين (سد النهضة صراع مستدام أم تنمية مستدامة) 2021، جامعة السودان، سونا للأنباء، السبت 12/11/2022 الساعة 10 صباحا

2 <http://www.sudantv.net/objectdetail.php?zz=16>

3 إبتهاال جمال الدين (سد النهضة صراع مستدام أم تنمية مستدامة) 2021 ، جامعة السودان

4 شراقي ، عباس محمد، 2014، قضية مياه النيل، قسم الجغرافية كلية الاداب جامعة القاهرة

المبحث الثالث

الآثار الإيجابية لسد النهضة3-

3-1: إقامة السدود:

يعد إنشاء السدود من الاستراتيجيات الأساسية لضمان نجاح القطاع الزراعي حتى تضمن الدول توفير المياه للزراعة وإنتاج الكهرباء. وفي كثير من الأحيان عندما تقرر الحكومة إنشاء سد في منطقة ماء يعترض الأهالي على قيام السد في تلك المنطقة وذلك لأن قيام السد يغمر الأراضي الزراعية والسكنية بالمياه كما حدث في السد العالي وغمر الكثير من الأراضي السكنية والزراعية والأثرية. وإبان فترة حكومة الإنقاذ 2006 اعترض الأهالي في منطقة مروي وكجبار على قيام السد في أراضيهم. ولكن بقيام سد النهضة الاثيوبي سيقل الضرر بصورة كبيرة وذلك لأن التحكم في النهر يكون ممكناً طوال العام وبالتالي يوفر ذلك للدولة مال التعويضات للسكان وكذلك سهولة الانشاء للسد. تستطيع السدود السودانية استيعاب كافة المياه المخصصة للسودان والبالغة 18.5 مليار متر مكعب وهذا بدوره ينعكس على زيادة الرقعة الزراعية بالبلاد والاستفادة الكاملة من المساحات المروية. سد النهضة يعد مخزوناً استراتيجياً للمياه للسودان من دون أي تكلفة تذكر (74 مليار متر مكعب). فأثيوبيا تعمل على توليد الطاقة الكهربائية وبالتالي سوف تعمل على تخزين المياه حتى تتمكن التوربينات من إنتاج الكهرباء ولتتم هذه العملية فلا بد للمياه أن تعبر للضفة المقابلة لتتجه مباشرة إلى الأراضي السودانية.

3-2: تنظيم جريان النهر:

بعد التنسيق والاتفاق مع الجانب الاثيوبي بشأن تشغيل وإدارة السد سوف يكون التحكم في مياه النهر من السهولة بمكان وذلك سوف ينعكس على الأراضي الزراعية وأراضي (الجروف) وهي أراضي زراعية ملاصقة للنيل وهي من أخصب الأراضي لان فترة الفيضان يتم فيها إرساب الطمي وبالتالي يسهل زراعة الخضروات بأنواعها المختلفة على الضفاف وكذلك سيضمن المزارع في تلك المناطق أن النيل لن يفيض ويغرق المحاصيل الزراعية كما في السابق. وعندها كان يفيض النيل ويكبد المزارعين خسائر فادحة وهذا بدوره جعل الكثير من المزارعين يتجنبون الزراعة في فترة الفيضان خاصة زراعة الموز والبطاطم (1) وهناك مسألة في غاية الأهمية وهي المتعلقة بالمناطق التي بها انحناءات كمناطق الحصاصي ومروي وعلى طول الشريط النيلي، حيث تحدث انهيارات (هدام) للأراضي القريبة من النيل بسبب قوة التيار المائي في فترة الفيضانات. وبالتالي يقلص مساحة الأراضي الزراعية، والمزارع لا يزرع المناطق المهددة بالانهيار بسبب الهدام وبالتالي تنقص الرقعة الزراعية وغالباً ما يترك المزارع مساحة 30 متر من الأراضي القريبة من النيل تحسباً للفيضان 2.

1 عاطف إسماعيل محمد، مفتش زراعي، مشروع الرهد الزراعي، يوليو 2021

2 الطيب أحمد محمد، مزارع جروف ودمدني، يناير 2022

من أهم الفوائد في انتظام جريان النهر هو تساوي المياه على طول حدود النهر مما يضمن الزراعة على طول النهر والتخلي عن استخدام الوابورات التي تكلف المزارع الكثير من المال وبالتالي ترتفع تكلفة الإنتاج.

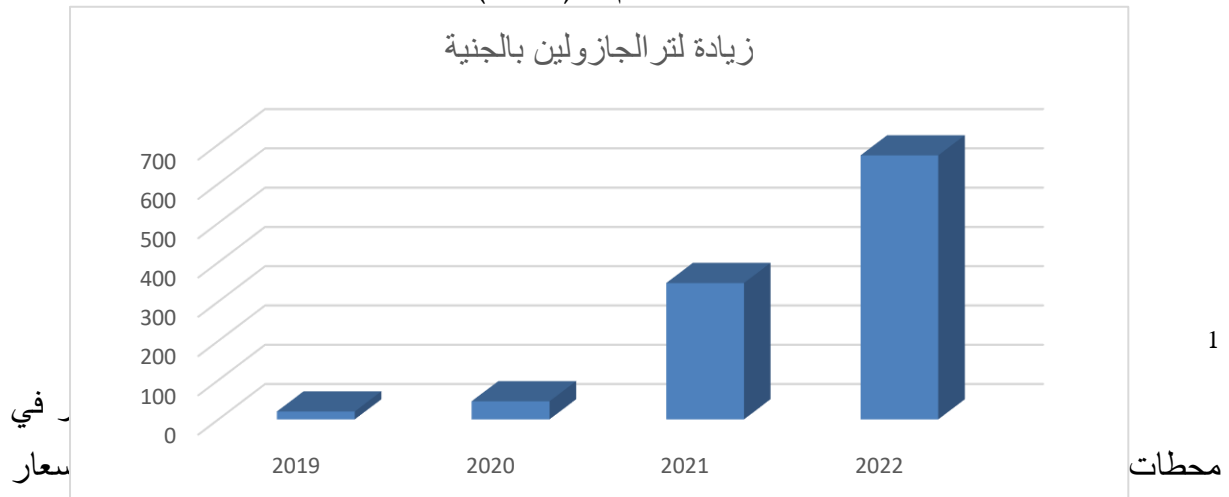
من المؤكد أن خزان سنار والدمازين سيعملان بطاقتهما الكاملة في إمداد مشروع الجزيرة والرهدة وكذلك الحال بالنسبة لمشروع حلفا الجديدة والسوكي. إن تنظيم جريان النهر وثبات منسوبه سوف يعمل على حل مشكلة نقل المنتجات الزراعية من مناطق الإنتاج إلى مناطق الاستهلاك كالخضر والفاكهة والمعروف أن النقل النهري يعد من أرخص أنواع النقل على المستوى العالمي وبالتالي تحل الكثير من المشاكل المتعلقة بسيارات النقل وارتفاع تكلفة النقل بسبب الوقود وقطع الغيار وغيرها من الأسباب المتعلقة بسيارات الشحن.

تنظيم جريان النهر يعمل حل مشكلة تآرق المدن السودانية كالعاصمة المثلثة ومدينة ودمدني وغيرها من المدن المجاورة للنهر وهي أن فترة الفيضان نهر النيل يحبس مياه الأمطار التي تنزل على المدن من الانصراف الى مجرى النهر بسبب ان المنسوب في تلك الفترة يكون في أعلى مستوى له وبالتالي تعاني المدن من هذه المشكلة والتي سوف يعالجها قيام السد الاتيوي.

3-3: توفير المياه للزراعة:

منذ قيام مشروع الجزيرة عملت إدارة المشروع على تقسيم الأراضي الزراعية الى فترات مختلفة يزرع بعضها والآخر يترك بدون زراعة وكذلك الحال في مشروع الرهد الزراعي. لعل من أهم أسباب انتهاج هذا النوع من الزراعة قلة الماء. وذلك لان السدود السودانية بسبب قلة الماء وإنتاج الكهرباء تقلل من حصة مياه الري خصوصا في فترة التحريق (فترة انخفاض منسوب النهر منذ يناير الى مايو) وبالتالي السدود السودانية لا تفي بمتطلبات المشاريع الزراعية من مياه الري وبالتالي يلجأ المزارع الى الوابورات والتي تحتاج بطبيعة الحال الى قطع غيار، وصيانة دورية، وإلى وقود وهذه المتطلبات أسعارها في زيادة مستمرة في ظل الوضع الاقتصادي العالمي بعد حرب روسيا وكرانيا وارتفعت أسعارها في السودان منذ العام 2019 حيث كان سعر اللتر من الجازولين 20 جنيها وأضحى ارتفاع أسعاره في زيادة مستمرة كما في الجدول أدناه : يوضح ارتفاع أسعار الجازولين بالسودان.

شكل رقم (1)



اعلى بكثير من سعر الحكومة الرسمي (2). وكل ذلك ينعكس على تكلفة الإنتاج العالية. يمتلك السودان 200 مليون فدان صالحة للزراعة المستقل منها 40 مليون فدان (3) المروي منها 4.5 مليون فدان والمتوقع مضاعفتها ويصبح جملة الأراضي المروية 9 مليون فدان وهذه بطبيعة الحال يحتاج ل 33.3 مليار متر مكعب.

1 العمل الميداني 2022 زيارة لمحطات الوقود بالعاصمة السودانية الخرطوم

2 مقابلة مزارعين بمشروع الرهد الزراعي 2022 يونيو

3 لخطة الاستراتيجية للتنمية الزراعية م 2017-2020 المنبثقة عن الاستراتيجية الربع قرنية 2016 مارس ص 3

صورة رقم (1) توضح ري الأراضي الزراعية بمشروع الجزيرة بالتناكر



1

3-4: زيادة الإنتاج

لعل من أهم الأسباب التي أدت إلى تقلص المساحات الزراعية المروية في السودان عدم مقدرة السدود المائية لتلبية المتطلبات المائية للمجال الزراعي وإنتاج الكهرباء في آن واحد وكذلك تذبذب الامطار في فترات الزراعة من شهر يونيو الي أكتوبر. وفي بعض الأحيان تكون المشكلة في أن الامطار تأتي بكثرة في فترات متقاربة وذلك مضر بالعملية الزراعية علاوة على نمو الحشائش بغزارة ويصعب اقتلاعها حتى تحف الماء من الأرض الزراعية⁽²⁾. ولكن بقيام سد النهضة ستحل تلك المشكلة تماماً، حيث سيستفيد السودان من كامل حصته التي تأتيه من الأراضي الاثيوبية وكذلك يمكنه الاستفادة من مياه الامطار التي تأتي بكميات كبيرة منذ يوليو واغسطس ويتقادم الفيضانات التي تضر بالإنسان والزرع، وكذلك يستفيد من المياه التي كانت تذهب لمصر سنوياً والتي تقدر ب 6 مليار متر مكعب⁽³⁾.

بعد قيام سد النهضة يمكن التوسع في المشاريع الزراعية وكذلك التوسع في المحاصيل الزراعية وخصوصاً تلك التي ترتبط بالثروة الحيوانية حيث يرتبط هذا القطاع بالقطاع الزراعي فتنمية القطاع الزراعي يعد اساساً لتنمية قطاع الثروة الحيوانية فعلى سبيل المثال يعد البرسيم من أكثر الأعلاف المطلوبة في دول الخليج العربي والبرسيم يحتاج لكميات كبيرة من المياه، ولكنه ذو عائد مجز يعود على البلاد بالنقد الأجنبي. ويمكن أن يتطور القطاع الحيواني وينافس في الأسواق العالمية.

1 <https://suna-news.net/read>

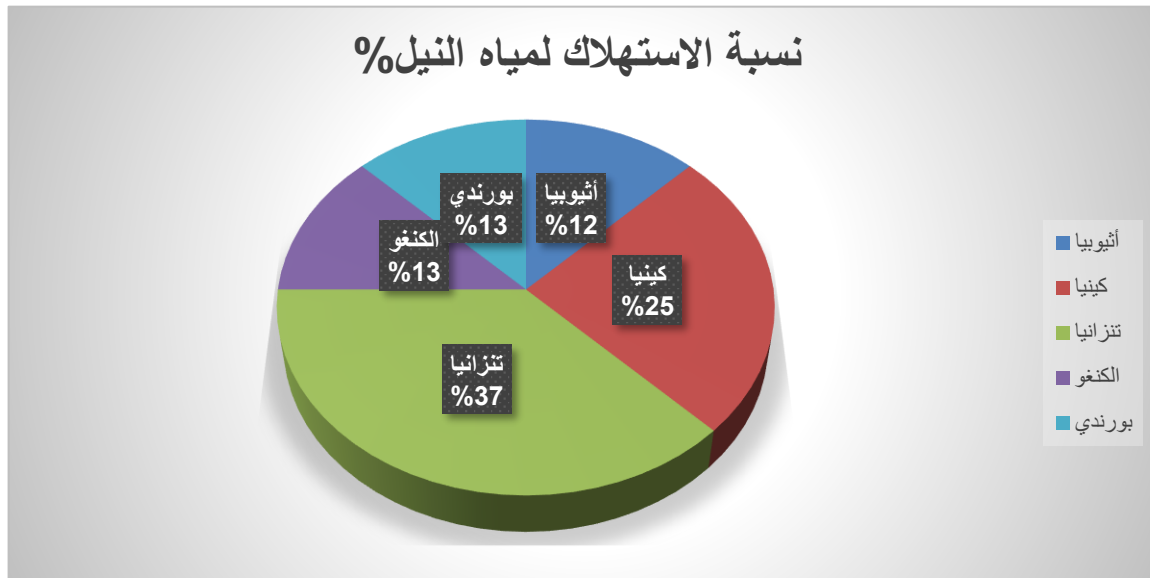
2 يوسف احمد حمد ، مزارع ، أغسطس 2020.

3 <https://sudanile.com/%>

السودان له سمعة دولية جيدة في ثروته الحيوانية فيمكن ان يستفيد من هذا القطاع كثيراً. ويزيد من نسبة التصدير وإنشاء مسالخ جديدة حديثة من شأنها التصدير مباشرة الى أوروبا ودول الخليج العربي. بعد قيام السد يمكن التوسع في زراعة المحاصيل التي تزرع بالقرب من النيل مثل الفواكه والخضروات المختلفة وخصوصاً تلك التي لها عائد مجز بالعملة الصعبة وبالتالي تزيد مساحة تلك المحاصيل. من فوائد السد المتوقعة ثبات الدورة الزراعية حيث تصبح دورة زراعية ثلاثية من شأنها تضمن للمزارع زراعة أرضه كاملة بعد أن كان يزرع خمسة فدان فقط في مشروع الجزيرة من أصل 15 فدان وفي مشروع الرهد يزرع في فترة الخريف ويعول كثيراً على الامطار وهناك الكثير من التفتيش في مشروع الرهد لا يزرع ثلثها بسبب قلة المياه كما في التفتيش العاشر والترعة 25 من مشروع الرهد. وما ينطبق على الجزيرة والرهد ينطبق على مشروع حلفا كذلك.

السودان يستهلك 12 مليار متر مكعب من حصته التي تبلغ 18.5 مليار متر مكعب لسببين الاول ضيق السدود المائية والثاني أن كمية المياه تأتي بكميات كبيرة في الفترة من يونيو الى سبتمبر وبالتالي يضطر السودان الى تصريف كمية تقدر ب 6.5 مليار متر مكعب إلى مصر من دون أدنى فائدة. وسنجد أن دول الحوض لا تستفيد من مياه النيل بالوجه المطلوب، فأثيوبيا مثلاً تستفيد من مياه النيل 1% وبالتالي تعمل على الاستفادة من مياه النيل كما في الشكل أدناه الذي يبين ضعف الاستفادة لبعض دول حوض النيل:

شكل رقم (2)



1

من خلال الشكل أعلاه يتضح تماما النسبة الضعيفة لدولة اثيوبيا والتي تبلغ 1% من حجم الاستفادة من مياه النيل مع مثيلاتها من دول الحوض وبالتالي تعمل جاهدة على الاستفادة القصوى من مياه النيل بإنشاء سد كهرومائي⁽¹⁾.

3-5: تقليل نسبة الطمي

كمية الطمي التي تأتي من الهضبة الاثيوبية كمية كبيرة تقدر ب 420مليار متر مكعب من الطمي سوف يحبسها السد⁽²⁾ والسودان يستفيد منها كثيرا بالنسبة لحماية سدوده المائية من الطمي. ولكن للطمي أضرار كبيرة بالنسبة لعملية ري المشاريع الزراعية وعملية إزالة الطمي تكلف الدولة والمزارعين أموالاً طائلة.

في عام 1984توقف إنتاج الكهرباء بسبب تزايد نسبة الطمي والأشجار الضخمة التي تأتي من الهضبة الاثيوبية التي تعمل على تعطيل توربينات خزان الرصيرص. وكذلك الحال بالنسبة للترع الرئيسة في المشاريع المروية (المواجر) أو الترع الفرعية وأبوعشرين الذي يوصل الماء إلى الرقعة الزراعية⁽³⁾.
صورة رقم (2) توضح كمية الاطماء بالقنوات المائية



4

1 شراقي، عباس محمد، 2014، قضية مياه النيل، قسم الجغرافية كلية الآداب جامعة القاهرة ص12

2 المرجع السابق

3 السر مهدي موظف بخزان الرصيرص ، 2020،

الصورة توضح الانسداد الكامل للترعة الفرعية وكيف تعمل الاليات على إزالة الطمي من مجرى الترعة الفرعية وهذه المسألة تأخذ الكثير من الزمن والمال لإزالة تلك الكميات الكبيرة من الطمي. الطمي من أكثر المشكلات التي تؤرق المسؤولين عن السدود وذلك لان تراكم الطمي يعمل على تقليل عمر السدود، فسد النهضة سوف يعمل على تقليل تلك الكميات وبالتالي المساهمة في إطالة عمر السدود السودانية.

3-6 تكلفة إزالة الطمي:

على حسب التقرير الصادر من مركز البحوث الهيدرولوجية بمشروع الجزيرة كنموذج، نجد أن نسبة الترسيب قد وصلت إلى 8.7 مليون طن من الطمي وكانت نسب الترسيب كما في الجدول التالي:

جدول رقم (3)

القناة المائية	النسبة المئوية	ملاحظات
المواجر	17%	الاندفاع يكون كبير للمياه لأنها تأتي من النهر مباشرة
الترع الفرعية	38%	تبدأ المياه في الإبطاء مع وجود البوابات يزيد الترسيب
الترع الرئيسية	5%	أبواب الهدارات يكون أعلى من مستوى الماء

1

تكلفة إزالة الاطماء حسب التقرير الصادر من مركز البحوث الهيدرولوجية. أوضح التقرير أن ما نسبته 50% من ميزانية تشغيل مشروع الجزيرة و 44% من بقية المشاريع الزراعية المروية في السودان تذهب لإزالة الطمي من القنوات المائية⁽²⁾.

صورة رقم (3) توضح عملية إزالة الاطماء من القنوات الفرعية

1 عمل الباحث الميداني 2020

2 المهندس يونس عبد الله قسم الله بمركز البحوث الهيدرولوجية - مدني 18-12-2020-وكالة سونا



الصورة توضح كمية الطمي المستخرجة من القنوات المائية، مع العلم ان هذه الصيانة للقنوات تتم دورياً على حسب الخطة التي تضعها إدارة المشاريع الزراعية. فمثلاً في مشروع الرهد الزراعي تبدأ بمناطق الاختناقات الطمّية وكأنما تبدأ المعالجة بفقّه الضرورة وبالتالي تجد المشروع يحتاج لعمليات إزالة مستمرة وكذلك الحال في بقية المشاريع المروية. وهذه العملية مرهقة لإدارة المشاريع الزراعية وكذلك للمزارعين. في كثير من الأحيان عند بداية الموسم الزراعي نجد الترع التي لم تتم إزالة الطمي منها تتكسر كما في مشروع الرهد الزراعي التفتيش العاشر. ويتم قفل المياه من هذه الترع إلى ان تتم الإجراءات الإدارية من مكاتبات وغيرها وبالتالي تتعثر بداية الموسم الزراعي ويترك المزارع الموسم الزراعي وهكذا تستمر المشكلة كما في الجدول التالي والذي يوضح هجر المزارعين للزراعة بسبب هذه المشكلات.

الترعة (27) التفتيش العاشر مشروع الرهد الزراعي

جدول رقم (4)

الموسم الزراعي	المساحات بالفدان	المساحات المزروعة بالفدان	النسبة المئوية
2018	2400	124	5.2%
2019	2400	98	4.1%
2020	2400	73	3%
2021	2400	45	1.9%

1

هذا الجدول يوضح تناقص المساحات الزراعية بسبب قلة المياه وما ترتب عليها من حال المزارعين الذين تركوا الزراعة وذهبوا إلى الحرف الهامشية في مدينة ودمدني. مع العلم أن الأراضي المزروعة في الجدول أعلاه بها نسبة 25% مستأجرة لمزارعين آخرين من الملاك⁽²⁾

كهربة المشاريع الزراعية: 3-7

كما هو معلوم أن الأراضي القريبة من النهر تعتمد على الوابورات في رفع المياه من النهر إلى الأراضي الزراعية كما أشرنا سابقاً. وكذلك الأراضي البعيدة من النهر تعتمد على الآبار الارتوازية وهي أيضاً تعتمد على الوابورات في استخراج المياه من باطن الأرض وهي مكلفة. مقارنة مع الطاقة الكهربائية فهي أرخص تكلفة من الوقود وكمية المياه المستخرجة تخرج بكمية أكبر وبسرعة أعلى من وابورات الوقود. بدأت الدولة في كهربة المشاريع الزراعية والجنائن منذ العام 2006 بقرار من وزارة الزراعة والثروة الحيوانية وبدأت أولاً في الولاية الشمالية وولاية الجزيرة بصورة عامة.

السدود السودانية في حالة قيام سد النهضة سوف تعمل بالطاقة الكاملة في إنتاج الكهرباء وهي الارخص من بين أنواع الطاقة الأخرى وهذا بدوره سوف ينعكس على الإنتاج وكذلك الرقعة الزراعية. وبالتالي تزيد حصة السودان من الكهرباء بالشراء المباشر من أثيوبيا وكذلك تستفيد من الطاقة الكاملة للسدود السودانية، فسد مروحي سوف يزيد 18% من طاقته الإنتاجية من الطاقة الكهربائية⁽³⁾.

1 المصدر: عمل الباحث الميداني 2022

2 عمر احمد العيص، عضو اتحاد مشروع الرهد، رئيس نقابة التفقيش العاشر، 2019

3 <https://www.youtube.com/watch?v=A3Xlvj-fgUQ>

صورة رقم (4) لأراضي بمشروع السوكي 2017



الصورة في الأعلى توضح الذي حدث للمشروع في فترات الصيف في العام 2017. وفي هذا العام قدرت إدارة المشروع المساحة التي تم زرع ب 18 ألف فدان ذرة مهددة بالهلاك بسبب العطش. وهذا الامر يتكرر كل عام بسبب نقص المياه وكمية الطمي الكبيرة التي جعلت من قنوات المياه ذات سعة قليلة بسبب الترسيب المستمر للطمي وكذلك المشاكل المتعلقة بالفيضان الذي غمر طلبات المياه في العام 2017 لمدة 41 يوما لم تستطع إدارة الري فعل أي شئ وبطبيعة الحال تدنت الإنتاجية وفشل الموسم الزراعي⁽²⁾. هذه أمثلة مكررة تقريبا في المشاريع الزراعية السودانية المروية سواء كان ذلك في الجزيرة أو الرهد.

سد النهضة سيساهم بصورة كبيرة في اختفاء أو التقليل من تلك المشاكل والتي بدورها سوف تنعكس على مستقبل الزراعة في السودان بأذن الله

النتائج:4-

- 1/ السد سوف يعمل على استقرار منسوب المياه.
- 2/ الطاقة الكهربائية سوف تزيد إنتاجيتها بنسبة 30%.
- 3/ قيام السد سيقلل من تكلفة إزالة الطمي العالية.
- 4/ المساحات الزراعية بالسودان سوف تزيد.
- 5/ سوف تزرع ثلاث دورات زراعية بالمشاريع الزراعية المروية بدلا من دورة واحدة.
- 6/ سوف يكون هنالك تنوع في المحاصيل الزراعية.

1 https://alragrag1.blogspot.com/2017/11/18_27.html

2 <https://alragrag1.blogspot.com>

5-التوصيات:

- 1/ التوصل لاتفاق ملزم مع الجانب الاثيوبي في إدارة السد وتشغيله.
- 2/ العمل على الاستفادة القصوى من السد الاثيوبي والاستفادة من كميات المياه الكبيرة بوصفها مخزوناً استراتيجياً للزراعة في السودان.
- 3/ تهيئة المشاريع المروية لزراعة ثلاث دورات زراعية.
- 4/ إدخال محاصيل نقدية جديدة في الدورات الزراعية ذات العائد المادي المجزي .
- 5/ ادخال أراضي زراعية جديدة لزيادة الإنتاج في المحاصيل النقدية كالقطن والسمسم.
- 6/ العمل على جلب الاستثمارات الخارجية للقطاع الزراعي لتطويره واستغلاله بصورة جيدة لينعش الاقتصاد السوداني.
- 7/ إبراز الجوانب الإيجابية لسد النهضة في الوسائل الإعلامية المختلفة لما له من مردود إيجابي للمزارعين في الداخل والمستثمرين في الخارج.

6-المراجع

- 1/ إبراهيم، عبد الحميد صفوت: البحث العلمي دار الزهراء للنشر والتوزيع (2012 م).
- 2/ الزوكة، محمد خميس: الجغرافية الزراعية، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الثالثة، 2000م.
- 3/ خير، محمد صفوح: الجغرافيا : موضوعها ومناهجها وأهدافها ، دمشق : سوريا . الطبعة الأولى (2000 م) .
- 4/ رفاعي، أحمد حسين: مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية وإقتصادية، دار البارودي العلمية(1999م).
- 5/ سيف ، محمود محمد: أسس البحث الجغرافي، دار المعرفة الجامعية، (1998 م) .
- 6/ صوان، فرج محمد: طرائق البحث مقدمة لطرائق البحث وكيفية اعداد البحوث، الطبعة الأولى ،بيروت ، 2018 .
- 7/ عبدالله حسين: السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية، الجزء الثاني، مؤسسة هنداوي. 2013.

البحوث المنشورة:

- 1/ إبتهاال، جمال الدين (سد النهضة صراع مستدام أم تنمية مستدامة) ، جامعة السودان 2021.
- 2/ البلك، النور أحمد تدهور مشروع الجزيرة: الأسباب والنتائج والرؤية المستقبلية، جامعة الخرطوم، 2017.
- 3/ سليمان احمد سليمان، فوائد سدّ النهضة على السودان، 27 أكتوبر. 2019.
- 4/ شراقي، عباس محمد، قضية مياه النيل، قسم الجغرافية كلية الآداب جامعة القاهرة، 2014.
- 5/ شراقي، عباس محمد ، (تداعيات سد النهضة الأثيوبي على الأمن المائي المصري) المؤتمر الدولي الخامس عشر لعلوم المحاصيل: 1 أكتوبر 2018.
- 6/ عبد الحليم، أميرة محمد، المياه ومتطلبات التنمية في دول منابع النيل، مجلة السياسة الدولية، العدد 181 تموز 2010.

المراجع الإنجليزية

- <http://www.nationsencyclopedia.com/Africa/Sudan-AGRICULTURE.html>, Nations
 على 2018-10-07 نسخة محفوظة 2008 أغسطس 2008
 موقع واي باك مشين.
 ^ "Ethiopia - United State Cooperative Program for the study of water resources" (PDF). مكتب
 استصلاح الأراضي الأمريكي
 3. "Ethiopia's biggest dam to help neighbours solve power problem" ، *News One17* ، أبريل
 في 22 مارس 2012، اطلع عليه بتاريخ 17 أبريل 2011 2011، مؤرشف من الأصل

المواقع الالكترونية

- 1/<http://www.sudantv.net/objectdetail.php?zz=16>
 2/<https://ar.wikipedia.org/wiki/=2&veswitched=1>
 3/<https://alragrag1.blogspot.com>
 4/<https://www.marefa.org>
 5/<https://sudanile.com/%>
 6/Dam ، اطلع عليه بتاريخ March/24/2021 | 04:36 PM ، من موقع
 7/<https://moaf.gov.sd/#gsc.tab>
 8/ "Ethiopia's biggest dam to help neighbours solve power problem" ، *News One17* ، أبريل
 في 22 مارس 2012، اطلع عليه بتاريخ 17 أبريل 2011 2011، مؤرشف من الأصل
 9/<https://www.youtube.com/watch?v=A3Xlvj-fgUQ>

التقارير

- الخطة الاستراتيجية للتنمية الزراعية م 2020-2017 المنبثقة عن الاستراتيجية الربيع قرنية 2016 مارس ص 3 1/
 المهندس يونس عبد الله قسم الله بمركز البحوث الهيدرولوجية- مدني 18-12-2020-وكالة سونا2/
<https://www.youtube.com/watch?v=A3Xlvj-fgUQ/3/3>

المقابلات:

- 1/ السر مهدي، موظف بخزان الرصيرص ،مارس ،2020.
 2/ الطيب أحمد محمد ،مزارع جروف ،يناير 2019.
 3/ زيارة لمحطات الوقود بالعاصمة السودانية الخرطوم، 2020.
 4/ عاطف إسماعيل محمد ،مفتش زراعي، مشروع الرهد الزراعي ،يوليو 2021 - 2022.
 5/ عمر احمد العيص، عضو اتحاد مشروع الرهد ،رئيس نقابة التقنيش العاشر، 2019.
 5/ مزارعين بمشروع الرهد الزراعي يونيو 2022 .
 6/ يوسف احمد حمد ، مزارع ،أغسطس 2019 .

تحليل خصائص الجدل اللغوي على منصات التواصل الاجتماعي

اتجاهات المغردين والمعلقين من خطأ لجنة تحكيم أمير الشعراء أنموذجاً

An Analysis of the characteristics of linguistic controversy on social media platforms.

Trends of tweeters and commentators from the mistake committed by the jury of the Prince of Poets as a model

المؤلف الرئيس:

د. محمد صالح علي الشيزاوي

Mohammed Saleh Ali Alshizawi

سلطنة عمان - جامعة السلطان قابوس

m.alshizawi@squ.edu.om

المؤلف الفرعي:

د. ماجد حمد خميس العلوي

Majed Hamed khamis Alalawi

majedalalawi@gmail.com

الملخص

ترمي الدراسة إلى تحليل اتجاهات المغردين من لجنة تحكيم مسابقة أمير الشعراء في تخطئتهم رفع الفاعل في شطر من قصيدة (التفات) للشاعر عبدالسلام أبي حجر، واعتمدت على المنهج الاستقرائي بالإضافة متوسلة بأدوات (تحليل الخطاب)، أما حدود الدراسة فتشمل التغريدات المنضوية تحت الهاشتاقات المنبثقة منها حتى تاريخ 2-1-2023. وتحاول هذه الدراسة تفكيك خطاب المغردين وسبر انعكاسه الإيجابي أو السلبي على الوعي اللغوي الجمعي، منطلقة من فرضية أن هذه التغريدات شكلت ظاهرة لم تنشأ من فراغ، وإنما هي نتاج أسباب ودوافع ومحركات شكلت نسقاً ثقافياً جذب شريحة كبيرة من النشطاء.

الكلمات المفتاحية: تحليل، الجدل، أمير الشعراء، اتجاهات، التواصل الاجتماعي.

Abstract

This study aims to analyze the trends of the tweeters from the jury of the Prince of Poets competition which committed a mistake with regards to the regularity of the subject in a part of the poem called (Eltifat) by the Libyan poet Abdul Salam Abi Hajar.

The study relies on the inductive approach in addition to the use of tools of the discourse analysis. The study also focuses mainly on the tweets that are included in the hashtags emanating from them until 2-1-2023 .

This study attempts to analyze the discourse of tweeters and explore its positive or negative reflection on the collective linguistic awareness based on the assumption that these tweets were not born out of thin air. These tweets have resulted from reasons and motivations that formed a cultural pattern that attracted a large segment of activists.

Keywords: Analysis, controversy, Prince of Poets, trends, social media.

المقدمة:

ترمي هذه الدراسة إلى تحليل اتجاهات المغردين من لجنة تحكيم مسابقة أمير الشعراء في تخطئتهم رفع الفاعل في شطر من قصيدة (التفات) للشاعر الليبي عبدالسلام أبي حجر، واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي بالإضافة إلى استخدام أدوت (تحليل الخطاب)، أما حدود الدراسة فتشمل التغريدات المنضوية تحت الهشتاقات المنبثقة منها حتى تاريخ 2-1-2023 وأهمها (#أمير الشعراء_عبدالسلام_بوحجر) وبلغ عدد(26) تغريدة، و(#يعجبني في الذكريات سخاؤها) وبلغ عددها(238)، و(#سخاؤها) وبلغ عددها (292) علي بن تميم(600) تغريدة، وكذلك مجموعة من المنشورات في الفيس بوك وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد اندرج تحت تعليق على أداء اللجنة في الحادثة المذكورة للدكتور سعد مصلوح(119) تعليقاً، وتحت تعليق الدكتور عبدالرحمن بودرع (70) تعليقاً و (643) إعجاباً، أما الناشط اللغوي محمود سلام أبو مالك فقد كانت منشوراته تستجلب (3015) تعليقاً و(23) ألف إعجاب، أما المشاهدات فقد تعدت (523997) فهذه الأرقام تُشير إلى تنامي آراء تصل إلى درجة الجدل اللغوي أو الجدل الفكري، وهو جدل بدأ بردة فعل نفسية رافضة للخطأ اللغوي تدعي حماية اللغة من الخطأ، ثم تجسدت ردة الفعل في تغريدات وتعليقات فكرية مدروسة، وغير مدروسة. لكنها تُعبر عن واقع ثقافي لغوي يحمل في أنساقه الإجابة عن كيفية إدراك المتلقي العربي للعالم الذي يتفاعل من حوله، وكيف يتلقى المتلقي العربي المادة المقروءة والمسموعة ويتفاعل معها؟

وفي هذا المجال نُلحح تأييد الاتجاه الذي يرى أن الفكر واللغة وجهين لعملة واحدة، وأن اللغة وعاء الفكر؛ أي دراسة هذا الجدل اللغوي هو دراسة لبعض الملامح الثقافية في الوطن العربي. واستناداً إلى انتشار التغريدات المتعلقة بهذه المسألة اللغوية، وتعدد اتجاهات المغردين من لجنة تحكيم أمير الشعراء، وشيوع التعليقات في تخطئتها رفع الفاعل من قول الشاعر: (ويعجبني في الذكريات سخاؤها) يمكن تصنيف ردود النشاط في وسائل التواصل الاجتماعي إلى أربعة أصناف رئيسة هي:

1. مؤسسات إعلامية

2. أكاديميون

3. طلاب علم

4. مغردون غير محدد الهوية

تحاول هذه الدراسة تفكيك خطاب المغردين وسبر انعكاسه الإيجابي أو السلبي على الوعي اللغوي الجمعي، منطلقة من فرضية أن هذه التغريدات شكلت ظاهرة لم تنشأ من فراغ، وإنما هي نتاج أسباب ودوافع ومحركات شكلت نسقاً ثقافياً جذب شريحة كبيرة من النشاط، وستستعين في تحليلها الجدل اللغوي للظاهرة الإعلامية المشار إليها أدوات دراسية متعددة ومتداخلة مثل تحليل الخطاب، وتحليل المحادثة، والتداولية، وعلم اللغة وغيرها؛ لكي يُحيط البحث بظاهرة تنامي التغريدات، وشيوع التعليقات

حول حدث بعينه على الرغم من قصر الحدث من الناحية الزمنية، ونشوء جدل لغوي (Linguistic controversy) في وسائل الإعلام (media communication)، اشترك فيه المؤسسات والأكاديميون وطلاب العلم والمغردون من ذوي الهويات غير المحددة في التعليق والتصحيح والدفاع والهجوم، فتناقلت الردود تناسلاً يصعب أحياناً إيجاد الخيط الناظم لها، ولكي لا تقتصر على تحليل ردود الأفعال فإن البحث سيلج في الخلفيات الثقافية (cultural perspective) التي أسهمت في تنامي هذه الردود سريعاً مبيناً قواعد اللعبة الإعلامية وآلياتها، وتحليل خباياها.

بدا واضحاً في فضاء وسائل التواصل الإعلامي انتهاج كثير من النشاط في وسائل التواصل الاجتماعي قاعدة أن الأحداث فرص ينبغي استثمارها، وأن سطرّاً أو سطرين في منصة توتير أو الفيس بوك قد يحققا الهدف الأسمى لهم وهو (الشهرة)، فترى جملة منهم يخوضون مع الخائضين -بحسب التعبير القرآني-، لا يهتمهم الحدث بقدر تثبيت موقفهم، ويكون منتهى قصدهم الحصول على متابعين جدد، أو إعجاب المتابعين وإعادة التغريد؛ لتصل إلى أكبر عدد من المتلقين، فهذه الحيلة التي ينتهجونها دون قيود على الرغم من فوضوية بعضها غير أنها قد تحقق لهم الغاية، وعليه يرى آلان دونو (Alain Deneault) أن كل نشاط في الفضاء العام «صار أقرب للعبة يلعبها الأطراف فيه، يعرفها الجميع رغم أن أحداً لا يتكلم عنها. ولا قواعد مكتوبة لهذه اللعبة، ولكنها تتمثل في انتماء كبير ما، وتُسبغ القيم من الاعتبار، فيختزل النشاط المتعلق به إلى مجرد حسابات مصالح متعلقة بالربح والخسارة الماديين (كالمال والثروة) أو المعنويين كالسمعة والشهرة»¹، وهذا مؤشر لغياب العلمية في التعامل مع الأحداث، فكثير منهم ينتظر الأضواء، فإذا برقت على حدث استجلب هذا الحدث الأقلام المغردة والمعلقة، وقد حدث قسط كبير من هذا الأمر في حادثة الخطأ الذي وقعت فيه لجنة أمير الشعراء، لكن اللافت للنظر أن التغريدات والتعليقات شكلت كياناً يزود عن اللغة العربية وي طرح البدائل.

إن من أبرز ما يُنْهَك الباحث في دراسة اللغة في وسائل التواصل الاجتماعي الحفر في بنية هذه التغريدات أو التعليقات؛ لأن معظمها ينطلق من تفكير هامشي، ويُقصد بالتفكير الهامشي الانشغال بقضايا خارج عن دائرة القضية الأساسية²، فيصطدم الباحث ببنية عميقة هشة لا تحمل معنى إلا الرغبة في المشاركة، وعليه استبعدنا هذه التغريدات والتعليقات بعد فحصها بمدى وثاققتها بالحدث والإسهام فيه إيجاباً أو سلباً، متلافين التكرار ومركزين على التعليقات المُسْهِمة، أما الأمر المحير في التعامل مع الردود المكتوبة من تغريدات وتعليقات لغوية توافر الأخطاء الإملائية والنحوية، لكن مبدأ العفوية والحرص

1- دونو آلان، نظام التقاهة، ترجمة مشاعل عبدالعزيز الهاجري، ط1، دار سؤال للنشر، بيروت-لبنان، 2020 (ص25).

2 - ينظر علي، محمد محمد يونس، قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب، ط1، ط دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، 2013، (ص32).

على أمانة النقل أجبرتنا بعدم التدخل أحياناً في التصحيح ونقل التغريدة والتعليق مع تحسينات بسيطة تجعل وجهة نظر الناشط وإسهامه في الجدل اللغوي عن الحادثة المدروسة مفهومة وواضحة.

وببساطة لقد تحقق الإسهام من مجموعة كبيرة من التغريدات والتعليقات يصعب حصرها، فلجأنا إلى حزم النشاط بحسب التلقي إلى الأصناف المذكورة سابقاً، وسلاحظ القارئ أننا تناولنا المغردين والمعلقين بجميع أطيافهم، فلا يمكن انتقاء الهويات؛ لأنها شاعت وتعددت، ولابد من كشف خلفياتها حتى ولو لم تكن ذات هوية، فالمغردون من ذوي الهويات غير المحددة يعلنون في الحقيقة عن هوية افتراضية تفرض نفسها في عالم التواصل الاجتماعي، وعليه صار متعيناً على مناهج البحث وأدواتها التعدد والاتساع؛ لكي نستجلي الظاهرة ونبين قواعدها وآلياتها بدون اللهث وراء النيات والخبايا، ولعمري أن هذا الصنيع يرفع الحرج عن البحث ونتائجه، ويقربه من العلمية ويضبط منهجه.

لقد دفعنا إلى الكتابة في هذا الموضوع الحاجة إلى رصد ظاهرة تنامي التغريدات والتعليقات وشيوعها إعلامياً، وكيف يمكن تحليل ما تفرق شتاته في بنية معرفية لكي نسلط عليها التحليل الثقافي بغية الكشف عن مستوى الإدراك والتعاطي عند الجمهور العربي، فمن الملاحظات المبدئية تحسن مستوى الإدراك لدى المتلقي العربي للمعلومات عبر وسائل التواصل الاجتماعي بسبب تعاملهم اليومي مع هذه الوسائل¹، وهذا التحسن يخلق متلقياً يمتلك أداة المقارنة والموازنة ثم إنتاج الرأي المتوافق مع قناعاته، وقد يغلب هوى الناشط فيدلو بدلوه وفقاً لهواه، وقد يركن إلى الموضوعية فيكتب رأياً موجهاً ومصلحاً للقضية، والذي يُنكر من جملة التغريدات والتعليقات خوض الناشط مع الخائضين، والتجروء على المعرفة والأشخاص لمجرد إثبات موقف في هذه الحادثة أو ذاك.

المبحث الأول: المؤسسات الإعلامية

تحليل الخطاب المعروض على التلفاز مهم لسببين الأول: مازال التلفاز الوسيلة الجماهيرية التي يثق فيها المتلقي أكثر من وسائل التواصل الاجتماعي، والأمر الثاني: أن التلفاز واكب المستجدات الإعلامية، ولم يتصلب تجاه وسائل التواصل الاجتماعي، فحاول معدو البرامج مطاوعة أنظمة البرامج التلفزيونية الصلبة بأنظمة وسائل التواصل الاجتماعي المرنة، فاكسبت البرامج التلفزيونية ثقة إضافية تجمع بين الموثوقية والحدثة الإعلامية، فصرنا نرى استعراضاً موسعاً للتعليقات والتغريدات في برامج تلفزيونية مشهورة، وإشادة بنشاط في التواصل الاجتماعي، وأخذ المعلومات منهم من خلال المقابلات المباشرة أو اعتماد تغريداتهم وتعليقاتهم ضمن مصادر المعلومات الإعلامية، رغم أن الحدث الإعلامي في التلفاز يُصنع قبل أن يُذاع، ويخضع لرقابة صارمة قد تُخفي الحقيقة، بخلاف عفوية وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا ما تنبه له سرسينيلي (Sarcinelli) في معرض حديثه عن كيفية تقديم السياسة

1 - بكار، عبدالكريم، تجديد الخطاب الإسلامي الشكل والسمات، ط1، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، 2005، ص213

للجمهور في وسائل الإعلام، فثمة «إنتاج السياسة، وتقديم السياسة. يحدث إنتاج السياسة في الأعم الأغلب خلف المشاهد، وقليل جداً ما يمتلك الجمهور حرية الوصول إليه»¹، وهذا الذي يقوله سرسينيلي عن صناعة الوعي ينطبق تماماً مع معظم الأحداث التي تسترعي انتباه الجماهير وتتفاعل معها؛ أي يمكن أن يكون الحدث عفويًا، لكن التفاعل يُصنع صناعةً من خلال تقنيات استقزائية تُثير المتلقي فيتفاعل معها، وعليه معظم المعلومات التي تخضع للتحليل من خلال التلفاز تنتمي إلى نوع تقديم المعلومة وليس لأصل الحدث، فهناك خطط صنعت الخبر لا تخلو من مقاصد مضمرة ورموز مستترة، ولا ينبغي أن نتهيب هذا الأمر بل على العكس تماماً، علينا تحليل خطابه ومحاولة كشف آلياته وخباياه، فهذا أمر في غاية الأهمية. وستتناول الدراسة نماذج لوسائل الإعلام بالوصف والتحليل ما يأتي:

أولاً: التلفزيون العربي (@AlarabyTV):

عرض التلفزيون العربي تقريراً مصوراً واصفاً الحادثة، فبدأ بتقرير الخطأ الذي وقعت فيه لجنة تقييم أمير الشعراء، وبيان صواب المتسابق، وأن اللجنة حاولت تسويق الخطأ عوض الاعتراف به، ثم عرض مطالبة بعض المغردين باللجنة بالاعتراف بالخطأ بدل تسويغه، وتضامن بعضهم الآخر مع المتسابق الليبي، ثم وصف التقرير تفاعل المغردين مع الوسم، الأمر الذي دفع التلفزيون العربي إلى نشر الاستفتاء الآتي: (برامج المسابقات الشعرية تصنع الشعراء)، وجاءت نتيجته: (28%) نعم، و(72%) لا. وقد لوحظ على التقرير كثرة الأخطاء من مثل قول المذيع ثلاث مرات: (نحوي)؛ والصواب: تسكين الحاء، وقولها: (أبيات جاء في إحداها)؛ والصواب: أحدها، وقولها: (ست مائة ألف)؛ والصواب: جر كلمة ألف، ونطقها (أل) الشمسية قمرية.

ثانياً: قناة مكملين (@mekameleentv):

عرضت قناة مكملين تقريراً مرتجلاً بدأ بالإشادة بالمتسابق الليبي، ثم التندر على لجنة التحكيم، ووصف أعضائها بالصلف والكبر، ووصف المشهد بأنه عبثي، ثم عرض إعراب مركز (ن) للاستشارات اللغوية، وختم التقرير بخلاصة جاء فيها: «أن شيئاً بائساً يحدث في عالمنا العربي، وهو أن يتصدر الأمر -أي أمر حتى المسابقات- ناس مدّعين الفهم مدّعين العلم مدّعين كل شيء، ولا يميزهم إلا الكبر والصلف والعجرفة، فتكون النهاية فضيحة».

والملاحظ على هذا التقرير لغته الغاضبة غير المتزنة، إضافة إلى التشاؤم والنظرة السوداوية التي فيها ما لا يخفى من التعميم المجحف.

ثالثاً: قناة الجزيرة (@AJArabic):

1 - فيترز أنيتا و لورباخ جيردا إيفا، الخطاب السياسي في وسائل الإعلام، ترجمة عيسى العاكوب و غياث بركات، دار نينوى، دمشق، ط1، 2016، ص25

عرضت قناة الجزيرة في (1 يناير 2022) تقريراً مصوراً عن الحادثة، يلاحظ على مقدمه ما يأتي:

1- تقليله من شأن أعضاء لجنة التحكيم وشهاداتهم العلمية حين وصف الخطأ الذي وقعوا فيه أنه من مستوى الصف السابع.

2- طريقة قراءته التغريدات فيها تهيج للمشاهد ضد اللجنة.

3- عدم تمكنه من اللغة؛ بذليل تغافله إعراب ياء النفس المتصلة بالفعل أعجبي، عدم تأكده من صحة إعرابه الضمير المتصل بكلمة (سقاؤها)، وخطؤه في قراءة الآية الكريمة: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾، فقد رفع الفعل المجزوم.

ويلاحظ على التقرير أنه عرض مجموعة من التغريدات التي هاجمت اللجنة دون التغريدات التي حاول أصحابها الاعتذار لها، ولم يثمن استدراك رئيس اللجنة على الموقف الذي خطأت فيه المتسابق. وانقسم المغردون من تقرير الجزيرة إلى ثلاثة أقسام:

1- المخالفون: منهم (@mohammeduae) الذي قال: «ما زالت قناة الجزيرة تدس السم في العسل لكل شيء يخص الإمارات، وما زال الذين يغردون معها من خارج البيت الخليجي». و (@abwasam71776084) الذي كتب: «اللجنة لم تطلق حكماً، اللجنة تختبر المتسابق وتقيس قدراته وقوة تمكنه، وفي كل المواسم لجنة التحكيم تفعل ذلك، ودور لجنة التحكيم هو مناقشة المتسابق وحواره بهذه الطريقة، وإلا كيف سنعرف قوة المتسابق إذا لم يُمتحن، أعتقد أن الناس سوا ضجة على القاضي، فالموضوع حوار عابر».

2- المؤيدون: منهم (@Fsafar352) الذي كتب: «لا بد من ضبط اللسان لمن يتصدر المجالس العلمية، والشاعر هنا قد تحلى بالرزانة فأثبت بذلك تمكنه من قصيدته». و (@walnsa_y) الذي كتب: «العجيب أن كل أعضاء اللجنة الجهلاء كيف تم اختارهم...».

3- المحايدون: منهم (@LylyAmnh) التي تساءلت: «لماذا كل هذه الجلبة والضوضاء فجلاً من لا يسهو». و (@MUm36nsnva) الذي كتب: «أجمل ما في الأمر أننا ننتاقش في شيء يفيدنا، جميل أن نتجادل في لغتنا وقيمنا وهويتنا...».

وفي الوقت الذي قام فيه بعض المغردين بانتقاد المذيع بعد أن أخطأ في قراءة الآية، كما فعل (@sheharYemen) حين كتب: «اللعن أهون من الخطأ الإعرابي؛ لأن الخطأ الإعرابي يعتمد على الفهم النظري والتقييم الاختباري، فكيف أخذت شهادة البكالوريوس فضلاً عن الماستر فضلاً عن الدكتوراة، أما اللحن فيعتمد على القدرة والملكة بعد تحصيل هذه القواعد، لا يعني أن المذيع يفهم، وأنه يفهم هذه القواعد؛ فهو أيضاً جاهل». اعتذر له آخرون كما فعل (@kasemfathy77) حين كتب: «مذيع الجزيرة

ليس رئيس مركز أبو ظبي للغة العربية». و (@IST4yimgW6qawud) حيث كتبت: «المذيع لا يحمل دكتوراة في اللغة وليس من لجنة يُنَاط بها تأمير الشعراء».

ما نلاحظه على التقارير التي عرضتها المؤسسات الإعلامية الثلاث أنها لم تكتفِ بوصف الحادثة، وأنها لم يحركها الواجب تجاه اللغة العربية وأبنائها، فلغة التقارير نفسها لم تلتزم السلامة اللغوية، وأن ما سعت إليه هو الإثارة الإعلامية، وتحريض المغردين ضد لجنة التحكيم، كما نلاحظ أن المغردين لم يلتزموا حدود النقاش اللغوي العلمي، بل امتدّ إلى تبادل التهم، وإثارة الخلافات السياسية مما أثار حفيظة أحد أعضاء لجنة التحكيم فسارع بكتابة تغريدة -سوف نستعرضها بعد هذا المبحث- تُحاكي الجو العام الذي ساد القضية من اتهام وتشكيك.

ولا يخفى أن الباعث لنشوء مثل هذا الجو مرده إلى عوامل كثيرة، وما هو واضح من العوامل ذات الصلة بتحليل خطاب الأطراف أن سمت اللجنة النقدي واللغوي به ضبابية، وهناك انتقاد قديم مفاده أن أنظمة اللجنة لا تلبّي حاجات الهوية اللغوية من حيث الضبط اللغوي والمعيّار النقدي، وعندما تكتنف المشاريع الثقافية سمة الضبابية فإنها تفتح باباً كبيراً للجدل، ويزداد الجدل حدة حين تستلم وسائل الإعلام خيوطه وتتلاعب به.

المبحث الثاني: الأكاديميون

دافع د. علي بن تميم (@3litamim) عن الخطأ الذي وقعت فيه اللجنة في تغريدة كتب فيها: «كلنا يعرف قول الله في كتابه العزيز: ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾، لكننا في مسابقة والطبيعي امتحان قدرات الشاعر بأسئلة مختلفة. وما طلبناه منه لون من اختبار الأعصاب بعد إجازته للثبّت، فالمسابقة هي امتحان لقدرات المتسابقين ويبدو أنها نجحت في أن تكون امتحاناً لاختبار قدرات المتعلمين». فهو ههنا لم يقرّ بخطأ اللجنة، فضلاً عن الاعتذار، وبيّن أن الأمر كان متعمداً؛ لوضع المتسابق في موقف اختباري قبل إجازة النص الشعري، ولم يكتفِ د. علي بذلك فهاجم الذين أثبتوا خطأ اللجنة التي يترأسها فوصفهم بالمتعلمين، وكانت اللجنة قد خيرت المتسابق بين الخروج للتفكير في إعراب الكلمة، أو الاعتراف بخطئه، فانبرى مجموعة من الأكاديميين والعلماء الذين لم يقتنعوا بالمسوغ الذي ذكر لإخراج اللجنة من الحرج الذي وقع فيه.

وقد انقسمت مواقف العلماء الأكاديميين مما حدث إلى قسمين رئيسيين:

1- موقف المستثمرين:

وهم فئة استثمرت الحادثة لتعليم المتابعين إعراب الجملة، والتنبيه على أهمية علم النحو، ومن هؤلاء: د. محمد بن علي العمري (@M_A_Alamry) الذي كتب: «كثير السؤال عن إعراب هذا الشطر، وهذا تحرير الجواب، ولا يجوز في إعراب (سخاء) في هذا التركيب إلا هذا الوجه (مرفق تحت التغريدة)،

وإعرابها (مبتدأ) أو (بدل) خطأ لا وجه له من كل وجه، وليس على أصحاب العقول أشق من توضيح الواضحات، والسهو والزلل وارد من كل مخلوق غير معصوم». وأرفق تحت تغريدته الإعراب التفصيلي. واستغل د. ماهر عبد الله المحمود (@dr_maher3) الحدث لينبّه على أهمية علم النحو فكتب: «عجبني في هذا الشاعر الشاب - أدبُهُ - وهُدُوؤُهُ - وابتسامتُهُ - وجَوَائُهُ - وثَبَاتُهُ على الصواب. وستظل محاورته مع لجنة تحكيم برنامج "أمير الشعراء" نكزى للاعتبار بأهمية علم النحو. المسألة النحوية -: فهم وتصور - وحفظ وتطبيق. وقد أحسن هذا الشاعر في عرض مسألة النزاع وأبهر».

واستثمر الأستاذ أحمد فال الدين (@ahmeddine) الحدث للتنبيه على واقع المشهد الثقافي في بعض أقطار الوطن العربي فغرد برابط كتب فيه: «فقد أتاح لي عملي وتطوافي في هذا العالم الاقتراب من الرؤوس الثقافية، ومجاثاة الركب مع الدكاترة المتصدرين للمشهد الثقافي. فتولدت لديّ قناعة أن أغلبهم أدعياء. فسنوات التجريف المعرفي - التي عرفتها بلداننا تحت نير الاستبداد - صنعت عالماً شائهاً. فقد أخبرني أحد الأحبة أن ابنته جاءتته العام الماضي منزعة من أستاذة اللغة العربية في المتوسطة. كانت الأستاذة تقرأ نصاً فورديت فيه عبارة: "فزلوا وضربوا خيامهم في الوادي". وشرحت الأستاذة "ضربوا خيامهم" بكونهم أخذوا عصياً وضربوا بها الخيام. وعندما نبهت إحدى الطالبات الأستاذة على الخطأ لم تقبله. وأصرت أن ضرب الخيام يعني أخذ العصي وضربها بالعصا. وللقارئ أن يتخيل مصير جيل من الطلاب يجلسون آلاف الساعات على مقاعد الدراسة منصتين لأمثال هؤلاء. إنهم يدمرون قرائحهم اللغوية، ويلوؤونها لياً. ولعل هؤلاء الأطفال لو جلسوا في المنازل يتحدثون مع أجدادهم وينصتون لتسجيلات سليمة من الإذاعات أو اليوتيوب لكانت لغتهم أفضل، وفهمهم أدق، وفطرتهم أسلم. عدت للمقطع وشاهدته مرتين. وتأمّلت وجوه المتحدثين وألقابهم ووثوقيتهم، فتذكرت واقعة للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (صاحب أضواء البيان). فقد سأله طالب في السنة الرابعة من الجامعة عن تعريف دقيق لـ "شهادة الزور". فقال له بديهياً: "هي الورقة التي سيعطونكم بعد أشهر بأنكم مختصون في الشريعة والعربية". ولعمري إن المال والشهادات والمكانة الاجتماعية جنّت على الأدب واللغة والعلم أيما جناية.

وخرج رئيس لجنة التحكيم بعد أن علق الناس على الحادثة وشاع الحديث عنها، فكتب على حسابه الرسمي واصفاً ردات الفعل أنها «حملة تأتي ضمن مساعي جماعة الإخوان الإرهابية، وأذرعها مثل الجزيرة وعربي 21، والخليج الجديد، لإثارة الفتنة ونشر الكراهية». وهي محاولة لإخراج الحدث عن إطاره اللغوي إلى أطر سياسية لا يمت لها بصلة، وتحميل المواقف والأحداث ما لا تحتمله يثمر أحكاماً مجحفة، وهي من المسائل الشائعة في التعاطي مع الأحداث في وسائل التواصل الاجتماعي، مما يُغيبُ العدل في تناولها، وتكثر بسببه التأويلات، ويتفقم الانحياز إلى طرف بعينه دون سواه، وهذا أمر يثير المخاوف؛ لأن العقل المتلقي يتأثر بهذه الوسائط وخصوصاً المتلقي العامي أو المتلقي المفتون بشخصية المغرد أو المتعصب لها لأي سبب كان، ومعلوم أن أغلب هؤلاء لم يعتادوا على الفرز والموازنة والنقد،

فيتلقون أحكاماً هي في الأصل استجابة لحالة ذهنية، أو حالة نفسية، وفي هذا يقول أرسطو: «أحكامنا حين نكون مسرورين ودودين ليست هي أحكامنا حين نكون مغمومين ومعادين»¹، وعليه ينشأ العنف في الأفكار والأقوال وربما تعدى إلى الأفعال، ولاستدراك أي خلل قد يقع في الواقع ينبغي دراسة خطابه فإن ما يتشكل في الذهن تنتقله اللغة «فالإنسان لا يعيش عالماً مادياً أو حتى فكرياً، بل عالماً لغوياً محضاً... فاللغة إذن للتعبير عن الأفكار، بل هي تُشكل هذه الأفكار»².

2- موقف الناقلين:

وهذه الفئة هاجمت لجنة التحكيم لتعريضها والتقليل من شأنها، وممن يمثل هذه الفئة د. رفيعة غباش (@drRafeah) التي تعرف نفسها أنها طبيبة نفسية، وأول امرأة تعين عميدة لكلية الطب وأول امرأة تعين رئيسة لجامعة الخليج العربي، قالت في تغريدتها واصفة موقف أعضاء اللجنة: «ما رأي لجنة برنامج أمير الشعراء الموقرة في أن تخرج وتفكر وتراجع؛ لتعود إلينا بالخبر اليقين، فنعرف من المصيب ومن المخطئ! ولو أكرمنا مجمع اللغة العربية بأبو ظبي أن يفتينا في هذه الإشكالية: الشاعر المتسابق قال: ويعجبني في الذكريات سخاؤها، ناقد قال: سخاءها. ناقدة قالت: سخائها، ناقد ضحك».

ود. مصطفى جاويش (@drmgaweesh) الذي كتب: «بين الفاعل والمفعول انكشفت عورة تحكيم أمير الشعراء». وتساءل د. رائد السهموري (@Alsamhuri): «كيف يتصدر تحكيم الشعر من لا يفرق بين فاعل ومفعول؟ لله الشكوى!».

وأبرز من مثل هذا الاتجاه د. سعد عبد العزيز مصلوح (@saadmaslouh) الذي علق على تغريدة د. علي بن تميم كاتباً: «خالصة قول رئيس لجنة تحكيم أمير الشعراء في رده هو أن من لا يميز الفاعل من المفعول من أمثاله هو العالم، والذي ينبهه إلى سقطته الكارثية من أمثالنا هو المتعالم، أترك تخاطب أطفالاً يا رجل؟ ألم تعلم بأن الحياء من حسن إسلام المرء؟»

وغرد ثانية بأبيات لشعبان عبد المجيد عنونها ب (نحو الدراهم)! قال فيها:

خطأ الأمير هو الصواب ولحنه

علم يقاس عليه وهو الأرجح

سيان فيه سخاءها وسخاؤها

إن الذي يهب الجوائز أفصح

نحو الدراهم بدعة محمود

من سنّها في الناس فهو الأريخ!

1 - أرسطو، فن الخطابة، ترجمة عبدالرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، آفاق عربية، بغداد، 1986، ص30

2 - غرين حوديث، الفكر واللغة، ترجمة عبدالرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص116

ثم غرد يهاجم من أيد اللجنة فكتب في تغريدة: «بعض ما كتب في مؤازرة لجنة "وها -ءها- ئها" يحتاج للاقتناع به أن تتنازل عن كل ما هو منطقي وبدهي، وأن تضحى بما وهبك الله من نعمة العقل. وأقول: عبثاً عبثاً تفعلون. لن تستطيع بهلوانية الألفاظ أن ترد الفاسد صحيحاً فلا تراودوا الناس عن عقولهم. ما كان كان، وقد وقعت الفأس في الرأس».

وفي المقابل انتقدت د. أمينة عبد الرحمن الجبرين (@aminahaljebreen) ردات الفعل على ما حدث، فغردت قائلة: «قرأت الكثير والكثير من التغريدات التي تستنكر موقف عضو لجنة تحكيم برنامج "أمير الشعراء" علي بن تميم قرأت الكثير والكثير من التغريدات التي تستنكر موقف عضو لجنة تحكيم برنامج "أمير الشعراء" علي بن تميم». وخالفها د. ناجي الزهيري (@nbrz87) معتزلاً للهجمة الشرسة على اللجنة في تغريدة كتب فيها: «الذي زاد من حدة الطرح أن الخطأ كان بيناً، وما كان ينبغي أن يصدر عن لجنة بهذا المستوى، وزاد الأمر تعقيداً أنهم لم يعتذروا؛ ومن حق أهل الأدب والثقافة أن يشعروا بالاستياء الكبير من كل ذلك... والله أعلم».

وبين مؤيد ورافض قالت د. أسماء الجوير (@AsmaAljwair): «ما يتداول من حديث عما وقع في برنامج أمير الشعراء من خلط وإلباس سببه إسناد الفعل (أعجب) إلى ما لا يتصور منه أداء الفعل على الحقيقة وهو (السقاء)، ... نحتاج إلى أن نتعلم كيف نخسر، حاولنا تعلم كيف نكسب ولم نفلح! ولا ريب أن بعض الخسائر كنوز». وكتب د. عبد الرزاق الصاعدي (@sa2626sa) مؤسس مجمع اللغة الافتراضي: «أخطأت اللجنة بلا ريب، ولو اعتذرت لكبرت في عيوننا، وأما الشاعر فيستحق الإشادة لثباته على الصواب مع هدوئه وأدبه».

والراجح أن اللجنة كما قال الدكتور الصاعدي أخطأت بلا ريب، وسؤالها لم يكن اختبارياً، وذلك لدليلين: الأول: أن أعضاء اللجنة لم يكن لهم موقف واحد من ضبط الكلمة، فالأول نصبها، والآخر جرّها، وبينهما ثان كان يسخر من موقف المتسابق. والثاني: أن الموقف لو كان اختبارياً لانتهى بتعزيز اللجنة إجابة المتسابق الصحيحة، لا بالجدال، ومحاولة ثنيه عن موقفه.

ولم يؤثر ذلك في قبول النص وإجازته، بل أجمعت اللجنة على قبول النص، لكن المؤسف بعد ذلك أن يمتد النقاش إلى تبادل التهم، والتقليل من شأن الآخرين والنيل من مكانتهم، وإيهام الجمهور بوجود مؤامرة يقودها حزب سياسي ضد دولة لا ينكر فضلها على اللغة العربية. وصحيح أن الخطأ وارد لا سيما في المواقف الارتجالية، لكنه لا يقبل بحال من الأحوال بأن يصدر من ناقد يؤمّر الشعراء، فضلاً عن تواطؤ لجنة النقد وإجماعها عليه، وإن كان يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره؛ فإنه لا يجوز للناقد ما يجوز لغيره.

المبحث الثالث: طلاب العلم

اقترب موقف طلاب العلم من موقف الأكاديميين من حيث استثمار الحدث في تصحيح التركيب اللغوي، وخصوصاً طلاب العلم الذين تتلمذوا على يد كبار علماء اللغة، فكانت ردودهم بمنزلة بناء نص شارح لأصل القاعدة التي نبه عليها جملة من الأكاديميين المتفاعلين مع القضية، ولم تكن ردود أفعالهم على وجه العموم أقل حدية من الأساتذة الأكاديميين، ولا أقل لطفاً، والذي ميّز جمهور طلاب العلم عن الأكاديميين حرصهم على عرض آرائهم بعد مقطع مرئي سواء عرض المقطع الأصلي دون أي مونتاج، أو تجميع مقاطع مقطعة في مونتاج واحد، ولم يكتف طلاب العلم بتغريدة أو تعليق مؤسس، وإنما تناسلت ردودهم في محادثات ومناكفات أحياناً من قبيل الاستلزام (Implicative)، وتظهر قيمة اتجاهات النشاط في تعاقب المحادثات التي دارت بينهم، فقد أثرت النقاش، وشكلت حوارات ثقافية عند جملة من طلاب العلم على اختلاف مشاربهم، وقد اتسمت عند بعضهم بخصائص إيجابية عدة من بينها:

أ- التعامل مع الخطأ اللغوي وفق سياقه الفعلي.

ب- توافق الردود وفق المعيار النحوي، ورد ما لا يتفق مع المعيار.

ج- تجنب الإبهام في الردود.

د- تجنب اللبس

فهذه السمات أوضحت بنية منسجمة رغم اختلاف التكوين العلمي للمغردين والمعلقين، ويبدو أن السبب يعود إلى المرجعية النحوية، واستبعاد التأويل، فهذا رد المغرد (@otman_ayoub) على مغرد آخر (@osmanuba) فقد أعرب الأخير الشطر على النحو الآتي: «... سخاؤها... سخاؤ... خبر مرفوع.. الهاء ضمير عائد للذكريات.. الجملة الفعلية.. يعجبني في الذكريات.. في محل رفع مبتدأ.. ..ويمكن قراتها.. سخاءها كمفعول به ثاني منصوب للفعل يعجب... جمله الجار والمجرور (في الذكريات) في محل نصب مفعول به اول.. بكده اخطا المتسابق.. لقوله فاعل..»، ولا يخفى أن هذا الإعراب مجانب للصوب، فاستثمر المغرد (@otman_ayoub) التغريدة الخاطئة بتصويب الخطأ من الناحية التركيبية والإملائية معاً، وتعامل مع التغريدة تعاملًا يتسق مع السياق الفعلي للمحادثة دون إبهام أو لبس، فقال: «سخاؤها (سخاء): فاعل مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة وهو مضاف (ها للغيبة): ضمير بارز متصل، مبني على السكون في محل جرّ مضاف إليه. لا تكتب سخا(ؤ) بل سخاء بالهمزة على السطر ومن هنا أقول، رفعت الأقلام وجفت الصحف. نقطة نهاية السطر»، ومن الذين سلكوا مسلك التصحيح وإضافة المعلومات الناشط اللغوي محمود سلام أبو مالك صاحب صفحة (صح لغتك) في الفيس بوك، وظهر في مقطع مرئي لحل إشكالية إعراب (سخاؤها)، وكيف يمكن أن يلتبس محلها إعرابياً عند العامة، مستكراً على اللجنة والمتخصصين اخفاقهم في إعرابها! مستدعيًا تعريف الفاعل عند النحاة المعاصرين من أمثال عباس حسن في النحو الوافي؛ إذ ورد تعريف الفاعل بأنه «اسم،

مرفوع، قبله فعل تام، أو ما يشبهه، وهذا الاسم هو الذي فعل الفعل، أو قام به»¹، ومن خلال هذا التعريف بين أنّ للفاعل تعريفاً لغوياً وتعريفاً اصطلاحياً، وعلى المتلقي ألا يقف عند المعنى اللغوي، وما ذهب إليه الشاعر نفسه عين الصواب؛ لأن المعنى المراد يعجبني سخاء الذكريات من أشياء أخرى فيها.² أما صاحب حساب الأمالي في تويتير والفيس بوك فقد طرح قضية عامة شاملة مستنتجاً أن هذه الحادثة تُعدُّ مؤشراً خطيراً لضعف مستوى الشعر والنقد في أوساط النقاد والأكاديميين، وليس هذا فحسب وإنما مؤشر لضعف لغوي لم يسلم منه مجموعة من دارسي اللغة العربية، وأن اللغة تعاني غربة وسط أهلها، فصب جام غضبه على المنظومة التعليمية العربية زاعماً أنها تسلك منهجاً تعليمياً ينصرف عن تدريس علوم الآلة، ويُشغل الطالب بدراسة المناهج اللغوية الغربية التي لا تُثمي الملكة اللغوية الصحيحة، وإنما تقفز بالطالب إلى مراحل أعلى مع وجود ثقب في الخارطة المعرفية لطالب اللغة العربية.

فهذا التعامل مع الحادثة -بصرف النظر- عن اتفاقنا أو اختلافنا مع الناشط في عموميات كلامه إلا أنه يُعدُّ تعاملاً يُشخص الخطأ من خلال معطيات علم الاجتماع اللغوي الذي يدخل في اهتماماته «الخصائص العقلية للأمة وسمات الشخصية القومية أو الوطنية»³ فلم ينظر إلى الحادثة على أنها خطأ تركيبية فحسب، وإنما هي مؤشر لقيم تعليمية انحرفت -بحسب رأيه- عن جادة الطريق، وقد استطرد في حديثه حتى استحضر قضية الأصالة والمعاصرة ضمناً، وآية ذلك انتقاده الحاد للنظام التعليمي الحديث والمناداة بالبديل التراثي، ثم ذكر تحسفه من موجات التغريب التي خلقت نفوساً انهزامية أمام تراث الأمم الأخرى، واقصاء تراث أمة الإسلام والعرب، ثم أعلن الحل الذي يكمن في العودة إلى علوم التراث التي -بحسب رأيه- أنفع لتربية الذائقة الفنية، وهنا يظهر لنا جلياً أن أي قضية تحضر في المشهد الثقافي تتنازع الرؤية التراثية والمعاصرة تنشأ جدلية ذات خصوصية عميقة في العقل العربي أو كما يرى الجابري أن «خصوصية إشكالية الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث والمعاصر كامنة في كون العرب يمتلكون تراثاً ثقافياً حياً في نفوسهم وعواطفهم وعقولهم ورؤاهم وذاكرتهم وتطلعاتهم، في صدورهم وكتبهم ... تراثاً هو من الحضور وثقل الحضور على الوعي واللاوعي بصورة قد لا نجد لها نظيراً في العالم

1 - حسن، عباس، النحو الوافي، ط5، دار المعارف، ج2، (ص63).

2- إن مدار تقديم المفعول على الفاعل في اللغة إنما يدور على الاهتمام والعناية كسائر مواطن التقديم، قال سيبويه: «وإن قدمت المفعول، وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى. في الأول، وذلك قوله ضرب زيداً عبد الله؛ لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخراً وهو عربي جيد كثير، كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً بهمانهم ويعنيانهم» ينظر السامرائي فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان-الأردن، ط5، ج2، 2011، (ص48)/ سيبويه، كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق، نشر مكتبة المثني، بغداد، دن، ج1، (ص14-15).

3 - عفيفي، عبدالفتاح، علم الاجتماع اللغوي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1995، (ص37).

المعاصر»¹؛ ولذلك هب طلاب العلم يزودون عن حياض اللغة العربية، ويدافعون عنها وعن قواعدها التي أسهمت طوال هذه السنين في الحفاظ على اللغة العربية في مبناها ومعناها.

المبحث الرابع: نشطاء غير محددى الهوية

لم تكن القضية حكرًا على المتخصصين في اللغة العربية وطلابهم، بل أصبحت رأياً عاماً ولجّه المتقنون والإعلاميون والنشطاء والمهتمون، يتفق معظمهم على أهمية المحافظة على اللغة العربية، وأن اللغة العربية أحد الركائز الأساسية في حفظ الهوية، فلم يقبل معظم المغردين الخطأ الذي وقع من اللجنة انحيازاً للمعيار النحوي الضابط للغة الفصحى، فالأفراد والضمير الجمعي للأمة يعبّر عن اللغة مستهدفة إلى درجة أنها تعيش غرباً وسط أهلها، وفي هذا الصدد يرى الدكتور عبدالرحمن بودرع أن وضع اللغة بين أهلها في الغرب هي في الحقيقة «غربة محمودة موجبة غير سالبة؛ لأن صفة الغربة فيها تدل على قدرتها على البقاء واستعصائها على عوامل الإزالة والزوال، فلو لم تكن على هذه الصفة من الهجران أو شبه الهجران، لطاها النسيان»² لكن أبناء العربية يحنون إليها على الرغم من تقصيرهم وهجرهم لها، وعليه إنبرى مجموعة من النشطاء غير محددى الهوية فأسهموا إسهاماً جيداً في توجيه القضية وتحويلها إلى جدل لغوي بالاستفسارات أحياناً وبإعادة المنشورات أحياناً أخرى، وكان لمبدأ الانحياز أثرٌ في تعاقب التعليقات والتغريدات، فكل فريق بما لديهم مجادلون، وكأن بعضهم يسعى إلى تحريك الرأي العام إلى فكرة التسوية للجنة، أو الانتقاص منها متخذين تقنيات إقناعية لكن بصورة معاكسة، ومن أهمها:

1- البحث عن النقاط المشتركة، وعلامة ذلك الانصراف عن نقطة الخلاف إلى فوائد جانبية تتبثق من الخلاف.

2- اختيار مسلك آخر بديل عن مسلك الجدل الصدامي مع الطرف الآخر.

فهاتان التقنيتان كانتا الطريق الذي سارت فيه تغريدات النشطاء وتعليقاتهم ولاسيما من فريق المدافعين عن لجنة التحكيم، فتناولوا الحدث بالكيفية الآتية:

1- تجاوز الدليل الموضوعي إلى مسوغات عاطفية، وهذا ما يحدث أحياناً في الجدل بين الطرفين حين يعجز أحد الأطراف عن الطعن في البرهان، فيلجأ إلى تحويل الخطاب من خطاب عقلي إلى خطاب عاطفي، ومن ذلك ما فعلت المغردة (@hmali92) حين تجاوزت الخطأ النحوي، وركزت على الفائدة التي ظهرت لنا من الحوار بين المتسابق واللجنة، فإذا بالمتلقي بحسب رأيها - يكسب فائدتين وهما: المعلومة اللغوية، والفائدة التربوية؛ ولذلك غردت بقولها: «رد المتسابق (الشاعر) كان واضح وضوح

1 - الجابري، محمد عابد، إشكالية الفكر العربي المعاصر، بيروت-لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 1990، (ص33).

2 - بودرع عبد الرحمن، في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي، قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2015، (ص164).

الشمس شرح لنا فائدة في أقل من دقيقة، ولولا سؤال الدكتور علي لما نُقلت لنا هذه الفائدة، الحوار بين اللجنة والمتسابق جميل جدًا كما أن د. علي قال بصريح العبارة أُجيز النص .. يعتذر على ماذا بالضبط!! ثم أردفت تغريدة أخرى ترمي من خلالها أننا ينبغي الابتعاد عن تصيد السقطات إلى النظر إلى الحدث بطريقة إيجابية، فقالت: «وكُنّا كطلبة علم تعرضنا لما تعرض له المتسابق وكُنّا على حق ولا طلبنا الاعتذار من معلماتنا .. بالعكس هذه التحديات التي واجهناها ساهمت في صقل شخصياتنا .. كل التقدير».

2- العدول عن أصل القضية إلى نتائجها، فقد وجد المدافعون في هذه التقنية مساحة للابتعاد عن أصل الخطأ، فابتعد بعضهم عن مناقشة الخطأ أساساً، وحاول بعضهم تأويل الخطأ والوقوف ضمناً على أرضية الاعتراف بالخطأ من حيث النظام اللغوي، لكن النقاش دار على النتائج المترتبة من هذا النقاش الذي كثر فيه اللوم، والإنكار، وإسقاط أهلية اللجنة، الأمر الذي يرى فيه المدافعون حكماً ظالماً لمكانة اللجنة، وأن اللجنة قدمت الكثير للحياة الثقافية عامة، والشعرية خاصة في مواسمها المختلفة منذ التأسيس.

أما الناقمون على اللجنة كانوا ينطلقون من أصل القضية، ثم يستطردون ويعودون مرة أخرى إلى مبدأ ضرورة المحافظة على اللغة الفصحى؛ بحسبامها هوية العرب وقوام وحدتهم، ومن الملاحظ على خطاب الأغلبية منهم التغني بالماضي، وأن الجيل السابق كان أكثر إتقاناً للعربية من الجيل المعاصر مثلما فعلت الناشطة رانيا محيو الخليلي (@RaniaMehioKH) فقد عقدت مقارنة بين مستوى الإعلام قديماً وبين المستوى الإعلامي المعاصر ذاهبة إلى أن ممثلي الزمن الجميل -بحسب تعبيرها- «بنطقهم اللغة العربية وإتقان حركاتها تفوقوا على حملة شهادات اليوم باللغة ونقدها»، وقد أشارت إلى بعض الممثلين القدامى من أمثال عبدالمجيد المجذوب، وهند محمد أبي اللع، ووداد جبور، جوزيف نونو وغيرهم من الفنانين المجيدين، في حين يندر أن نجد من الممثلين بذلك المستوى، وهذا يعود إلى تقصير المؤسسات الإعلامية في تشجيع اللغة العربية، وهذا المفهوم أكدته الناشطة محمد لقظف صاحب صفحة الأمالي، وعبرت عنه بشكل آخر (@Marah_1422) حين قالت: «.. هناك مشكلة حقيقية عند بعض دارسي العلوم التي صارت متعلّقة بالغرب بفعل الحداثة، كمنهاج النقد الأدبي، وغيرها. فالجانب النحوي لدى هؤلاء، مهمل بشكل ملحوظ»، فهذا التنبيه يدل دلالة واضحة على وعي المتلقي، وإمكانية تشخيصية للمشكلة، مع الإصرار على حماية اللغة العربية أولاً من المؤسسات الإعلامية والتعليمية على حد سواء، ومن ثم تنمية الذائقة الفنية لدى عامة الناس، وعليه تعجبت صاحبة حساب (@AIdoseriMM) بقولها: «من بلاغة الشاعر وفصاحته احتار في أمره "فهاء اللغة ولجنة أمير الشعراء .. سبحان الله ولو لم نفقه في إعراب اللغة العربية شيئاً يكفي نشاز ولحن سخاءها منصوبة .. لا تمر إلى الأذن سليمة .. ولا ينطقها العربي فصيح اللسان .. فيها ركاقة».

الخاتمة:

- يمكن أن نستخلص من مناقشة اتجاهات المغردين من لجنة تحكيم مسابقة أمير الشعراء في تخطئتهم رفع الفاعل في شطر من قصيدة (التفات) للشاعر الليبي عبدالسلام أبي حجر ما يأتي:
1. نشأ الجدل اللغوي في قضية الشاعر الليبي في وسائل التواصل الاجتماعي من قبل أربعة أصناف هي: المؤسسات الإعلامية، والأكاديميون، طلاب العلم، ومغردون غير محددي الهوية.
 2. يُفسر الجدل اللغوي الحاصل نتيجة خطأ لجنة التحكيم بمقصدتين أولهما: ارتفاع مستوى الوعي بأهمية المحافظة على اللغة الفصحى في المحافل الرسمية، وثانيهما: النظرة السوداوية التي فيها ما لا يخفى من التعميم المجحف.
 3. يتسم فضاء التواصل الاجتماعي بالعاطفية وقد انعكس ذلك على لغة الجدل الحاصل بين النشطاء بين مدافع ومهاجم.
 4. تفسير ردات الفعل من الحدث اللغوي موضوع الدراسة بأجندات أحزاب سياسية مغرضة هو محاولة لإخراجه عن إطاره الحقيقي، لاستمالة المدافعين والمتعاطفين مع لجنة التحكيم.

المراجع:

1. أرسطو، فن الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، 1986.
2. بودرع عبد الرحمن، في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي، قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، 2015.
3. بكار عبد الكريم، تجديد الخطاب الإسلامي الشكل والسمات، ط1، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، 2005.
4. الجابري محمد عابد، إشكالية الفكر العربي المعاصر، بيروت-لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 1990.
5. حسن عباس، النحو الوافي، ط15، دار المعارف، مصر، د.ن.
6. دونو آلان، نظام التفاهة، ترجمة مشاعل عبد العزيز الهاجري، ط1، دار سؤال للنشر، بيروت-لبنان، 2020.
7. السامرائي فاضل صالح، معاني النحو، ط5، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان-الأردن، ج2.
8. سيبويه، كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق، نشر مكتبة المثنى، بغداد، دن، ج1.
9. علي، محمد محمد يونس، قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، 2013.
10. عفيفي، عبد الفتاح، علم الاجتماعي اللغوي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1995.
11. غرين حوديث، الفكر واللغة، ترجمة عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.
12. فيتزير أنيتا ولورباخ جيردا إيفا، الخطاب السياسي في وسائل الإعلام، ترجمة عيسى العاكوب وغيث بركات، ط1، دار نينوى، دمشق، 2016.

الأسرة أم العائلة؟

إعادة التفكير في المفهوم وتحليل التحولات الاجتماعية

Family or family group?

Rethinking the concept and analyzing social transformations

حاكم مليكة¹ Malika Hakem

جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان-، الجزائر

University of Abou Bekr Belkaid Tlemcen/Algeria

h.m.sociologie13.2017@gmail.com

الملخص :

الأسرة تقدم الهيكل القاعدية لبنية المجتمع بمختلف تفصيلاته، الأدوار، الكسب/الاقتصاد، السلطات والهيمنة، المكانة وإعادة الانتاج لهذا المجتمع بكل جزئياته. هذا المفهوم والنظام في نفس الوقت عينه، يحكمه شرط التزامية في التحليل والسلوك، اللذين يهيكلهما التحول الاجتماعي، كإطار مفاهيمي أساسي للمجتمع الانبي من جهة وحقل اشتغال السوسيولوجي من جهة أخرى.

لذا فهذا المقال سيكون مبني على التساؤلات التالية:

ما التحيين الحاصل في مفهوم La famille؟ ما التحولات الحاصلة على بنية La famille؟ ماهي اليات المنخرطين بالأسر لتحيينها مع التحولات الاجتماعية للحيلولة دون اختفائها من المجتمع بوصفها اقدم نظام ومؤسسة اجتماعية بالمجتمع؟

الكلمات المفتاحية: الأسرة، العائلة، التحول الاجتماعي، التزامية، الآني، رؤوس الأموال.

Abstract:

The family provides the basic structure of the structure of society in its various details, roles, income/economy, powers and domination, status and reproduction of this society in all its parts. This concept and the system at the same time, are governed by the condition of synchronicity in the analysis and the behavior, which are structured by the social transformation, as the basic conceptual framework for the current society on the one hand, and the field of sociology work on the other hand.

Therefore, this article will be based on the following questions:

What is the update of the concept of La famille? What transformations are occurring in the structure of The Family? What are the mechanisms involved in families to revive them with social transformations to prevent their disappearance from society as the oldest social system and institution in society?

Keywords Family, family group, social change, synchronicity, diachronic, capital.

المقدمة:

هذا المصطلح السوسيولوجي الذي يتمحور حوله المجتمع بشكل تجريدي، بحيث يكون La famille

1- حاكم مليكة: أستاذ محاضر "أ"، علم الاجتماع، جامعة ابي بكر بلقايد-تلمسان- الجزائر، عضو مخبر تطوير البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية-جامعة مولاي الطاهر -سعيدة-/الجزائر.

مصطلحا la famille+ la société شارحين بشكل مجرد لكل من ينحشر بهذين المصطلحين، لكن يبقى مصطلح la famille أكثر وضوحا في اللغة الأجنبية كون إنتاجه كان باللغة الأجنبية يكون أصيلا، إلا أن المشكل يطرح في الترجمة من اللغة العربية.

إلا أن الإشكال يطرح في الخطاب العربي، بحيث نترجم مصطلح la famille إلى الأسرة ومرات أخرى إلى العائلة؟ بحيث يتم في الكثير من الدروس والملتقيات حين الحديث عن هذا المصطلح، التعبير عنه بتجريد واحد unique باللغة الأجنبية famille، لكن حين تحليلها بالخطاب العربي نجد مصطلحي: الأسرة والعائلة.

ذلك ما أثار فضولي لمحاولة تحليل هذا الموقف العلمي من جهة والترجي من جهة أخرى. فهل المفهومان يحملان نفس الشحنة المعرفية للمصطلح باللغة الأجنبية؟ أم أن أحدها يحتاج إلى معرفة أصوله الأجنبية في التحليل السوسولوجي؟ أم أن أنيا دخل تغير على المصطلح؟ في هذا المقال، أكرر محاولتي لحل هذه المعضلة الترجمية بامتياز من أجل عدم الإضرار بالخطاب العلمي والإخلال بالتحليل السوسولوجي حول هذا المفهوم وهذه المؤسسة التي تعد شمولية وكونية، بحيث أنها تعتبر فعليا الجينة الأساسية لتشكيل المجتمع¹، الأمر الذي لا يمكن مناقشته في كل الظروف، إلا أنه بديهي لدى السوسولوجين أن ما تسمى الأسرة أو العائلة هي الأساس في تشكل وبناء المجتمع ككل.

1- إعادة التفكير في مفهوم la famille :

كوني باحثة في السوسولوجيا، فإن من الضروري العودة إلى مثل هذه المفاهيم كونها مفاهيم بنائية تأسيسية للمجتمع ولتحليله في المقابل، مع الأخذ بعين الاعتبار التحولات الاجتماعية الكبرى التي تمس المجتمعات مع اختلاف خصوصياتها الثقافية ومساراتها التاريخية- بالتطور أو نحوه- . هذه التحولات الاجتماعية المؤثرة ببنيات المجتمع، تحتم على الباحث في علم الاجتماع، إعادة التفكير والتباحث في مفاهيم أساسية في شبكة مفاهيمه الباحثة بالمجتمع، لذلك هنا، مفهوم la famille، من الضروري بشكل جاد البحث به وإعادة تفكير به.

بالدرجة الأولى:

حول الترجمة المزدوجة في اللغة العربية (أسرة أم عائلة)

بالدرجة الثانية:

تزامنية المفهوم وكفايته لتحليل التحولات الاجتماعية الحاصلة في المجتمع.

بالدرجة الثالثة:

1- Mourad Merdaci :Une psychologie du champ Algérien- éléments de clinique sociale, OPU ;Algérie ;2010 ; P.P 25-26.

شبكة المفاهيم الفاعلة والمساعدة في بلورة مفهوم La famille و ترجمته بما يلائم الخطاب السوسيولوجي في اللغة العربية.

1-1- بنية المفهوم باللغة الاجنبية الفرنسية famille :

لذلك ستكون أولاً بتقديم البنية اللغوية للكلمة والمصطلح الاصل وهو ¹famille ولاحقاً كلمتا الأسرة والعائلة.

Famille : non féminin- latin Familia, **singulier**²

1- ensemble formé par le père ; la mère(ou l'un des deux) et les enfants : **fonder une famille**. **synonyme** : foyer-ménage

2- les enfants d'un famille- **famille nombreuse**.

3-ensemble des personnes unies par un lien de parenté ou d'alliance : **réunion de famille**. **Synonyme** : parenté- parentèle

4-ensemble des générations successives descendant des même ancêtres, lignée : **une des plus vieilles familles d'auvergne**. **Synonyme** : lignée- maison-souche.

5-generation, descendance de père en fils, par rapport au métier, a la fonction : une famille de jardiniers

6-ensemble de personnes ayants des caractères semblables : famille littéraire.

7-ensemble des choses ayant caractères communs : arbres qui appartiennent à la même famille.

La famille à la sociologie³ :

1-famille étendue : ensemble constitué par le père et la mère ; les enfants ; les petits-enfants ; les oncles ; les tantes ; les neveux ; les nièces ; dans la mesure où leur lieu de résidence est le même.

2-famille nucléaire ou conjugale : groupe domestique réunissant au même foyer uniquement le père, la mère et les enfants non mariés.

3-famille recomposée : famille conjugale où les enfants sont issus d'une union antérieure des chacun des conjoints.

4-famille restreinte : groupe domestique dont un ou plusieurs membres ont quitté le foyer.

La famille : Ensemble de personnes qui ont des liens de parenté par le sang ou par alliance⁴.

1 Définitions : famille-dictionnaire de français Larousse :

<https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/famille/32798>. Consulte le 13/08/2022.

2-<https://www.universalis.fr/dictionnaire/famille/> consulte le 31/08/2022.

3-Définitions : famille-dictionnaire de français Larousse :

<https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/famille/32798>. Consulte le 13/08/2022.

4-<https://www.larousse.fr/encyclopedie/divers/famille/51139>: consulte le 4/08/2022.

في المقابل لدينا كلمتين تقابل كلمة واحدة: الأسرة و العائلة في مقابل la famille لذا سنبدأ بـ: الأسرة لغويا

أسرة: الأسرة، الدَّرْعُ الحَصِينَةُ¹

وَأُسْرَةُ الرجل : عشيرته ورهطه² الأدنون، لأنه يتقوى بهم، {.....} والأسرة : عشيرة الرجل وأهل بيته.³ والجماعة يربطها أمر مشترك-جمع: أُسْرٌ.⁴

الرَّهْطُ: رَهْطُ الرجل : قومه وقبيلته الأقربون⁵{...}، هو رهط الرجل قومه وقبيلته ، يقال: "هم رهطه دنية: والرَّهْطُ عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة، والبعض يقول من سبعة إلى عشرة وما دون السبعة الى ثلاثة نفر. وقيل الرَّهْطُ ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة⁶، قال الله تعالى: "وكان في المدينة تسعة رَهْطٍ..."⁷.

العائلة:

العَيْلُ: عيل الرجل، أهل بيته، الذين يكفلهم، جمع: عيال، يقال عنده كذا وكذا عَيْلاً : أي كذا وكذا نفساً من العيال.⁸

العائِلَةُ: من يضمهم بيت واحد ، من الآباء والأبناء والأقارب. وهي فاعلة بمعنى مفعولة⁹. والعَيْلُ: أهل بيت الرجل الذين ينفق عليهم.{ للمذكر والمؤنث } وغيرها من الاشتقاقات¹⁰.

- 1 -لسان العرب لابن منظور، طبعة محققة، تحقيق: عبدالله علي الكبير ، محمد احمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، صفحة 77.
- 2- انظر المعجم الوسيط الصفحة 377. و لسان العرب لابن منظور الصفحة 1753-1754.
- 3 -لسان العرب لابن منظور، صفحة 78.
- 4 -المعجم الوسيط، الصفحة 17.
- 5 - المعجم الوسيط: الصفحة 377.
- 6 - لسان العرب لابن منظور: الصفحة 1753.
- 7 -القرآن الكريم: سورة"النمل"، الصفحة 48..
- 8 - المعجم الوسيط: المجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر، طبعة 5 / 2011الصفحة 640.
- 9 - المعجم الوسيط: الصفحة 637.
- 10 - لمعرفة أكثر يمكن الاطلاع على المعجم الوسيط الصفحة 637 و 740.

1-1-1- جدول ترجمة فرنسي -عربي¹

Mot	ترجمة
Familial,iale, iaux-adj	عائلي، أسروي،...
Familiariser (v, tr)	أُنس، دُجِنَ...
Familiarité (n.f)	دالة، ألفة، تعود...
Familier, ière adj,n	مُقَرَّب، عَشِير، رَفِيق، مَأْلُوف...
Famille, N.F	أسرة، آل، عائلة، جنس، سلالة، ذرية..

1-1-2- جدول توضيحي لترجمة مختلفة بين العائلة والاسرة لـ ²famille:

Family	أسرة	عائلة
Familiers linguistic	////////////////////////////////////	عائلات لغوية
Family budget	ميزانية الاسرة	////////////////////////////////////
Family cycle	دورة الاسرة	////////////////////////////////////
Family demography	////////////////////////////////////	علم السكان العائلي
Family desertion	هجر أسرة	////////////////////////////////////
Family disorganisation	انحلال الأسرة، تفكك أسري	////////////////////////////////////
Family education	تربية أسرية	////////////////////////////////////
Family composite	////////////////////////////////////	عائلة مركبة
Family compound	////////////////////////////////////	العائلة المعقدة، او المركبة
Family conjugal	الاسرة الزوجية	////////////////////////////////////
Family elementary	الاسرة الاولى	////////////////////////////////////
Family extended	الاسرة الممتدة	////////////////////////////////////
Family joint	////////////////////////////////////	عائلة ملتحمة-متصلة-
Family matriarchal	////////////////////////////////////	العائلة الامية-نسبة للام
Family nuclear	أسرة نووية	////////////////////////////////////
Family patriarchal	////////////////////////////////////	العائلة الأبوية
Family sociology of	////////////////////////////////////	علم اجتماع العائلي

1 -القاموس: فرنسي-عربي، قاموس عام: لغوي-علمي (يتضمن المصطلحات العلمية: الطبية، الرياضية، الفيزيائية، الكيميائية، المعلوماتية والهندسة وغيرها)، مكتب الدراسات والبحث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة 2044، 02، ص 351-350

2 -محمد الجوهري: معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية-عربي/انجليزي-، المشروع القومي للترجمة و المركز القومي للترجمة، 2010، ص-244 حتى 246.

1-2-المفاهيم

1-2-1- بالفرنسية:

-Famille : " la famille est une unité sociale vouée à assurer, dans la plupart des sociétés, la socialisation primaire des individus.

-La famille est bien sûr un objet privilégié pour la sociologie : c'est dans la famille, dès la prime enfance, que se transmettent des valeurs et des normes, des compétences linguistiques et cognitives, des attitudes et des techniques du corps, un ensemble de dispositions qui vont caractériser les individus tout au long de leur vie. En ce sens, la famille est toujours au cœur du processus de reproduction sociale¹ ; et aussi dans la sociologie de la famille constitue un point de rencontre entre démographes, historiens et ethnologues ;(.....)²

-La famille a cessé d'être le modèle structural de reproduction sociobiologique, des cycles générationnels, filiaux et tutélaires³.

-Résultant de l'union des sexes et de la procréation, la famille est un ensemble organisé d'individus reliés entre eux par l'alliance et/ou la parenté. Cet enracinement biologique et temporel de la sexualité et de la génération d'où naît la famille⁴.

-La famille au sens large, contrairement au groupe résidentiel (ou groupe domestique), n'implique pas nécessairement la cohabitation. Elle continue à exister même lorsque ses membres résident séparément. En ce sens, la composition de la famille ne découle pas nécessairement des règles de résidence⁵.

1-2-2- بالعربية:

"سميرة احمد السيد": "أول و أهم النظم الاجتماعية التي أنشأها الإنسان لتنظيم حياته في الجماعة، وبذلك تعتبر الأساس الذي يقدم الفرد على جميع مؤسسات المجتمع و نظمه الاجتماعية"⁶.

1- Frédéric lebaron : la sociologie de A à Z-250 mots pour comprendre- , DUNOD, Paris ,2009, P61.

2- Gilles Ferréol, Philippe cauche et autres : dictionnaire de sociologie, 4eme édition revue et augmentée, éditions Mehdi, Tizi-Ouzou/Algérie, 2013, P 107. Et pour plus voir le même ouvrage P.P 107 à115.

3-Mourad Merdaci : Une psychologie un champ Algérien -Elements de clinique sociale-P.26.

4 Ecrit par : E.U., Catherine LABRUSSE-RIOU ;

<https://www.universalis.fr/dictionnaire/famille/>. consulte le : 31/08/2022.

5-Marie-Claire et Jacques Nicole and SIL international: Parente et traduction (Généralités et langues bibliques) ,Digital Resources-Electronic Working paper 2011/010 , P02.

6-سميرة احمد السيد: علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة 2، 1993، الصفحة 63.

"مصطفى بوتشفونت": إنها إنتاج اجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي توجد وتتطور فيه فإذا اتصف بالثبات اتصفت الأسرة بالثبات، وإذا اتصف بالحركة والتطور، تغيرت الأسرة بتغير ظروف تحول هذا المجتمع¹.

"Murdock" إلى إن العائلة تتمثل في: "جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك، و تعاون اقتصادي و وظيفة تكاثرية، و يوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية، يعترف بها المجتمع و تتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ و أنثى بالغة، و طفل سواء كان من نسلها أو عن طريق التبني"².

حسب مجموع علماء الاجتماع: "هي تتكون من الزوج و الزوجة و الأبناء الذين يؤدون مجموعة من الوظائف الأساسية، أهمها الاستمرار و البقاء من أجل حفظ النوع ووجود المجتمع بفعل التكاثر"³، "بيرجس و لوك" في كتابهما "الأسرة 1953" أن الأسرة: "هي جماعة من الأفراد تربطهم علاقات الزواج والدم أو التبني و يؤلفون بيتا ويتفاعلون سويا ولكل واحد دور محدد كزوج أو زوجة، كأب و أم، أخ أو أخت، مكونين ثقافة مشتركة"⁴.

2- مناقشة المفهوم:

إن مما لا ريب فيه أن الأسرة أقل عدد وأشد انحصار بالمجال الجغرافي وأقوى برابط بشكل مباشر مع أفرادها بمقابل العائلة، تلك العائلة التي كانت متواجدة بشكل معنوي وملموس ضمن زمن اجتماعي⁵ anachronie سابق عن الزمن الاجتماعي الذي نعيش به، الذي هو الزمن الاجتماعي الآني⁶. diachronie.

1 - مصطفى الخشاب: دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة، بيروت، 1985، الصفحة 32.

2- دحمانى سليمان: خصائص الأسرة الجزائرية و مظاهر تطورها، مجلة الإنسان و المجتمع، العدد 5، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، تلمسان/الجزائري، ابريل 2013، الصفحة 61.

3- سامية خضر صالح: التغير الاجتماعي و تأثير بعض عناصره على تفجرات الأزمات العائلية (الداخلية، الاقتصادية، الثقافية، السياسية)، الملتقى الثالث: التغيرات الأسرية و التغيرات الاجتماعية 20-21 جانفي 2004، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية/سلسلة الوصل، جامعة الجزائر/الجزء 1، العدد 2/2006، ص 47.

4 - سامية خضر صالح: المرجع السابق، ص 47/48.

5-Thomas Hirsch : le temps social. Conceptions sociologiques du temps et représentations de l'histoire dans les sciences de l'homme en France-1901-1945, thèse soutenue le 06/06/2014, l'atelier du centre de recherches historiques, 2014 .

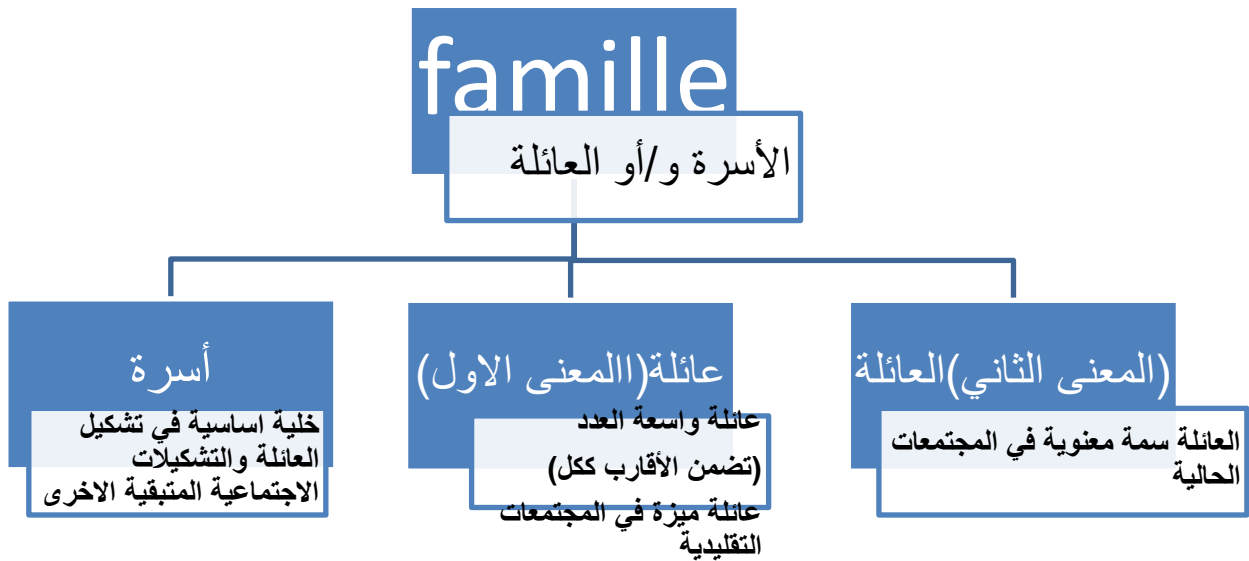
6-Sabina Loriga : thomas Hirsch, le temps des sociétés d'Emile Durkheim à Marc Bloch ; revue d'histoire des sciences humaines, 33/2018 ; consulte le 26-03-2020

(<http://journals.openedition.org/rhsh/1242>)

إلا ان العائلة التي يتحدث عنها المختصين والافراد في السياق المجتمعي¹(sur le plant sociétale)، هي متواجدة بشكل معني تحصر في شحنها المعرفية القرابة بشكل اجرائي على خلاف مفهوم القرابة ضمن السياق الاصطلاحي والانثروبولوجي la parenté، بحيث تتقاطع هنا العائلة بالمفهوم الاجرائي الذي يصيغها به الأفراد عموما، ضمن سياقات الزمن الاجتماعي الآني -القرابة- مع المصطلح الدال عليها في السوسيولوجيا والانثروبولوجيا² parenté، للإشارة إلى الامتداد الاجتماعي للأصل الاجتماعي³ للفرد-الذي يصاغ بشجرة العائلة-

لذا فمتى يترجم الباحث في علم الاجتماع المصطلح ذاته باللغة الاجنبية-الفرنسية-famille - إلى أسرة؟ ومتى تكون اللحظة المعرفية الاخرى التي يحمل فيها ذات المصطلح معنى آخر أي العائلة؟ ولما لا توجد هذا المشكلة في اللغة الأصل؟

كل هذه التساؤلات التي أحاول الإجابة عنها بتحليل منطقي، في مناقشة ما جمعته عن المصطلح الأصلي وحتى عن ترجمتيه المعتمدة، الذي سأقدمه على شكل مخطط.



1-Aïssa Kadri : L'instrumentalisation des mémoires et l'amnésie programmée-lourdes de fractures irrémédiables-, Société , le 15/02/2022 par ADN-MED(Afrique du Nord-Méditerranée Matrice solidaire, destin commun) ; consulte le 07/09/2022.

<https://www.adn-med.com/2022/02/15//ai/ssa-kadri-linstrumentalisation-des-memoires-et-lamnésie-programmée-est-lourde-de-fractures-irremédiables/>

2-IN : Delphine Manetta : la parenté dans l'anthropologie de Georges Balandier -Objet et modèle du mutation-, revue internationale d'anthropologie culturelle et sociale-Cargo-Paris-S/D.

3-collectifs sous la direction de Patrick Rayou : L'origine sociale des élèves- Mythes et réalités, RETZ-éditions-retz.com, Paris, 2019.

تمثل الأسرة الخلية الأساسية في تشكيل المجتمع لدى المجتمعات ضمن سيورتها، بفعل الإنجاب¹، الذي يعد الدور الأساسي لمثل هذه التشكيلة الاجتماعية المنفردة عن باقي التشكيلات الاجتماعية الأخرى من جهة.

لذلك فإن العائلة هي السمة البارزة ضمن المجتمعات التقليدية أو تلك التي لازالت تحافظ نوعا ما من هذه التشكيلة التي تتشكل من أسر زواجية متعددة، بحيث أنها تعد ممتدة بالمكان والفضاء السكاني. هذه هي العائلة الموجودة والتي سبق وأن ادرجنا تعريفها لغويا ضمن السياق اللغوي العربي بحيث تضمن العديد من الاقارب، على عكس الاسرة التي تضمن الزوجين في اغلب التعريفات وحتى في التعريف اللغوي(العربية) هي أهل الرجل-أي زوجه-².

إلا أن ضمن السيوررات التي مست المجتمعات ككل من التحولات الاجتماعية، فإن العائلة التي كانت موجودة بشكل ملموس وهي ممتدة ضمن المجال الجغرافي، وفي فضاءات سكانية، اختصرت بفعل التحولات الاجتماعية، الى نسيج معنوي، الذي يتواجد في أسئلة الفرد لغيره:

السؤال بالدارجة	بالعربية	إجابة
كي يحيك؟	أي ماهي قرابته بك	La famille
يقربك؟(ق بثلاثة نقاط)	هل يقربك؟	La famille
يوليك؟	هل يعود بالقرابة لك؟	La famille
مصطلحات تميز الحديث عن العائلة		
شجرة العائلة	لقب عائلي	نبني عائلة
مصطلحات تميز الحديث عن الأسرة		
قانون الأسرة	ميزانية الأسرة	تنظيم الأسرة

إن السؤال الدائم عند إيجاد الألقاب متشابهة يكون عن القرابة، وتكون الإجابة دائما بـ la famille. لذا هنا تعني العائلة التي تشمل كل من ينحدرون من جد واحد على الأغلب، أي الجد الأول لكل الأسر المنحدرة والمنتمية له أي العائلة.

لذا فما توحى إليه la famille لدى مستخدميها من الافراد هنا، هي العائلة اي بشكل دقيق القرابات التي تكون بين الافراد من لقب واحد، حسب ما هو متداول في الوسط المجتمعي الجزائري.

1-في: مشري زبيدة: محور الضبط الاجتماعي في الاسرة الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة سكيكدة/الجزائر، العدد 2015/12/04.

2 -انظر الى تعريف الاسرة وشرح الرهط، ص06.

كما أن التحولات البنيوية¹ التي حدثت على الأسرة بفعل أشكال الزواج المتعددة في المجتمعات الغربية في الوقت الحالي، جعلت شروط التي تقوم بتشكيل الأسرة متنوعة، إلا أن ضمن المجتمع الجزائري، لم يصل التحول إلى بنية الأسرة ولم تمس التشكيلة الأساسية وهو رابطة قائمة على اتحاد زوجين وأطفال (أبناء). بحيث تمثل الأسرة الثنائي الأولي premier coupable.

إلا أن في المقابل يتاح لنا مصطلح آخر باللغة الأجنبية قد يخرجنا من هذا المأزق الترجمي، وهو le groupe familial²، لذا فإن كانت la famille هي الأسرة فإن le groupe familial هو العائلة إذا اعتبرنا أن ترجمته هو مجموعة أسرية/أسر أي عائلة كما سبق أن شرحنا المصطلح في اللغة العربية، بحيث تعمل العائلة بشكلها المعنوي³ عن طريق خليته الجينية-الأسرة- بتمرير كل معنويات المنتسبين لها والمنخرطين ضمنها.

لذلك وإن كانت هذه المؤسسة حضت بهذا الاهتمام من الانثروبولوجيا والسوسيولوجيا حتى السياسة باعتبارها مشروع لتشكيل الأمة، فإنه الاتفاق الوحيد حولها أنها المؤسسة الأقدم في تاريخ الإنسانية والتي تشكلت عنها وانحدرت منها المجتمعات⁴، لذا فيمكننا اعتماد famille أسرة/ groupe familial عائلة.

استنتاج:

في هذه المحاولة التحليلية، سيعت لمناقشة المصطلح والمفهوم la famille ، الذي تتداول عليه ترجمتين في الخطاب العلمي العربي الأسرة/العائلة، ومع تتبع هذين المصطلحين في اللغة العربية توصلنا لما يلي من النتائج:

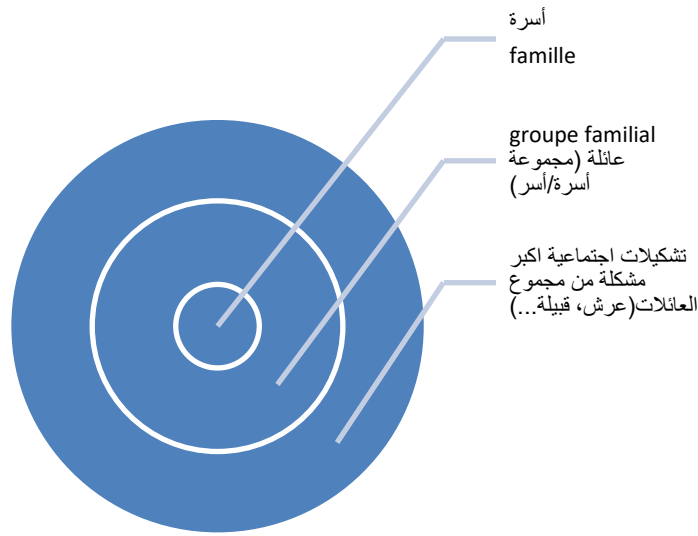
-الأسرة الخلية النواتية الأصغر في تشكيل المجتمع:

1-Jean-Hugues Déchaux : introduction/ une sociologie du changement familial, Dans : sociologie de la famille, 2009, P.P 3à5. <https://www.cairn.info/sociologie-de-la-famille--9782707158031-page-3.htm>

2-Michel Lemay : Le groupe familial, dans : Forces et souffrances psychiques de l'enfant, 2014, P.P441 à462. <https://www.cairn.info/forces-et-souffrances-psychiques-de-l-enfant-1--9782749240626-page-441.htm>

3-Clémence Bensa : Famille structurelle. Famille Fonctionnelle- réflexion sur le travail prétoire d'adaptation de la notion de famille à travers la jurisprudence de la Cour européenne des droits de l'homme et de la Cour suprême du Canada- ; Université Laval, 2019 - 486 pages https://books.google.dz/books/about/Famille_structurelle_famille_fonctionnel.html?id=k_A9zQEACAAJ&redir_esc=y

4-par Karim El Hadj :-François de Singly : "La famille apporte le bonheur ensemble et le bonheur individuel", le Monde-Publié le 14 mars 2007 à 16h17 - Mis à jour le 14 mars 2007 à 16h 17 , consulte le 1/09/2022



-العائلة ضمن المجتمعات البطريكية القديمة تقدم كل من ينحدرون عن رجل واحد(الجد)، المشكلة من مجموعة من الأسر، مع إعادة إنتاج كل ما أنتجته هذه العائلة ضمن أجيالها المتعاقبة(رؤوس الاموال، المهن، السمعة، الطبقة الاجتماعية...).

-العائلة ضمن المجتمعات الحالية التي اتسمت بالتحويلات الاجتماعية، فالعائلة ضمن هذه المجتمعات هي كيان معنوي يعود بالفرد إلى جذوره الاجتماعية، وتستثمر حال الحاجة إليها ضمن ارتباطها برؤوس الأموال التقليدية.

-الأسرة، الخلية النواتية ضمن المجتمعات الحالية بالأخص الغربية تعدت ضمن تشكيلاتها، الصيغة التكوينية لها والتي يصاحبها الزواج الشرعي الذي يباركه المجتمع أو المساكنة ضمن مجتمعات أخرى بين ذكر + انثى منتجين لأعضاء جدد للمجتمع.

بحيث أصبح مفهوم الأسرة غير شارح لما يعايشه المجتمع الغربي الحالي¹، الذي يصنف خارج التحليل والتجريد الأصلي الأول،-كونها تعبر عن الاتحاد بين ذكر + انثى بهدف إعادة إنتاج النوع البشري(التناسل)، ضمن سيرورة كل المجتمعات، الذي تعارفت عليه جل التشريعات الإنسانية وكل الديانات التوحيدية-، هذه الأسرة أصبحت متوترة كون المجتمع الغربي الحالي، انتجت تحولاته اشكال لأسر تتشكل من ثنائيات من ذات الجنس الواحد.

لذا فالنموذج الشارح التقليدي- الأسرة- بشروطها المجتمعية وقواعدها السوسيولوجية، ليست صالحة لتحليل نماذجها الآنية بالمجتمع الحالي-الغربي-

-الأسرة في المجتمع الجزائري تخطت صيغة العائلة الكبيرة (العودة الى الدار الكبيرة-محمد ديب، 1952 كتاب.).

1- Daniel Dagenais :La fin de la famille moderne –Introduction-,P.U.R, 2000,P.P11-17.

-la famille هي الأسرة و le groupe familial العائلة.

-الأسرة هي النووي-الاجتماعي للتشكيلة الاجتماعية بشكل مجرد، بحيث يحتوي هذا الحمض على وظيفية حصرية وهي إعادة إنتاج الجنس البشري + إعادة إنتاج القيم المجتمعية رغم تواجد المؤسسات المرافقة لها، لأنها تمرر قيم ومعايير المجتمع، الطبقة ومعنويات الفرد وانخراطه بها.

-العائلة هي التاريخ الاجتماعي للأصول الاجتماعية للفرد والمزود الأساسي بالوجود المعنوي للأفراد داخل المجتمع والشبكة الخدمانية للفرد بالأخص داخل المجتمعات المتطابقة مع المجتمع الجزائري، مع إمكانية تقديم نتيجة عكسية على الفرد.

هذه بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال مناقشة المفهوم والترجمة.

قائمة المراجع:

- 1-القرآن الكريم: سورة"النمل"، الآية 48.
- 2-لسان العرب لابن منظور، طبعة محققة، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- 3-المعجم الوسيط: المجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر، طبعة 5/ 2011.
- 4-القاموس: فرنسي-عربي، قاموس عام: لغوي-علمي (يتضمن المصطلحات العلمية: الطبية، الرياضية، الفيزيائية، الكيميائية، المعلوماتية والهندسة وغيرها)، مكتب الدراسات والبحث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة 02، 2010، ص 350-351
- 5-دحماني سليمان: خصائص الأسرة الجزائرية و مظاهر تطورها، مجلة الإنسان والمجتمع، العدد 5، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، تلمسان/الجزائري، أبريل 2013.
- 6-زبيدة مشري: محور الضبط الاجتماعي في الاسرة الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة سكيكدة/الجزائر، العدد 04/12/2015.
- 7-سميرة احمد السيد: علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة 2، 1993.
- 8-سامية خضر صالح: التغير الاجتماعي و تأثير بعض عناصره على تفجرات الأزمات العائلية(الداخلية، الاقتصادية، الثقافية، السياسية)، الملتقى الثالث: التغيرات الأسرية و التغيرات الاجتماعية 20-21 جانفي 2004، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية/سلسلة الوصل، جامعة الجزائر/الجزء 1، العدد 2/2006.
- 9-محمد الجوهري: معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية-عربي/انجليزي-، المشروع القومي للترجمة والمركز القومي للترجمة، 2010.
- 10-مصطفى الخشاب: دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة، بيروت، 1985.
- 11-Aïssa Kadri : L'instrumentalisation des mémoires et l'amnésie programmée-lourdes de fractures irrémédiables-, Société, le 15/02/2022 par ADN-MED (Afrique du Nord-Méditerranée Matrice solidaire, destin commun) ; consulte le 07/09/2022.
<https://www.adn-med.com/2022/02/15//ai/ssa-kadriinstrumentalisation-des-memoires-et-lamnésie-programmée-est-lourde-de-fractures-irremédiables/>
- 12-Clémence Bensa : Famille structurelle. Famille Fonctionnelle- réflexion sur le travail prétorien d'adaptation de la notion de famille à travers la jurisprudence de la Cour européenne des droits de l'homme et de la Cour suprême du Canada- ; Université Laval, 2019 - 486 pages
https://books.google.dz/books/about/Famille_structurelle_famille_fonctionnel.html?id=k_A9zQEACA_AJ&redir_esc
- 13-Ccollectifs sous la direction de Patrick Rayou : L'origine sociale des élèves- Mythes et réalités, RETZ-éditions-retz.com, Paris, 2019.

- 14-Daniel Dagenais : La fin de la famille moderne –Introduction-, P.U.R., 2000, P.P11-17.
<https://books.openedition.org/pur/24091?lang=fr>
- 15-IN : Delphine Manetta : La parenté dans l'anthropologie de Georges Balandier –Objet et modèle du mutation-, revue internationale d'anthropologie culturelle et sociale-Cargo-Paris-S/D.
- 16-Frédéric lebaron : La sociologie de A à Z-250 mots pour comprendre-, DUNOD, Paris ,2009.
- 17-Gilles Ferréol, Philippe cauche et autres : Dictionnaire de sociologie, 4eme édition revue et augmentée, éditions Mehdi, Tizi-Ouzou/Algérie, 2013.
- 18-Jean-Hugues Déchaux : introduction/ une sociologie du changement familial, Dans : sociologie de la famille, 2009, P.P 3à5. <https://www.cairn.info/sociologie-de-la-famille--9782707158031-page-3.htm>
- 19-Marie-Claire et Jacques Nicole and SIL international: Parente et traduction (Généralités et langues bibliques), Digital Resources-Electronic Working paper 2011/010.
- 20-Michel Lemay : Le groupe familial, dans : Forces et souffrances psychiques de l'enfant, 2014.
<https://www.cairn.info/forces-et-souffrances-psychiques-de-l-enfant-1--9782749240626-page-441.htm>
- 21-Mourad Merdaci: Une psychologie du champ Algérien- éléments de clinique sociale, OPU ; Algérie ; 2010.
- 22-par Karim El Hadj :-François de Singly : La famille apporte le bonheur ensemble et le bonheur individuel", le Monde-Publié le 14 mars 2007 à 16h17 - Mis à jour le 14 mars 2007 à 16h 17 , consulte le 1/09/2022 .
- 23-Sabina Loriga : Thomas Hirsch, le temps des sociétés d'Emile Durkheim à Marc Bloch ; revue d'histoire des sciences humaines, 33/2018 ; consulte le 26-03-2020
<http://journals.openedition.org/rhsh/1242>
- 24-Thomas Hirsch : Le temps social. Conceptions sociologiques du temps et représentations de l'histoire dans les sciences de l'homme en France-1901-1945, thèse soutenue le 06/06/2014, l'atelier du centre de recherches historiques, 2014
https://www.lemonde.fr/societe/article/2007/03/14/francois-de-singly-la-famille-apporte-le-bonheur-ensemble-et-le-bonheur-individuel_867170_3224.html

Cites électroniques :

Définitions de la famille :

- 1-famille-dictionnaire de français Larousse :
<https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/famille/32798>. Consulte le 13/08/2022.
- 2-<https://www.universalis.fr/dictionnaire/famille/> consulte le 31/08/2022.
- 3-<https://www.larousse.fr/encyclopedie/divers/famille/51139>: consulte le 4/08/2022.
- 4-Ecrit par :E.U., Catherine LABRUSSE-RIOU ; consulte le : 31/08/2022.
<https://www.universalis.fr/dictionnaire/famille/>.



Historiques et Sociales

N° 58 April 2023

REHS

Revue Scientifique Arbitré Trimestrielle

